

كمال مصطفى

الصحافة والأدب
في مصر اليوم

كمال مصطفى

الصحافة والأدب
في مصر

الأهداء

الى الأمم الغداة صنفه الخالدة

هذه صفحات شرف من جواهر الخلق ابار على ماله باثنا في سبيلك .
وهذه الصفحات هي ثمرة عمل شاق مجيد سره فيه اللبالي دون ان يسأم اذ بك ، شيعا في سبيلك
من النفس والرب والاهل والصديق .
فإليك اندمها هدية مجيدة نقترين بها ونفخرين .

الى الابن النبيل الالهي محمد علي ماهر

لهجج الأبناء ما يفخرون به في الآباء مثل ما نجد في أبيك العظيم ، وهذه صفحة نامقة سه حيا
الرائقة ، يعثر بها كل صدى ، فلنكون كافأنا لك للرجل الذي نرهبك بمحمد الأبروة ، وعظيمة الأصل ،
ويوسف النصب : أن تقدم له في الهدى الضريح : صفحة نامقة سه حيا لك . يعثر بها وينفخر ،
ويبهت تكون الابن العظيم للرجل الفذ العظيم .
لقد جعلك أوبرك تقول اليوم : ليس لكل الناس أب كإبي . فاجعل هذا الأب البار
يقول في الغد : ليس لكل الآباء ابن مثل إني .
وانه يحفظكم ويرعاكم

المخلص

كلان مصطفى

أغسطس سنة ١٩٣٨



كلمة المؤلف

مائة يوم . . .

مائة يوم لن تنساها مصر الخالدة أبد الدهر .

مائة يوم بعثت فيها وزارة على ماهر باشا ابتسامة العزاء ، والأمل
والرجاء في البلد المحزون !

مائة يوم تركت فيها وزارة هذا الرجل العظيم أثراً مجيداً لا تتركه
مائة عام .

ولا يطيق رجل واحد أن يتحدث في أكثر من ناحية واحدة
من نواحي ذلك المصلح الفذ ، فلا تترك مآثره في الاجتماع والسياسة
والعلم يسجلها الاجتماعيون والساسة والعلماء ، ولا كتف بالحديث عن
مآثره فيما يتصل بعمل في الصحافة والأدب والثقافة .

لقد أتاح لي عملي أن ألمس عن قرب مآثر ذلك الرجل العظيم ، وأن
أرى يده الكريمة القوية تطوق الصحافة والأدب بأعظم المنن ، وتبعث
فيهما الحياة . . . فاشتد إيماني بعظمته ، حتى حدثتني نفسي أن أسجل
من مآثره ما أعرف ، لكنني حبست هذه الرغبة ، فلم يزد بها الحبس
والكتمان إلا قوة وعنفاً واقتداراً .

وهأنذا اليوم أكتب للمجد وللنارخ : حديث الصحافة والأدب
في مائة يوم . . .

لأن مؤلفه

أغسطس سنة ١٩٣٨

تاریخ عظیم

تعودت الحياة أن تظهر في طفولة العظماء ما يبشر بعظمتهم ، وأن
تترك بوادر النبوغ المبكر تؤذن بما سيكون وراءها من عبقرية ومجد .

* * *

وأنا اليوم أقدم بين يدي كتابي ، بعض ما أعرف من تاريخ على
ماهر باشا حفظه الله ، وسيرى الناس أثراً من عظمته في الطفولة والصبا
والشباب ، وسيرون في فجر حياته إرهاباً بهذه العظمة التي نضجت
واكتملت ، فلفقت القلوب ، وأمالت الأعناق ، ووجهت الأنظار
وانحنى لها الرؤوس .

* * *

ولا يحتاج تاريخ رجل كعلى ماهر باشا إلى شرح أو تعليق أو تعقيب ،
حسب المؤرخ أن يسرد حياة هذا الرجل فيكون منها سجل رائع للمفاخر
قل أن يظفر بمثله سواه ! حسبه أن يؤرخ حياة هذا العظيم ، فتحدث
هذه الحياة عن عظمته أحسن ما يستطيعه أى قلم وأى بيان .

* * *

ولد حفظه الله في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٣ ، وأتم دراسته الثانوية في
المدرسة الخديوية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية ، وحصل منها على
الليسانس عام ١٩٠٣ .

* * *

اهتم والده المغفور له محمد ماهر باشا^(١) بتربية أبنائه ، والعناية بتعليمهم ،
وتكوين خلقهم ، وغرس الفضائل وحب النظام فيهم ، فألحقهم في المدرسة
بالقسم الداخلي ، تعويداً لهم على الدقة والاعتماد على النفس ، فلما انتهوا من
دراستهم الثانوية ، ولم يكن بالمدراس العالية أقسام داخلية ، هياً لهم في
المنزل أسباب تلك الدقة ، ووسائل ذلك الاعتماد .

* * *

كان صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا : منذ نعومة أظفاره ، مطبوعاً

(١) ولد رحمه الله في صفر سنة ١٢٧١ هـ ، ولما بلغ أشده ألحق بالمدراس
الابتدائية ، فتعلم فيها مبادئ اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم ، وبعد اتمام
الدراسة الثانوية نقل إلى مدرسة المهندسخانة ، فكان قدوة حسنة لزملائه في
الجد والاجتهاد والحرص على الوقت ، وحسن المعاشرة ولين العريكة ودماثة
الأخلاق ، فاكسب محبة أساتذته واحترام أقرانه ، ولما نال دبلوم تلك
المدرسة انتقل إلى مدرسة أركان الحرب ، فأظهر من البراعة والمهارة والمحافظة
على النظام والقانون والقواعد العسكرية ، ما جعل رؤسائه ينظرون إليه بعين
الاعجاب والاحترام ، وفي سنة ١٢٧٤ م عين ضابطاً في أركان حرب الجيش ،
لوعه بالخدمة العسكرية ، ثم انتدب في سنة ١٢٧٥ ضمن رجال حملة الكولونيل
كولستن لاستكشاف بلاد كردفان وخط الاستواء ، ثم عين حاكماً على
« بورولاتوكا » من مديريات خط الاستواء ، ثم مديراً لدارفور وكردفان ،
وفي سنة ١٢٧٨ نقل إلى وظيفة وكيل مفتش في المساحة الجيولوجية بوزارة المالية ،
فكسب بهذه الوظيفة إلى أن انتهت الثورة العرابية ، ثم أعيد إلى الجيش وألحق
بالأورطة الثالثة ورقى إلى رتبة « صاغ قولا غاصى » ، وفي سنة ١٢٨٤ رافق حملة
الكولونيل بار إلى سواكن ، وهناك كلف بتأليف أورطة من السودانيين
للمحافظة عليها ، وفي أثناء إقامته بالسودان تقرر تسيير حملة الجنرال قراهام ،
فحضر معها موقعة تل طماي ، وأبدى من ضروب الشجاعة وأساليب الإقدام
والبسالة ما أدهش العقول وحير الأفكار ، فرقى على أثر ذلك إلى رتبة « بكباشي »
ونقل إلى الأورطة التاسعة ، ثم انتدب وكيلاً لمحافظة سواكن عام ١٢٨٥ فوطد

على الرجولة ، وتقدير المسئوليات ، فلقد توفى والده قبل أن يبلغ سن الرشد ، ولم يكن أكبر اخوته ، ولكن المجلس الحسبي عينه وصياً عليهم في سن التاسعة عشرة ، فسهر على راحتهم . وظل يرعاهم الى أن بلغوا أرقى المناصب .



وكان ، وهو تلميذ بالمدرسة الخديوية ، رئيساً لجمعية « الهلال والنجمة » فمكنته هذه الرياسة من التفوق على لداته في إجادة البحث وحب الاطلاع .

وكان جريئاً الى أبعد حدود الجرأة ، لا يخشى تبعه ، ولا يهاب سطوة ، وتجلت هذه الناحية فيه وهو طالب نجيب في المدرسة الخديوية ،

أركان الامن بها ، وأصاح حالها ، ونظام شؤونها ، وفي مارس ١٨٨٨ رقى إلى رتبة « قائمقام » وعين قوهنداناً لأورطة الأساس بالعاصمة ، ثم رقى بعد سنتين إلى رتبة « ميرالاي » وعين وكيلاً لمحافظة اسوان ، وفي ابريل سنة ١٨٩٢ عين محافظاً للاسكندرية وأنعم عليه برتبة « اللوا » فكثت هذه الوظيفة سنة ونصف سنة كان موضع اجلال سكان المدينة ، وطنيين وأجانب ؛ لما اتصف به من النزاهة والاستقامة ، والاخذ بناصر المظلوم ، وكبح جماح الظالم ، ولقد أذنت عليه الصحف العسرية والأفريقية حينذاك ، وفي سبتمبر سنة ١٨٩٣ عين وكيلاً لوزارة الحربية والبحرية ، ووافق سمو الخديو في زيارته لمديريات الوجه القبلي والحدود ، وكان سنداً قويا له عند ما وقعت حادثة الحدود ، يكاد يفرد دون سائر الوزراء والكبراء بالنظر اليها نظرة وطنية مصرية ، يعارض الانجليز ولورد كاتشر أصدق المعارضة ، ولذلك أفصى عن وكالة الحربية ، ونقل محافظاً للقنال عام ١٨٩٤ ، ولكنه لم يلبث طويلاً حتى انتدب في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٤ محافظاً للعاصمة ، وظل في هذا المنصب إلى أن اختاره الله إلى جواره في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ولم يتم الحسين ، رحمه الله رحمة واسعة ، وبارك في ذريته الصالحة النافعة

إذ تزعم طلبة فرقته في الثورة على المدرس الانجائيزي ، لأنه كان يعاملهم معاملة جافة خالية من كل ذوق ، وخشى المدرس ثورة أبناء الأعيان ، فدعا إليه التلميذ على ماهر ، وأخذ يساومه في التخلي عن زعامة الثائرين ، على أن يعامله وحده معاملة الطلبة الممتازين المجدين ، ولكنه أبى إلا أن يكون مع إخوانه ، مصيره مصيرهم ، وكانت تلك الحادثة دؤنة بما سيكون لعل ماهر من عظيم الشأن وبالغ الأثر ، وكان على ماهر الطالب مبشراً بعل ماهر باشا السياسى الزعيم .

* * *

بدأ حياته العملية — بعد تخرجه في مدرسة الحقوق الخديوية — محامياً ، فكان مثال الأمانة والاخلاص في العمل ، وكانت مواهبه الممتازة سبباً في اختيار وزارة الحفائية له : بعد ثلاث سنين ، ليكون قاضياً ، فتولى قضاء محكمة الأزركية ، وكان اختصاصها يشمل اختصاص محاكم الأزركية وبولاياق والوايلي الحالية ، ثم طلب أن يضم إليه قضاء محكمة عابدين ، ليغنى بدرس حالة الأحداث ؛ ولم يكن يوماً أسير الحرفية القانون ، بل كان يطبق الشرائع في روحها ، وينظر في القضايا التي تعرض عليه نظرة اجتماعية ، الى جانب النظرة القضائية ، ويضع نفسه موضع الجمهور ، ويعنى باستخلاص الحقوق أكثر من عنايته بتوقيع العقاب .

جاءته مرة قضية رأى فيها الشهود جميعاً شهد زور ، وأن المتهمين جميعاً أبرياء ، وكانت الجلسة حافلة ، فشق على نفسه أن يعتد الجمهور أن في امكان شاهد الزور أن يحىء الى المحكمة ويشهد زوراً ثم ينصرف الى بيته ، نظر الى حرفية القانون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يحبس فوراً إلا في تلبس أو سرقة أو عود ، وليس هناك نص على شهادة الزور ، هذا في حين أن القاضى المدنى يستطيع الحكم على الشاهد

فوراً وينفذ فوراً ، فقانون المرافعات يسمح بما لايسمح به قانون الجنايات ! فلم يمهه هذا واندفع باحساسه القانونى وصوت ضميره ، فحكم بدخول الشهود القفص وخروج المتهمين منه ، ونفذللحال ؛ فسيقوا جميعاً إلى السجن بلا كفالة ؛ وكتب الى النائب العمومى ، وكان المرحوم ثروت باشا ، خشية أن يلتبس الأمر على النيابة . فتتردد فى التنفيذ ، مؤملاً أن يصل المتهمون بحالتهم تلك الى محكمة الاستئناف ، إذ كيف لا يملك القاضى الجنائى ، ومعه النيابة ، ما يملكه القاضى المدنى ! وتأيد الحكم فى الاستئناف فعلاً .

وقضية أخرى : هى قضية خيانة الأمانة ، فالجنى عليه فى مثل هذه القضية يكون قد أعطى ودیعة إلى أحدهم فتصرف فيها ، فاذا حبس المتهم لم يمهه ذلك بقدر ما يمهه استرداد ماله ، فاذا أخذ الحكم المدنى بالمسال ونفذه ، يعمل استرداد ، ويستأنف الاسترداد ، وتتفرع من القضية الواحدة عدة قضايا ! فيتصور الناس أن القضاء فوضى ، لأن العدل فى نظر المجنى عليه محصور فى استرداد ما خسره . لكن القاضى على ما هربك قضى بهذا : « ان التهمة ثبتت لدى المحكمة على المتهم ، والمحكمة لم تصدر حكمها اليوم وتؤجله الى أن ترى تصرف المتهم ، فاذا دفع المبلغ كان بها ، وراعت هذا التصرف فى تقدير الحكم ، واذا لم يدفع فإمامه العقاب الصارم » ولقد كان البعض يفسر هذا بأنه إبداء رأى من القاضى ، ولا يجوز له ذلك ، أما القاضى على ما هربك فقد فسر به بأنه إنما أبدى الرأى وهو فى كرسى القضاء وليس فى الطريق .

وفى هذه القضية دفع المتهم ما عليه فعلاً ، وبهذا حسم الخلاف ، فلا حبس ولا استئناف ، ولا قضية مدنية ولا استرداد ، ولا عداوة فى النفوس التى ربما كانت نفوس أهل وأزواج .

* * *

ثم نقل مفتشا في النيابة . فمديرا لادارة المجالس الحسبية ، فنظم كثيرا وأنتج كثيرا : ووضع للادارة نظاما حكيما يضمن سير أعمالها على مايقضى به العدل والواجب . وكان من أثر ذلك النظام أن ضببطت حسابات القصر والسفهاء والغائبين غيبة منقطعة ، وكان من نتائجها أن قدم للمحاكم كثيرون من الذين أكلوا بالباطل الأموال التي أوتمنوا عليها .

فلما انتهت الحرب العالمية . وكان لا يزال مديراً لادارة المجالس الحسبية ، فكان له رأى في برنامج الوفد ، حيث كان متصلا برجاله قبل تأليفه ، ذلك أن كان البعض يرى المطالبة بالاستقلال الذاتي ، بيد أن على ماهر بك اعترض على هذا الرأى بأن الوفد ليس له أن يتنازل عما لا يملك التنازل عنه ، وهو الاستقلال التام .

ولما نفي المغفور له سعد زغلول باشا وأصحابه الثلاثة إلى مالطة ، وقامت الثورة المصرية . وصرح لورد كيرزون بأن فئة الموظفين ، وهي الفئة العاقلة . ليست مع الوفد في حركته ، بل هي في ناحية الانجليز : ثار الموظفون ، وعلى رأسهم على ماهر بك ، فكان له أكبر فضل في تنظيم حركة إضرابهم . وكانت اجتماعات نوابهم تعقد في مكتبه بوزارة الحقانية ، ولقد طلب إليه المستشار الانجليزى ألا يعقد لجنة الموظفين بمكتبه في الوزارة ، فرفض ، وصرح بأن الموظفين مطالبون بحقوق وطنية ، بل وطلب منه أن يشاركهم في الإضراب ، مادام في خدمة الحكومة المصرية .

وأفرج عن سعد وصحبه ، وسمح للوفد بالسفر إلى باريس .

ووليت الحكم وزارة رشدى باشا فى ٩ إبريل سنة ١٩١٩ . فطلبت لجنة الموظفين منها أن تعطى الوفد تفويضاً ، فلم تستطع ، فاستمر الموظفون فى الاضراب ، وسقطت الوزارة فى ٢٢ إبريل سنة ١٩١٩ .

ثم جاءت وزارة محمد سعيد باشا فى ٢١ مايو سنة ١٩١٩ : وأرادت تشييت لجنة الموظفين ، فقلت على ماهر بك فى ١٩ يونيه سنة ١٩١٩ وكيلا لمحكمة أسيوط ، على الرغم من أقدميته ، فرفض النقل ، وآثر الاستقالة ليتفرغ للاشتغال بالسياسة ، فكان فى مقدمة الصفوف ، وكان من الأقطاب الذين لم يرههم صليل السيوف : أوزيرعهم الاعتقال فى الكهوف ، ولقد قرر سعد زغلول باشا ، وهو فى باريس ، أن يكون على ماهر بك عضواً فى الوفد المصرى . فلما أعلن اللورد اللنى أن الحماية باقية ، أصدرت لجنة الوفد المصرى المركزية بالقاهرة بياناً بامضاء المرحوم محمود سليمان باشا ، وكان واضع هذا البيان على ماهر بك ، فاعتقلت السلطة العسكرية محمود سليمان باشا ، وابراهيم سعيد باشا ، وعلى ماهر بك ، وفى طريقة إلى مقر الاعتقال أخذ يقطع الوقت مع حارسه ، وهو ضابط انجليزى ، فى امتداح محاسن حديقة داره ، والتغزل فى جمال أزهارها . ونقاء عيبرها ... ولما دهش الضابط الانجليزى لهذا الحديث ، وأبدى استغرابه ، لأنه لم يسأله عن المكان الذى سيذهب إليه ، أجابه : أنا أعرف أن رحلتنا هذه ستنتهى بى إلى المقام فى غرفة ذات جدران أربعة ، وانى فقدت حريقى وكفى ! فبرزت هذه الشجاعة النادرة قلب عدوه ، فأخنى رأسه قائلاً : إنك ذاهب إلى معسكر قصر النيل ، ثم أكرم وفادته ، وخصصت له حجرة جديدة الأثاث ، وأبيحت له الرياضة التى يقوم

بها . وأعطيت له السكّيب التي أرادها من مكتبة المعسكر ، وبعد عشرة أيام طلب إليه أن يختار جهة بعيدة عن القاهرة للإقامة فيها ، فطلب أن يقيم بالاقصر في فندق « وتربالاس » ، فأخذ منه عهد شرف بالألا يعود إلى القاهرة إلا بأذن السلطنة العسكرية . وظل مقيماً هناك إلى ٣ يناير سنة ١٩٢٠ .

* * *

وفي أثناء إقامته بالاقصر جاءت لجنة ملنر إلى مصر ، ودارت بينها وبين المرحومين رشدى باشا وعدلى باشا أحاديث ، روى من المصلحة لإبلاغها إلى الوفد بباريس ، فاختير على ماهر بك لهذا ، وغادر الاقصر إلى باريس مباشرة ، وقام بما كلف به ، وظل بباريس عضواً بالوفد يحضر جلساته ، ويتبادل الرأى مع أعضائه ، وكانت له مواقف وطنية رائعة ، وحدث أن نشب شقاق بين أعضاء الوفد في باريس ، وخلاف بين سعد وعدلى بلندن ، فكان على ماهر بك الموقف الساعى إلى الوئام ، وإزالة أسباب الخلاف ، ولكن الخلاف اشتد ، واستحال التوفيق ، وقرر بعض أعضاء الوفد ، وهم في باريس ، العودة إلى مصر . ولم يبق مع سعد غير على ماهر بك وسينوت حنا بك والاستاذ واصف غالى .

* * *

وفي ابريل سنة ١٩٢٠ عادوا إلى مصر ، وطاف سعد باشا على المنشقين ، وكان معه على ماهر بك ، وعادت العلاقات بين أعضاء الوفد ، ولكن لم يدم هذا ، لان خلافاً بين سعد باشا وعدلى باشا ، واتصرو المنشقون لعدى باشا ، واعتزم عدلى باشا السفر إلى لندن للمفاوضة هو والوفد الرسمي ، واعتزم سعد باشا إعلان الحرب عليه ، فعارض على ماهر بك في ذلك ، وطلب إلى سعد باشا أن يدعمهم يعملون ، فان

جاءوا بخير قبله ، وإن جاءوا بغيره رفضه ، ولكن سعد باشا لم يرض عن هذا ، فكتب له على ماهر بك بأنه مختلف معه في السياسة العامة ، ولا يمكنه تحمل مواقف الوفد منها ، ولكنه بصفته مصرية رهن اشارته في كل عمل معين يفيد فيه ، ثم انسحب إلى داره . فعرض عليه عدلى باشا أن يكون وزيرا مفوضا في الوفد الرسمي ، ولكنه اعتذر ، وآثر البعد عن المنازعات الحزبية ، حين رأى الأهواء تعصف بما بين الرجال من وئام ، وتنسيهم ما يجب لهم من اتحاد وثيق .

* * *

ولقد استدعاه المغفور له السلطان فؤاد ، متحدثا إليه في المسائل العامة فلقت نظره هدوؤه وأتزانة ونضجه ، فقربه اليه وقال عنه : انه معد لكل شيء في المستقبل .

* * *

ولما أعلن تصريح ٢٨ فبراير ، كان على ماهر بك يرى وجوب الافادة بهذا التصريح عن طريق وضع اليد عليه ، واستمرار المطالبة بتحقيق ما لم يحققه من الآمال القومية .

* * *

وفي عام ١٩٢٢ رأى رشدي باشا أن يكون على ماهر بك وزيرا في وزارة ثروت باشا ، ولكنه اعتذر ، فعرض عليه ثروت باشا عضوية لجنة الدستور ، فقبلها . وهناك تجلت ملكاته ، وظهرت طبيعته الحرة ، وآراؤه الجريئة ، فكان نصيرا للحرية ، داعيا للانتخاب المباشر وللحرية الاجتماع وتكوين الجمعيات ، وحرية الصحافة (١) . ولما أن انتهت اللجنة من

(١) نشرت مواقف مقامه الرفيع من الصحافة وجهوده الموفقة في سبيلها أثناء وضع الدستور ، في نهاية قسم الصحافة .

أعمالها . عاد إلى ملازمة داره من جديد .

* * *

وفي عام ١٩٢٣ عين ناظرا للمدرسة الحقوق ، فقام بتدريس مادة القانون الدولي العام ، وأصدر أول مؤلف له — بل أول مؤلف مصرى — عن القانون الدولي العام ، وقد أسهب فى القسم الخاص بالمفاوضات ، رغبة فى إيضاح أمرها للباحثين والطلاب .

* * *

وفي أواخر عام ١٩٢٤ عين وكيلا لوزارة المعارف (١) . ثم وزيرا لها ، فقلب فى عطلة الصيف نظم التعليم ، وأدخل عليها إصلاحات عديدة — وكان يرى أن تكون المدرسة وطنا صغيرا ، وأن توجه العناية بتربية الصغير إلى قوة البنية ، وإلى قوة الخلق ، وإلى قوة التعليم ، حتى يمكن تكوين الوطنى المستنير ، الذى يعرف واجبه نحو بلاده — ولم يستطع كهول وشيوخ وزارة المعارف ، الذين درسوا على يدى دنلوب ، الوقوف فى طريقه ، إذ كان المغفور له الملك فؤاد يؤيده فى إصلاحاته .

* * *

وفي ٢٦ يونيه سنة ١٩٢٨ اختير وزيرا للبالية فى وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا . فوزيرا للحقانية فى وزارة دولة اسماعيل صدقى باشا ، وأنعم عليه برتبة الامتياز فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٠ ، فأخذ يعمل على تهية أسباب إلغاء الامتيازات الأجنبية ، فوضع قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين ، ليقضى على الامتيازات الداخلية ، وتولى إصلاح لائحة المحاكم الشرعية ، ثم وقعت حادثة البدارى المحزنة ، وهو مشبع بروح اصلاح البوليس

(١) استبدل بهذا الاسم الآن اسم «وزارة التربية والتعليم» .

والقضاء ، فلم يستطع السكوت عليها . واستقال من الوزارة ، احتجاجا على ما ارتكبه رجال الادارة في هذه الحادثة من المظالم التي صبح الرأي العام من هولها ، وقد كسب أكبر فوز لموقفه المشرف المجيد .

* * *

وفي عام ١٩٣٣ عرض عليه منصب وزير مصر المفوض بلندن . وبامتيازات مالية تصل بمخصصاته إلى عشرة آلاف جنيه في السنة . فاعتذر ، ثم سافر إلى أوروبا للاستشفاء . وعاد في أكتوبر سنة ١٩٣٤ . وكان المرض قد اشتد على المغفور له الملك فؤاد . فكان على ماهر باشا المثل الأعلى للاخلاص والوطنية ، إذ قام بواجبه نحو الوطن الممثل في العرش المفدى .

* * *

وفي أول يولييه سنة ١٩٣٥ عين رئيساً للديوان العالى الملكى . فعمل على أن تكون السراى قبله لجميع المصريين على السواء . وقد وفق إلى هذا أيما توفيق ، ثم كان له الفضل في إعادة دستور سنة ١٩٣٣ . وفي ذلك الحين ألقت الجبهة الوطنية ، وقبل الانجليز إجراءات المفاوضات ،

* * *

وفي ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ (١) وقع الاختيار عليه لرياسة الوزارة .

(١) هذا نص الأمر الملكى رقم ٨ لسنة ١٩٣٦ :

« عزيزى على ماهر باشا

نظرا للأحوال الدقيقة التى تواجهها البلاد في هذه الآونة ، ولما لنا بكم من عظيم الثقة في العمل على صيانة الوحدة القومية ، فوق ما نعرفه عنكم من صدق العزيمة وسداد الرأي والمقدرة التامة على الاضطلاع بمهام الأمور ، قد اقتضت ارادتنا اسناد رياسة مجلس وزارئنا اليكم .

وأصدرنا أمرا هذا لمعالكم للأخذ في تأليف هيئة الوزارة وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

وفقنا الله جميعا وسدد خطانا إلى ما فيه خير البلاد »

وهنا تجلت عبقرية وإخلاصه ووطنيته ، فاستطاع تمهيد طريق المحادثات المصرية الانجليزية ، وتغلب على كثير من الصعوبات ، ووفق بين مختلف ميول الأحزاب ورغباتها ، حتى تألفت الهيئة الرسمية المصرية ، ولقد كان ذلك كله يحتاج إلى كثير من الصبر والآناة والمرونة ، ومعالجة الطبايع والنفوس ، والتفوق في الأساليب الدبلوماسية ، فاجتمعت هذه الخصال في شخص على ماهر باشا ، وتوجت جهوده بالتوفيق ، وصدر مرسوم ملكي في ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ بتعيين أعضاء الهيئة الرسمية للمفاوضات (١)

* * *

ثم اتجهت عنايته الى الاصلاحات الداخلية ، فلقد كانت لديه مشروعات

(١) رأيت للذكرى وللتاريخ أن أثبت هنا نص المرسوم بتعيين الهيئة الرسمية ، والكتاب المرفوع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا ، والكتابين المتبادلين بين دولته وسعادة المندوب السامي البريطاني . وهي :

مرسوم

بتعيين الهيئة الرسمية لابرام معاهدة صداقة ومودة ومحالفة

مع بريطانيا العظمى

نحن فؤاد الأول ملك مصر

رغبة منا في ابرام معاهدة صداقة ومودة ومحالفة مع بريطانيا العظمى ، وبناء على ما عرضه علينا وزير خارجيتنا ، وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - يعين مندوبين فوق العادة حضرات :

كثيرة هامة ، بعضاً قديماً ، وبعضها جديد ، وهو مجدد ، وفي تجديده

عثمان نجم باشا	مصطفى النحاس باشا [رئيساً]
محمد حلى عيسى باشا	محمد محمود باشا
الاستاذ مكرم عبيد	اسماعيل صدقي باشا
حافظ عفيفي باشا	عبد الفتاح يحيى باشا
الاستاذ محمود فهمى النقراشى	واصف بطرس غالى باشا
أحمد حمدى سيف النصر بك	الدكتور أحمد ماهر
	على الشمسى باشا

ويتخلولون السلطة التامة فى ابرام المعاهدة المتقدم ذكرها وتوقيعها .

مادة ٢ - على وزير خارجيتنا تنفيذ هذا المرسوم

صدر بمرأى القبة فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٤ (١٣) نبرابر سنة ١٩٣٦

الكتاب المرفوع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك

من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا

مولاي صاحب الجلالة

لم تزل البلاد منذ أعلنت استقلالها فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ توافة إلى تحقيق ذلك الاستقلال كاملاً ، وإلى أن تنبأ مكانها بين الأمم ، عاملة على تأييد السلام ، مساهمة فى رفع لواء المدنية ، وهامى اليوم تجاب دعوتها إلى ابرام اتفاق مع بريطانيا العظمى يكفل لها مصالحها دون أن يتنافى مع استقلال مصر . وإن من آيات اليمن ودواعى الاستبشار أن البلاد ، بفضل ارشاد جلالتهكم وجهودكم الموفقة ، تستقبل هذا الدور متحدة الكلمة متسقة الارادة ، وانها قد أجمعت على المبادرة الى معالجة وضع اتفاق يوثق ما بين البلدين من الصداقة والمودة ، ويقر علاقاتهما على أساس متين من حسن التفاهم والتعاون ، وانى موقن أنها لن تآلو جهدا فى هذا السبيل ، يحدوها الامل فى النجاح ، ويشد من عزيمتها ما تعرف من سهر جلالتهكم على مصالحها ، وحرصكم على عزتها ورفعة شأنها . وبما أنه ينبغى لذلك تعيين مندوبين عن الحكومة المصرية لمعالجة وضع أسس

الجرأة ، وفي جرأته الحكمة ، وكان في كل مكان حل فيه مثال الحزم والعزم

الاتفاق وتوقيعه قبل عرضه على البرلمان لافرازه والمرافقة عليه ، فاني أتشرف بأن أعرض لتصديق جلالتيكم مشروع مرسوم بتميين مندوبين فوق العادة وتخويلهم السلطة التامة في مفاوضة الحكومة البريطانية ، وتوقيع اتفاق ينبي بالغرض المتقدم ذكره .

ويسرني ، وأنا أصدع بوحى جلالتيكم في هذا الصدد ، أن أنوه بما للهيئة التي أعرض على جلالتيكم انتدابها لهذه المهمة الوطنية الجليلة من جلال الوحدة وقوة التمثيل لعناصر البلاد ومناحيها المختلفة .

واني لجلالتيكم الخادم المخلص الأمين

تحريرا في ١٣ فبراير سنة ١٩٣١

* * *

الكتابان المتبادلان

بين حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

وبين حضرة صاحب السعادة المندوب السامي البريطاني

حضرة صاحب السعادة

منذ وليت الحكم علمت بصفة رسمية بتبليغ سعادتيكم الشفهي إلى مولاي الملك وإلى سلفي وإلى رئيس الجبهة الوطنية ، ذلك التبليغ الذي تصرح فيه حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية باستعدادها للدخول حالا في محادثات مع الحكومة المصرية بقصد الوصول إلى الاتفاق على معاهدة بين إنجلترا ومصر . ولما لاجد من الواجب على ومن دواعي السرور أيضا أن أعرب عن الارتياح الذي صادفه هذا الاستعداد الطيب من جانب الحكومة البريطانية سواء لدى ملكنا المحبوب أو لدى حكومته وشعبه .

وان الحكومة المصرية لتشاطر الحكومة البريطانية الرغبة في توطيد العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر على أسس ثابتة صريحة ، وهي موقنة بأن تحة يت هذا

وقوة الارادة ، والنزاهة والشجاعة ، وهو من أكثر أقطاب الدولة انتاجاً ،

الغرض المشترك انما يكون في مصلحة البلدين جميعاً ، ولذلك فهى حريصة أيضاً أن تبدأ المحادثات في هذا الشأن في الحال .

وتميداً لذلك قد صدر مرسوم بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ معينا لهيئة الوفد الذى كلف لإجراء هذه المحادثات والمفاوضات ومحدداً مهمته .

ولا يسعنى عند تبليغكم الصورة المرفقة من المرسوم المشار اليه إلا أن لاحظ أنكم عند قيامكم بالتبليغ الشفهي سالف الذكر قد نوهتم بأن الاخفاق في عقد اتفاق قد يترتب عليه نتائج جدية مما قد يحمل الحكومة البريطانية على اعادة النظر في سياستها نحو مصر . ولاشك ، لم يفت سعادتكم ماأثارته هذه التصريحات في رأى العام من القلق الشديد . حقاً لإنكم حرصتم على الاشارة إلى أنها لا تتطوى على شئ من التهديد أو الارهاب وأنها لا تعدو تقرير الواقع . ولكن مهما يكن لهذه الاشارة من أثر في تخفيف وقع التصريحات التى كلفتم ابداءها بصفة خاصة لايصح الشعب المصرى ، وحكومته ومندوبيه ، ناطقين بلسانه ، أن يعتمد أن محادثات أو مفاوضات تعالج في ظل مثل تلك التصريحات يمكن أن تكون خالصة أو حرة .

لذلك ، ومراعاة للمصلحة المشتركة للبلدين ، أتشرف بأن أرجو منكم أن تؤكدوا لى أن الحكومة البريطانية ترى حق الرأى ألا شئ يمكن أن يحد من حرية مثل مصر في المناقشة والعمل ، وان استعمال هذه الحرية لن يؤثر على ما بين البلدين من صلات الصداقة .

ويهم الحكومة المصرية بهذه المناسبة أن تنوه بما لهيئة المندوبين المصرية من الصفة التمثيلية للبلاد ، فهى تضم بمثل الرأى العام بجميع مناحيه ، وأن تنوه كذلك بما يتمتع به أعضاؤها من شخصية بارزة ومكانة عالية ، وبما توليها البلاد بأجمعها من ثقة غير محدودة ، وماخولتها الحكومة من سلطة تامة : كل ذلك دلائل قوية على رغبة مصر وحكومتها فى الوصول إلى اتفاق تسوى به العلاقات بين البلدين .

وأوفرهم محصولا في الحكم . وتفكيرا وتحضيرا خارج الحكم .

* * *

وأرجو عند ابلاغى التأكيدات السالفة الذكر أن تنفضوا بيان أسماء المندوبين الذين سيمثلون الحكومة البريطانية .

وأنتهز هذه الفرصة لأجدد لساتكم أسمى عبارات التقدير

القاهرة في ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦

[ترجمة]

* * *

رأى المندوب السامى

حضرة صاحب الدولة

أشرف باحاطة دولتكم اننى استلمت مذكرتكم المؤرخة ١٣ فبراير والى لغتم بها النظر الى تصريح صدر منى ، وفقا للتعليمات فى البلاغ الشفوى الذى تشرفت بتوجيهه الى سلف دولتكم فى ٢٠ يناير ، ذلك التصريح الخاص بالنتائج المحتملة لعدم الوصول الى الاتفاق فى المفاوضات المقبلة بشأن المعاهدة .

وتطلبون دولتكم الآن تأكيداً بأن حكومة جلالة ملك بريطانيا تسلم بأنه لن يجد شىء من حرية مندوبى مصر فى المناقشة أو التصرف ، وان استعمال تلك الحرية لن يخل بحسن العلاقات بين البلدين .

فجوابا على ذلك يسرنى أن أخبر دولتكم بناء على تعليمات حكومتى أن لها وطيد الأمل ، بل انها فى الواقع موقنة أن كلا الفريقين سيدلان قصارى جهدهما كيلا يترتب على استعمال هذه الحرية أى تأثير فى العلاقات الودية بين البلدين ، وان الحكومة البريطانية لتحمل أصدق عواطف الود حيال الحكومة المصرية والشعب المصرى ، وبينما نجد من الواجب أن تحتفظ لنفسها بحرية العمل بالنسبة لمستقبل مجهول المدى ، شأنها فى ذلك شأن كل الحكومات ، فانها ترى - اذا كان هناك شمة فشل فى الوصول الى اتفاق بالرغم مما يحذو الفريقين من صادق الرغبة - أنه ليس من الضرورى أن يترتب على الفشل تأثير فى حسن العلاقات بين البلدين ، تلك العلاقات التى تحرص الحكومة البريطانية لاعلى استدامتها بحسب بل على زيادتها قوة .

فكان للصحافة نصيب من اصلاحاته (١)

* * *

وكان للادب والثقافة العامة نصيب من عنايته (٢)

* * *

وكان للادارة والبوليس نصيب من رعايته ، فعمل على بقاء مدرسة الكونستبلات ، التي أريد الغاؤها في عهد وزارة المرحوم نسيم باشا ، على الرغم من أنها لا تخرج لبوليس الاقاليم من طلبتها أكثر من ثلاثين في العام ، ورأى أن يدعم هذه المنشأة ، كي تستطيع أن تخرج أربعائة شاب كل عام ، يغذون بوليس القاهرة والاسكندرية والاقاليم ، فلا تمضى بضع سنوات حتى يكون أفراد البوليس المصرى من الشبان المتعلمين ، الذين يعرفون الواجب فيؤدونه على الوجه الذى يتفق مع ارتقاء البلاد وكرامتها .

* * *

وكان يجتمع بالمديرين والمحافظين ، ليتحدث اليهم فى مختلف الشؤون الادارية والأمن العام ، وينفخ فيهم من روحه

وفىما يتعلق بأسماء المسدوين الذين سيمثلون حكومة جلالة الملك فى المملكة المتحدة فى المحادثات المنوية ، فانه لم يصلنى بعد التعليمات النامة فى هذا الصدد ، إلا أنى سأبادر إلى إحاطة دوائكم حالما أستطيع ذلك .

وأنتهز هذه الفرصة لأجدد لدوائكم أسمى عبارات التقدير

القاهرة فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦

[ترجمة]

(١) افردت للصحافة قسما خاصا .

(٢) قسم المباراة الصحفية الادبية .

(١) حسبي أن أنشر هنا خطاب مقامه الرفيع في حضرات المحافظين ومديري المديرية يوم ٨ مارس سنة ١٩٣٦ ، قال حفظه الله :

إني لمعتبط وسعيد باجتماعي بحضراتكم . وأرى لزاما علينا أن ننتهز فرصة هذا الاجتماع للتحدث فيه عن موضوع يهمنا جميعا ، وهو اتخاذ التعاون خطة لنا في خدمة المصلحة العامة للبلاد ، وهي التي يجب أن نجعلها نصب أعيننا جميعا .

وتطرق مقامه الرفيع من هذا الاستئلال إلى المبادئ التي يراها لازمة لتحقيق هذا الغرض ووجوب تعويل أصحاب المناصب العالية عليها .

فقال : إن من الأمور الجديرة بالاجتناب في المناصب العالية أن يفكر أصحابها فيما يكفل عدم تعرضهم لما قد يفرض على خروجهم منها بسبب أقدامهم على مشروعات أو أعمال قد تكون محل نقد أو عدم رضا في المستقبل . فن الواجب على صاحب المنصب الكبير أن ينتهز فرصة وجوده في المنصب لخدمة بلاده ، الخدمة التي يراها واجبة عليه ، والتي تقتضي كل يوم نظرا أو تجديدا ، ومن صاحبها تفكيرا وإقداما ، وشجاعة وانعام نظر في حاجات البلاد ومقتضاياتها الحيوية ، جاعلا نصب عينيه الإصلاح المنشود ، والتقدم المطرد ، والشعور بأداء الواجب ، واحترام حقوق الأهلين على خير الوجوه وأكملها .

وفي طاقة حضراتكم أن تؤدوا واجبا عظيما لهذا الوطن العزيز ، وفي مقدوركم استيفاء استقلاله ، فإن قيل إن إلغاء فعل الامتيازات الخاصة بالتشريع والضرائب هو من اختصاص الحكومة المركزية ، فأظن أنني على حق إذا وجهت نظر حضراتكم إلى أن إلغاء فعل الامتيازات من ناحية القضاء والبوليس هو في يد رجال القضاء ، وفي يد رجال الإدارة ، فلاجل هذا تستطيعون ، باعتباركم مشرفين على رجال البوليس والإدارة ، أن تبدلوا قصارى الجهد لتصلوا برجال الإدارة ، من حيث الإصلاح ، ومن حيث الكفاية ، ومن حيث تمكينهم من أداء ما في أعناقهم من واجبات ، إلى درجة زملائهم في البلدان الغربية الراقية . وهذا باب للإصلاح كبير وهام لخدمة البلاد ، واستكمال استقلالها ، والنهوض بها ، وفي مقدور حضراتكم - متى سلمتكم هذا المنهج العملي ، في إناة وانعام نظر ، وفي إخلاص وولاء ، وفي حزم وكياسة - أن تؤدوا لوطنكم العزيز أجل الخدمات وأصدقها .

ثم عمل على توسيع سلطتهم للانتفاع بهم ، ومنحهم بعض

ومسألة أخرى أود أن أوجه النظر إليها ، وهى الخاصة بالأمن العام . وانى أرجو ألا تحفلوا كثيرا بالنظرية التى تقول بزيادة قوات البوليس والخفر ونحو ذلك ، بقدر احتفالكم واهتمامكم بالعمل جديا على رفع المستوى الثقافى لرجال البوليس أنفسهم ، وان اعتبروا أن هذه الثقافة الحقيقية للذين تهيمنون عليهم من افراد أسرتهكم فى المحافظة على صرح الأمن وسياس القانون هى العدة الحقيقية ، والطريقة المبددة الميسرة لحفظ كيان الأمن ، وانقاص عدد الجرائم ، ورأب الصدع وتقويم الاود .

ان الطريقة المثلى فى معالجة الاجرام مفتاحها فى أيديكم أنتم ، فى أخلاقكم الذاتية ، فى مظاهركم الخلقية ، فيما تمشكون به من منهاج سوى قويم ، فيما تأخذون وما تدرسون . ولا أرتاب أيها السادة فى أن المدير المثقف الحكيم الذى يضرب المثل الأعلى للوطنى المستنير يخدم أمته ووطنه ولغته وعادات قومه أجل الخدمات وأنبها اذا عني أصدق عناية بالحرص على لفته وعلى قوميته ، وحرص الحرص كله على فروض دينه وتعاليم شريعته ، وتمسك أدق تمسك بكرامة منصبه ، ووقف حياته وذمته على خدمه أبناء أمته .

وانه ليسعدنى كثيرا - ولا أشك فى أنه يرضى ضمائركم أيضا - ألا يجعل المدير كل همه منصرفا إلى انتهاج سياسة ارضاء الرؤساء ، باعتبار ان هذه هى الوسيلة الميسرة لفتح باب المستقبل للرق على مصراعيه أمامه ، بل انى على التقيض من ذلك أرى لازما على المدير أن يترك التفكير فى هذا ليغلق باب هذا التفكير ، وليتصرف بكليته إلى السير على منهاج اقوم ، وسلوك سبيل أحكم ، ويجعله نصب عينيه ، ذلك هو العمل على سياسة ارضاء الضمير ، وإداء الواجب ، وخدمة العدل ، وانتهاج سبيل الانصاف ، فلتكن خطتنا أداء الواجب ، لأنه واجب ، وخدمة الحق ، لأنه حق .

وأرجو أن تسود الثقة بين حضراتكم وجميع مرؤوسيككم ، وأنكم لتعلمون حق العلم انه ليس فى مقدور أحد منا اضطلاع وحده بتحقيق الاصلاح الاجتماعى المنشود ، ولا بد لنجاح الخدمة العامة ، وتحقيق المصلحة العامة من أن تجرى على سياسة التعاون الصحيحة ، التى لاسبيل الى تحقيقها كاملة غير منقوصة ، ولا

الحماية لوقايتهم من العزل الاستبدادى ، أو النقل لاسباب سياسية ، وأن يكون لهم حق البت محليا فى القرارات التى كانت تحال على الوزارة ، فأرسل الى كل من حضراتهم الكتاب الآتى :

مبتورة الا بتوفر الثقة المتبادلة بين حضراتكم ومرؤوسيكم ، وأظن ان المدير الذى يكون منصفا عادلا برا رحيا ، مقدرا لكفايات رجاله ، حائلا للبحسن على الاستزادة من الاحسان ، عاملا على خلق أصحاب المواهب وحسن الاستعداد ، آخذًا بالحزم وقوة الشكيمة المسمى إذا أساء ، وراذعا للبعن فى الخطأ إذا استرسل فى خطأه - أظن ان هذا المدير يخدم أمته أجل الخدمات ، ويرضى ضميره كل الرضاء ، ويحقق ما وضع فيه من أمل ورجاء .

الى جانب توفر الثقة المتبادلة بين حضراتكم ومرؤوسيكم أرجو أن تعنوا أيضا بالعمل جديا بحكمتهكم وسياستكم وحسن تصرفكم وقويم منهجكم لاكتساب ثقة الاهلين انفسهم ، وهذا جد سهل عليكم ، ما دتم تجعلون العدل نبراسا لكم ، فلا كبير ولا صغير ، ولا قوى ولا ضعيف ، أمام سلطان القانون ، واحترام الكرامة ، وخطاة الانصاف ، وارتياذ الخدمة الحققة العادلة لابتاء الوطن الواحد ، فى غير تفرقة ولا تمييز لآى اعتبار حزبي أو مادى أو وقتى ، فالجميع مصريون . وواجب المدير أن يكون الاب البر للجميع ، والمنصف فى غير هوى ولا ميل ، وفى غير تحزب ولا حيف .

كذلك أرجو من حضراتكم أن تعملوا على اكتساب ثقة رجال القضاء ، وأن تسود بين رجال الادارة ورجال القانون الثقة والتعاون ، والحرص على علاقات التقدير والاحلال المتبادلة لخدمة الحق والقانون .

اتعملوا على احترام الحريات العامة ، عاملوا الناس بالعدل والمساواة الكاملة ، أرجو أن تكون السيادة دواما لكلمة القانون ، وأن تكون الكلمة العليا للقانون ، وأن تكون كلمته هى العليا دائما .

واست فى حاجة الى ان اطلب من حضراتكم ان تكون خطتكم فى تنفيذ القانون فى رفق وهودة ، ولين ولطف ، لا فى شدة وعنف ، وأرجو أن يكون للنساء والشيوخ والاطفال والصغار أوفر نصيب من شقة تكم ورحمتكم ، ورفقةكم وحسن معاملتكم .

فكرت مليا في توجيه الأعمال بالاقليم وجهة تكفل لها السير الحسن، وتحجي في الوقت ذاته روح المسؤولية في نفوس القائمين بها ،

ثم تحدث مقامه الرفيع عن المظاهرات ، فقال : انه لا يرى أن يكون لرجال البوليس أى حق في اقتحام دور التعليم ، ويعتقد أن في مقدور المدرسين والاساتذة أن يحولوا دون الاضطرابات ، وهم المسئولون أولا وآخرا عما يحدث من اضطراب ، لأن الاستاذ الحكيم الذى يصيخ بسمعه إلى الكرامة الوطنية ، ويقدر لكل ظرف لبوسه وخطته ، لا يضيره شيء إذا أحسن إلى أولاده ، وأفهمهم واجبهم ، وزاملهم في الانصراف وفي العودة إلى الدرس ، أخذوا بالحكمة وعدم اتساع للخرق ، وتقدير للظرف واسداء للنصح ، لست أشك في أن حضرات المدرسين سيقدرون ما لهذه الخطوة الحكيمة ، وحسن مراعاة الامور من جدوى وكبير نفع ، ومن احترام للشاعر الوطنية في غير تفريط في النظام ، وفي غير جنوح الى العنف .

ثم انتقل مقامه الرفيع بعد ذلك إلى الكلام عن سلطة المديرين ، وميلهم إلى توسيع اختصاصاتهم ، تمشيا مع خطته في الأخذ بسياسة التعاون المشترك ، وفسح المجال للقادرين على القيام بخدمة وطنهم وبلادهم في حين اختصاصاتهم .

فقال : اننى ألاحظ أن الحقوق المعطاة لحضراتكم طبقا للتعليمات المكتوبة والالوامر الادارية الصادرة لكم منذ القدم - هذه الحقوق تمكنكم كل التمكين من تحقيق ما أوصو اليه ، نعم لقد سلبت هذه الحقوق تدريجيا ، ولكنى سأردها إليكم لتعملوا بروحى من ضائركم ، وهدى من حكمتكم ، وقويم خطة من نهجكم - سأردها إليكم لتعملوا على خدمة بلادكم لاستكمال استقلالها وتقيف رجال ادارتها ، وتشجيع المحسنين من أبنائها ، واستتباب الأمن في ربوعها ، ونشر العدالة بين ظهرانها ، وتبادل الثقة بين موظفيها ، وسيادة الكلمة لقانونها ، وعدم التفرقة بين أحرارها . والاصغاء لكلمة الحق دائما .

ولتعملوا أن الحاجة جد ماسة الآن الى تعاون الجميع وتضافرهم لخدمة البلاد . وان الوقت الذى كان يستطيع فيه الحاكم الاضطلاع بكل الخدمات وشتى المشروعات قد فات ، وآن لنا أن نهيح جميعا خطة التعاون ومبدأ التضافر في خدمة مصلحة البلاد .

وترفع عن عاتق الوزير والوزارة مشاغل لا قبل له ولها بالجمع بينها وبين مشاغل الدولة الكبرى ، التي يجب الانصراف اليها ، ولا غنى ولا مصلحة في نقلها من هم أمس بها وأولى بالقيام عليها .

وعند ما هممت برسم كليات هذه الوجهة ، التي يجب أن يولى المديرون والمحافظون شطرها ، علمت أن الوزارة سبقت لها محاولة صادقة في هذا السبيل . فقد أصدرت في سنة ١٩٢٨ قراراً بتوسيع اختصاص المديرين والمحافظين نقل اليهم مسئولية كثير من الأعمال التي كانوا يرجعون فيها إلى الوزارة ، ونظم العمل على طريقة أدنى للمصاححة ، وأحفظ لوقت الوزراء ومجهوداتهم ، غير أن ذلك القرار لم يعد يعمل به تماماً ، فرأيت الأصحح - قبل محاولة أى تجديد في طرائق العمل - أن أبعث ذلك القرار من سكونه ، وذلك لسبق العهد به والتمرس بتفاصيله ، حتى إذا استقر العمل به ، أصبح من الموافق أن يبسط للمديرين والمحافظين سلطات أخرى ، وأن تستحدث في العمل أنظمة تستمد من حاجات البلاد وتقاليدها في أحوالها الخاصة ، وتراعى فيها مع ذلك الأصول والقواعد التي تهدي اليها الابحاث العلمية الجديدة في شؤون الادارة ، وتنصح بانباعها المؤتمرات الادارية الدولية - فعات

وأخيراً أوصى حضراتكم خيراً بالعامل والمزارع ، ويسرفي ، وقد تقررت وكالة وزارة القرية ، أن تغنوا حضراتكم كل العناية بامدادها بكل معونة ممكنة ، وأن تساعدوها على أن تخرج المرافق الحيوية الخاصة بفلاحنا المصرى وعاملنا المصرى من حيز التفكير إلى حيز العمل .

ولتعلموا وفقكم الله أن عدد فلاحينا ومزارعينا وعمالنا حوالى اثني عشر مليوناً ، وأظن أن من حق هؤلاء جميعاً أن يعيشوا ، وأن نحسن حالتهم وأن يعنى بأمرهم ، ومن حقهم أن تولوهم من عنايتكم واهتمامكم وصادق جهودكم القسط الوفير والنصيب الأكبر .

ذلك راضيا ، عاملا على الوصول بالادارة المصرية إلى مستوى يرفع من شأنها ، وينبه من ذكرها . ولقد أرى من الواجب ، بهذه المناسبة ، أن ألفت النظر إلى أن من أهم أغراض هذه التجربة أن يستشعر الأهالى بالاحترام للحاكمين ، فتعلو مكانتهم فى النفوس ، وتسهل بذلك مهمتهم ، ولا أشك فى أن وطنيتكم ، وحسن إدراككم للمصلحة العامة ، سيحفزانكم على العمل جهد الطاقة ، بل فوق ذلك على توثيق الروابط بين الحكومة ، والأهالى وعلى إقامتها على أساس متين من العطف والحزم من جانب ، وعلى الثقة والاحترام من الجانب الآخر .

ولن يستقيم العمل ، أو ينتظم الحال ، إلا إذا شعر الموظفون العاملون معكم بأن المحسن يحظى باحسانه ، والمسىء يؤخذ بأساءته ، والا إذا أحسوا من رؤسائهم البعد عن التحيز والمحابة ، وإيثار المصلحة العامة ، والعمل الصادق على اتقاء الشبهات ، ومجانبة الريب ، وعلى التزام حدود الواجب والقانون .

وستلقون منى كل معونة وتسهيل فى هذا السبيل ، كما ستلقون حسبا عسيرا عن تنفيذ هذا النظام .

ولى بعد ذلك وطيد الرجاء فى أنكم ستحملون قسطكم من المسؤولية عن نجاح التجربة ، وتبذلون فى تحقيق ذلك النجاح كل مقدرة وشجاعة ، وحسن تصرف .

وسأتبع أعمالكم فى هذا الشأن باليقظة التامة ، والاهتمام العظيم . وتميدا لذلك رأيت أن أنظم التفتيش فى الوزارة على وجه يجعله جدير بمهمته ، ولكى يكون عيناً على كل ما يجرى فى الأقاليم . وعونا على أنجاح التجربة ، ومصدرا للاقتراحات المفيدة من طرائق العمل ،

أو المشروعات والمرافق العامة .

* * *

وفي عهد وزارة مقامه الرفيع صدر في ١٩ مارس سنة ١٩٣٦ الأمر الملكي رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء قلادة فؤاد الأول ، وقد نص فيه على أن تمنح هذه القلادة لأصحاب التيجان ، ولأمرأه الجالسين على منصة الملك ولأعضاء بيتهم ، وكذلك لرؤساء الدول والحكومات ، ولأعضاء الأسرة الملكية ، ويمحوز منحها للبصريين الذين يمتازون بالتفاني في خدمة وطنهم ومليكهم ، والأجانب الذين يشتهرون بالعمل لخير الإنسانية ؛ ونص فيه كذلك على ألا يزيد عدد الحائزين للقلادة من المصريين عن عشرة ، وذلك سوى أعضاء الأسرة العلوية الكريمة .

* * *

وكان للأزهر الشريف نصيب من جهود مقامه الرفيع ، فقد صدر في ٢٦ مارس سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر .

* * *

ثم اتجه مقامه الرفيع إلى الإصلاح الاجتماعي ، فوضع للبلاد سياسة اجتماعية ، تقوم على الاحتفاظ باخلاصها وعاداتها وتقاليدها ونظمها الصالحة والدفاع عنها وعلى التوفيق والملازمة بينها وبين العادات والآراء والنظم الحسنة وصور الحياة الجديدة التي أتت بها المدنية الحديثة ، فاستصدر في ٧ أبريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء مجلس أعلى للإصلاح الاجتماعي (١) ، يكون مختصاً بمراقبة أحوال التطور الاجتماعي

(١) يشكل هذا المجلس على الوجه الآتي :

للبلاد ، وبالنظر فى الوسائل والتدابير والاصلاحيات التى ترمى الى توجيه هذا التطور توجيهها يتسق مع خصائص الشعب المصرى وتقاليده وملكوته ، كما يختص بالسعى فى التوفيق بين مقومات الحيات الاجتماعية للبلاد ، وبين آثار التقدم المادى ، وما استحدثت من وجوه العمل الاقتصادية وأحوال الحياة الجديدة ، وبالبحث فى نظام الاسرة ودرس الاصلاحات التى تؤكد تماسكها ، والمحافظة على كيانها ، وصيانة حقوق الولاية فيها ، وللمجلس أن يقوم مباشرة بدراسة أية مسألة اجتماعية ، أو اجراء بحث أو تحقيق بشأنها . وله أن يستعين فى ذلك بالادارات الحكومية المختلفة بواسطة الوزير صاحب الشأن . وله - من تلقاء نفسه ، أو بناء على هذه الدراسات والأبحاث والتحقيقات - أن ينصح أو يقترح ضرورة إصدار أو اتخاذ تصرف إدارى معين . ويجوز له - بالاتفاق مع الحكومة - توجيه نصح ونداءات للجمهور ، وتنظيم دعايات اجتماعية

* * *

ثم شعر بحاجة البلاد إلى سياسة صحية . بعيدة المدى . تؤدي إلى تحسين الحالة الصحية فى البلاد ، ويقوم على تنفيذها وزير مسئول لما لشؤون الصحة من الأهمية الحيوية ، ومن الأثر البالغ فى مظهر حضارة البلد ، وفى كيانها الاجتماعى ، فاستصدر فى ٧ إبريل سنة ١٩٣٦ مرسوماً بإنشاء وزارة الصحة العامة .

* * *

وزير الداخلية رئيساً - وزير المعارف العمومية - وزير المالية - تسعة أعضاء
يعينهم مجلس الوزراء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

والتفت مقامه الرفيع إلى القضاء ، فعمل على استقلاله الذاتي ، تمهيدا لتوحيد القضاءين الأهلى والمختلط ، واستصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣١ لسنة ١٩٣٦ بشأن نظام هيئة القضاء ، والمرسوم بقانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٣٦ بشأن تعديل الأمر العالى المشتمل على لائحة ترتيب المحاكم الاهلية ، وقد رعى فيهما إلى وضع نظام يكفل حسن اختيار القضاة ، وانشاء مجلس أعلى للقضاء ، يكون المرجع فى أمور القضاء فلا يتخذ أى اجراء فى أمر قاض الا بناء على رأيه ، ورمى إلى تحقيق استقلال القضاة ، وحمايتهم بسياج يجعلهم بأمان من كل ما يمكن أن يؤثر فيهم من قريب أو من بعيد .

ولم يتنبس النظام الذى وضع فى وزارة مقامه الرفيع عن تشريع أجنبى معين ، وانما بحث أهم الأنظمة الأجنبية الخاصة بحماية استقلال القضاء ، واختير منها ما يصلح لمصر فمصر ، ووضع فى خير شكل يودى إلى أحسن نتيجة : رتب للقضاة حقوقا ، وجعل لهم ضمانات ، وأحاط اختيارهم بضمانات تكفل اختيار أحسن العناصر .

* * *

ثم اتجه إلى العناية بالتعليم ونشر الثقافة العامة فى البلاد ، لتكوين الرجال الذين يستطيعون أن يحكموا الحكم الصالح ، الذى يخلق الأمم ، وينهض بها إلى مدارج الارتقاء ، فاستصدر فى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء معهد جديد للتعليم باسم « معهد فاروق » يكون الغرض منه الاعداد للدراسة بالجامعة ، والعناية بصفة خاصة بتكوين الشخصية وقوة الخلق فى التلاميذ ، بتسمية روح الواجب والشعور بالمسئولية ، والابتكار فى نفوسهم ، وتعويدهم على التعاون ، ويكون القبول به على أثر مسابقة للاستيثاق مما إذا كانت

درجة ذكاء التلميذ واستعداده تمكنه من الاستفادة من دروس المعهد ،
وحددت مدة الدراسة بخمس سنوات ، تسبقها ستة أعدادية ، وضمنت
مناهج الدراسة تثقيفا من الناحية الاجتماعية والفنية ، وتربية بدنية
وتعليم اللغتين الانجليزية والفرنسية ، باعتبارهما لغتين أساسيتين ،
ويقوم تعليمهما على دراسة علمية وعملية كافية ، لتمكين التلاميذ من التكلم
والكتابة بهما في سهولة وصحة ، وتنظيم دراسات اختيارية للملازمة
الاستعدادات المختلفة لدى التلاميذ ، ولتنمية الاستعدادات والميلكات
الخاصة فيهم ، وقد كانت النية متجهة إلى فتح أبواب هذا المعهد للناخبين
من أبناء الأغنياء والفقراء على السواء ، حتى يكون نواة لإنشاء معاهد
أخرى على غرار هـ .

* * *

وفي ٤ مايو سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم بقانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء
مجلس أعلى للتعليم (١) ، يؤلف من جماعة يمثلون فروع التعليم كلها تمثيلا

(١) يؤلف هذا المجلس على الوجه الآتي :

وزير المعارف العمومية

وكيل وزارة المعارف العمومية

مدير الجامعة المصرية

عضو من كل هيئة من الهيئات الآتية تنتخبه تلك الهيئة :

هيئة التدريس في كل كلية من كليات الجامعة

موظفو التدريس في كل من معهد التربية ودار العلوم ومدرسة الفنون الجميلة العليا

ناظر ينتخبه من بينهم نظار المدارس الآتية :

مدارس الفنون والصناعات والمدارس الصناعية

مدارس التجارة

» الزراعة

حسنا ، ويستشار في جميع شؤون التعليم ، فلا يمتنحى الوزير أمرا من أموره إلا وقد وضع له الرأي فيه ، وعرف ملامته لحاجة المعلمين وقدره المعلمين ، فإن مهمة المجلس بحث جميع الشؤون التي تتعلق بالتربية العامة ، وأساليب الدراسة ومناهجها ، ونظم امتحاناتها ، وسياسة الوزارة في نشر التعليم ، وفي الاشراف على التعليم الحر ، وشروط توظيف رجال التعليم وتأديهم ؛ وقد نص القانون على أن تكون كثرة أعضاء المجلس بانتخاب المعلمين أنفسهم ، ويختار الوزير فريقا من أعضائه ؛ يعينون فيه بمرسوم ، حتى يكفل عدم تدخل السلطات الحاكمة في اختيار الاعضاء حسب أهوائها وأغراضها ، ويلائم بين طبيعة الديمقراطية التي تكفل الحرية من جهة ، وطبيعة السطة التي تضمن الاستقرار من جهة أخرى ، ويحيط المعلمين بضمائم تحفظ لهم كرامتهم الشخصية والعلمية .

* * *

وفي الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٦
فجعت البلاد بانتقال عاهلها العظيم المغفور له الملك فؤاد . فكان على
ماهر باشا رجل الساعة ، واتجه نشاطه إلى ضرورة اجتياز البلاد هذا

ناظران ينتخبهما من بينهم نظار المدارس الآتية :

المدارس الثانوية

» الابتدائية

مدارس المعلمين الأولية

ناظرة تنتخبها من بينهن ناظرات مدارس البنات (غير الأولية)

مراقب التربية البدنية بوزارة المعارف العمومية

سبعة أعضاء ممن لهم خبرة بشؤون التعليم يعينون بمرسوم بناء على طلب
وزير المعارف العمومية

الفراف الدقيق، وظهر ولاؤه للأسرة المالكة (١). واحترامه للدستور، وحبه لمصر، فأعلن في وقت واحد وفاة جلالة الملك فؤاد، والمناداة بحضرة صاحب الجلالة الملك الصالح المحبوب « فاروق » الاول ملكا على مصر. وتولى مجلس الوزراء، منذ ذلك اليوم، سلطات الملك الدستورية باسم الامة المصرية، وتحت مسؤوليته، حتى ٨ مايو سنة ١٩٣٦ وهو الوقت الذي سلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية - وحرص على أن يجتمع البرلمان لانتخاب مجلس الوصاية في الموعد المضروب له في الدستور .

* * *

وفي ٣ مايو سنة ١٩٣٦ اصدر مجلس الوزراء المرسوم بتأنيون رقم ٤ لسنة ١٩٣٦ باعلان رشد حضرة صاحب الجلالة الملك الممدى «فاروق»

(١) نشرت جريدة كوكب الشرق بتاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣٦ مقالات تحت عنوان « ملاحظات سريعة » في المؤتمر التاريخي لاختيار هيئة الوصاية ، جاء فيه :

وفاء على ما هو باشا

ليس عندي ما أبدأ به هذه الملاحظات أحق ولا أوجب من الحديث عن دولة على ما هو باشا ، والشعور الذي خالني عند ما رأيته يقف ايلين المجلس نبأ وفاة جلالة ملكه الجليل الفريد ، فان هذا الموقف جعلني والحق يقال أحس الاجلال والاكار لهذا الرجل المخلص الذي غلبت عليه حقوق الوفاء ، وهو يلقي رثاءه للملك الراحل ، فقد امتلأت عيناه بقطرات من الدمع ، وظهر عليه التأثر البالغ الفاجع ، ولاحظ المجلس ذلك على دولته ، فسرى أثره في النفوس ، وتكهربت به مسارب الاحساس ، وساد القاعة شعور رهيب وتأثر عميق .

بارك الله في هذه النفوس الوفية التي لا تنسى حقوق الولاء والوفاء ، وأرجو أن يتقبل دولته منى أصدق التحية وأكبر الاعجاب .

الأول» ، فيما يختص بجميع التصرفات المدنية ، مستندا إلى انه ليس ثمة نص يحدد السن التي يكون فيها للمالك الأهلية فيما يختص بمباشرة حقوقه الخاصة وإدارة أمواله، وإلى أن الحكم الشرعى يقضى بأنه إذا بلغ الشخص سن الخامسة عشرة؛ أصبح ذا أهلية تامة للتصرفات الشرعية جميعها، فتكون له الولاية التامة فى ماله؛ ويصح أن يكون ناظرا على الأوقاف، وأن يكون وليا على غيره فى النفس والمال .

* * *

وفى ٤ مايو سنة ١٩٣٦ صدر المرسوم بتمانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٦ بشروط توظيف الأجانب ، ونص فيه على أنه لا يجوز اسناد أية وظيفة عامة مدنية كانت أو عسكرية إلى أجنبي إلا فى أحوال استثنائية ، وإذا ثبت أن الوظيفة تتطلب مؤهلات علمية أو عملية لا تتوافر فى مصرى ، ولا تسند الوظيفة إلى أجنبي لمدة تزيد على خمس سنوات ، تبدأ من تاريخ استلامه عملها ، فإذا كان التعيين لاجل أقل من المدة المقررة؛ أو إذا خلت الوظيفة قبل نهاية هذه المدة؛ سرى مفعول القرار الصادر باسنادها أجنبي حتى نهاية المدة المقررة ، ونص على سقوط قرار اسناد الوظيفة إلى أجنبي إذا انقضت سنة من وقت صدور القرار ولم يتم التعيين فيها، واشترط ضرورة الكشف الطبى على كل مرشح اجنبى قبل تعيينه ، للتحقق من لياقته صحيا لأداء عمله ومن مقدرته على تحمل جو مصر ، وجعل القانون للحكومة الحق فى فسخ التعاقد مع الموظف الاجنبى فى أى وقت أثناء السنتين الأوليين من مدة العقد ، بشرط أن تعلنه قبل ذلك بثلاثة شهور ، كما يحق لها فصله فى أى وقت أثناء مدة الخدمة من غير إعلان سابق ، بسبب سوء سلوكه أو تقصيره تقصيرا فاحشا فى تأدية أعمال وظيفته ،

ونص القانون على ألا يمنح الموظف الأجنبي تن مدة خدمته أى معاش أو أية مكافأة ، وجعل لمجلس الوزراء تقرير منح مكافآت خاصة إذا اقتضت ذلك مبررات استثنائية.

ثم سعى إلى تسوية المسائل التي كانت معلقة بين مصر والحجاز ، لما بين القطرين الشقيقين من صلات النسب والجوار ، ولما لدى المملكتين من خالص الرغبة في توثيق عرى الصداقة ، فصدر في ٨ مايو سنة ١٩٣٦ مرسوم بإصدار معاهدة الصداقة المعقودة بين المملكة المصرية والمملكة العربية السعودية ، وكان لهذا رنة سرور وفرح في البلدان العربية التي يجتهد الوطنيون والزعماء في الشرق أن يعززوا ما بينها من روابط .

ولا يفوتني أن أذكر هنا ذلك العمل العظيم الذي كان يعتزم مقامه الرفيع أن يختم به اصلاحاته الجليلة ، في عهد وزارته القصير ، المملوء بعظيم الحوادث ومفاخر الاعمال ، فقد كان يريد الغاء الامتياز المالى ، وذلك باعلان استقلال مصر في تنظيم ما يفرض من ضرائب على السكان - مصريين وأجانب على السواء - دون عرض مشروعات القوانين الخاصة بهذا التنظيم على الدول ، وأعد اجراءات هذا الاعلان ، سواء منها ما يختص بالتبليغ للدول ، وما يتبع هذا من بيان للناس وايضاح للجماهير ، ولسكن فوجئت البلاد بوفاة عاهلها العظيم المغفور له الملك فؤاد ، فألقى على عاتق على ماهر باشا أعباء ومهام جسام ، حالت دون تفرغه لما كان يود تحقيقه في نسيل مصر وخيرها ورفاهيتها .

وفي ٨ مايو سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم بتعيين دولته عضوا بمجلس الشيوخ .

* * *

وفي ٩ مايو سنة ١٩٣٦ استقالت وزارة مقامه الرفيع ، بعد أن تركت أعظم أثر في نفوس المصريين جميعا (١)

* * *

(١) هذا نص كل من كتاب الاستقالة ، وكتاب قبولها :

كتاب استقالة الوزارة

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي

حضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا

حضرة صاحب السعادة محمد شريف صبري باشا

أتشرف بأن أرفع إلى حضراتكم ان الوزارة التي عهد إلى بتأليفها والتي تألفت بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ بذلت غاية جهدها لصيانة الوحدة القومية كما وعدت . ولما كان أول مهمة لها أن تمهد السبيل للمفاوضات وللعمل بالدستور ، فقد مضت في الاجراءات اللازمة لذلك ، على أنه قبل أن تبلغ تلك الاجراءات غايتها فوجئت البلاد بفقد مليكها المحبوب ، وتعين على أثر ذلك تدارك الحال بتأليف هيئة الوصاية .

والآن وقد تم تأليف هيئة الوصاية ، وتمت من جانب آخر المهمة التي أخذناها على أنفسنا بما تتطلب له ضمائرنا ، فاني أتشرف بأن أرفع إلى حضراتكم استقالة الوزارة التي عهد إلى بتأليفها بجلالة المغفور له الملك فؤاد الاول ، بعد أن أدبنا الأمانة كاملة .

واننا اذ نرفع هذه الاستقالة ، والدستور نافذ معمول به ، نبتهل إلى الله أن يرعى العهد الجديد ، ويجعله على البلاد خيرا وبركة ، وأن يبقى جلالة الملك فاروق الاول ذخرا للأمة .

واني لحضراتكم الخالص الامين

(علي ماهر)

القاهرة في ٩ مايو سنة ١٩٣٦

وفي ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ صدر أمر ملكي بتعيين مقامه الرفيع
رئيسا للديوان العالي الملكي .

* * *

وفي ١٠ فبراير سنة ١٩٣٨ أنعم حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم
«فاروق» الأول حفظه الله تعالى بقلادة فؤاد الأول على مقامه الرفيع

* * *

أما بعد، فهذه هي بعض أعمال على ماهر باشا، نتحدث عن نفسها،
وتعان عن عظمتها، وهذه هي بعض مفاخره وما آثره في سبيل مصر
والمصريين، تنبيه عما للوطن فيه من آمال كبار، وانها والله لمفخرة لمصر
ان يكون هذا الرجل العظيم من أبنائها

قبول الاستقالة

أمر ملكي بقبول استقالة حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا
دولة الرئيس العزيز على ماهر باشا

اطلعنا على كتاب الاستقالة المرفوع إلينا منكم في ٩ مايو الحاضر وانكم،
وأنتم تتركون الحكم، بعد أن أدبتم مهمتكم بمنتهى الامانة والنزاهة وتفانيتم في خدمة
البلاد وكنتم مثلاً أعلى في الوفاء والولاء والاخلاص لجديرون بكل اعجاب وشكر.
فلندولتكم ولحضرات الوزراء زملائكم أطيب الشاء .
وأصدرنا أمراً بهذا لدولتكم راجين لكم دوام التوفيق

مجلس الوصاية

محمد علي

عبد العزيز عزت

شريف صبرى

صدر بمرأى عابدين في ١٨ صفر سنة ١٣٥٥

٩ مايو سنة ١٩٣٦

كتب الله له حياة طويلة موفقة في خدمة الوطن والمليك الصالح
المحجوب .

لألم مصطفى

المصادر

اعتمدت في هذا التاريخ على :

الدليل المصرى لعام ١٩٣٦ ،

مجموعات القوانين والمراسيم والأوامر الملكية لسنة ١٩٣٦ .

مجموعة محاضر اللجنة العامة لوضع الدستور ،

صحيفة الأخبار عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ،

الصحف اليومية سنة ١٩٣٦ ،

بعض المجلات الاسبوعية والشهرية ،

كتاب مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر

المصطفى في تاريخ

ولى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا الحكم فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٦ فى ظروف حرجة دقيقة ، فلقد كان المرض وقتئذ شديداً على المخفور له الملك فؤاد الأول ، وكانت هناك حوادث وطنية حركت الطلبة والشبان ، ودفعتهم إلى الاضراب احتجاجاً على عدم عودة دستور سنة ١٩٢٣ ، وعلى اباء الانجليز مفاوضة المصريين لحل المسائل المتعلقة بين البلدين .

ولى على ماهر باشا الحكم فى هذه الظروف العصيبة . فكان الرجل المختار لها ، وكان القائد الماهر ، الذى تدخره البلاد لقيادة سفينةها ، حين يضطرب الموج وتهيج الرياح .

ولم يكن عجباً أن يملك على ماهر باشا الموقف السياسى ، ولكن العجيب أن يتسع وقته وتفكيره للشؤون الاجتماعية ، فكان للصحافة نصيب من عنايته ورعايته ، فهو أول رئيس وزارة فى مصر قدر للصحافة وظيفة العامة ، فيسر لمثليها سبل الاستفادة ، ونهض بكرامتهم ، ولم يخل عليهم بنياً لاتضر اذاعته المصلحة العامة ، وكان موقفه من رجال الصحافة موقف الصديق المنذر ، لا موقف السكاره المراقب المترقب ، وقوانين المطبوعات ، التى أصدرها مقامه الرفيع ، كانت كسبا للصحافة ، لم تكن تحلم به .

أعلن مقامه الرفيع أولاً نيته نحو الصحافة في تصريح مع مندوب الأهرام في ١٩ فبراير سنة ١٩٣٦، جاء فيه :-

« نرجو أن نكون قد وفقنا لإجابة الصحافة إلى رغباتها في تلطيف الضغط الذي تضمنته التشريعات الراهنة ؛ فقد رفعنا من شروط إصدار الجرائد قيود التأمينات ، واشترط وجود المطبعة ، وكذلك بعض الشروط الواجب توافرها في رؤساء التحرير ، وغير ذلك ، وأنا مستعد أن أرفع من التشريعات غير ذلك من القيود ، إذا كان هناك ما تدعو مصلحة الصحافة إلى رفعه وإزالته ، لأنني أرى من الواجب أن تعمل الحكومة لمساعدة الصحافة على الارتقاء والتقدم . »

* * *

ثم لم يمض أسبوع على هذا التصريح ، وبعبارة أخرى لم تمض أسابيع على تولى مقامه الرفيع رئاسة الوزارة ، حتى صدر في ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ بتعديل قانون المطبوعات رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١ تعديلاً يتفق مع مطالب الصحفيين ، فخفف الشروط التي سنّها ذلك القانون بحذف النص الوارد بالمادة (١١) الخاص بوجود مطبعة لكل جريدة تصدر ثلاث مرات في الأسبوع فأكثر ، وبجواز أن يحل الضمان الشخصي محل الضمان النقدي ، وهو اشتراط دفع ثلثمائة جنيه لا إصدار الجريدة التي تصدر ثلاث مرات فأكثر في الأسبوع ، ومائة وخمسين جنيهاً للصحيفة التي تظهر مرة أو مرتين في الأسبوع ، وبحذف عقوبة إلغاء

الجريدة وجعل التعطيل لمدة اقصر ، وإلغاء عقوبة اقفال المطبعة إلا فى حالة فتحها بدون اخطار ، ووضع أحكام خاصة بالمطابع وتوزيع المطبوعات بالزام كل صاحب مطبعة بارسال اخطار قبل فتح المطبعة ، وأحكام خاصة بمن يتولون بيع المطبوعات وتوزيعها فى الطريق العام .
وهاهو نص المرسوم بقانون ومذكرته التفسيرية :

نحن فؤاد الاول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ ،
وبناء على ما عرضه علينا وزير الداخلية وموافقة رأى مجلس الوزراء .

رسمنا بما هو آت :

١ - تعريف الاصطلاحات

مادة ١ - فى تطبيق هذا القانون يقصد بكلمة « مطبوعات » كل الكتابات أو الرسوم أو القطع الموسيقية أو الصور الشمسية أو غير ذلك من وسائل التمثيل .
مضى نقلت بالطرق الميكانيكية أو الكيميائية أو غيرها فأصبحت بذلك قابلة للتداول .

ويقصد بكلمة « التداول » بيع المطبوعات أو عرضها للبيع أو توزيعها أو الصافها بالجدران أو عرضها فى شبائيك محلات أو أى عمل آخر يجعلها بوجه من الوجوه فى متناول عدد من الأشخاص .

ويقصد بكلمة « جريدة » كل مطبوع يصدر باسم واحد بصفة دورية فى مواعيد منتظمة أو غير منتظمة .

ويقصد بكلمة « الطابع » صاحب المطبعة .

ومع ذلك فاذا كان صاحب المطبعة قد أجرها الى شخص آخر فأصبح ذلك الشخص هو المستغل لها فعلا ؛ فكلمة « الطابع » تنصرف الى المستأجر .

ويقصد بكلمة « الناشر » الشخص الذى يتولى نشر أى مطبوع .

٢ - فى الأحكام المتعلقة بالمطابع والمطبوعات على وجه العموم

مادة ٢ - يجب على كل طابع قبل فتحه مطبعة أن يقدم اخطارا كتابيا بذلك إلى

- المحافظة أو المديرية التي تقع المطبعة في دائرتها .
ويشتمل الاخطار على اسم ولقب وجنسية ومحل اقامة الطابع ومقر المطبعة واسمها .
ويجب تقديم اخطار جديد في خلال ثمانية أيام عن كل تغيير في البيانات المتقدمة .
- مادة ٣ - يجب على كل طابع قبل أن يتولى طبع جريدة أن يقدم اخطارا كتابيا بذلك إلى المحافظة أو المديرية .
- مادة ٤ - يجب أن يذكر بأول صفحة من أى مطبوع أو بآخر صفحة منه اسم الطابع وعنوانه واسم الناشر وعنوانه، إن كان غير الطابع، وكذا تاريخ الطبع .
- مادة ٥ - عند اصدار أى مطبوع يجب ايداع أربع نسخ منه في المحافظة أو المديرية التي يقع الاصدار في دائرتها .
ويعطى إيصال عن هذا الايداع .
- مادة ٦ - لا تسرى أحكام المادتين الرابعة والخامسة على المطبوعات ذات الصفة الخاصة أو التجارية .
- مادة ٧ - لا يجوز لأحد أن يتولى بيع أو توزيع مطبوعات في الطريق العام أو في أى محل عمومي آخر ولو كان ذلك بصفة عارضة أو مؤقتة الا بعد الحصول على رخصة بذلك من وزارة الداخلية .
- مادة ٨ - لا يجوز لأحد أن يمارس مهنة مرتبطة بتداول مطبوعات في الطريق العام أو في أى محل عمومي آخر قبل أن يقيد اسمه في المحافظة أو المديرية .
والشروط اللازمة للتصريح بهذا القيد تبين بقرار وزاري .
- مادة ٩ - يجوز، محافظة على النظام العام، أن تمنع مطبوعات صادرة في الخارج من الدخول والتداول في مصر، ويكون هذا المنع بقرار خاص من مجلس الوزراء .
- مادة ١٠ - يجوز لمجلس الوزراء أن يمنع أيضا من التداول في مصر المطبوعات المهيئة للشهوات، وكذلك المطبوعات التي تتعرض للأديان تعرضا من شأنه تكدير السلم العام .

٣ - في الأحكام الخاصة بالجرائد

مادة ١١ - يجب أن يكون لكل جريدة رئيس تحرير مسئول يشرف اشرافا

فعليا على كل محتوياتها، أو جملة محررين مسؤولين يشرف كل واحد منهم اشرافا
فعليا على قسم معين من أقسامها .

مادة ١٢ - يجب أن يكون رؤساء التحرير أو المحررون المسؤولون حائزين
للصفات الآتية :-

(أولا) أن يكونوا مصريين، اذا كانت الجريدة تنشر كلها أو بعضها باللغة
العربية .

(ثانيا) ألا تقل سنهم عن خمس وعشرين سنة ميلادية .

(ثالثا) أن يكونوا كامل الأهلية وحسن السمعة .

(رابعا) ألا يكون قد حكم عليهم لجناية من الجنايات العادية أو لسرقة أو
اخفاء أشياء مسروقة أو نصب أو خيانة أمانة أو غدر أو رشوة أو
تفالس بالتدليس أو تزوير أو استهال أوراق مزورة أو شهادة زور أو اغراء
شهود أو هتك عرض أو اغراء قصر على البغاء أو انتهاك حرمة الآداب أو حسن
الاخلاق أو تشرد لجنة ارتكبت للفرار من الخدمة العسكرية أو لشروع في
ارتكاب جريمة مما ذكر متى كان الشروع منصوفاً عليه في القانون .

مادة ١٣ - يجب على كل من أراد أن يصدر جريدة أن يقدم اخطارا كتابيا
بذلك الى المحافظة أو المديرية التي يتبعها محل الاصدار .

ويشتمل الاخطار على البيانات الآتية :

(أولاً) اسم ولقب وجنسية ومحل اقامة صاحب الجريدة والمحرر أو المحررين
المسؤولين والناشران وجد .

(ثانيا) اسم الجريدة واللغة التي تنشر بها وطريقة اصدارها وعنوانها .

(ثالثا) اذا كان للجريدة مطبعة خاصة، والافيين اسم وعنوان المطبعة التي تطبع
فيها الجريدة .

ويجب أن يوقع على الاخطار من صاحب الجريدة ومن رئيس التحرير أو
المحررين المسؤولين ومن الناشر ان وجد .

ويعطى ايصال عن هذا الاخطار .

مادة ١٤ - كل تغيير يطرأ على البيانات التي تضمها الاخطار يجب اعلانه
للمحافظة أو المديرية كتابة قبل حدوثه بثمانية أيام على الأقل الا اذا كان هذا

التغيير طرأ على وجه غير متوقع ، ففي هذه الحالة يجب اعلانه في ميعاد ثمانية أيام على الأكثر من تاريخ حدوثه .

مادة ١٥ - لضمان وفاء الغرامات والمصاريف التي قد يحكم بها على رئيس التحرير أو المحررين المسؤولين أو صاحب الجريدة أو الناشر أو الطابع تطبيقاً لأحكام هذا القانون أو تطبيقاً لأحكام الباب الرابع عشر من الكتاب الثاني أو الباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الاهلى يجب على الموقعين على الاخطار المنصوص عليه في المادة ١١ إما أن يودعوا في ميعاد ثلاثة أيام من تاريخ الاخطار تأمينا نقديا مقداره ٣٠٠ جنيه عن كل جريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر في الاسبوع و ١٥٠ جنيه في الأحوال الأخرى ، وإما أن يقدموا كفيلاً يرضيه المحافظ أو المدير .

مادة ١٦ - إذا نقص التأمين بسبب ما أخذ منه بمقتضى أحكام المادة السابقة وجب اكاله في الخمسة الأيام التالية لانذار يعلن بالطرق الادارية الى صاحب الشأن .

ولذا أصبح الكفيل غير مقتدر وجب أن يستبدل به بالكيفية المينة آنفا كفيل آخر يرضيه المحافظ أو المدير .

مادة ١٧ - يجوز اصدار الجريدة في اليوم الحادى والثلاثين من تاريخ الاخطار إلا إذا أعلن المحافظ أو المدير في خلال هذه المدة مقدمى الاخطار كتابة بالطرق الادارية بمارضته في اصدار الجريدة لعدم توافر أحد الشروط المينة في المواد السابقة .

مادة ١٨ - إذا لم تظهر الجريدة في بحر الثلاثة الأشهر التالية لتاريخ الاخطار أو إذا لم تصدر بانتظام في خلال ستة أشهر اعتبر الاخطار كأنه لم يكن ويكون اثبات عدم انتظام صدور الجريدة المشار اليه في الحالة الثانية بقرار من وزير الداخلية يعلن لصاحب الشأن .

مادة ١٩ - يجب بيان اسم صاحب الجريدة ورئيس تحريرها وكذا اسم ناشرها واسم المطبعة التي تطبع فيها إذا لم يكن لها مطبعة خاصة بها وذلك بشكل ظاهر على كل نسخة وفي أول صفحة منها .

وإذا لم يكن للجريدة رئيس تحرير وكان لها عدة محررين كل منهم مسئول عن قسم خاص مما ينشر فيها يجب بيان أسماء هؤلاء المحررين بالطريقة عينها مع تعيين

القسم الذى يشرف عليه كل منهم .

مادة ٣٠ - بمجرد تداول عدد من الجريدة أو ملحق لعدد يجب أن يسلم إلى وزارة الداخلية ست نسخ مائثر موقع عليها من رئيس التحرير أو أحد المحررين المسئولين اذا كانت الجريدة تصدر فى القاهرة وإلى المحافظة أو المديرية اذا كانت الجريدة تصدر فى مدن أخرى .
ويعطى ايصال بهذا الايداع .

مادة ٣١ - يجوز محافظة على النظام العام أن يمنع عدد معين من جريدة تصدر فى الخارج من الدخول والتداول فى مصر وذلك بقرار من وزير الداخلية .
مادة ٣٢ - الجرائد التى تصدر فى مصر بلغة أجنبية ويكون رئيس تحريرها أو محرروها المسئولون غير خاضعين للمحاكم الأهلية - يجوز محافظة على النظام العام تعطيلها بقرار خاص من مجلس الوزراء بعد ائذار يوجه اليها وزير الداخلية أو بدون ائذار سابق وذلك لمدة خمسة عشر يوماً اذا كانت الجريدة تصدر ثلاث مرات أو أكثر فى الاسبوع أو لمدة شهر إذا كانت تصدر أسبوعياً أو لمدة ثلاثة شهور فى الأحوال الأخرى .

ويجوز لنفس السبب المتقدم منع تداول عدد معين من الجرائد المذكورة بقرار يصدره وزير الداخلية .

مادة ٣٣ - يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسئول أن يدرج من غير مقابل فى أول عدد يصدر من الجريدة وفى الموضع المخصص للأخبار المهمة ما ترسله اليه وزارة الداخلية من البلاغات المتعلقة بالمصلحة العامة أو الخاصة بمسائل سبق نشرها فى الجريدة المذكورة .

مادة ٣٤ - يجب على رئيس التحرير أو المحرر المسئول أن يدرج بناء على طلب ذوى الشأن تصحيح ماورد ذكره من الوقائع أو سبق نشره من انتصريحات فى الجريدة ويجب أن يدرج التصحيح فى خلال الثلاثة الأيام التالية لاستلامه أو على الأكثر فى أول عدد يظهر من الجريدة فى نفس المكان وينفس الحروف التى نشر بها المقال المطلوب تصحيحه ويكون نشر التصحيح من غير مقابل اذا لم يتجاوز ضعف المقال المذكور ، فاذا تجاوز الضعف كان للمحرر الحق فى مطالبة صاحب الشأن قبل النشر بأجرة النشر عن المقدار الزائد على أساس

تعريفه الاعلانات .

مادة ٢٥ - لا يجوز الامتناع عن نشر التصحيح في غير الأحوال الآتية :
(أ) إذا وصل التصحيح إلى الجريدة بعد شهرين من تاريخ نشر المقال الذي اقتضاه .

(ب) إذا سبق للجريدة أن صححت بنفس المعنى الوقائع أو التصريحات التي اشتمل عليها المقال المطلوب تصحيحه .

(ج) إذا كان التصحيح محرراً بلغة غير التي كتب بها المقال

(د) إذا كان في نشر التصحيح جريمة معاقب عليها .

٤ - في العقوبات

مادة ٢٦ - كل مخالفة لأحكام المواد ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٧ تكون عقوبتها الحبس لمدة لا تتجاوز ستة أشهر والغرامة من ٢٠ جنيها إلى ٢٠٠ جنيه أو إحدى هاتين العقوبتين فقط .

وتكون المعاقبة على دخول المطبوعات والجرائد أو تداولها أو نشرها خلافا لأحكام المواد ٩ و ١٠ و ٢١ و ٢٢ بنفس العقوبات السابقة .

ويجوز أن يقضى أيضا بالحكم الصادر بالعقوبة بتعطيل الجريدة لمدة ١٥ يوما إذا كانت تصدر ثلاث مرات أو أكثر في الأسبوع أو لمدة شهر إذا كانت تصدر أسبوعياً أو لمدة سنة في الأحوال الأخرى .

مادة ٢٧ - يعاقب بنفس العقوبات المتقدمة رئيس التحرير والمحررون المسؤولون وصاحب الجريدة والطابع والناشر عند وجوده إذا استمروا على اظهار الجريدة باسمها أو باسم آخر بعد صدور القرار بتعطيلها .

ويجب أن يتضى أيضا في هذه الحالة بتعطيل الجريدة لمدة تعادل ضعفى المدة المنصوص عليها في المادة المتقدمة وتضاف الى مدة التعطيل السابقة .

مادة ٢٨ - كل مخالفة لأحكام المادة ١٦ تكون عقوبتها الغرامة من ١٠ جنيهاً إلى ١٠٠ جنيه .

مادة ٢٩ - كل مخالفة أخرى لأحكام هذا القانون يعاقب عليها بغرامة لا تزيد على ١٠٠ قرش وبالحبس لمدة لا تتجاوز اسبوعاً أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط .
وفي حالة الحكم بالعقوبة لمخالفة أحكام المادة الثانية يجوز للقاضى أن يحكم باقتال المطبعة .

مادة ٣٠ - في حالة مخالفة أحكام المواد ٩ و ١٠ و ٣١ و ٣٢ تضبط المطبوعات أو أعداد الجريدة بصفة إدارية .

وفي حالة مخالفة أحكام المادة ١٠ يضبط أيضاً ما استعمل في الطباعة من قوالب وأصول (كليشيات)

ويقتضى الحكم الصادر بالعقوبة بمصادرة المطبوعات المذكورة أو أعداد الجريدة أو القوالب أو الأصول (الكليشيات)

مادة ٣١ - في حالة مخالفة أحكام المواد ٤ و ٧ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٧ و ١٩ يجوز ضبط المطبوعات أو أعداد الجريدة بصفة إدارية .

ويجوز أن يقتضى الحكم الصادر بالعقوبة بمصادرة هذه المطبوعات أو أعداد الجريدة

مادة ٣٢ - يجوز للمحكمة عند الحكم برأمة المحرر الذى اتهم بارتكاب الجريمة المنصوص عليها في المادة ٢٤ أو ٢٥ أن تلزمه بنشر التصحيح بالصيغة التى طلب منه نشرها أو بصيغة أخرى تعينها .

وفي حالة الحكم بالعقوبة بسبب الامتناع عن النشر وبالالتزام بنشر التصحيح يجب أن يحدث النشر في العدد الأول أو الثانى الذى يلي صدور الحكم إذا كان هذا الحكم حضورياً أو الذى يلي اعلان هذا الحكم إذا كان غائبياً - مهما تكن أوجه الطعن في الحكم - فإذا ألغى الحكم بعد نشره جاز للمحرر أن يدرج حكم الانعفاء على نفقة الخصم الذى أقيمت الدعوى بناء على طلبه .

ويجوز أيضاً أن يؤمر في الحكم الصادر بالعقوبة بأنه إذا امتنع المحرر عن تنفيذ الامر الصادر بالنشر بنشر التصحيح على نفقة المحرر في ثلاث جرائدينها صاحب الشأن .

مادة ٣٣ - تنشر في الجريدة الرسمية أوامر منع التداول وقرارات التعطيل والاذنارات المنصوص عليها في المواد السابقة

مادة ٣٤ - يتخذ ما يصدر من الاحكام وما يؤمر به من التدابير الادارية بمقتضى هذا القانون بدون نظر إلى معارضة صاحب الجريدة أو المطبعة أو أى شخص آخر ذى شأن .

٥ - في الاحكام الوقتية وفي النصوص الممنوعة

مادة ٣٥ - يعطى الاشخاص الذين يمارسون المهن الممنوعة في الباب الثانى ميعاداً

قدره شهران من تاريخ العمل بهذا القانون للقيام بتنفيذ ما نصت عليه المواد ٣ و ٣ و ٧

مادة ٣٦ - يلغى قانون المطبوعات رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١
مادة ٣٧ - على وزيرى الداخلية والحقانية تنفيذ هذا المرسوم بقانون كل منهما فيما يخصه، ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .
نأمر بأن يصمم هذا المرسوم بقانون بخاتم الدولة وأن ينشر فى الجريدة الرسمية وينفذ كقانون من قوانين الدولة ؟

مذكرة إيضاحية

المشروع المرسوم بقانون بشأن المطبوعات

ان وضع المرسوم بقانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ المعدل لبعض نصوص الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى والباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الأهلئ اقتضى إعادة النظر فى قانون المطبوعات رقم ٩٨ سنة ١٩٣١ حتى تكون نصوصه متطابقة مع نصوص ذلك المرسوم الجديد
ان المبادئ التى تضمنها قانون سنة ١٩٣١ لم تزل مجعولة أساسا للمشروع الحالئ الا انه قد عدلت بعض الاحكام التى كانت موضوعة لتطبيق تلك المبادئ تعديلا قصد به تخفيف تلك الاحكام .

فثلا قد الغئ المشروع الحالئ النص الذى كان يلزم كل جريدة تظهر ثلاث مرات أو أكثر فى الاسبوع بان تكون لها مطبعة خاصة (مادة ١١ من قانون سنة ١٩٣١) كما أنه حذف من العقوبات عقوبة إلغاء الجريدة وجعل التعطيل لمدة اقصر ، كما انه اضاف إلى الضمان القدى الضمان الشخصى الذى هو اقل ارهاقا .

ولقد كان الباب الثانى من قانون سنة ١٩٣١ قاصرا على نصوص خاصة بالمطبوعات بصفة عامة دون ان يضع احكاما خاصة بالمطابع وتوزيع المطبوعات - لذلك وضع المشروع الحالئ نصوصا جديدة فى الباب الثانئ سدا لذلك النقص - فقد نص فى المادة الثانية على الزام كل طابع بتقديم اخطار قبل فتح المطبعة ، ولقد كان قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ كالقانون العثماني السابق يقتضى بعدم جواز فتح مطبعة الا بعد الحصول على ترخيص من الحكومة - اما المشروع الحالئ فقد سن طريقة اسر وهى طريقة الاخطار اذ انه

لما كان الطابع ملزماً بتنفيذ بعض اجراءات من اختصاصها وضع اسمه وعنوانه على المطبوعات التي يباشر طبعها في مطبعته كان من الضروري ان يكون لدى الادارة المعلومات الكافية عن الطابع الموجودة حتى يتسّر لها مراقبة تنفيذ القانون. ولهذا السبب الزم الطابع الذي يتول طبع جريدة ما بأن يخضع الادارة بذلك .

المادتان السابعة والثامنة - لا ينبغي الغرض من الاهمية التي لعملية التوزيع بين العمليات التي تتعاقب على المطبوعات من حين تحريرها إلى حين تداولها بين الايدي اذ أن توزيع المطبوعات المحظورة هو ركن اساسي للجرائم الصحفية - بل قد يكون وحده كافياً احياناً لتكوين الجريمة - لذلك تنص قوانين المطبوعات عادة على جعل الموزعين مسؤولين أسوة بالمحررين والطابعين والناشرين - حتى أن القانون الفرنسي الصادر في ٢٩ يولييه سنة ١٨٨٩ جعل باباً خاصاً باصق الاعلانات والتوزيع والبيع في الطريق العام

والمشروع الحالي فرق بين الاشخاص الذين يتعهدون بيع المطبوعات او توزيعها وبين الاشخاص الذين يمارسون مهنة مرتبطة بتداول تلك المطبوعات على الوجه الملبين بالمادة الاولى « بائعون وموزعون ولاصقون الخ » .
ولما كان المتعهدون المشار إليهم آنفاً هم عادة أهم عامل في ترويج المطبوعات، لذلك نص المشروع على إلزامهم بالحصول على رخصة من وزارة الداخلية - وهناك علة أخرى موجبة لالزامهم بالحصول على هذا الترخيص وهي ان عملية التداول انما تباشر في الطريق العام او أي محل عمومي

أما الاشخاص الذين يباشرون مهنة مرتبطة بتداول المطبوعات فقد لوحظ أنهم عادة محررون على عملهم من تلقاء غيرهم لا من تلقاء أنفسهم ، لذلك اكتفى المشروع بالزامهم بأن يقيّدوا اسماءهم بالمحافظة أو المديرية قبل أن يمارسوا تلك المهنة - وهذا هو ما كان مفروضاً من قبل على بعضهم بمقتضى القرار الوزاري المؤرخ ٣١ يناير سنة ١٩١٥ الخاص بالباعة السريجة .

أما الشروط اللازمة لهذا القيد فقد ترك أمرها لوزير الداخلية ليصدر بها قراراً كما ترك له فرض ما يرى لزوم تطبيقه من الجزاءات التي أغفلها القانون نفسه لقلة أهميتها .

المادة ٩ - هذه المادة إن هي الا مضمون ماجاء بالمادتين ١٩ و ٢٩ من قانون سنة ١٩٣١ .

ومن جهة أخرى فإنه لما كانت كلمة مطبوعات تشمل الجرائد طبقا لتعريفهما المبين بالمادة الاولى رؤى الاكتفاء بمادة واحدة . كما انه لما كان الاخلال بالاديان والآداب هو من اسباب الاخلال بالنظام العام لذلك رؤى الاكتفاء بعبارة النظام العام دون الاشارة إلى الاديان والآداب

المادة ١٠ - اخذت حكم المادة ٢٥ من قانون سنة ١٩٣١ بعد ان استبدلت بعبارة « المطبوعات المضرة بأداب الشبان » عبارة أوسع وانسب منها وهى عبارة « المطبوعات المثيرة للشهوات » .

ومن جهة أخرى فإن الضمانات التى نص عليها الدستور من منع الرقابة على الصحف التى تطبع فى مصر أو وقفها والغائها بما يكفل حرية الرأى بواسطة النشر إنما وضعت لكفالة حرية الآراء السياسية فلا يجوز الاستفادة منها بالنسبة للمطبوعات المثيرة للشهوات أو التى تتعرض للاديان تعرضا من شأنه تكدير السلم العام اذ أنه من المفروض على الحكومة أن تحول على أسرع وجه دون وقوع ما يترتب من النتائج على مثل تلك المطبوعات الآثمة ولهذا الغرض قضت المادة ١٠ بمنع تداولها فى مصر بقرار خاص من مجلس الوزراء .

والاحكام الواردة فى المراتد ١١ الى ١٤ من الباب الخاص بالجرائد ان هى إلا نفس الاحكام الواردة فى المواد ٧ إلى ٩ من قانون سنة ١٩٣١ عدا أنه حذف من نص المادة ١٣ : (١) شرط عدم صدور حكم على رئيس التحرير أو المحررين المسؤولين مرتين لجرائم من المنصوص عليها فى الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى وفى الباب السابع من الكتاب الثالث من قانون العقوبات الألهى، (٢) شرط عدم صدور حكم عليهم بالعزل من وظائفهم أو بشطب اسمهم بقرار تأديبى لا فعال ماسة بشرفهم أو سلوكهم : (٣) شرط ألا يكونوا من أعضاء البرلمان .
وأما المادة ١٣ فلم تدخل على طريقة الاخطار سوى بعض تعديلات لا تحتاج إلى شرح .

هذا وقد كان قانون سنة ١٩٣١ يشترط عند تقديم الاخطار ايداع تأمين مقداره ٣٠٠ جنيه أو ١٥٠ جنيها حسب الأحوال .

ونظراً لأن هذا الشرط كان مرهقا فى بعض الأحوال (وبخاصة بالنسبة للجرائد الدورية من علمية وأدبية) فقد رأى المشروع - مع ابقائه - أن يضيف إليه شرطا آخر

أسر منه وهو شرط تقديم كفيل يرتضيه المحافظ أو المدير حتى يصبح لذوى الشأن الخيار بين ما يلائمهم من أحد هذين الشرطين
ويقضى المشروع بوجوب إيداع التأمين النقدي أو تقديم الكفيل في ميعاد ثلاثة أيام من تاريخ الاخطار دون أن ينص على الجزاء الذى يترتب على مخالفة ذلك اكتفاء بما خول للمحافظ أو المدير فى المادة ١٧ من حق المعارضة فى اصدار الجريدة فى خلال الشهر التالى لتاريخ الاخطار .

وقد اعتبر الاخطار صحيحا قانونا إذا لم تبد فى خلال الشهر التالى لتاريخ تقديمه معارضة من جانب السلطة المختصة ومن ثم يصبح اصدار الجريدة جائزا .
على أنه فى حالة عدم ظهور الجريدة لا يجوز اعتبار الاخطار قائما إلى غير أجل ولذلك هذا المشروع حدو قانون سنة ١٩٣١ فى المادة ١٣ منه بأن نص على أنه إذا لم تظهر الجريدة فى بحر الثلاثة الأشهر التالية لتاريخ الاخطار اعتبر الاخطار كأن لم يكن وكذلك روى من الضرورى أن توضع أحكام لحالة عدم انتظام صدور الجريدة أى الحالة التى تصدر فيها فى تواريخ أو مواعيد مخالفة للبيانات المدونة فى الاخطار إلا أنه لو حظ أنه من المتعذر معاقبة هذه الحالة بالغاء الاخطار لمجرد عدم الانتظام كما هو الحال فى عدم الظهور الذى هو من الوقائع الممكن اثباتها بسهولة.
فلا فية لكل خلاف اشترط القانون صدور قرار من السلطة المختصة باثبات عدم انتظام صدور الجريدة واعلانه لصاحب الشأن . ولو أنه لم توضع عقوبة للمخالفة فى الحالتين المذكورتين إلا أن اصدار الجريدة بعد الثلاثة الشهور أو بعد اعلان قرار وزير الداخلية يعتبر فى حكم اصدارها بغير اخطار أصلا، وظاهر أنه على مقتضى حكم المادة ١٨ المشتملة على هاتين الحالتين يترتب على إلغاء الاخطار رد مبلغ التأمين أو ابراء ذمة الكفيل

أما المواد الباقية من هذا الباب فانها أخذت من المواد ١٥ إلى ٣٣ من قانون سنة ١٩٣١ مع بعض التعديل فى الجزئيات وفى ترتيب الوضع على الوجه الذى اقتضاه المنطق ومع اخراج المادة ١٨ من هذا الترتيب ووضعها تحت « باب العقوبات » مع ما وضع تحته من الجزاءات الأخرى .

وقد ألغى المشروع فى باب العقوبات المذكورة عقوبة الغاء الجريدة التى كان منصوصا عليها فى المادة ١٤ من قانون سنة ١٩٣١ وجعل عقوبة التعطيل لمدة أقصر

طبقا للقواعد التي أخذ بها القانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ كما أنه ألغى عقوبة اقفال المطبعة التي كانت جزاء لمخالفة الاحكام الخاصة برؤساء التحرير أو المحررين المسؤولين أو باصدار الجريدة بدون اخطار أو بناء على اخطار غير صحيح . ولم تبق هذه العقوبة إلا في حالة فتح المطبعة بدون اخطار (ماده ٣٢) اذ أنه توجد مطابع سرية يتعين بسببها تحويل الحكم بالاقفال . لذلك جعلت هذه العقوبة اختيارية مما يجعل للقاضي سلطة واسعة في تقدير ظروف الحال فينسئ له تطبيق هذه العقوبة عند الاقتضاء

وبعد أن كان قانون سنة ١٩٣١ يقضى في حالة الاخلال بأحكام الكفالة بعقوبة الحبس لمدة قد تصل إلى ستة أشهر وبالغرامة من ٢٠ جنيها إلى ٢٠٠ جنية اكتفى المشروع بأن تكون العقوبة مالية فقط من ١٠ جنيها إلى ١٠٠ جنية حتى يكون الجزاء من نوع الجزية

وأخيرا فانه بدلا مما كان يقضى به قانون سنة ١٩٣١ من ضبط أدوات الطباعة في كثير من الأحوال حتى في أحوال مخالفة الاحكام المتعلقة بالمسائل الادارية جعل المشروع هذا الضبط قاصرا على القوالب والأصول « الكليشيات » التي استعملت في الطباعة كما جعله قاصراً على المطبوعات المثيرة للشبهات أو المخلة للآداب

أما مصادرة المطبوعات أو أعداد الجريدة أو القوالب أو الاصول فقد جعلت من اختصاص القاضي وحده .

لهذا تتشرف وزارة الداخلية بعرض مشروع القانون المرافق لهذه المذكرة على هيئة مجلس الوزراء لكي يتفضل عند الموافقة برفعه إلى الاعتاب السنية للتصديق عليه .

* * *

قانونه نظام المحكوم عليهم في جرائم الصحافة

ثم صدر في ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ المرسوم بقانون رقم ٢١ لسنة ١٩٣٦ بشأن نظام المحكوم عليهم في جرائم الصحافة ، بأن جعل عقوبة الحبس البسيط ، أو الحبس مع الشغل ، عن طريق فصل المحكوم عليهم بالحبس

عن بقية المسجونين ، وبأفراد غرفة خاصة لكل منهم ، مع الترخيص
باجتماع بعضهم مع بعض فى اوقات معينة ، وبمنحهم بعض المزايا ،
كالاغفاء من الشغل ، والاطلاع على الصحف .
وهذا نص المرسوم ومذكرته التفسيرية :

نحن قواد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ١١٨ لسنة ١٩٣٥ :
وبناء على ما عرضه علينا وزير الداخلية بالاتفاق مع وزير الحفانية ؛ وموافقة
رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ - تنفيذ عقوبة الحبس البسيط أو الحبس مع الشغل المحكوم بها فى الجنب
الذى ترتكب باحدى طرق العسالة المنصوص عليها فى المادة ١٤٨ من قانون
العقوبات فى أماكن مستقلة عن الأماكن المخصصة للمسجونين الآخرين وتقررد
لكل محكوم عليه غرفة خاصة تجهز بالطريقة التى يحددها قرار من وزير الداخلية.
الأشخاص المحكوم عليهم بهذه العقوبة ينتفعون بالمعاملة الخاصة التى ينتفع بها
المحبسون احتياطيا بمقتضى المواد ٥١ و٥٤ و٥٥ و٥٧ (ثالثا) من مرسوم ٩ فبراير سنة
١٩٠١ بشأن لائحة السجون ويجوز لهؤلاء الأشخاص الاشتغال مع من يوجد معهم
فى السجن من المحكوم عليهم من أمثالهم وكذلك مؤاكلتهم والتريض معهم طبقا
للشروط التى تحددها اللائحة الداخلية ومع عدم الاخلال بما يرى اتخاذه من
التدابير اذا أسئ استعمال هذه المزايا أو اذا قضت بذلك ضرورة النظام

مادة ٢ - فى حالة الحكم بالحبس مع الشغل يشتغل المحكوم عليهم داخل السجن
فقط ويراعى فى اختيار نوع الشغل الذى يفرض عليهم عوائدهم وحالة معيشتهم .
مادة ٣ - يطبق على المسجونين المشار اليهم آنفا أحكام لائحة السجون الا ما

تعارض منها مع المزايا المذكورة فى المادتين السابقتين

ومع ذلك فعلى الوزير أن يستبدل بالجزاءات المنصوص عليها فى المادة ٧٥ من
لائحة السجون الحرمان من تلك المزايا كلها أو بعضها لمدة لا تتجاوز ستة أشهر

مالم تكن ظروف الحال من الخطورة بحيث لا تسوغ ذلك

مادة ٤ - يجوز للحكمة بسبب ظروف الجريمة أن تأمر فى الحكم الصادر

بالعقوبة بعدم تطبيق الأحكام المقررة بهذا القانون
مادة ٥ - لو وزير الداخلية بالاتفاق مع وزير الحفائية أن يمنح المزايا المنصوص
عليها في هذا القانون كلها أو بعضها لكل شخص حكم عليه من أجل جنائية
ارتكبت بأحدى طرق العلانية المنصوص عليها في المادة ١٤٨ من قانون العقوبات
مادة ٦ - على وزيرى الداخلية والحفائية تنفيذ هذا القانون كل فيما يخصه ،
ويعمل به بمجرد نشره فى الجريدة الرسمية
نأمر بأن يصمم هذا المرسوم بقانون بخاتم الدولة وأن ينشر فى الجريدة الرسمية
وينفذ كقانون من قوانين الدولة

مذكرة تفسيرية

على كثير من الدول بتوفير نظام خاص بالمسجونين المحكوم عليهم بسبب الجرائم
السياسية أو جرائم الصحافة والرأى
والنظام الذى يقرره هذا المرسوم بقانون يقضى بفصل المحكوم عليهم فى جرائم
الصحافة عن بقية المسجونين الآخرين وبأفراد غرفة خاصة بكل منهم مع الترخيص
لهم بالاجتماع ببعضهم البعض فى أوقات معينة
وهذا النظام - فضلا عما يقرره من تلطيف للنظام العادى للمسجون كالترخيص
بالمراسلة والزيارة مرة فى كل أسبوع واستحضار الأغذية من الخارج - يقضى
ببعض المزايا كالاعفاء من الشغل واستحضار الجرائد وغيرها من وسائل الترويح
عن النفس (المادة الأولى) كما أن الغرف التى تخصص لهؤلاء المحكوم عليهم سوف
تجهز بحيث تكون أرواح لهم من الغرف المعتادة وذلك طبقا لامتودج يحدده قرار
من وزير الداخلية

وفما عدا ذلك تطبق أحكام لائحة المسجون على هؤلاء الاشخاص ، على أنهم
إذا ارتكبوا جريمة من الجرائم المذكورة فى المادة ٧٥ من لائحة المسجون (الهيجان
والاعمال الاعتسافية والهروب) فيستبدل بالجزاءات المذكورة فى هذه المادة
الحرمان من هذه المزايا كلها أو بعضها لمدة لا تتجاوز ستة أشهر ، وهذا الحرمان
لا يقضى به غير وزير الداخلية ويلغى أن يقضى به ما لم تكن ظروف الحال من
الخطورة بحيث لا تسوغ ذلك فيأمر بتطبيق الجزاءات المنصوص عليها فى المادة ٧٥
من لائحة المسجون

وهذا النظام المقترح يطبق على الأشخاص المحكوم عليهم بالحبس في السجن التي ترتكب بأحدى طرق العلانية المنصوص عليها في المادة ١٤٨ من قانون العقوبات . على أنه يجوز بسط هذا التطبيق على الأشخاص المحكوم عليهم في جناية ارتكبت بأحدى طرق العلانية المشار إليها (المادة ٥ من المشروع والمواد ١٤٨ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٦ من قانون العقوبات)

ولئن صح أن المسلم به عادة هو قصر الانتفاع بنظام خاص للعقوبة على جرائم الرأي دون غيرها ، وأن الجريمة الصحفية ليست ملازمة حتما لجريمة الرأي إلا أن الواقع أن جرائم الصحف تكون غالبا من جرائم الرأي حقيقة أنه قد يكون من بين هذه الجرائم مالا يتضمن التعبير عن رأى معين كنشر المرافعات القضائية المخاطور نشرها ، على أنه حتى في هذه الاحوال قد يكون هناك من الاعتبارات ما يجعل تطبيق نظام السجن العادي أفضى على المحكوم عليهم في هذه الجرائم منه على المجرمين العاديين ، إذ قد لا يكون غير الاندفاع الطائش وراء مقتضيات المهمة سببا في الوقوع تحت طائلة العقاب ؛ كما أن المركز الاجتماعي لهؤلاء الأشخاص وظروف معيشتهم مما يجعل الجمع بينهم وبين المجرمين العاديين في نظام السجن تصرفا قاسيا

وعلى النقيض من ذلك فقد ترتكب بطريق الصحف جرائم هي في موضوعها أشبه بالجرائم العادية نظراً لما تنطوي عليه من دوافع مردولة كما هو الحال في نشر الكتب المثيرة للشهوات مما يمكن أن يدخل في حكم المادة ١٥٥ من قانون العقوبات أو كما هو الحال في القذف في حق الاسر وفي غير ذلك من الجرائم التي وإن عدت من جرائم الرأي لاتدعو لما فيها من مظاهر الاستهتار بالقانون ومن إطلاق لمردول الغرائز إلى التخفيف والتلطيف عند تنفيذ العقوبة

من أجل ذلك يخول المشروع للمحكمة أن تقضى أحيانا بعدم تطبيق ما يوجب أن يكون قضاؤها في ذلك مستنداً إلى الظروف الخاصة بالجريمة . ومؤدى هذا أن يخرج من حساب التقدير كل ظرف خاص بشخص الفاعل اللهم إلا الظروف المتعلقة بالركن الادنى للجريمة

وبهذا يصبح تطبيق هذا النص في مأمن من التقدير المبني على مجرد الرأي لهذا تشرف وزارة الداخلية بعرض مشروع القانون المرافق لهذه المذكرة على هيئة مجلس الوزراء لكي يتفضل عند الموافقة برفعه إلى الاعتبار السنوية للتصديق عليه .

موسم المحاضرات الصحفية

ثم اتجه حفظه الله إلى ترقية الصحافة ، وتثقيف المشتغلين بها ، فأقام لرجال الصحافة وأهل الرأي حفلة شاي بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية مساء يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٣٦ ، وألقى خطابا قيما عن رأيه في الصحافة ، وشرف مهنتها ، وأثرها في تكوين الخلق السياسي ، ونشر الثقافة ، ثم أعلن عن افتتاح موسم للمحاضرات الصحفية ، التي اعتبرها مقامه الرفيع نواة لإنشاء قسم للصحافة في الجامعة المصرية .
وهاهو نص الخطاب :

سادتى الاعزاء

أحييكم ، وأرحب بكم ، وأحمد الله اليكم ، لهذه الفرصة السعيدة حقا ، التي أترقبها في ميل صادق ، منذ أمد طويل ، لما أحمله لرجال الصحافة ، خدام مصر العالمين ، من تقدير واجلال ، ولما أومله من معاوتكم الميمونة المباركة من خدمات ، ببنائية انشائية ، وثقافية تجديدية ، لوطننا العزيز ،

ويحاولون أن تتاح فرصة الاجتماع بحضراتكم لتصل ببعضنا بعضا ، لتبادل الرأي في مختلف شؤوننا الاجتماعية . مادامت الظروف الحاضرة ، والتقاليد السياسية ، تقضى - للمصلحة العامة - بترك الاحاديث السياسية الخارجية ، المتعلقة بالمباحثات الراهنة في طي الكتمان ، ويسرنى دائما ان أفضى اليكم بكل شيء ، من حقكم أن تعرفوا عليه ، لتمكينكم من الاضطلاع بالمسؤوليات الكبرى التي تحملونها ، ولأداء ما في أعناقكم من رسالات اصلاحية (تصفيق)

أرحب بكم ناقدين مستفسرين ، وأرحب بكم من كرام الكاتين

المصلحين ، ذلك لأننى من يرون فى الصحافة الرشيدة برلمانا حرا لتصوير المطالب الأهلية العامة (تصفيق) ، برلمانا حرا لتبيان ما يجيش فى صدور المصلحين المفكرين والباحثين الجريئين ، من آراء ومقترحات ، وانتقادات وتوجيهات ، وكل تحتاج شتى مقومات استقلالنا ، بل كم تتطلب أداتنا الحكومية ومجالسنا النيابية إلى صوت الصحافة الرشيدة ، ليدعم حقاً ، وينير أفقاً ، ويذيع واجباً ، ويثبت نفعاً ، ويصلح أمراً .
(تصفيق)

ليس من شك أيها السادة ان الهيئة الحاكمة تستفيد دوماً من جهودكم الموافقة ، وناضج بحوثكم ، ومتتابع نشاطكم ، الشئ الكثير ، لتتمشى وما لهذا الجيل من تعدد مطالب ، ومختلف أساليب من ضروب التجديد المنشود ، لتسير البلاد فى شتى مرافقها الحيوية ، وآمالها القومية ، جنباً إلى جنب ، مع وثبات القرن العشرين ، فى غير عنف ، ولكن فى غير جمود ، بل فى جرأة المؤمن ، واتقاد الحكيم ، وشجاعة رجل المبدأ والعقيدة ، ويقين المصرى الوطنى المستنير ، وسداد المصلح العملى البصير .
(تصفيق)

الواقع أيها السادة أنكم على حق ، حينما ينادى منادىكم : إن الوطنى فى حاجة ماسة إلى شتى نواحي الإصلاح ، وأظننى على حق أيضاً ، إذا ما أهبت بكم - واتم العدة الصالحة فى نجاح كل اصلاح - إلى التضامن والتآزر ، على رفع مستوى هذه الصناعة الشريفة ، إلى مكائدها السامية ، الخليفة بجليل خدماتها ، المتفقة مع نبيل غاياتها .

وأظننى على حق إذا ما لجأت إلى عناصركم الكريمة الرشيدة ، المؤمنة معنا جميعاً ، بما لصناعتكم الشريفة من حرمة وكرامة (تصفيق)

وبما يجب على المثشف بالانتساب اليها من استمساك بأخلاق
الرجولة ، والجرأة والصدق ، وحمل الأمانة ، ونبالة القصد ، وتحري
الصواب ، وإقامة المعوج ، واليقظة الساهرة فى استقصاء ما ينفع الوطن ،
بالعمل الطيب ، والأثر الطيب ، والقول الطيب « تصفيق »

وأرجو أن تتأكدوا من استعداد الحكومة دائما لتلبية المطالب ،
التي يكون من وراء الأخذ بها اطراد تقدم الصحافة فى مصر ، لتكون
صحافتنا مدرسة ثقافية تعليمية لجميع أفراد الشعب ، لنحققوا غايتكم
النيلة فى تكوين رأى عام مصرى منصف ، متزن مستنير ، وحسن توجيهه
فيما فيه الخير لمصر ولجميع سكان مصر ، من أجاناب ووطنين ، بل
وللإنسانية جميعاً (تصفيق)

سادتى الأعزاء

شئ آخر أحب أن تذكروه حضراتكم جميعا ، وأن تذكروه جيداً ،
وأحب أن يكون لنا سويا بمثابة شعار ودستور ، لنعمل معا فى عقيدة
وإيمان على تحقيقه وتحقيقه دائماً أبداً ؛ ذلك أننا جميعاً - حكومة وصحافة ،
نوابا وشعباً ، حاكمين ومحكومين - أبناء أسرة واحدة يكمل بعضها بعضاً ،
وتكاد تكون مأموريتنا الانشائية واحدة أيضاً .

ولست أشك أنكم ترون معى أن الوطن فى أمس الحاجة الى
تكاتف المصلحين ، تكاتفا انتاجياً ، فى تضحية ، ونكران ذات ، فى عدم
تغال وانتقاص رأى ، وفى افساح مجال لأصحاب المواهب والكفايات ،
للدلاء بما يريدون وبما يؤمنون (تصفيق)

الواقع أيها السادة أن وجوه الاصلاح عديدة ، وحاجات البلاد
عديدة ، وواجبات كل منا عديدة ، وانى لأعتقد انه إذا رسم كل قادر

منا خطته في حدود تلك الدائرة المقدسة - دائرة أداء الواجب - جاعلين الهدف دائما اعلاء كلمة مصر ، وكلمة الحق عن مصر ، لأجل مصر ، وفي سبيل مصر (تصفيق حاد)

أعتقد أيها السادة اننا اذا ما فعلنا ذلك ، فسنعمل - بفضل تعاوننا - إلى تحقيق شيء غير قليل من خير مطرد لهذا الوطن .

والآن أيها السادة الاجلاء ، وقد تفضل كرام شيوخكم ، وأصحاب الرأي من رجال اتكم ، بأن يساهموا في إلقاء بعض المحاضرات ، بما أصابوا من خبرة ومران ، وما نالوا من علم وعرفان ، إيذانا بروح التعاون والتضامن ، فانه مما يلائني غبطة وابتهاجا ، أن أفتتح في هذا اليوم المبارك الميمون - يوم عيد رأس السنة الهجرية - باسم الله الواحد الاحد ، وباسم حكومة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك حفظه الله ، رمز الحريات ، وأمل الوطن ، وخادمه الأكبر (تصفيق حاد) ، وباسم الصحافة الكريمة ، أفتتح موسم المحاضرات الصحفية ، التي سيتلوها قريبا باذن الله وآزر الجميع ، أفتتاح قسم ليلى للصحافة في كلية الآداب بالجامعة المصرية (تصفيق حاد)

ولا يفوتني في هذا الاجتماع - مادمننا في صدد الشؤون الصحفية - أن أشكر لحضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة رؤساء وأعضاء لجان التحكيم في المباراة الصحفية : تفضلهم بقبول هذه الخدمة الثقافية العامة . رعاكم الله جميعا ، وحياكم ، بقدر رعايتكم لما فيه حياة وطنكم ، وبارك الله فيكم ، بقدر عنايتكم بما فيه اليمن والخير والبركة لبلادكم . والسلام عليكم رحمة الله (تصفيق حاد)

كلمات الصحفيين

ثم أعلن حضرة الأستاذ محمود عزمى أسماء شيوخ الصحافة الذين سيلقون كلماتها ،
وكان أولهم حضرة العلامة الجليل الدكتور فارس نمر باشا ،
فاستهل كلامه بأن قال :

إن الصحفيين يعترفون بأنكم أول وزير تقدم لخدمة الصحافة .
وبعد أن أشار إلى أن المغفور له السلطان حسين كان يعطف على
الصحافة ، ويعمل على إنصافها ، قال :

وإن الدرر التي سمعناها من دولتكم في وصف الصحافة وتقديرها
قدرها لما يعين الصحافة على القيام بالمهمة الملقاة على كاهلها .
لهذا كله نقول : لبيك يا دولة الوزير ، فإن الصحافة ستفعل كل ما
تستطيع ، حتى تقوم بالواجبات المفروضة عليها في خدمة هذا الوطن
العزیز .

على أنني لا أريد أن آخذ من وقتكم الثمين أكثر مما أخذت ،
فأكتفى بأن أقول : إن الغرض الذي يجب أن ترمى إليه الصحافة هو أن
تكون صناعة شريفة ، تقوم بواجبات شريفة ، لا أن تكون تجارة .
واختتم الدكتور كلمته بأن أشار إلى ما قاله دولة على ماهر باشا ،
من وجوب تعاون الحكومة والأمة على العمل لغاية واحدة .
ثم قال : وإنى أرجو الله أن يحقق آمال دولتكم .

* * *

ثم تكلم حضرة صاحب السعادة الأستاذ الكبير عبد القادر حمزة
باشا ، فقال :

إنه منذ ثلاث وستين سنة لم تكن مصر قد عرفت من الصحافة

العربية غير جريدة واحدة ، وهى « الوقائع المصرية » ، التى أسسها
المغفور له محمد على باشا قبل ذلك بثلاث وثلاثين سنة ، فلما جاء المغفور
له اسماعيل باشا ، بدت فى البلاد تبشير حركة فكرية قوية ، فلم تمض
سنتان حتى صدرت أول جريدة أهلية مصرية هي « اليعسوب » ، ثم توالى
الصحف حتى زاد عدد ما صدر منها فى ١٢ سنة على ١٥ صحيفة .

إذن فى عهد الخديوى اسماعيل باشا والد جلالة الملك
الحالى ، والآب فى عهد جلالة الملك فؤاد الأول تخطو الصحافة
فى هذا السبيل خطوة واسعة ، فتفك عنها القيود ، ويسن لها قانون خاص
بمعاملة المحكوم عليهم ، وقد لا تمضى أيام حتى تعترف الحكومة
بهيئة تمثلها .

وما دمنا قد ذكرنا الخطوات التى خطتها الصحافة الآن ،
فلنذكر أن دولة على ماهر باشا عرف كيف يحقق بحزم وعزم رغبات
جلالة الملك فى النهوض بالصحافة ، وفعل فى أيام قليلة ما لا يفعله غيره
فى سنين .

ثم قال : إن الصحافة أدت واجبها كاملا منذ ٤ سنة أو أكثر -
رغم أنها لم تجد من الحكومات غير تشجيع قليل ، بل كانت تجد
عكس ذلك أحيانا - فالיום وصاحب الجلالة الملك يوجه إليها تشجيعه ،
ووزيره ينفذ هذا التشجيع ، لا يرتاب إنسان فى أنهما سيضعان الشئ فى
موضعه ، ويزرعان نباتا صالحا ، ولا يسع الصحافة إلا أن تسدى للملك
والوزير شكرها الخالص ، ولهما عند الله والوطن جزاء ما قدما من خير .

* * *

ثم ألقى حضرة الفاضل الأستاذ حسين فتوح بك - رئيس تحرير كوكب
الشرق إذ ذاك - كلمة حضرة الأستاذ أحمد حافظ عوض بك ، الذى لم

يمكن من حضور الحفلة لأسباب صحية ، وقد قال فيها : إن هذه الحفلة في نظري أول اعتراف ، وتكريم وتقدير من جانب الحكومة القائمة للصحافة ورجالها ، بعد أن طال العهد بين الحكام والصحافيين على الشكوك وسوء الظنون ، وضآلة التقدير والاحترام من جانب الحكام للصحفيين الذين كرسوا حياتهم لخدمة وطنهم من طريق هذه الصناعة ، ولتقوا في سبيل ذلك من عنت وقلة تقدير وسوء معاملة ، بل واضطهاد ، مصحوبا بذلك كله بأذى في كل ما يتصل بحياتهم ومعاشهم ، وتضييق دائرة نجاحهم ، حتى لم نر جمعا كبيرا من الصحفيين المصريين الذين عرفناهم ولحقوا بجوار ربهم من تركوا الأولادهم من بعدهم مالا أو معاشا ، كالذي يتركه أندادهم في الذكاء والمنذرة والنبوغ ممن سهلت لهم سبل الحياة في وظائف الحكومة أو غيرها من المهن الحرة الأخرى .

والمتقدم اليوم براية الاعتراف بهذا الحق المعضوم ، في جميع ماتقدم من الأعوام ، هو ذلك البطل الذي يدوس أشواك سوء الظنون ، ويتخطى أسوار الخلافات ، ويمد يده ومعونته ، وهو في مركزه العالي ، لرجال هذه المهنة في جهادهم ونضالهم ، ولا أكون مبالغا إذا قلت : وفي إفساء حياتهم كما يقوموا بواجباتهم ، صاحب هذه اليد الجريئة البيضاء ، وهذه الهمة الغريبة النادرة الفعساء ، هو رئيس الوزارة الحاضرة على ماهر باشا ، ولا غرابة في أن يكون أول رافع لهذا العلم في وسط هذا المعترك المتنافض المصالح والأهواء ، فتي من فتيان هذه النهضة الحديثة ، التي له فيها تاريخ مشكور ، وفضل معروف غير منكور - ولقد كان من الطبيعي ، وأنتم ترون اهتمامي بتقدير هذا الاجتماع ، أن يسوئني ، ويؤلمني أكثر من إساءة المرض وألمه ، أنني لم أستطع شهود هذا الاجتماع التاريخي ، الذي أرجو أن ينمو خيره ، ويظهر أثره ويكثر ثمره - إن من أول

والزم ما يلزم لهذه الصحافة المصرية ، لتؤدي واجبها على تمام الكمال ، هو أن تكون مستقلة بمواردها ، وقوية بنفسها ، لترفع شعلة الحق ، ولتسير بها طريق الأمة غير محتاجة لتمليق الدهماء .

* * *

وبعد أن انتهى الأستاذ حسين فتوح بك من إلقاء هذه الكلمة ، أشار إلى موقف صاحب الدولة على ماهر باشا في لجنة الدستور سنة ١٩٢٢ - وكان يومئذ صاحب العزة على ماهر بك - في الحرص على حرية الصحافة ونضاله في هذا السبيل ، وأن الفضل يرجع إليه في المبدأ الذي ينص على أن الصحافة حرة في حدود القانون

* * *

ثم صعد المنبر شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران بك (بعد أن قدمه حضرة الدكتور محمود عزمى بعبارة لطيفة قال فيها : إنه يقدهه إلى الحاضرين لأنه صحفي ولو كره) فألقى قصيدة من شعره الجزل الرصين، كانت تقاطع أبياتها بالتنصيف والاستحسان ، وها هي :

لك في ارتجال جلائل الهمم	ما عز لو نبغيه في السكلم
حتى كأن نجاز موعدها	بعض العهود عليك والذمم
ولقد تبیت مبرحا بك من	ألم ولا تشمكو من الألم
وسواك يسممه الكفاح وما	بك في كفاح الدهر من سأم
لله ما أحدثت من غرر	طاب الحديث بها لكل فم
أضحت صحافتنا تتيه على	أخواتها في أرفع الأمم
أيديها تأييد ذي ثقة	من نفسه بالحق معتصم
كم خاف صولتها فغللها	باغ إلى أن باء في ندم
ذات الجلالة ليس ضائرها	مر السحاب وظل محتكم

تاريخها في مصر منذ نشأت
أفدح بما عاتته صابرة
هي نورت أذهان أمتها
هي أيقظتها بعد طول مدى
هي علمتها ما الحياة وما
هي باليراعة والصحيفة قد
فاليوم أنصفها وأيدها
فن بأن تعزز دولته
شرفا على فما فتئت على
لا تطرق الإصلاح عن عرض
أعددت للمستور عدته
عجلا إلى الغايات تطلبها
حرم لعزة مصر ترفعه
أن يبلغ الصيد مأربه
الداخلية دوحة هرمت
جددتها والخير أجمع في
فضمنت صحتها مشددة

تاريخ جهد غير منفصم
من مرهق المثلات والنقم
إذ كانت الأذهان في ظلم
من هجعة كانت بلا حلم
يوحيه مجد النيل والهرم
أغنت غناء السيف والعلم
علم ، رعاه الله من علم
وبأن يلقب ناصر القلم
عهد الشجاعة فيك والشمم
بل تطرق الإصلاح من أمم
ولوا حظ الأحقاد لم تتم
بمضاء لا وان ولا يرم
وأساسه متخصل بدم
ممن يلوذ بذلك الحرم
وذوت نصارتها على الهرم
تجديد ما أعى من القدم
وأزلت ما استعصى من السقم

اجعل ثقاتك للفرى حكما
قدس القضاء رجعت فيه إلى
تبغى صيائته وترفعه
لا تبق في نفسه اضطلعت
كشف المظالم لا يرام إذا

* * *
وابسط مجال البت للحكم
ذكر العليم وخبرة الفهم
شأنا الى العليا من القمم
من حاجة تعدل وتستقيم
مارمته من كف مهتضم

تلك القوانين التي افترقت في كل شعب غير ملتئم
شئت الشام شعابها ولما تبغيه سر غير مكتم
بل حكمة أن يستشف مدى غاياتها من أبلغ الحكم
قلتم الاستقلال مدرجة هي وحدة التشريع والنظم

نعم المولى والزمان رضا هذا الأبى الطاهر الشيم
لبق بلا مذاق ولا ملق سمح بلا ريب ولا نهم
إن تتدببه تجده منتدبا أبدا لكل مبرة عمم
أو تدعه للرأى تلف له فيه جلاء الصارم الخدم
عجز البيان وقد هممت به عن أن يحيط بذلك العظم
هيات يبلغنى المرام وما أنأى مناط الشمس أن يرم

شكر الصحافة

ولقد رأيت الصحافة أن تشكر لمقامه الرفيع ما أظهره من الاعتراف
بحقوقها، والعناية بأمرها، فتألف لهذا الغرض وفد من حضرات أصحاب
السعادة والعزة الأساتذة الدكتور فارس نمر باشا وعبد القادر حمزة باشا
وانطون الجليل بك وحافظ عوض بك وعبد الرحمن فهمى بك (١)، فقابلوا
مقامه الرفيع صباح الاثنين ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦ في رئاسة مجلس
الوزراء، وأعربوا له عن شكر الصحافة، وتحدثوا معه في القانون الذى
تنتظره، للاعتراف بهيئة تمثلها، فأعلنهم أنه محل عناية، وأنه سيصدر
إن شاء الله قريبا، وقال: إنه يستصوب أن تكون الخطوة التى تخطى
الآن فى هذا السبيل تمهيدا لخطوة ثانية تستكمل فيها الهيئة الممثلة للصحافة

(١) كان يرأس تحرير جريدة «روز اليوسف» اليومية إذ ذاك

كل سلطتها ، فوافقه الوفد على ذلك شاكرًا مقدرا ، ثم دعوه الى حفلة شاي يقيمونها لمقامه الرفيع ، اعترافا بفضله ؛ فاعتذر قائلا : إنه لم يفعل للصحافة شيئا سوى أن أعطاهما حقها ، باعتبار أنها جزء من كل يجب أن تتعاون أجزاؤه جميعا ، ليتحقق النجاح للعاملين والخير للبلاد ، فقال الوفد : ولكن الصحفيين يعتبرون أنفسهم مقصرين ؛ إذا هم لم يكرموا الرجل الذي أعطى للصحافة هذا الحق ، فقال : إنه حينئذ يقبل الدعوة ، حتى لا تكون عندكم شبهة التقصير .

وترك الوفد لمقامه الرفيع تحديد اليوم الذي تقام فيه الحفلة ، ولكن توالت الحوادث السياسية ، ثم وفاة المغفور له جلالة الملك فؤاد ، لم تدع لمقامه الرفيع وقتا لهذه الحفلة .

* * *

المحاضرات الصحفية

ألقيت تسع محاضرات صحفية (١) بدار الجمعية الجغرافية الملكية من حضرات الأساتذة عبد القادر حمزة باشا ، وأمين سعيد ، والدكتور محمود عزمى ، وأميل زيدان بك ، وأنطون الجميل بك ، وسليمان فوزى ، وفؤاد صروف ، ومحمد مسعود بك ، وحسين شفيق المصرى ، وكانت دار الجمعية تحفل بمجموع من رجال الأدب والقلم والكبراء ، يتقدمهم حضرات أصحاب السعادة أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة المصرية ، وأحمد مختار حجازى باشا (وكيل الداخلية اذذاك) ، والدكتور منصور فهمى بك عميد كلية الآداب وقتئذ ومدير دار الكتب الملكية الآن ، ورؤساء تحرير الصحف ومحرريها من الرجال والسيدات ، وعدد غير قليل من طلبة العلم ، لسماع المحاضرات .

(١) نشرت التسع المحاضرات فى نهاية قسم الصحافة

وكانت آخر محاضرة مساء ٧ مايو سنة ١٩٣٦ . ثم أوقفت المحاضرات
عقب استقالة الوزارة .

تدريس الصحافة في الجامعة المصرية

وبلغ من عناية مقامه الرفيع برفع مستوى الصحافة ، والعمل على
ترقيتها ، وتمكينها من أداء رسالتها الاجتماعية والثقافية والسياسية في
البلاد ، أن اهتم حفظه الله بتحقيق ما وعد به في حفلة افتتاح موسم
المحاضرات الصحفية ، وهو إعداد قسم ليلي للصحافة في كلية الآداب
بالجامعة المصرية ، وقد أعد - بأمر من مقامه الرفيع وبارشاده -
برنامج أولى لمشروع مدرسة الصحافة والمحاضرات الصحفية : ثم
أرسل إلى وزارة المعارف لدرسه ، والعمل على تنفيذه .
وهذا هو البرنامج :

الغرض الثقافي العام

كل برنامج يعد لمدرسة الصحافة يجب أن يشمل على ناحيتين من الدراسة :
الأولى - دراسة ثقافية عامة في الفنون والعلوم .
الثانية - دراسة فنية خاصة بأساليب الصحافة ونواحيها .
والغرض العام هو تخريج شبان وشابات على جانب وافر من الثقافة يمكنهم من :
(١) فهم ما يحدث في بلادهم وخارجها فهما دقيقا وتقديمه لقراء صحفهم في
أسلوب ساذج (٢) تجهيزهم بما يلزم من المعرفة لتنظيم إدارات الصحف وتدير
شؤونها العملية والمالية .

الناحية الثقافية

اللغات الحية :

المشتغل بالصحافة في مصر يحتاج إلى إجادة لغة واحدة على الأقل من اللغات
الحية ، ويحسن أن تكون الانجليزية أو الفرنسية ، مع الإلمام بلغة أخرى .
فالصحافة العربية تعتمد - في جانب غير يسير من مرادها - على النقل من اللغات
الأوربية وخاصة الانجليزية والفرنسية ، فالبرقيات العامة ، من شركتي روتر
وهافاس ، والبرقيات الخاصة من المكاتبين الخصوصيين ، تصل إلى الصحيفة المصرية

باحدى هاتين اللغتين . ثم هناك تلخيص مقالات تنشر فى الصحف الأوربية تتعلق بشؤون مصر السياسية ، أو لها ميزة أو فائدة خاصة للقراء ، ولا بد للصحفى المصرى من أن يتصل بالعناصر الأوربية فى البلاد أثناء تأديته مهمته ، فيجب أن يكون مجيداً لاحدى اللغتين وملماً بالآخرى كي يحسن التفاهم مع الأوربيين ومقابلة كبارهم وعظمائهم .

الترجمة :

يجب أن يكون الصحفى المصرى ممن يحسن الترجمة من اللغات الأوربية إلى العربية ترجمة سريعة سائغة دقيقة .

علم السياسة :

من ناحية فلسفة نشوء الدولة باختصار .

من ناحية النظم السياسية والدساتير المقابلة فى مختلف الأمم بترسيع . وهذا يشمل تاريخ تطور النظم السياسية وأقطابها ، وفى كل يوم يجب بالبرقيات العامة ذكر لناحية من هذه النواحي فى حياة الأمم السياسية ، ولا يستطيع المترجم أن يحسن الترجمة إلا إذا كان فاهماً ما يقتضيه الدستور أو النظام السياسى فى أمة ما من العمل فى حالة خاصة ، وعارفاً أهم أقطابها ، وملماً بالمعلومات اللازمة له من غير توان أو تأخير .

علم الاقتصاد :

إن نشوء نظريات الحكم الجديدة - الاشتراكية والشيوعية والنقابة - وقيام حكومات كبيرة على أساسها يجعل دراسة الاقتصاد من الناحية السياسية - فضلاً عن الناحية الثقافية العامة - ضرورة لكل صحفى .

ثم هناك جميع ما يتعلق بالنقد والذهب والتجارة الدولية والحواجز الجمركية والتبادل على أساس الحصص والمعاهدات التجارية الخ

علم القانون :

فهم القانون الدولى ، والمعاهدات القائمة ، وكيف تفسر ، والقواعد الأساسية التى نهض عليها القانون الدولى ، وتطورها بنشوء فكرة السلام الجماعية ، وقيام جامعة الأمم ودستورها وملحقاتها ، ومحكمة العدل الدولية ، وحقوق الدول فى الحرب والسلم وحقوق المحايدين الخ

علم الاجتماع ، علم النفس ، مبادئ العلوم ، التاريخ ، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، أصول الآداب والفنون والنقد الأدبي والفني :

وهذه علوم لا بد أن تشمل عليها الناحية الثقافية العامة من دراسة الصحافة ، لأنها تمكن المثقف من فهم ما قد يعرض له أثناء تأديته لمهنته ، كقابلية عالم معين ومبادئه ، ويجب توجيه النظر خاصة إلى التاريخ الحديث والجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لأن المشكلات التي تعرض للصحفي إذا كانت تتعلق بالتاريخ الحديث أو الجغرافيا ، فهي في الغالب تحتاج إلى سرعة النظر ، ويجب الامام بشؤون العالم في المائة السنة الأخيرة من نواحي التاريخ السياسي والاقتصادي والجغرافيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لأن هذا من الضرورات القصوى.

المشكلات السائدة الآن :

ويحسن اتساع المجال لدراسة بهذا العنوان تتناول في خلال ثلاث سنوات . بحيث يتاح للفصل الواحد تدبها سنة فسنة إلى أن ينتهي ، فيتناول الاستاذ خلال سنة واحدة مثلاً . موضوع جامعة الأمم والمشكلات التي تدور حولها ، وفي سنة أخرى يتناول هو أو غيره المشكلات الخاصة بالشرق الأقصى ، وفي سنة ثالثة مشكلات الشرق الأدنى وما يتصل بها من تاريخ تطور الاستعمار وبواعثه ونتائجه وهكذا .

الناحية الفنية الصحفية

- ١ - تاريخ الصحافة بوجه عام ، وتاريخ الصحافة العربية بوجه خاص .
- ٢ - الخبر وعمله : الصفات الأساسية التي يجب أن يتصف بها . ارتفاع قيمة الأنباء في الصحافة الحديثة . ماهي العناصر التي تجعل لحادثة دون غيرها قيمة كنبأ يهم الجريدة . كيف يجب أن تكتب مقالات الأنباء . استهلال المقال وعناصره . صلب المقال . مميزات الكتابة الصحفية الانبائية .
- ٣ - مصادر الأنباء في مصر : السياسية ، القضائية ، البوليسية ، الخارجية ، الاجتماعية .
- ٤ - الافتتاحية : قيمتها . كيف تكتب . الغرض منها . فصلها من قسم الأخبار أو فصل قسم الأخبار عنها للحفاظ على النزاهة في سرد الوقائع .
- ٥ - الاعلانات : اعتماد الصحافة عليها . فلسفة الاعلان . الاعلان ونفسية

الجمهور . صلة الاعلان بالمصانع والمتاجر . ما يتعلق بالاعلانات من الأعمال الفنية كحفر الصور والتصوير والرسم وتصحيح التجارب .

٦ - الصحافة والجمهور : الصلة بالقانون . ما يجوز نشره وما لا يجوز قانونا . قانون الصحافة . الصحافة وقانون الجرائم . الانباء وملكيته . القذف . الخ الصلة بالحياة العامة - أو الصحافة والحياة الادبية . تبعة الصحافة الادبية

٧ - الصحافة من ناحية الاخراج : الحروف وصفها وجمعها . المطابع وعملها . مراقبة اعداد الجريدة للبيع من حين تقديم الكتابة إلى حين العرض في السوق . تصحيح التجارب . أصناف الورق والحبر والمفاضلة بينها . الحفر والتصوير . نفقات الطبع .

٨ - فنون توضيب الصفحات، وكتابة عناوين المقالات، واعداد العبارات الأولى منها
٩ - ادارة الصحف : مصادر الدخل . نفقات النشر . توزيع النفقات بين الادارة والتحرير وقسم الاعلانات وايجاد رابطة بينها بواسطة مدير عام . تقسيم العمل بين التحرير والادارة والاعلانات . التوزيع ووسائل زيادته . العمال وأجورهم . الاشتراكات وتحصيلها ومتابعتها وزيادتها .

* * *

نظام جمعية الصحافة

على أن هذه الجهود الجليلة ، التي بذلها مقامه الرفيع في سبيل الصحافة ، لم تكن ترضى تمام اهتمامه بها ، ورغبته الصادقة في مساعدتها على النهوض بمسئوليتها أمام الرأي العام .

فأتبع مقامه الرفيع قانون المطبوعات ، وقانون نظام المحكوم عليهم في جرائم الصحافة ، بمرسوم باعتماد نظام جمعية الصحافة في ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦ .

فلقد كان حفظه الله يرى أن تكون الصحافة في مصر هيئة لها شخصيتها الكاملة ، وانها جديرة بالمساعدة اللازمة لبلوغ الغاية السامية

من وجودها ، فبحث في تنظيمها بمصر : واعترف بالهيئة التي تمثلها
اعترافا رسميا عن طريق اصدار المرسوم الآتى نصه :

نحن فؤاد الأول ملك مصر
بعد الاطلاع على نظام جمعية الصحافة ،
وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، ومرافقة رأى المجلس المشار اليه ،
رسمنا بما هو آت :

- مادة ١ - يعتمد نظام جمعية الصحافة المرفق بمرسومنا هذا .
مادة ٢ - على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ مرسومنا هذا .
صدر بمرأى القبة فى ٢٨ محرم سنة ١٣٥٥ (٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦)

نظام جمعية الصحافة

الجمعية وأغراضها

مادة ١ - تتألف جمعية الصحافة من ينضمون اليها وفق أحكام هذا النظام
ويكون مقرها مدينة القاهرة .

والصحف فى أحكام هذا النظام هى المطبوعات الدورية بكل أنواعها .
مادة ٢ - أغراض الجمعية :

- (١) العمل على رفع شأن الصحافة والمحافظة على كرامتها .
- (٢) السعى للاعتراف بحقوق الصحافة والصحفيين وتحقيق ما يجب لها ولهم
من المزايا .
- (٣) تنمية روح الاخاء والتعاون بين الصحفيين وتسوية ما بينهم من المنازعات
المتعلقة بالمهنة .

(٤) تنظيم علاقة الصحافة والصحفيين بالحكومة والجمهور .
مادة ٣ - لا يجوز للجمعية التعرض للمسائل السياسية أو المسائل الطائفية والدينية
ولا القيام بأى عمل خارج عن نطاق الأغراض المبينة فى المادة الثانية .

أعضاء الجمعية

مادة (٤) - أعضاء الجمعية عاملون ومشترون وفخريون .
فالعضو العامل هو من يقرر مجلس الادارة قبوله بعد أن يفحص طلب انضمامه
ويتأكد توافر الشروط الآتية فيه :

(أولاً) أن يكون مصرياً .
(ثانياً) ألا تقل سنه عن الحادية والعشرين .
(ثالثاً) ألا يكون قد صدرت عليه أحكام فى جريمة من الجرائم المحلة بالشرف
(رابعاً) أن يكون حسن السيرة .
(خامساً) أن يكون حاصلًا على شهادة دراسة عالية من مصر أو من الخارج أو
أن يكون على درجة من الثقافة تلائم مهنة الصحافة .
(سادساً) أن يكون صاحب صحيفة أو ممثلاً له أو محترفاً للصحافة .
(سابعاً) أن يزكى طلب انضمامه اثنان من أعضاء مجلس إدارة الجمعية .
(ثامناً) أن ترفق بطلب انضمامه قيمة رسم الدخول فى الجمعية .
مادة ٥ - رسم الدخول فى هذه الجمعية جنهين والاشتراك السنوى للعضو العامل
جنهين .

وللأعضاء العاملين الذين سددوا اشتراكهم حق التمتع ، بحسب الأحكام
المقررة ، بما يمنح للصحفيين من المزايا .
مادة ٦ - الأعضاء المشتركون هم الأعضاء العاملون الذين ينقطعون عن مزاولة
عمل الصحافة ويوافق مجلس إدارة الجمعية على استمرار انضمامهم بها .
ورسم الاشتراك السنوى بالنسبة لهم ثلاثة جنهيات .
والأعضاء الفخريون هم من يمنحهم مجلس الإدارة هذه الصفة لمساعدتهم الجمعية
مساعدة ذات شأن .

إدارة الجمعية

مادة ٧ - يدير شؤون الجمعية مجلس إدارة مؤلف من اثنى عشر عضواً تنتخبهم
الجمعية العمومية بالاقتراع السرى لمدة سنتين يجوز إعادة انتخابهم بعدهما .
ويتجدد نصف أعضاء المجلس المذكور كل سنة .
ويكون إخراج نصف أعضائه بعد نهاية السنة الأولى بالاقتراع .
مادة ٨ - يشترط فى عضو مجلس الإدارة أن يكون صاحب صحيفة أو ممثلاً
له أو مديراً لسياستها أو رئيساً لتحريرها أو لتحرير قسم منها أو محرراً ذا شأن
فيها ، وتبلغ إدارة كل صحيفة الجمعية قبل أول أكتوبر من كل سنة بيان من
تنطبق عليهم هذه الأوصاف .
ويجب أن يشتمل المجلس على ستة من أصحاب الصحف أو ممثلهم .

مادة ٩ - يختار المجلس من بين أعضائه كل سنة رئيسا ووكيلين ومسكر تبرا وأميناً للصندوق ، وتتألف من هؤلاء اللجنة التنفيذية .

مادة ١٠ - ينتخب المجلس من بين أعضائه كل سنة لجنة تؤلف من ثلاثة يعمد إليها بالنظر في الخلافات المتعلقة بالمهمة التي تقع بين أعضاء الجمعية لتسويتها .
وتتظر اللجنة في هذه الخلافات بناء على طلب أحد المتنازعين أو أحد أعضاء مجلس الإدارة أو على قرار من المجلس .

ويجوز للمتنازعين أن يختار كل منهما عضوا من أعضاء الجمعية ليكونا مع ثالث يختاره مجلس الإدارة لجنة تتولى الفصل في النزاع .
وفي الحالتين يجب على الطرفين احترام القرار الذي تصدره اللجنة ؛ فإذا أبقى أحدهما الادعاء له عرض الأمر على مجلس الإدارة ليقرر ما يراه في تنفيذ القرار أو في شأن العضو .

مادة ١١ - يعقد مجلس الإدارة مرة في كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس؛ وتعقد اللجنة التنفيذية مرتين في الشهر بدعوة من الرئيس كذلك .
ويجوز انعقادها فوق ذلك كلما دعت الضرورة بدعوة من الرئيس أو إذا طلب ذلك ثلث أعضاء كل منهما كتابة .

ويصح انعقاد مجلس الإدارة بخمسة أعضاء واللجنة التنفيذية بثلاثة .
مادة ١٢ - يختص مجلس الإدارة بالنظر في طلبات الانضمام إلى الجمعية وتقرير عضويتها وإدارة أموالها ، وتختص اللجنة التنفيذية بالنظر في الأمور المستعجلة وفيما يحيله إليها مجلس الإدارة من شؤون .

وتصدر قرارات كل من الهيئتين بكثرة الأصوات المطلقة في الشؤون العادية؛ وعند تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي فيه الرئيس .
وتصدر القرارات الخاصة بقبول طلبات الانضمام وفصل الاعضاء بكثرة الثلثين .

مادة ١٣ - إذا خلا محل أحد أعضاء المجلس بسبب الاستقالة أو الوفاة أو بأي سبب آخر يقوم مجلس الإدارة مؤقتا بتعيين من يحل محله ويعرض أمره على أول جمعية عمومية تعقد بعد التمهين .

وتنقضي مدة العضو الجديد في الميعاد الذي كانت تنتهي فيه مدة العضو السابق .
مادة ١٤ - يرأس الرئيس جلسات مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية والجمعية

العمومية ويضع جدول أعمال الجلسات ويوقع المحاضر ويشرف على تنفيذ القرارات ويوقع جميع المكاتبات والمستندات الخاصة بأعمال التصرف والادارة التي يقرها المجلس ويمثل الجمعية عند التقاضى أمام المحاكم .

مادة ١٥ - في حالة غياب الرئيس أو وجود مانع من حضوره يحل محله في اختصاصاته المهينة في المادتين ١١ و ١٤ أقدم الوكيلين، وعند التساوى في الاقدمية أكبرهما سناً .

مادة ١٦ - يتولى أمين الصندوق تحصيل الاشتراكات والمبالغ الأخرى المستحقة للجمعية ودفع المبالغ المستحقة عليها وإيداع مالى الجمعية من النقود في مصارف القاهرة التي يعينها المجلس .

مادة ١٧ - يؤدى أعضاء مجلس الادارة واللجنة التنفيذية وظائفهم مجاناً .

الجمعية العمومية

مادة ١٨ - تؤلف الجمعية العمومية من الاعضاء العاملين والاعضاء المشتركين المسجلين اشتراكهم وحدهم ، وتنعقد عادياً بدعوة من مجلس الادارة في الأسبوع الاول من شهر ديسمبر من كل عام للنظر في تقرير مجلس الادارة عن سير الجمعية وعن حساباتها السنوية وفي اقتراحات الاعضاء .

وتختص وحدها بالنظر في فصل الاعضاء الذين يصدر عنهم ما يمس شرف المهنة أو كرامة الجمعية من غير أن يحول ذلك دون فصلهم بصفة عاجلة بقرار مؤقت يصدره مجلس الادارة مشمولاً بالنفاذ حتى يعرض على الجمعية العمومية لاقراءه أو الغائه في أول جلسة تلى صدور القرار .

ويجوز انعقادها بصفة غير عادية في غير الموعد المقرر لاجتماعها العادى بدعوة من مجلس الادارة من تلقاء نفسه أو بناء على طلب يقدمه ثلاثون من الاعضاء العاملين .

مادة ١٩ - لا يصح انعقاد الجمعية العمومية في اجتماعها الاول الا إذا حضرها ثلثا الاعضاء ، فإذا لم يتكامل العدد أجل الاجتماع إلى موعد آخر يصح انعقاده بمن يحضره من الاعضاء .

وتصدر قرارات الجمعية العمومية بكثرة الأصوات المطلقة للأعضاء الحاضرين في التثويون العادية وبكثرة الثلثين في حالات فصل الاعضاء .

مادة ٢٠ - لا يجوز ادخال أى تعديل على هذا النظام إلا بموجب قرار من

الجمعية العمومية يصدر بناء على اقتراح من مجلس الادارة وتصدق عليه الحكومة .
ويكون صدور القرار المذكور بكثرة ثلثي الأصوات .
مادة ٢١ - تدون مداوالات وقرارات مجلس الادارة واللجنة التنفيذية والجمعية
العمومية في محاضر يضع عليها كل من الرئيس والسكرتير امضاءه .

أموال الجمعية

مادة ٢٢ - تودع أموال الجمعية المكونة من رسم الدخول والاشتراكات
والתרعات في أحد المصارف باسمها ولا يسحب شيء منها إلا بقرار من مجلس
الادارة واللجنة التنفيذية ، وتوقع صكوك السحب من الرئيس وأمين الصندوق معا .

صندوق التعاون

ماده ٢٣ - تنشئ الجمعية لأعضائها صندوق تعاون يضع مجلس الادارة لائحته
ويعرضها على أول جمعية عمومية للتصديق عليها .

اللائحة الداخلية ونادى الجمعية

مادة ٢٤ - يضع مجلس الادارة لائحة داخلية للجمعية؛ ومتى أنشئ لها ناد يضع
المجلس له نظاما خاصا ، وتعرض اللائحة الداخلية للجمعية ونظام النادى على الجمعية
العمومية في أول انعقادها .

حل الجمعية

مادة ٢٥ - لا يجوز حل الجمعية إلا بمقتضى قرار من الجمعية العمومية تصدره في
اجتماع يعقد خصيصا لهذا الغرض .
ويكون صدور القرار المذكور بكثرة ثلثي الأصوات .

مادة ٢٦ - للحكومة دائما بمقتضى قرار من مجلس الوزراء أن تأمر بحل الجمعية
إذا خالفت أحكام المادة الثالثة .

مادة ٢٧ - تقرير مصير أموال الجمعية عند حلها يكون بقرار يصدر من الجمعية
العمومية بكثرة الثلثين وتصدق عليه الحكومة ، وإذا امتنعت الجمعية عن اصدار
هذا القرار ، أو اذا لم تصدق عليه الحكومة؛ أو إذا كان الحل حاصلا على مقتضى
نص المادة السابقة ، توزع تلك الاموال بمقتضى قرار من وزير الداخلية؛ في سبيل
اعانة المعوزين من الصحفيين أو عائلات المتوفين منهم ، والا للجمعيات القائمة
بأعمال خيرية أو علمية ..

ولم يأل مقامه الرفيع جهدا في معاونة الصحافة ، معاونة مادية ، فأصدر أمره الكريم بتحويل ماتبقى من المبلغ الذى كان مقررأ للجوائز في المباراة الصحفية الأدبية إلى بنك مصر على ذمة صندوق تعاون جمعية الصحافة ، فكان هذا المبلغ حينذاك ١٢٣٠ جنيها ، ثم سحب منه بعد استقالة وزارة مقامه الرفيع خمسمائة جنيهه قيمة ماكان قد أخذ من مبالغ المراهات ، وخمسمائة وخمسون جنيها جوائز لثلاثة موضوعات لم تكن لجانها قد انتهت من بحثها ، وكان الباقي إلى نهاية يوليه سنة ١٩٣٨ مائة وثمانين جنيها ، ولست أدري ماتم بشأن هذا المبلغ

* * *

الامتيازات الصحفية

ثم اتجه مقامه الرفيع إلى بحث موضوع الامتيازات الصحفية في مصر والخارج ، لمنح الصحافة المصرية امتيازاتها كاملة على النحو المتبع في أرقى البلاد الأوربية .

السلفيات الصناعية

ولما كانت ميول مقامه الرفيع نحو الصحافة ، هى ميول صادقة لافادتها ، وتذليل مايعترض سبيل هذه الصناعة الشريفة من العقبات . ولما كانت وزارة المالية قد قررت مبدأ السلفيات الصناعية ، على أساس إمداد التاجر المصرى والصانع المصرى بسلفيات صناعية ، يتولى بنك مصر - بعد تحرياته ، واتصاله بوزارتى التجارة والمالية ، وأخذه ضمانات عقارية أو غيرها - الاقراض بفائدة ٤ فى المائة وعلى مدد طويلة للراغبين فى زيادة رؤوس أموالهم ، واتساع دائرة أعمالهم ،

امدادا لهم بما يحتاجون اليه ، وتشجيعا لهم فيما يرومونه من اطراد التقدم وتحسين الحال ، وذلك أخذا بالنسبة الاصلاحية الانشائية في تثبيت النهضة الاقتصادية الصناعية ، وتوطيد أركانها ، وتدعيم أسسها .

ولما كانت الصحافة ، باعتبارها من الصناعات الانشائية الشريفة ، فضلا عما تؤديه للبلاد من خدمات لا يستهان بها ، جديدة بأن تنظم في سلك الصناعات التي تعاونها الحكومة بالسلفيات الصناعية ، ليتمكن القائمون بها من ادخال تحسين جوهرى في آلات الطبع والسبك والاخراج .

فقد تكرم حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا في مارس سنة ١٩٣٦ - بعفته وزيرا للداخلية إذ ذاك - بالكتابة إلى وزارة المالية لتخصيص مبلغ كبير من السلفيات الصناعية لباب تقديم الصناعة الصحفية في مصر ، وتقرير استفادة الصحافة من السلفيات الصناعية .

تليفونات الصحف

ثم اتجهت نية مقامه الرفيع الى مضاعفة آلات التليفون التي تمنح للصحف - تسهلا لها على أداء مهمتها - بدون زيادة في القيمة التي تحاسب عليها . وزارة الداخلية ، وذلك بالاتفاق مع وزارة المواصلات على أن يكون لوزارة الداخلية الحق في أن تمنح بالقيمة التي تدفعها ضعف عدد التليفونات الممنوحة لبعض الصحف ، بمعنى أن تعفى وزارة الداخلية من دفع نصف الاشتراك ، حتى يستطيع منح الصحف المحرومة من هذا الامتياز ، وأن تعتبر المكالمات التي تزيد على العدد

المحدد مجانية ، وأن توضع أجور خاصة للمكالمات الخارجية «الترنك»
وقد أمر حفظه الله بالكتابة إلى وزارة المواصلات في ذلك في شهر
فبراير سنة ١٩٣٦ ، ثم قرر مجلس الوزراء في ٢٧ فبراير «قبول مبدأ جعل
اشتراك تليفوني بنصف أجرة للصحف على أن يطبق ذلك على المكالمات
المحلية الداخلية »

ثم كتبت وزارة الداخلية إلى مصلحة التليفونات لاعفاء أصحاب
الصحف من دفع قيمة المكالمات الداخلية ، الزائدة الصادرة عن التليفونات
المجانية الممنوحة لهم على حساب وزارة الداخلية ، وذلك على سبيل
المساعدة للصحافة ، ولكن مصلحة التليفونات رأت استمرار العمل
بالقوانين الموضوعة ، وعدم اجراء أى تغيير .

السفر بالسكك الحديدية

تصرف ادارة المطبوعات لأصحاب الصحف والمحررين استثمارات
سفر بنصف القيمة ، ولكن حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا
أمر في فبراير سنة ١٩٣٦ بأن يكتب إلى وزارة المواصلات برجاء أن
تصرف لادارة المطبوعات دفاتر اشتراكات أو استثمارات بربع القيمة
كالتى تصرف عادة لرجال الدين ، وأن تتولى ادارة المطبوعات صرف
هذه الدفاتر أو الاستثمارات للصحفيين الذين يسافرون في مهام
صحفية .

الاعلانات والحكومة

كانت ادارة المطبوعات تتولى توزيع اعلانات المصالح الحكومية
على الصحف ، فلما أنشئت وزارة التجارة والصناعة ، وافق مجلس
الوزراء في ٧ أغسطس سنة ١٩٣٥ على نقل عملية توزيع الاعلانات

على الصحف إلى هذه الوزارة ، ولكن لما وليت الحكم وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، قرر مجلس الوزراء بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٣٦ إعادة عملية توزيع الاعلانات الى ادارة المطبوعات ، لصلتها الوطيدة بالصحف ، ومعرفة بأسمائها جميعاً وأمكنها وتواريخ صدورها ، ثم رأى مقامه الرفيع رفع أجور الاعلانات إلى الضعف ، وتقرير نشرها بجميع الصحف التي تصدر بالمحافظات والاقاليم ، وأصدر القرار الوزاري الآتي :

« وزير الداخلية

بعد الاطلاع على منشور وزارة المالية رقم ٣٥ - ١ - ٤ الصادر بتاريخ ٩ مارس سنة ١٩١٢ بتكليف ادارة المطبوعات بمهمة توزيع الاعلانات الخاصة بمصالح الحكومة على الصحف ، المعدل بالمشورين رقم ٣٣ سنة ١٩٢١ و ٣٧ سنة ١٩٢٤ . وبما أن الغرض الاساسى من ذلك هو توى الفائدة التي تعود على المصالح الحكومية من نشر اعلاناتها فى الصحف التي ترى ادارة المطبوعات - بصفتها المهيمنة عليها والطلعة على درجة أهميتها وانتشارها - فائدة النشر بها وبما أن فئة النشر كانت تتراوح فى سنة ١٩١٢ بين خمسة عشر قرشا وخمسة قروش للسطر الواحد ، تبعاً لأهمية الجريدة ودرجة انتشارها ، وقد تناولها التخفيض بعد ذلك ، فى سنة ١٩٢٤ أصبحت أكبر قيمة للسطر الواحد اثني عشر قرشا ، ثم أدخلت عليها عدة تعديلات فى السنوات التالية ، حتى استقر أمرها على سعر يتراوح بين تسعة قروش وخمسة .

وبما أنه من أعر أمانينا أن تحافظ الصحافة على أن تكون صناعة شريفة مدرة على أصحابها بالربح الوفير ، وحافزة لهم بما يصيبون من وراء الاشتغال بها على استخدام أصحاب المواهب والكفاءات من الكتاب المجيدين والاختصاصيين المتأزين ، وأداء ما على عاتقها من رسالات ثقافية واجتماعية وأدبية وعلمية ، والوصول بمكاتها الى مستوى الصحافة الغربية ، ولا يتسنى لها ذلك إلا إذا زاد إيرادها ، وضربت الحكومة لأصحاب المتاجر والمعلمين وغيرهم القدوة الصالحة فى رفع

الأجور وتحسينها .

لذلك

قرر :

أولاً - رفع الأجور الحالية وجعلها اثني عشر قرشا للسطر الواحد لجميع الجرائد المحلية بدون تمييز بين جريدة وأخرى .

ثانياً - على إدارة المطبوعات تنفيذ هذا القرار اعتباراً من اليوم .

وزير الداخلية
على ماهر باشا »

١٨ مارس سنة ١٩٣٦

تذاكر واشتراكات الترام والسيارات

في مارس سنة ١٩٣٦ أصدر حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أمره الى إدارة المطبوعات بمخابرة شركات السيارات والترام بأن تتولى إدارة المطبوعات نفسها صرف التذاكر والاشتراكات المجانية الخاصة بالصحفيين ، تشريفاً لهم ، وعملاً على استقلالهم ، واحترام كرامتهم ، وحتى لا يكونوا تحت رحمة الشركات ، وليتحرروا الصواب في كتاباتهم وانتقاداتهم ، وابداء ما فيه مصلحة الأهلىين .

* * *

تعويض أصحاب الصحف

رأى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن تتفق الحكومة مع حضرات أصحاب الصحف - مثل البلاغ والسياسة والجهاد وكوكب الشرق وآخر ساعة وغيرها - الذين رفعوا قضايا على الحكومة ، لتصرفات اعتقدوا انها مخالفة للعدالة والقانون ، ولقد انتهى الأمر بين مقامه الرفيع وبين أصحاب الصحف على تسوية مرضية للطرفين .

* * *

إقامة حفلات شاي للصحفيين

ورأى مقامه الرفيع أن تعنى إدارة المطبوعات بإقامة حفلات شاي للصحفيين ، مرة كل أسبوع ، حيث يخطبهم أحد حضرات الوزراء في كل ما يهم رجال الصحافة عامة ومكاتب الصحف الأجنبية خاصة ، وأن يكون للصحفيين مطلق الحرية في الاستفسار من الوزير عما يهمهم الوقوف عليه من المعلومات ، حتى تنشأ من وراء ذلك وحدة في الرأي ، وفي وجهات النظر السياسية ، ويسود بين الجميع روح الوثام والتعاون على مافيه مصلحة البلاد .

فأقيمت حفلة افتتاح موسم المحاضرات الصحفية .
ثم حفلة تكريم وفود الصحفيين الفلسطينيين والسوريين والعراقيين ومعهم مدير إدارة الدعاية والنشر بالعراق .
فكان لهما تين الحفلاتين أبلغ الاثر في إيجاد جو من الصفاء والمودة بين الحكومة والصحفيين .

* * *

تبادل الزيارات بين مصر والبلدان الشرقية

ولما كان قد وفد على مصر مندوبون من حكومتى أنقرة والعراق وغيرهما من إدارات الدعاية بها ، لأخذ معلومات من إدارة المطبوعات ، وتوثيق العلاقات بينها وبين مصر .

فقد تفضل حضرة صاحب المقام على ماهر باشا ، ورأى أن واجب المجاملة للأمم الشرقية ، وحسن الجوار ، وضرورة توثيق الروابط الودية والثقافية والأدبية بين مصر والبلدان الشرقية ، يقتضى رد الزيارة لأولئك الصحفيين وموظفي إدارات الدعاية الذين وفدوا على مصر بصفة رسمية .

فأشار مقامه الرفيع بأن تنتدب الحكومة بعض الصحفيين وموظفي

المطبوعات لزيارة أنقرة والعراق وسوريا وفلسطين والحجاز وغيرها .

* * *

ايجاد عنصر صحافي مثقف بالمطبوعات

وكانت نية مقامه الرفيع متجهة إلى تعيين بعض الصحافيين الممتازين بإدارة المطبوعات ، لحاجتها الى وجود عنصر ثقافي مثقف بها ، ممن لهم دراية بفنون التحرير والترجمة ، وتكون مهمتهم تلخيص صحف الأمم الشرقية والغربية واصدار نشرة أسبوعية تتضمن خلاصات هذه الصحف ، وتقارير المفوضيات والفنصليات المصرية ، فيما يهم الجمهور المصرى الاطلاع عليه ، وغير ذلك من المقالات السياسية والعلمية والاجتماعية ، والأخبار التي ترد بالصحف والمجلات الأجنبية عامة ، وتزويد الصحف المصرية بها ، ومساعدتها بذلك على اداء رسالتها الاصلاحية فى القومية والثقافة والاجتماع والأخلاق .

* * *

الأخبار الصحافية الهامة

ثم رأى مقامه الرفيع - لمصلحة الصحافة - ضرورة العمل على توثيق الصلات بين ادارة المطبوعات ومختلف الوزارات والمصالح الحكومية ، فأشار بأن يكون مدير المطبوعات - بقدر الامكان وفى المسائل الهامة - الوسيط بين الوزارات والصحافة ، رغبة فى توحيد الجهود الانتاجي فى اقناع جماهير الشعب وأفراد الأمة بالاصلاحات المرومة ، وعملا على الاستيثاق من تحرى الاخبار الصحيحة ، وعدم اضطرابها ،

وتفاديا من وقوع بعض الصحف في الأخطاء، أو ارتكانها الى الاشاعات
التي يروجها أحيانا بعض ذوى الغايات لمصالح معينة ، وتوجيهها لنظر
الجمهور إلى المسائل التي تهمة ولم يصدر عنها أى بيان .

تبادل النشرات

وفي مارس سنة ١٩٣٦ رأى مقامه الرفيع تطبيق نظام «تبادل النشرات»
بين مصر والممالك الأخرى ، وهو يقضى بأن تتبادل مصر مع الحكومات
الأخرى قصاصات بما تكتبه الصحافة المصرية عن هذه الحكومات
وبما تكتبه صحافة تلك الحكومات عن مصر ، توطيدا لحسن الصلات
وتمكينا لأسباب السلام والوفاق وحسن الدعاية .

المحاضرات الصحفية

الصحافة المصرية - نظرة تاريخية ونظرة تحليلية
للأستاذ عبد القادر حمزة باشا

أقيمت هذه المحاضرة مساء يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٣٦

سابق

في هذه الساعة التي نبدأ فيها أولى المحاضرات الصحفية، يطيب لى ، وأعتقد انه
يطيب لكم أيضا ، أن نشكر مرة أخرى الرجل الذى فكر فيها ، ودعا اليها ،
وافتحها بمحاضرة أنصف فيها الصحافة ، فقال انها برلمان حر ، ورحب بها ناقدة
ومستفسرة .

لقد كانت الصحافة تنتظر رجل الدولة الذى يقدرها هذا التقدير ، بعد أن
كافحت عشرات من السنين، فعملت بكفاحها هذا لتكوين الرأى، وساهمت في نشر

الثقافة ، وكانت في جميع الأطوار السياسية سلاحا من أمضى الاسلحة التي تسلمت بها البلاد . فالآن وهي تجد هذا الرجل في صاحب الدولة على ماهر باشا ، خليف بها ان تعتبط وان يحفرها ذلك إلى مزيد من النشاط في طلب الكمال ، ومزيد من النشاط في خدمتها للبلاد . اعاننا الله جميعا وكتب لنا التوفيق والسداد سادق

كان يحسن ، لكي نبدأ بالبداية ، ان نذكر في هذه المحاضرة طرفا من تاريخ الصحافة في العالم، ولكنتنا إذا خضنا في هذا فأكبر الظن أن يطول الشرح فلا يتسع الوقت للحديث في الصحافة المصرية . وهذا الحديث الاخير هو الذي يهمكم أكثر من غيره، فلندع اذن تاريخ الصحافة في العالم لفرصة أخرى ولوميل آخر . ولنقصر حديثنا اليوم على الصحافة في مصر

وهذا الحديث ينقسم إلى قسمين رئيسيين : أولهما نظرة تاريخية، والثاني نظرة تحليلية، وتقضى الضرورة بالايجاز في النظرتين، لأن كل واحدة منهما تحتاج إلى بحوث طويلة . ونأخذ الآن في النظرة التاريخية .

نعود بالنظرة التاريخية إلى مصر القديمة ، أى إلى ما يقرب من خمسة آلاف سنة مضت ، ونسأل : هل عرفت مصر هذه الصحافة أو لم تعرفها ؟

والجواب على ذلك أنه ان أريد بالصحافة الصورة التي نراها عليها اليوم وهي اصدار صحف دورية مطبوعة لتذيع على الناس الثقافة السياسية والعلمية ، فمصر القديمة لم تعرفها لسبب ظاهر هو أنها لم تعرف المطبعة والطباعة . أما إن أريد بالصحافة معناها الأوسع وهو اذاعة التبليغات والاخبار ، فن البديهي أنه كانت لدى الحكومة تبليغات وأخبار ، يهمها ان تذيبها على الرعاية ، كانت لديها مثلا الأوامر التي تصدرها كل يوم وتريد أن تخضع لها رعايتها ، وكانت لديها أخبار الانتصارات التي كان المملوك والقواد المصريون يحرزونها شرقا وغربا وجنوبا، وكان يهمها ان تقف الرعاية عليها وان تقيم الاحتفالات لها . فهذه الاوامر والاخبار كيف كانت تذيبها الحكومة ؟

كانت طريقة الاذاعة ارسال رسل يحملون مكاتيب مكتوبة على ورق البردى إلى كل أقليم ، وكان هؤلاء الرسل في حركة دائمة ، وكانت لهم محطات معينة يتجهون اليها . بما يحملون من الرسائل ، وكانت لذلك جياد مخصصة لهم في كل محطة

من هذه المحطات ، ومتى وصلت الرسالة إلى حاكم الأقليم اذاع ما فيها على سكان اقليمه ، وقد يلجأ في بعض الاحيان الى اطلاق المنادين ينادون بما فيها . وأظنكم تعرفون ان الاذاعة بواسطة المنادين طريقة كانت منتشرة في مصر إلى سنين ، وانها ما زالت تستخدم إلى وقتنا هذا في بعض القرى ، وأخص ما تستخدم فيه نعى المتوفين إلى أهل القرية كي يجتمعوا ويشيعوا المتوفى

ولكن الحكومة المصرية كانت لديها تبليغات أخرى ليس من الضروري ان تريد لها الاذاعة على عجل ، أو هي تريد لها هذه الاذاعة، ثم تريد لها إلى جانبها اذاعة أقوى ، فكيف كانت وسائلها إلى ذلك ؟

كانت وسائلها النقش على الحجر ، وكان لابد لها حينئذ من احجار عدة تنقش على كل واحد منها نسخة من التبليغ الذى تريده ثم تبعث بها إلى حيث توضع في المعابد التى يكثر تردد الناس عليها ، ومن هذه الاحجار حجر رشيد المشهور ، الذى كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية ، وقد وجدت من هذا الحجر إلى الآن نسختان : احدهما هى التى أخذها الانجليز في حملة بوناپرت ووضعوها في المتحف البريطانى ، والثانية عثر عليها بعد ذلك ، وهى توجد الآن في المتحف المصرى .

وأتم تعرفون ولا شك ان حجر رشيد مكتوب بثلاثة خطوط : اليونانى والديموطيقى والهيريغلىفى ، وهذان الخطان الاخيران من خطوط اللغة المصرية ، وانما كتب الحجر بلغتين وثلاثة خطوط لأنه كتب في عهد بطليموس الخامس في نحو سنة ١٩٦ قبل الميلاد ، وكان الغرض من كتابته اذاعة قرار أصدره المجمع الدينى في مدينة ممفيس لمصلحة بطليموس هذا ، فكان الخط اليونانى لليونانيين ، والخط الديموطيقى لعامة الشعب والخط الهيريغلىفى للكهنة . وبذلك يمكن أن يقال ان حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار .

ولا تظنوا ان مصر انفردت باستخدام النقش على الحجر لاذاعة التبليغات والاخبار ، كلا فقد شاهدت في معرض الصحافة في كولونيا (بالمانيا) ، حينما زرتة في سنة ١٩٣٨ ، قطعة من الحجر وجدت في جزيرة كريت ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل المدنية اليونانية ، وقد حفرت عليها اشارات ورموز ، فلما قرئت هذه الاشارات والرموز عرفت انها دعوة إلى وليمة ، وشاهدت إلى جانب هذه القطعة

قطعة من الخشب وجدت في استراليا، ويرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي سنة. وعليها نقوش هي أيضا دعوة إلى وليمة . فهاتان الدعوتان على الحجر والخشب هما اذن الجدل الاعلى ، الذى نعرفه ، لما تنشره الصحف الآن من اخبار الزواج والولائم والدعوة اليها .

وقد كانت الصحافة ، إلى ما قبل اختراع المطبعة في القرن السادس عشر ، تختلط بالكتابة وبالبريد ، فتاريخها في تلك العصور القديمة هو تاريخهما ، اما بعد اختراع المطبعة فقد انفصلت الصحافة عن الكتابة وعن البريد وصارت شيئا ضخما مستقلا بذاته ، ليست الكتابة وليس البريد الا بعض أدواته .
فانظر الآن في تاريخ الصحافة بعد اختراع المطبعة ، ولنحصر بحثنا دائما في مصر

أول جريدة أنشئت في مصر هي التي أنشأها نابليون بوناپرت باللغة الفرنسية باسم Le Courier d' Eg. في سنة ١٧٩٨ وهي التي نشرت بعد صدورها بنحو اسبوعين خبر العثور على حجر رشيد، ومنها وصل الخبر إلى علماء أوروبا . وبعد شهر واحد من انشاء هذه الجريدة الاولى أنشأ نابليون جريدة ثانية باللغة الفرنسية أيضا اسمها La Décade E لأنها كانت تصدر كل عشرة أيام وكانت الاولى اخبارية ميساسية ، اما الثانية فكانت علمية وكانت تنشر محاضرات أعمال المجمع العلمى الذى أسسه بوناپرت .

وبعد ذلك أسس مؤسس الاسرة العلوية المغفور له محمد على باشا الكبير جريدة «الوقائع المصرية» في حدود سنة ١٨٣٠ ، فيكون قد مضى عليها إلى الآن مائة وست سنوات ، فهي بهذا أقدم الجرائد العربية في مصر وفى الشرق .

وانقضت بعد انشاء (الوقائع المصرية) خمس وثلاثون سنة لم يعث فيها وجود هذه الجريدة الرسمية في نفوس المصريين رغبة في اصدار جريدة أهلية . وجاء عهد الخديو اسماعيل باشا فتحركت بتشجيعه هذه الرغبة في النفوس، فظهرت مجلة «اليعسوب» في سنة ١٨٦٥ وكانت طيبة أنشأها الدكتور محمد على البقل باشا و ابراهيم الدسوقي .

وتلتها في سنة ١٨٦٧ أول جريدة سياسية هي « وادى النيل » لمنشئها عبد الله أبو السعود افندى وكانت تصدر مرتين في الاسبوع .

ثم جريدة (نزهة الافكار) في سنة ١٨٦٩ لمنشئها ابراهيم المويلحى بك ومحمد

عثمان جلال بك .

ثم مجلة (ررصة المدارس) في سنة ١٨٧٠ انشأها على مبارك باشا حينما كان وزيرا للعارف ، وكانت الحكومة تتولى الانفاق عليها ، وكان يتولى التحرير فيها كثير من الاعلام منهم على مبارك باشا وعبد الله فكري باشا والشيخ حسونة الزواوى والشيخ حسين المرصفى ورفاعه رافع بك ومحمود الفلكى باشا ومحمد قدرى باشا والشيخ حمزة فتح الله .

وفي سنة ١٨٧٧ ظهرت جريدة « الوطن » ثم جريدة « مصر » وكان السيد جمال الدين الافغانى يكتب فيها بعض رسائله .

ويطول الشرح اذا نحن أردنا أن نذكر جميع الجرائد التى صدرت في عهد اسماعيل ، فذلك يفى بأن نذكر منها جريدة «الكوكب الشرقى» لسليم باشا الحموى ، وجريدة (الاهرام) لمنشئها سليم تقيلا بك وأخيه بشارة تقيلا باشا ، وقد صدرت في سنة ١٨٧٥ في الاسكندرية وكانت في أول ظهورها أسبوعية ، ثم صدرت بجانبها جريدة (صدى الاهرام) يومية ، ثم عطلت هذه وبقيت (الاهرام) وانتقلت بعد الثورة العراقية الى القاهرة ، وهى تصدر لى اليوم .

ونذكر أيضا جريدة « أبو نضارة » وقد صدرت في سنة ١٨٧٧ لصاحبها الشيخ يعقوب صنيع المصرى الاسرائيلى ، وهى أول جريدة سياسية هزلية مصورة .

وقد تجبون أن تروا جريدة من جرائد ذلك العهد فاليكم عددا من جريدة (صدى الاهرام) في سنة ١٨٧٨ وعددا آخر من جريدة (الوطن) في سنة ١٨٨٨ ، وفي هذين العديدين مجال واسع لمن يريد أن يقارن هذه الصفحات الاربع الضئيلة بالصفحات الاثنتى عشرة أو الست عشرة التى تصدر فيها الصحف اليوم ، ليعرف أى تقدم تقدمته الصحف المصرية ولاسيا في السنين الاخيرة حتى صارت أعظم الصحف في الشرق القريب بعد ان كانت الصحف التركية هى التى لها هذه المنزلة فيه .

ونظرة سريعة في هذين العديدين ترينا :

أولاهنه كان من المؤلف أن تنشر المقالات الافتتاحية والمقالات غير الافتتاحية بغير عنوانات ، ولهذا كان على القارئ أن يقرأ المقالة ليعرف موضوعها . أما الآن فعا على القارئ الا أن يقرأ العنوانات ليعرف الموضوعات ويعرف مايمه منها .

ثانياً — أن ثلاثة أرباع الجريدة على الأقل خاص بأخبار خارجية والربع الباقي فقط هو الخاص ببيانات الحكومة وبأخبار مصرية . ولعل السبب في ذلك أن الاخبار الخارجية تنقل من جرائد أجنبية، أما الاخبار المصرية نحتاج الى مخبرين ومحررين .

ثالثاً — أن بعض الصحف كان يلجأ الى السجع في الكتابة ، فكان من أجل ذلك يقع في تعبيرات لا نستطيع نحن الآن أن نقرأها من غير أن نبسم . فهاذه مثلاً جريدة نشرت قصيدة في مدح رياض باشا فجعلت عنوانها : « دولتو رياض باشا بلغه الله ماشا »

ومنذ ٢٥ سنة فقط كان هذا النوع من الكتابة لا يزال سائغاً في بيئة الصحف اليومية الجديدة . فقد أرادت صحيفة أن تنقذ قاضياً من قضاة محاكم الاخطاط فكتبت في ذلك كلمة جعلت عنوانها « قاضى خط بلط في الخط » وأقول مرة أخرى إن هذه الجريدة لم تكن هزلية ، بل كانت جدية ويومية ودارت في سيناء في سنة ١٩١١ معركة في بلدة تسمى قطية فكتبت تلك الجريدة نفسها مقالاً عن هذه المعركة جعلت عنوانه « معركة قطية وما جرى للترك يا عينه »

وأرادت هذه الجريدة أيضاً أن تمدح مشروعاً نافعا من مشروعات الحكومة فجعلت عنوان ما كتبت في ذلك « كلك منافع يا قوم » وصدر قانون للدعغة فشكت منه الصاغة فكتبت : « عريضه الصاغة بعد تلك الغاغة » . وكتبت عن البترول (كيف يحل ويزول شكل البترول) وكتبت عن الحشيش (كيف يباد ويزول هذا العدو الميزول) وهناك من أمثال هذا كثير .

وأعود الى القصيدة التي نشرتها جريدة الوطن في سنة ١٨٨٨ في مدح رياض باشا فاقراً بعض أبياتها ، لاعل أنها مثال للشعر المصرى في ذلك الوقت ، فاني أعرف أن الشعر في ذلك الوقت كان أرقى منها بكثير ، بل على أنها مثال مما كانت الصحف الجدية تنساح في نشره قال الشاعر .

يا هنا مصر سناها في الدجا ضا واليه الانس والاسعاد آضا
برياض العدل فيها العزيز كو بل ويكفي أن للعدل رياضا

فقارنوا هذا كله بما تقرأونه الآن في الصحف تعرفوا مقدار الخطوات الواسعة التي خطتها الصحافة في سبيل النمو والتقدم .

وتقف عند هذا الحد من النظرة التاريخية . فنتقل بعد ذلك الى النظرة التحليلية : أول ما يلاحظه الناظر ان خمسا وثلاثين سنة انقضت على وجود «الوقائع المصرية» . حتى وجدت أول جريدة أهلية ، ثم توالى صدور أكثر من خمس عشرة جريدة بين سياسية وأدبية وفكاهية في المدة من سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٨٧٧ وذلك مع أن المدارس كانت قد فتحت أبوابها للتعليم الحديث منذ عهد محمد علي الكبير ، والبعثات المصرية الى أوروبا كانت قد توالى منذ عهده أيضا ، فأخرجت لمصر علماء شاهدوا الصحافة في أوروبا وعرفوا قيمتها في تربية الجمهور ، ولكن تفسير هذا الجمود سهل ، وهو يرجع إلى أمرين : الأول انه كان من الضروري بعد فتح المدارس وبعث البعثات إلى أوروبا أن يمضى زمن كاف لتربية نشأة حديثة تعيش الصحف من أقبالها عليها ، والثاني أن المدة ما بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٧٧ هي بعينها المدة التي وجدت فيها في مصر حركة فكرية قوية ، اصطدمت فيها أفكار مصرية تقف موقف الدفاع بأفكار أوربية تقف موقف الهجوم ، فدعا هذا الى انشاء الصحف واتخاذها لبث ما تغلى به النفوس

وفي هذه الآونة كان من الذين اشتغلوا بالصحافة الامام الشيخ محمد عبده والمغفور له سعد زغلول باشا فكان لهما في ترقية أسلوب الكتابة أثر ظاهر وتلك تلك الحوادث العراية فتولدت فيها حركة فكرية اتصلت بالحركة الأولى فقويت الحاجة الى الصحافة وظهر حينئذ عبد الله النديم بجريدته «التكيت والتبكي» ثم بجريدته «الطائف» فقربت نظارة ذلك العهد جريدته هذه الأخيرة حتى قررت أن تخصصها بتدوين أعمال مجلس النواب دون (الوقائع المصرية)

وخمدت الحركة الفكرية بعض الشيء على أثر النتيجة التي انتهت اليها الحوادث العراية ، ولكن هذا الخمود لم يكن الاوقتي ، لانها عادت بعد سنوات قليلة فهبت من مرقدها ، وهبت الصحافة معها ، وكانت هبة الصحافة في هذه المرة أشد قوة وأوسع ميدانا . وكان من رجالها السيد علي يوسف صاحب المؤيد . ومصطفى كامل باشا صاحب اللواء ، وأحمد لطفي السيد باشا مدير الجريدة فيا مضى ومدير الجامعة المصرية الآن ، ومحمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويز مديرا اللواء فالشعب وبشارة تقيلا باشا وسليم تقيلا بك صاحبيا الاهرام ، والدكتور فارس نمر

أحد أصحاب المقطم والذكثور يعقوب صروف أحد أصحاب المقتطف وجورجي زيدان بك صاحب الهلال .

وكانت لكل واحد من هؤلاء الرجال آراء يخالف فيها الآخر ، فلست أدخل في هذه الآراء ولكني أقول ان المناقشة الحادة التي تحصل في كثير من الاحيان إلى أقصى حدود العنف بين هؤلاء الرجال وصحفهم هي التي ساعدت في وقتها على تكوين الرأي العام ، وساعدت في الوقت نفسه على أن تخطو الصحافة خطوة جديدة في سيرها إلى الامام .

وجاءت بعد هذا الحركة الفكرية القوية التي هبت في سنة ١٩١٨ والسنين التي تلتها فخطت الصحافة خطوة أخرى ، بل خطوات ، وظهرت قوتها جلية في توجيه الرأي العام .

والكلام في هذه الحركة وأثرها في الصحافة وأثر الصحافة فيها طويل ، ثم هو كلام في الاحياء ، وكل كلام في الاحياء سابق لأوانه ، فاذن احيلكم فيه إلى أنفسكم ، لانكم تعرفون الحركة كما أعرفها وزيادة ، وتشاهدون باعينكم اثرها في الصحافة وأثر الصحافة فيها ، كما أشاهد وزيادة .

من هذا العرض السريع نرى ان خطى الصحافة صاحبت دائما حركات فكرية ، فالصحافة اذن أداة تقضى وجودها طبيعة التفكير وليست أداة ترف ولا فضول . هذا هو بعينه الذي وقع للصحافة في أوروبا فقد كان الغالب على هذه الصحافة إلى ما قبل الثورة الفرنسية التي ابتدأت في سنة ١٧٨٩ ، أنها أداة لنقل الاخبار ، ثم جاءت هذه الثورة وانتقلت عندها إلى جميع أنحاء أوروبا ، فاصطدمت أفكار قديمة موروثية من تقاليد الماضي بأفكار جديدة أخرجها العقل الطليق والعلم الطليق . فكانت الصحافة في هذا الاصطدام جنديا أول من ينزل إلى ميدان المعركة قبل غيره ، فيقاتل قتال المستبسل ، فيظفر حيناً ويصاب بالجروح حيناً ، ثم إذا حميت المعركة فسال الدماء وطاحت الرؤوس لم تبق الصحافة جندياً فقط ، بل صارت جندياً وزعيماً مما ، حتى كانت زعامة الحركة لفريقين بارزين هما رجال القلم ورجال السيف ، وكان رجال القلم أعلى زعامة وأكثر ظهوراً ، لجان جاكورسو ومونتسكيو وفولتير مروا بالصحافة وقد كانوا هم الذين وضعوا بذرة الثورة ، وميرابو وروبسبير ومارات مروا بالصحافة أيضاً وقد كانوا في الثورة في

السنام والذروة، واندري شينييه مر بالصحافة أيضا وقد كان كاتب الثورة في عهدها الأول، ثم لما جاء عهد الارهاب وعنف روبسيير في سفك الدماء رشقه شينييه بسهم من قلبه فرماه روبسيير بالمقصلة، فلم تمض أيام حتى كان روبسيير صريع هذه المقصلة .

وفي هذه المعركة الطاحنة كم حبس صحفيون ونفوا وقتلوا ، ولكن الصحافة كانت تسير بهم دائما الى الامام ، وصحفيهم لم تكن تخترق في نيران المعركة إلا ليخرج منها جديد ، هو أشد حياة وأقوى كفاحا .

رسمت أحاسنكم هذه الصورة الصادقة لدور من الأدوار التي مرت بها الصحافة في أوربا ، ويخيل الى أني رسمت بها صورة صادقة لدور كمذا الدور نفسه مرت به الصحافة في مصر، فقد حوربت هذه الصحافة في حريتها فعملت عشرات منها ، وسجن كثير من كتابها وضربت عليها القوانين القاسية ، ووضعت لها الشروط المرهقة، فسقط في هذا الصراع من الصحف ما سقط، ولكن الصحافة في مجموعها لم تسقط . بل تغلبت وخرجت قوية نامية ، وكان خروجها هذا الخير الوطن وخير العلم والثقافة .

بقيت لبعدها ذلك كلبة قصيرة في مستقبل الصحافة المصرية، وفي معهد الصحافة الذي تسرعت الحكومة في انشائه في الجامعة المصرية .

فأما مستقبل الصحافة فلا شك في أنه سيكون زيادة مستمرة فيما هي عليه الآن من الحياة والشمو ، وقد استطاعت الصحافة أن تبلغ ما بلغت، وعدد الذين يعرفون القراءة والكتابة لا يزيد في بعض الاحيان على ١٠ في المائة وفي أحيان أخرى على ١٧ أو ٢٠ في المائة ، ومن هؤلاء ١٠ في المائة فقط هم الذين يقرأون الجرائد، والتعليم الآن ينتشر فيكثر انتشاره عدد القراء ويزداد بكثير، ثم قدرة الصحف على حياة أقوى ونمو أوسع

على أنني أنصح الصحف بأن تقف عند الحد الذي بلغته زما غير قصير، لأنها اندفعت بحزارة التنافس وحرارة الرغبة في طلب السكال فجاوزت الحد الذي يتناسب مع حالة بلاد لا يزال انتشار التعليم فيها محدوداً ، حتى لقد صرنا لإذنا نحن قارنا الصحف المصرية ببعض الصحف في أوربا كصحف فرنسا أو صحف إيطاليا وجدناها مثلها أو أكبر منها حجماً ، ووجدناها تقرب منها مادة ، والصحف في فرنسا وإيطاليا

لا يقل طبع الواحدة منها عن مئات الألوف، وقد يصل إلى الملايين، في حين أن طبع الصحيفة المصرية لا يزيد على بضعة عشرات من الألوف ، وما يقال في عدد القراء يقال في الاعلانات .

وأما معهد الصحافة، فالفكرة فيه جليمة ، وهو يؤدي إلى بناء الصحافة على أساس علمي متين ، ولكن إن كانت الحكومة تريد لهذا المعهد النجاح فعليها قبل كل شيء أن تزيل عن فكرها كل ما يسمى تعطيلاً للصحف ، إذ الطلاب لا يقبلون على معهد يعلمون أن المستقبل الذي يقودهم اليه هو العمل في صحف تصدر زمناً وتعطلها الحكومة أو تعطّلها المحاكم زمناً .

ففعقوبة التعتيل يجب أن تمنح من قوانين الصحافة ، لا لأنها فقط اضرار خطيرة برؤوس أموال تستثمر في عمل شريف ، و اضرار بمن عدا المذنب من محررين أبرياء وموظفين أبرياء وعمال أبرياء وباعة أبرياء وقراء أبرياء ، لا لهذا فقط يجب أن تمنح عقوبة التعتيل ، بل له ولضمان النجاح لذلك المولود السعيد الذي بشرتنا به الحكومة ، والذي شكرناها وما زلنا نشكرها عليه، وهو معهد الصحافة .

نعم إن الوزارة الحالية خففت من اضرار التعتيل بفعولته لا يتجاوز خمسة عشر يوماً للصحف اليومية ، بعد أن كان يصل إلى ستة أشهر ، وكان في بعض الحالات يصل إلى اعدام الصحيفة ومصادرة المطبعة . ونحن نعرف لوزارة ماهر باشا هذه اليد على الصحافة كما نعرف لها أيديها الأخرى، ولكن بقاء التعتيل ، ولو إلى خمسة عشر يوماً ، وجواز تكراره مرة أخرى ، يحولان دون الاقبال على المعهد ، وهما بعد عقوبة أصيب من الأبرياء عشرات أو مئات إلى جانب مذنب واحد فيعاقب عقابه عدلاً

وقد سمعت أن هناك نية منصرفة إلى حذف عقوبة التعتيل من قوانين الصحافة، فعسى أن يكون هذا الذي سمعته صحياً، لنضيف بذلك فضلاً لهذا العهد على الصحافة، وعلى الثقافة ، وعلى المجتمع المصري، إلى أفضاله الأخرى العديدة . وبعد ذلك أعذر اليكم عن هذا الوقت الذي أضعته عليكم وأشكركم .



مقام الصحافة المصرية

في بلاد العرب

للأستاذ أمين سعيد (صاحب مجلة الرابطة العربية)

ألقيت مساء يوم ٢ أبريل سنة ١٩٣٦

أيها السادة

موضوع محاضرتنا الليلة هو مقام الصحافة المصرية في بلاد العرب .
والصحافة المصرية التي أعنيها، هي الصحف والمجلات التي تصدر في هذه العاصمة
باللغة العربية، بين يومية وأسبوعية وشهرية ، فهي التي تجوب بلاد العرب شرقا
وغربا وشمالا وجنوبا .

وبلاد العرب التي أعنيها، هي البلاد التي ينطق أهلها بالضاد، والتي تجاور مصر من
الشرق والغرب والجنوب .

ففي الشرق : الحجاز واليمن وحضرموت وعمان ونجد والبحرين والكويت
والعراق وسوريا وفلسطين وشرق الاردن .

وفي الغرب : برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى .
وفي الجنوب : السودان .

تلك هي الاقطار العربية، أو الاقطار التي يتكلم أهلها باللغة العربية، ويدرسون
الآداب العربية ، ويتقنون ثقافة عربية ، ولا يقلون عن ٥٠ مليوناً من النفوس
يقرأون الصحف المصرية العربية ، ويعجبون بها .

أيها السادة

لم تكن هنالك صلات ثقافة وعلم وأدب وثيقة بين مصر وهذه الاقطار قبل
الفتح العربي الاسلامي، فقد كان العراق خاضعا للفرس، وكانت لغتهم منتشرة فيه .
أما الشام فكان خاضعا لدولة الروم البيزنطيين، وكانت اللغتان السريانية والاغريقية

لغة سكان الشمال والغرب والوسط، أما سكان الجنوب الغربي (فلسطين) فكانت
العبرية لغتهم، وكانت العربية لغة سكان الجنوب الشرقي، فهم من العرب الاتحاح،
وكذلك شأن سكان جزيرة سيناء .

وكان الحجاز، جار الشام ومصر، يتمتع باستقلال ناجز لاسطة لأجنبي عليه
وكانت العربية لغة سكانه . أما اليمن فكان خاضعا خضوعا اسميا للفرس، وكانت
عمان وحضر موت والبحرين (هى بلاد الحسا اليوم) ونجد مستقلة استقلالاً تاماً .

* * *

أما مصر فكانت خاضعة لدولة الروم البيزنطيين، وكان فيها لغتان : الاغريقية
والقبطية، والاولى لغة الدواوين والتعليم والادب والفلسفة . والثانية لغة سواد
الشعب، وكان الروم يحاربونها ويقاومونها . وكانوا حينما جاء العرب بياغون في
اضطهاد رجال الاكليروس القبطى، ليحملوهم على اعتناق عقيدة كنيسة القسطنطينية،
فانقذوهم منهم .

أما السودان فكان مستقلاً عن مصر وكان يخضع لحكومات من أبنائه .
وكانت بلاد شمال أفريقيا تحكم بأنظمة خاصة بها فى داخل الامبراطورية الرومية،
وكانت اللغتان الرومية والبربرية منتشرتين فى شمال افريقية حين الفتح العربى،
الاولى لغة الدولة والتعليم، والثانية لغة جمهور الامة وسوادها

واقضى العرب على الاوضاع الرومية والفارسية فى هذه الاقطار، وأحلوا لغتهم
تدريجاً محل اللغات الاغريقية والفارسية والسريانية والعبرية والقبطية والبربرية،
فصارَت اللغة العربية فى أواخر العهد الاُموي اللغة الرسمية لجميع هذه الاقطار، ولغة
العلم والادب والتعليم، فنشأت بذلك صلة جديدة بينها، وربطتها برباط واحد

وأول دولة عربية مستقلة نشأت فى مصر هى الدولة الفاطمية، فقد قدم الفاطميون
بأنصارهم إلى مصر، بعد ما توطدت دعائم دولتهم الجديدة فى شمال افريقية، وكانت
تضم الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، فاستولوا عليها بعد طول نضال فى أواخر
القرن الرابع للهجرة، وأنشأوا فيها ملكاً ضحكاً، كما أنشأوا الأزهر المعمر، فأدى
للتقافة العربية أجل الخدم، ووجه إلى مصر الانظار، وأصبحت بفضل وبفضل الرجال
الذين أنشأهم مركزا كبيرا من مراكز الثقافة والتعليم فى العالم العربى .

وضمعت الروابط الادبية بين مصر والاقطار العربية فى عهد الاحتلال العثمانى،
فقد أحل الترك العثمانيون لغتهم محل اللغة العربية فى دواوين الحكومة ومصالحها،

فكان أول حادث يحدث بعد الفتح العربى ، وأنشأوا أنظمة إدارية عقيمة ، فكان ذلك الجلود الذى ران على^١ الشرق العربى فى القرون الأخيرة ، وأدى إلى سقوط حكوماته ودوله الواحدة بعد الأخرى ، فى قبضة الاستعمار الأوربى .

وسبقت مصر الأقطار العربية فى نهضتها الصحافية ، فأنشأت صحافة فى الشرق العربى ، فصدرت فى القاهرة والاسكندرية صحف ومجلات سبجت بلاد العرب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وأقبل الناس عليها ، وتعلم الكثيرون فى مدارسها ، ولكن تأثيرها ظل محدودا لصعوبة المواصلات من جهة ، ولأن الحكومة العثمانية الحديدية - وكانت تسيطر على جانب كبير من بلاد العرب - كانت تقاوم الأفكار الحرة التى تدعو لها هذه الصحف وتقاومها ، وقد ضربت فى سبيل ذلك رقابة شديدة على المطبوعات ، فلا يدخل البلاد إلا ما توافق على ادخاله ونشره ويتفق مع خطتها وسياستها . يضاف إلى ذلك أن عدد المتعلمين كان ضئيلا جدا فى خلال تلك الفترة ، وتبدل الحال فى بلاد العرب ، التى كانت خاضعة للحكم التركى بعد إعلان الدستور فى سنة ١٩٠٨ ، وسقوط الحكومة الحديدية ، والغاء المراقبة على المطبوعات ، وانطلاق الأقلام والألسنة ، فصارت الصحف المصرية تدخل بدون مراقبة ، فساعد ذلك على رواجها وانتشارها ، وكان انتشارها من جملة العناصر التى ساعدت على تكوين هذه النهضة الجديدة .

وجاءت الحرب العظمى بعد ذلك أيها السادة ، فولدت هذا الرقى العظيم فى المواصلات ، وكانت هذه النهضة القومية العظيمة المشهودة فى جميع أنحاء الشرق العربى ، فبرز ذلك مقام الصحافة المصرية ، وساعد على انتشارها ورواجها ، إذ طارت على جناحين : جناح البخار والهواء وجناح النهضة الجديدة .

لقد كان بريد مصر لا يصل إلى العراق حتى ١٩٢٢ فى أقل من عشرين يوما ، ولذلك كان عدد الذين يقرأون الصحف المصرية هناك يحصون بالعشرات ، وانتشرت انتشارا كبيرا فى بلاد الرافدين ، بعد ما صارت السيارة تحترق صحراء الشام ، وتقطع فى ٢٠ ساعة ما كانت الأبل تقطعه فى ٢٠ يوما ، وصار بريد مصر يبلغ بغداد فى يومين وفى ٧ ساعات بالطائرة ، وصار عدد الذين يقرأونها يقدر بالآلاف ، ولا يزال عددهم فى ازدياد ، وسبب ذلك قوة النهضتين الوطنية والعلمية فى العراق وسلاتهما ، فهناك شعب نشيط امتاز بالاقبال على طلب العلم ، لاعتقاده أن نشره هو الوسيلة الوحيدة

لتوسيع قواعد الدولة الجديدة التي شادها ، وكل نهضة لا تقوم على العلم الصحيح والوطنية الصحيحة فسيبرها إلى الزوال والانهيار

وكذلك كان الحال أيها السادة مع الشام قبل الحرب العظمى، فقد كانت رسائل المواصلات محدودة، وكانوا يعولون على بواخر البريد في ارسال البريد المصري الى الشام ، وهذه ، مهما كثرت ، فلا تزيد على واحدة أو اثنتين في الاسبوع، ومعنى ذلك أن صحف مصر اليومية ما كانت تصل إلا بعد يومين أو ثلاثة أيام من صدورها .

وساعد انشاء سكة حديد فلسطين، في زمن الحرب العظمى، على طي المسافات وتقريب الابعاد ، فانتظمت المواصلات، وصار بريد مصر يصل إلى الشام في كل يوم وبذلك صارت صحف مصر تصل يوم صدورها أو في غدائه على الأكثر، فانتشرت في أحيائها وأجزائه من غرة حتى طوروس . وتؤكد لكم أيها السادة أنه لا توجد قرية من قرى الشام، فضلا عن المدن والأصبار، لا تدخلها صحف مصر، والصحف الاسبوعية أكثر انتشارا، لسهولة تناولها ورخص ثمنها بالنسبة لليومية .

وما فلتت عن انتشار الصحافة المصرية في بلاد الشام أقوله عن انتشارها في العراق، فقد تسنى لي في سنة ١٩٣٣ أن أرحل رحلة طويلة في العراق فما دخلت مدينة، ولا مررت بقرية، ولا عشت بمربع أو مغنى، إلا رأيت جريدة مصرية واحدة أو أكثر، فهي متغلغلة في تلك البلاد، منتشرة انتشارا لا يكاد يصدقه إلا من زارها وطاف أرجاءها .

فبلاد الشام وبلاد العراق هما أكثر الاقطار العربية اقبالا على الصحف المصرية واقتناء لها، ويقدر مجموع ما يصدر إليهما في الاسبوع الواحد للبيع والمشتريين بنحو ١٥٠٠٠ مجلة وجريدة أسبوعية وشهرية

والصحف اليومية هي أقل رواجاً وانتشاراً هنالك، لاعتبارات معروفة، ويقدر ما يصدر أسبوعياً منها لذيالك القطرين بنحو ١٠٠٠٠٠ عدد، أى انها يستهلكان من صحفنا اليومية ومجلاتنا نحو ٢٥٠٠٠ عدد في الاسبوع الواحد، وهو عدد كبير لا يستهان به، وخصوصاً متى ذكرنا أن مجموع سكانهما يكاد يعادل نصف سكان القطر المصري ، فضلا عن أن في العراق والشام صحافة يومية راقية تسير سيراً حثيثاً إلى الامام ، فصحف بيروت اليومية التي تصدر باللغة العربية ثمان ، وصحف دمشق اليومية ست ، وصحف بغداد اليومية خمس

وخطت إحدى صفحاتنا اليومية الكبرى في الصيف الماضي خطوة موفقة، فانفقت مع شركة مصر للطيران، وصارت ترسل أعدادها يوميا بطايرتها إلى حيفا وبيروت، فتصل وتباع بعد ساعات من صدورها، فساعد ذلك على كثرة رواجها، وزاد في الاقبال عليها. ولا ريب أن تحسين المواصلات وتقدمها ينشط الحركة الصحافية وأثنى الحجاز في المرتبة الثانية بعد الشام والعراق، فالصحف المصرية منتشرة في أرجائه، وفي الحجاز شبيهة ناهضة تششق العلم وتعطش إليه، فتجد في الصحف والمجلات المصرية ضالتها فتقبل عليها

وفي إمارات الخليج الفارسي العربية إقبال على صحفنا لا يستهان به ولم يطرأ على نظام المواصلات بين مصر وبلاد العرب الغربية (شمال أفريقيا) ما طرأ على نظام المواصلات بينها وبين بلاد العرب الشرقية من تحول، فهي لا تزال على ما كانت عليه منذ أوائل القرن تقريبا، وبوآخر البريد الايطالية والفرنسية التي تسافر في البحر المتوسط هي الوسطة الوحيدة للمواصلات بين مصر وهذه الاقطار، وهي برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى، ولا بد للبريد الذي يرسل اليها من المرور في ايطاليا اذا كان مرسلا للقطرين الاولين، ولمرسليا اذا كان مرسلا للاقطار الأخرى، فلا يصل الا متأخرا، ولذلك اكتفى الجمهور بالاقبال على الصحف الاسبوعية والمجلات، وخصوصا غير السياسية منها، لأن لهذه الاقطار حالات خاصة لا يساعد المقام على معالجتها

وتناقلت الصحف قبل الحرب الايطالية الحبشية، أن هنالك مشروعا بإنشاء طريق معبد يصل الاسكندرية بتونس مارا ببرقة وطرابلس الغرب، فتسير السيارات بانتظام بين هذه الاقطار، حاملة الركاب والبريد، ولا تقل المسافة بين مصر والجزائر عن ٣٠٠ كم، وفي حين أن المسافة بين مصر وبغداد لا تزيد عن ١٥٠٠ كم، ومن تحصيل الحاصل القول بأن فتح هذا الطريق للسيارات، ويرجى أن يتم ذلك بعد انتهاء الحرب الحاضرة، يساعد على رواج الصحف المصرية في تلك الاقطار

وربما كانت تونس أكثر بلاد العرب الغربية إقبالا على قراءة صحفنا المصرية، فهي منتشرة في ربوعها ولا سيما بين الطبقة المتعلمة. وفي تونس شبيهة راقية اعتنقت فكرة القومية العربية.

ومع أن الجزائر أقدم تلك الاقطار عهدا بالاستعمار الأوربي، فهي لا تزال محتفظة

بروحها القومية العربية، وللصحافة المصرية سوق رائجة في حواضرها الكبرى، وهي الجزائر وقسنطينة وهران وتلسان، ولو أزيلت بعض الجواهر التي تحول دون دخول الصحف المصرية، بلا استثناء ولا تمييز، إلى تلك البلاد، لزادت مقطوعتها كثيراً، ففي الجزائر بقعة قومية مباركة .

وفي المغرب الأقصى أقبال على صحفنا، وهي تباع في فاس ومراكش ورباط الفتح والدار البيضاء ووجده وتطوان ومليلة والعرايش والمدن الثلاث الأخيرات خاضعة لأسبانيا، ويتمتعن بحرية صحفية، فتدخلها الصحافة المصرية بلا رقابة، وتلقى فيها رواجا كبيراً .

وما يقال عن المغرب الأقصى يقال عن برقة وطرابلس الغرب، فان للصحافة الأسبوعية فيها سوقاً رائجة .

ولا يقل عدد ما يصدر إلى بلاد الحجاز وجنوب اليمن وبلاد العرب الغربية من المجلات والصحف الأسبوعية عن ٧٠٠٠ عدد في الأسبوع الواحد، أي نحو نصف ما يرسل إلى الشام والعراق، وربما كان عدد ما يرسل إليها من الصحف اليومية لا يزيد عن ٣٠٠٠ في الأسبوع، وذلك لصعوبة المواصلات وعدم انتظامها، ولوجود مراقبة شديدة في بعض هذه الاقطار، تتيح الدخول لصحف وتمنعها عن أخرى .

وفي السودان أيضاً أقبال عظيم على الصحف، يومية وأسبوعية، لا يستهان به . وهناك فطران سحيقان للصحف المصرية فيهما سوق، ولها فيهما رواج، وهما أميركا وجاوه، وفي الولايات المتحدة وفي أميركا الجنوبية جالية عربية نشيطة تاجحة لا يقل عدد أبنائها عن ٧٠٠٠٠٠، معظمهم من سورية ولبنان، ولا يزال الجانب الأكبر منهم متمسكاً بلغته وتقاليده وعادات بلاده، على بعد الدار وطول الغياب، ويتمرأ هؤلاء الصحف المصرية بشغف واهتمام .

ومعظم أبناء الجالية العربية في جاوة من حضرموت، وهم أهل جد ونشاط، نزحوا إلى تلك البلاد راكبين متن الاقيا نوس الهندي، ونشروا فيها اللغة العربية والثقافة العربية، ولا يقل مجموعهم عن ٧٠٠٠٠٠٠، وهم شديدو التمسك بقوميتهم وعروبيتهم. وبالطبع فان للصحف المصرية والكتب المصرية سوقاً كبيرة في جاوة .

ولا اخواني مبالغاً فيها السادة اذا قدرت مجموع ما يصدر من صحفنا الأسبوعية

الى هذه الاقطار بثلاثين الف عدد في الاسبوع الواحد. وقد رثت بمجموع ما يصدر من الصحف اليومية بعشرين ألفا في الاسبوع ، أى أننا نصدر اليها في الاسبوع خمسين الف عدد من صحفنا ومجلاتنا ، وهو عدد لا يستهان به. ويرجى أن يزداد مع الايام .

أيها السادة

ولقد كان من جراء انتشار الصحف المصرية هذا الانتشار الواسع في طول البلاد العربية وعرضها ، أن زاد اهتمام سكانها بسير الحركتين الوطنية والعلمية في مصر ، فهم يتابعون بشغف وعناية زائدة سير الأولى ، فلا يكاد يفوتهم خبر من أخبارها ، ولا حادث من حوادثها فهم يماشونها في دورها ومراحلها ، ولا أبالغ إذا قلت إن بين أبناء الطبقة الوسطى هنالك من يعرف من تاريخ القضية المصرية وتحولها ما لا يكاد يعرفه بعض أبناء هذه الطبقة في مصر نفسها ، ولو سألت أى شاب في الشام أو الحجاز أو العراق عن أى زعيم أردت من زعماء مصر السياسيين لأجاب بما يدهشك من سعة اطلاع واحاطة نادرة ، وبما يلذ ذكره أن الناس هناك منقسمون تبعا لانقسام الأحزاب هنا ، فثمة من يؤيد الوفد المصرى ، ومنهم من يؤيد الحزب الوطنى ، ومنهم من ينتصر للأحرار الدستوريين ، وهكذا دواليك .

وكذلك فهم يتبعون في شغف أخبار النهضة العلمية والأدبية ، فلكبار كتابنا وأدبائنا وصحافتنا هنالك كثير من المعجبين ، يقرأون ما يكتبونه بعناية ، ويدارسونه ويتناقشون فيه ، ويعقدون لذلك الاجتماعات ، ويحبرون في صحفهم المقالات ، وما زارهم أديب أو عالم مصرى إلا أكرموه وكرموا ، وأنزلوه منازل الرحب والسعة ، وما مات أديب مصرى إلا قامت له المآتم والمناحات وعدوا رزه مصر به رزه أ لهم ، ومصاحبته مصاباً لهم .

وكذلك حالهم مع كبار الزعماء الوطنيين ، فهم يقابلون بالحفاوة الزائدة أينما صاروا ونزلوا ، وتؤدب لهم المآدب العظيمة وتعقد المآتم عند موتهم وتصرم أجلهم .

وهكذا أيها السادة أنشأت الصحافة المصرية العربية صلة وثيقة بين مصر وبين الأقطار العربية ، وكونت رابطة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، فكثير اهتمام القوم بشؤون مصر ، وأخبار مصر ، وحوادث مصر ، وكل ما يتصل بمصر . وفى عقيدتى

أيها السادة أن هذه الروابط التي أنشأتموها الصحافة بين مصر والبلاد العربية ستزدد قوة كل يوم، لأنها مستمدة من روح الشعب، وتتحول في المستقبل إلى تحالف وثيق العرب، وأخاء ثابت الدائم إن شاء الله

أيها السادة

بقي على أن أصف الخدمة التي أدتها الصحف المصرية لبلاد العرب، فقد كانت، باعتراف الجميع، عاملاً نافعا عمل في تكوين النهضة الوطنية والعلمية، كما كانت مدرسة مفيدة ساعدت على نشر العلوم والفنون، فلا بدع إذا ما أقبلوا عليها، وأكثروا من الاهتمام بشؤون رجالها والمشتغلين بها .

وهناك شيء واحد لو أنتم الصحافة المصرية لكان فضلها مزدوجا، وذلك أن تهم بشؤون الأقطار اهتماما يعادل اهتماما بشؤوننا، فتدون أخبارها وحوادثها بدقة وعناية، وتعالجها وتعلق عليها، فإن ذلك مما يسر سكان تلك البلاد، ويزيد في أقبالهم على صحافتنا وشغفهم بها .

على أني لا أنكر أن هناك تبديلا مشهودا من هذه الناحية، فقد عكف بعض صحفنا الكبرى على نشر أخبار تلك البلدان، وأقام الكتاب والمراسلين، وهي وإن كانت خطوة كبيرة بالنسبة للاهمال السابق إلا أنها غير وافية بالمرام في نظر الأكثرين من سكان تلك البلاد، الذين يطلبون المزيد، ويرجعون من الصحافة المصرية أن تزيدهم إهتماما وعناية، فتعرفهم إلى الجمهور المصري معرفة حقيقية، وتطلعه على أخبارهم وحوادثهم، وتصف لهم حقيقة نهضتهم والمدى الذي بلغوه في تقدمهم، فإن ذلك مما يزيد الصلات القائمة بين مصر وهذه الأقطار، وقد كانت عاملا قويا في تأسيسها وأنشائها كما قلت - قوة ومثابرة وتكون هزة الوصل وواسطة التفاهم وأداته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رسالة الصحافة

للاستاذ محمود عزمى (صاحب مجلة الشباب)

ألفت مساء يوم ٧ أبريل سنة ١٩٣٦

سيدى سادى :

اخترت « رسالة الصحافة » موضوعا لهذه المحاضرة الثالثة من المحاضرات الصحفية التى افتتح رئيس الوزارة وسميها منذ أسبوعين . ولست أدري هل أحسنت الاختيار وهل استبشرت البحث . و« رسالة الصحافة » من الأمور التى لما يعقد الاجتماع عليها : وهى إذا اعتبرها أهل الذكر من الأدباء والمثقفين واقعا لا ريب فيه : فإن من الناس من لا يرون فى « الصحافة » إلا تجارة كسائر التجارات ، يتصد المشتغل بها أول ما يتصد إلى الكسب المادى ، ويرضع فى كثير من توجهاته لتيار زيادة الانتشار ، وما يتتبعه من مواقف بعيدة البعد كله عن روحية الرسائل وطبيعة تخليقها فوق العادى الأرضى من الاعتبارات .

وانى لأخشى أن يكون لأصحاب هذا رأى فى رأيهم بعض العذر ، وان كنت أعتقد أنهم انما يستندون إلى نظرات سطحية ومشاهدات تفصيلية ، لا تصلح أساسا لحكم مستقيم .

إنهم انما يحدون أنصارهم بمظاهر الصحف ، فيجدونها على اختلاف أنواعها تعنى العناية كلها بالكثارة من الاعلانات لكثارا يحسبونه طاغيا على مواد الصحيفة الأصلية طغيانا لا يبررونه هم بصفة كونهم قراء .

وهم ينظرون إلى الصحف الاخبارية - والصحف الاميركية على رأسها - فيجدون همها كله موجه إلى نشر ما يدهش من انباء دون كبير عناية بنصيب الصدق والحقيقة منها ، ولا يستطيعون أن يمنعوا ذاكرتهم من أن تستبد ما قاله « شوبنهور » من أن المغالاة بأنواعها ضرورة من ضرورات الصحافة .

ثم هم ينظرون إلى صحف الآراء فيتمثلونها ميدانا للتعصب الفكرى وما يذره فى النفوس من احقاد وبوغر به الصدور من سخائم .

وهم بعد ذلك يأنفون نظرة على كبريات الصحف العالمية ، فيجدون وراء كل

واحدة منها جماعة تحفرها وتسندها لمصالح صناعية أو مالية أو طائفية، كثيرا ما تمارض مع المصالح القومية العامة، وكثيرا ما تطوح بالعالم كله إلى مآسى الحروب والخلافات الدولية، فلصانع الاسلحة صحف، ولذئابل الغواصات والمدرعات صحف، وفي كل من هذه المنشآت الجهنمية ادارة مطبوعات تحرر فيها المقالات، وتوزع منها على مختلف الصحف المتصلة بها والصادرة في أكثر من دولة واحدة، بل الصادرة في دولتين متناقضتي المصالح الحربية، كثيرا ما تعمل المقالات على توسيع مسافة الخلف بين حكومتيهما وشعبيهما، لتتشب بينهما الحرب وتستفيد المصانع المتضامنة.

ثم هم يستمعون إلى الواقفين على الدخائل، فيحرفون منهم ما يشتهر أمره من اتصال الجرائد القومية بسفارات وأنظمة أجنبية تعمل بواسطتها على تأييد وجهات نظرها الخاصة أو تقديمها للجمهور على نحو قد يعتمد قليلا أو كثيرا عما تريده السياسات القومية للرأى العام من توجيه، ومشهور في العالم كله ان جريدة «الجورنال» الباريسية مثلا انما يغلب فيها النفوذ الانجليزى، كما يغلب النفوذ الاميركى في زميلتها «الماتان»، وتتلو الكلمة الفرنسية في جريدة «دبلى تلغراف» الانجليزية، ويتجلى الاتحاد الالماني في «الدبلى ميل» وما اليها من صحف «روزمير».

يستمعون إلى هذا كله، ويقرأون كتابا، كذلك الذى ظهر في فرنسا منذ سبع سنين، وكان لظهوره في دوائر المثقفين دوى عظيم، فقد كان عنوانه «خيانة الذين يعملون»، وكان موضوعه اتهام الكتاب والصحفيين وسائر المثقفين بأنهم قد نزلوا عن رسالتهم الفكرية إلى ارباب المال ورجال الصناعة والاعمال، ويؤجرون مواهبهم لأكثر العارضين بعد ان قوموها بالمال ويجرون أفلامهم بمدح ما تذمه ضمائرهم وتحليل ما تحرمه عقولهم. يستمعون إلى ذلك كله، ويقرأون مثل هذا الكتاب، فيسألون أنفسهم: ترى هل للصحافة ورجالها حقا منزلة؟ ثم لا يلبثون ان يحكموا عليها وعليهم غير عارفين لهم قدرا ولا مقرين لها برسالة.

تلك حالة نفسية قائمة بالفعل عند فريق من الناس في مصر وفي غير مصر، لكنها حالة نفسية قائمة عند حد ما قدمته على نظرات سطحية ومشاهدات تفصيلية لا تصلح

أساساً لحكم مستقيم .

ووجه السطحية في نظرات أصحابها أنها لا تذهب بهم إلى تفهم مبدأ جوهرى أصيل، هو أن كل منشأة من المنشآت يجب - كى تؤدى وظيفتها - أن تعيش أولاً، وأن لحياتها مقومات يجب أن تضمن، وأن الاعلانات التى يشكو القراء من طغيانها إنما هى المورد الوحيد الذى لا تظمئ الصحيفة إلا بتوافره، وأن توافره هو الذى يعين أصحاب الصحيفة على أن يتولوها بالتجسين ويتعهدوها بالترقية ، ووجه التفصيل فى مشاهدات غير المقرين للصحافة برسلاتها أنهم لا ينظرون إليها بوحدة متفاعلة العناصر مهما تباينت اتجاهاتها ، متضمنة الافادة من كل تنظيم وتجديد ، متلاحقة الخطى فى سبيلهما وفى سبيل المهمة الاجتماعية الملتزمة على عاقبتها، وأن اتصلت بأى نوع من أنواع الاتصال بالاتجار والمادية .

* * *

وإذا كان علينا - ونحن فى صدد تلبس « رسالة الصحافة » عن طريق الرد على أولئك الذين لا يقرون لها برسالة - اذ كان علينا أن نتعرف تلك المهمة الاجتماعية التى يعرفها لها الجميع، والتجارة ذاتها مهمة من مهام الوجود والعمران والاجتماع، اذ كان علينا أن نتعرف تلك المهمة، فلا بد لنا من الرجوع الى الواقع التاريخى، نستدل به على الدوافع التى عملت فى انشاء الصحف فيقرأ خلالها وخلال التطورات التى أدخلها عليها الدهر ما نستطيع أن نستنتجه: طبيعة كائنة فى الصحافة ولازمة مستمرة من لوازمها، يستند اليهما ما ندين به نحن للصحافة من رسالة نحاول التدليل عليها علمياً .

والواقع التاريخى الذى يريد أن نستلمه إنما يدانا على أن الصحافة الفرنسية والصحافة الانجليزية هما اللتان يصح اعتبارهما أصلاً للصحافة العالمية الحاضرة من حيث الرسالة الاجتماعية التى تؤدّيها، كما يدلنا فى الوقت عينه على أن الدوافع إلى انشاء الصحافيين فى أول عهدهما لم تكن واحدة .

أما الصحافة الفرنسية، فقد كانت الدوافع إلى نشأتها دوافع حكم وسלטان، وقد قامت - جازت دى فرانس - جدة الصحف الفرنسية ، التى أنشئت سنة ١٦٣١ بمحاولة ريشيليو ، وتأييده الشخصى ، بل اشترك فى تحريرها لويس الثالث عشر ذاته ، وقد كان يحاوله أن يحمل أصول مقالاته إلى المطبعة ويحضر صفها بنفسه، وهكذا

كان شأن الصحف السياسية التي أنشئت فيما بعد على التوالي، إذ كان الدافع إلى جافة تأييد جماعات وأفراد تريد أن تتولى الحكم .

وأما الصحافة الانجليزية، فقد كانت دوافع إنشائها راجعة إلى طبيعة انقسام الأمة البريطانية إلى طبقات؛ وقد أسست جريدة (التيمس) سنة ١٧٨٥ للسهر على تقاليد الجدل والخلق العظيم بين الطبقة الراقية المستنيرة في إنجلترا ، وقامت جريدة (ديلي تلغراف) في سنة ١٨٥٥ لتكون لسان حال الطبقات الوسطى، كما جاءت في العهد الأخير جريدة (ديلي هرالد) تعبر عن طائفة العمال، بل تفرد بمالم تتوفر لصحيفة أخرى غيرها في إنجلترا، أي بكونها اللسان الرسمي لحزب سياسي هو حزب العمال وللمنشأة سياسية هي مؤتمر اتحاد النقابات .

لكن هذا الاختلاف في الدوافع التي يستند إليها قيام أقدم صحافيين في العالم لا يحول دون تقرير واقع لا يدل ثبات أصوله عن ثبات أصول تلك الدوافع، وهو أن النزوع إلى التحرر من قيود الحكم المستبد وقيود التقاليد الفاسدة هو الذي يرجع إليه التفكير في إنشاء الصحف لتوجيه ذلك النزوع المحتوم لصالح الدولة. بالنسبة لفرنسا، ولزيادة تنظيم النضال الذي يستوجيه بالنسبة لإنجلترا .

وإذا كانت الصحف قد انقسمت على مر الأيام إلى صحف آراء وصحف أخبار اتصل بجماعات ترعى مصالح مالية وصناعة معينة ، أو تميل لتجاهات سياسية خاصة، فإنها لا تزال مستندة في نشاطها المختلف به المتناقض إلى ذلك الاعتبار الأول الذي راعته جذاتها العليا، ألا وهو اعتبار النزوع إلى التحرر من القيود، فصاحب الرأي لا يستطيع أن يديه كاملا ، وناشر الخبر لا يمكن أن ينشره مفصلا ، وصاحب الاعلان لا يستطيع أن يقدمه للقراء شاملا كل ما يجذبهم، إذا كانت هناك أعباء تفرضها القوانين على الكتاب والناشرين، أو كانت هناك اعتبارات عرف تسبغ أشياء ولا تسبغ أخرى .

هناك إذن خاصية مشتركة بينهما خلال الواقع التاريخي، وقد كانت بين طبائع الصحافة جميعا ، وتلك هي خاصية «النزوع إلى التحرير» .

ولقد كان من شأن هذه الخاصية أن جذبت سوهي لا تزال تجذب إلى الصحف كل تواق للحرية، وكل متألم من قيود القانون والعرف ، يبشون عن طريق المناجاة

الشفوية حيناً، وعن طريق التعبير أحياناً، ما يحسونه من ألم ويطمحون إليه من حرية،
فتنشر لهم شكائهم، فتشفي بنشرها شيئاً من عيلهم، أو تزيدهم لما يتألمون منه وعلى ما يتوقون
إليه حرية فتتوقف فيهم ملكات كانت من قبل كامنة وتختلج في البديهة تيارات لم تكن
من قبل معروفة، وتلك هي ملكات النقد وتيارات التقدير.

ولم تكن «السياسة» وحدها موضوع ما نشأ على هذه الوتيرة من نقد وتقدير،
بل كان الأدب والاجتماع، وكان مختلف أنواع النشاط الفكري جميعاً كذلك، وأنتم
تعرفون ما للنقد في عوالم السياسة والأدب والاجتماع من أثر وسلطان، وما له من
نتائج اصلاح، فتعرفون بالتالي فضل الصحافة عن طريق اذاعته وإطلاق العنان لما
يتضمنه من رغبة في التحرير والتقديم.



على أن للصحافة خاصية أخرى لا تقل أهمية من حيث الأثر الذي ينتجه عن خاصة
النزوع إلى التحرير، وما ولدته من كشف عن ملكات النقد وتوجيه لتارات التقدير
وأعنى بها ذلك الذي أود أن أعبر عنه «بالأثر الصوفي لكل مطبوع» ولا تزال
المطبوعات تفعل في الناس فعلها السحري الذي قلما يكون لمكتوب يجري به قلم
تمسك به يد، ولا شك أن الطباعة حين وجدت كان لها في الناس أثر أي أثر، ولا
شك أنه كان من الشدة بحيث لا يزال ما طبعه فيهم منذ قرون قائماً أمامهم إلى
الآن، وأنني لأعرف كثيرين من المثقفين، بل من الساهرين على التحقيق الجامعي
في هذه البلاد، من يخضع للمطبوع ذلك المصنوع السحري فيأخذ ما تنشره
الصحف على أنه دائماً حقيقة لا ريب فيها، وعلى أن له من الصفات ما يكاد يتأخر
القدسية في كثير.

«وذلك الأثر الصوفي لكل مطبوع» يتفاعل بطبيعة الحال مع النقد الذي
سجلناه كنتيجة أولى من نتائج تلك الخاصية الصحفية الأولى، خاصة النزوع إلى
التحرير، ومن شأن تفاعل هذين المنصرين أن تظهر ملكات وعقريات كانت تظل
مدفونة لو لم يقع، وإن يبرز شخصيات كانت تظل مخبوءة لو لم يكن، وإن
يعرض للناس من الآراء ما يستخلصون منها برامج توجههم في حياتهم الخاصة
والعامة، وإن تعمل هذه البرامج المستخلصة في تعهد الرأي العام وتنظيم
ما يعمل.

ولعل تعهد هذا الرأي العام بالتنظيم والتوجيه يكون هو أولى رسالات الصحافة في الجماعة ، ذلك بأن الرأي العام اذا ما انتظم فانما يتوجه الى السلطات بما كان أفراد المتألمين من القيود التواقين للتحرر يتوجهون به على صفحات الصحف من نقد ، ويتقدم بما كانوا يتقدمون به من مطالب ، لكن الرأي العام المنتظم يعرف الناحية التي يتجه اليها ، ويتقدم منها على وجه التخصيص ، بينما كان أولئك المتألمون التواقون يرسلون عبارات ألمهم وتوقاتهم الى جمهرة القراء الذين يحلون أشخاصهم يتقدم الرأي العام بالنقد والمطالب الى السلطات التي اصطلح المصطلحون على تقسيمها الى تنفيذية وتشريعية وقضائية ، وسرعان ما تعينه « علنية » النقد والمطالبة عن طريق الصحف على أن يصبح مراقبا لتصرفات تلك السلطات جميعاً ، وسرعان ما يبين ذلك كله الصحافة على أن تصبح بدورها « ساطة رابعة من ساطات الدولة » يتفاعل عن طريقه النقد ، قراراً أو تأييداً أو استهجاناً ومخالفة ، وعن طريق اقتراح الحلول للازمات والابانة عن الخارج من المضائق ، مع الثلاث السلطات الاخرى ، كما يتفاعل فيما بينهم .

وفي كل يوم تقف الصحافة من المشروعات العامة ، ومن التصرفات الحكومية ، ومن الاجراءات البرلمانية والقضائية ذاتها ما ينجلي خلالها للقراء وللناس جميعا فعل تلك الرقابة التي تختص بها دون سائر الهيئات ، ويتجلى عمق هذا الفعل الذي يتمرد أن للعلنية فيه شأناً عظيماً ، والناس لا يزالون يخشون عرض أعمالهم على الناس ، وهم يخشون بخاصة أن يجيء هذا العرض في وضوح النهار ، ولذلك ما تزال طبيعتهم تتلصص الفرار من « عار الذم العلني » ، ولذلك فانهم يعيرون - وعلى الرغم منهم في كثير من الاحايين - كتابات الصحافة اهتماماً ما كانوا ليجيروا نصفه كتابات تتضمن النقد عينه والمطالب عينها لو كانت تجيء عن غير هذا الطريق العلني ، وان كان من أهل ذكر وذى اختصاص

ولا ريب أن أيام الزملاء الصحفيين مملوءة بما يدل على صحة ما أقرر . لكني أود أن أقدم لكم بمذلين اثنين لا بأس من إيرادهما ، فقيهما بعض الترويح .
أما المثل الاول - ويسرني أن أرى الاستاذ الكبير لطفى السيد حاضراً ادلائى به فقد كان طرفاً من اطراف ظروفه - فيرجع العيد به الى أربع وعشرين سنة أو ثلاث وعشرين ، وقد كنت في ذلك الحين مدرساً بمدرسة التجارة العليا ، وكانت لائحة هذه المدرسة موقوتة غير مستقرة استقراراً نهائياً ، فوجدت

بها بعض ما رغبت في إصلاحه لفائدة العلم ونظامه ، فتقدمت إلى إدارة التعليم التجاري ووزارة المعارف بملاحظات رجوت ادخال ما تضمنته من وجوه اصلاح على اللائحة قبل عرضها على الجمعية التشريعية للنظر فيها واقرارها ، وحسبت تلك الملاحظات قد أعبرت جانبا مما كنت أعتقد أنها جديرة به من اهتمام ، لكن جاء وقت نظر الجمعية التشريعية لتلك اللائحة ، وأعلن أمرها : فوجدتها هي لم ينلها تعديل أو تحوير .

عند ذلك فكرت في الصحافة وكتبت ثلاث مقالات دفت بها إلى « مدير الجريدة » ، ورجوته في أن يظل اسم الكاتب مستورا ، وقد ضمنت تلك المقالات الثلاث ما كنت قد ضمته ملاحظاتي الرسمية من قبل ، فلم يكن المقال الاول ينشر حتى كان اهتمام من وزارة المعارف وإدارة التعليم التجاري ، وما أن نشر الثاني حتى كان استدعاء لي ومناقشة في ملاحظاتي وما شملته من اقتراحات ، وما أن انتهت الجريدة من نشر المقال الثالث حتى كان التعديل والتحوير قد أصابا اللائحة المندمة للجمعية التشريعية وحتى كان الاصلاح الذي التمسته من قبل اساسا مقبولا ومقررا وأمر اذاعا بالفعل .

والمثل الثاني كان البرلمان ميدانه ، برلمان سنة ١٩٣٦ الذي كان يرأسه سعد باشا ، سعد باشا في منصة الرئاسة ، والمجلس يناقش موضوعا من الموضوعات المطروحة عليه ، ولسعد باشا رأى فيه ، فلم يتردد في ابدائه مطولا مدعما من على منصة الرئاسة ، وأنا في ذلك الوقت مراسل برلماني لجريدة « السياسة » ، تناولت هذا المظهر بالتقد ، وصدرت « السياسة » في الصباح ، ألاحظ فيها أن سعد باشا على منصة الرئاسة انما يمثل المجلس كله ويمثل الأمة كلها ولا يستطيع في هذا التمثيل الشامل أن يدل برأى فردي في موضوع تجرى فيه المناقشة في المجلس ، لكن سعد باشا نائب ، ولم يستطع عن طريق نيابته أن يدل بآرائه الفردية ، لكن له هذا الادلاء عن غير منصبه الرئاسة ، فاذا هو أراد استعمال حقه في الكلام الفردي فليعهد بالرئاسة لأحد الوكيلين وليعادر منصة الرئاسة وليأخذ مكانه بين الاعضاء وليلتألم الكلمة لتعط اباه « نائبا محترما عن السيدة » ، وفي اليوم الذي ظهرت تلك الملاحظات على صفحات السياسة في صباحه كان للبرلمان جلسة ، وكان يرأس مجلس النواب سعد باشا ، وعرض موضوع أراد سعد باشا أن يدل فيه برأى ، فأريته يتأدى

الأستاذ ويصا واصف ويطلب اليه رئاسة الجلسة ثم ينزل هو إلى مقاعد الأعضاء ويطلب الكلمة فينادى الأستاذ ويصا واصف معلنا الكلمة نائب السيدة زينب المحترم .

* * *

وإذا كانت « رسالة الصحافة » التي وصل بنا هذا التحليل الى تقريرها لها هي رسالة « السلطة الرابعة » التي ترافق سلطان الدولة الاخرى وتتفاعل وإياها في مصلحة الجماعة ، فان لها رسالة ثانية لا تقل في نظري عن تلك خطورة ولا تقصر مدى، وأعني بها رسالة « المثل الصامت الاعلى للتضحية » الذي يقدمه الصحفي كل يوم وكل لحظة ويدعو اليه من طريق القدوة الحسنة لمصلحة الوطن .

ولا يذهبن تصورك تلك التضحية إلى ما يصيب الكتاب والصحفيين من مواقف المحاكمات ومتاعب السجون فهي وحقكم أهون أنواع التضحية التي يتقدم بها الصحفيون كل يوم وكل لحظة مبسمين ، وان كانت تلك المحاكمات وتأتجها تكون أركان الأدلة الفاطعة على أن للصحافة رسالة دعوية تسمو بأصحابها عن اعتبارات المادة ومقاصد الكسب التي يريد البعض ان يروها هي وحدها اعتبارات الصحافة ومقاصد الصحفيين، والحمد لله إذ تقوم هذه الأدلة كل حين في مصر وفي غير مصر حيث لاتزل القوانين « الحادة » تفعل فعلها وحيث لاتزال « عيون الحكام » تفعل فعلها وحيث لاتزال « عيون الحكام الجراء » ترمق الصحفيين وإن كان العهد الماضي في مصر قد غير من « حمار » العيون الكثير . . . ولو إلى حين . . .

انما اقصد إلى نوعين من المواقف المؤلمة التي يقفها الصحفي الحق كل يوم وكل لحظة فيما بينه وبين نفسه وتصيب أعصابه وتصيب كائنه كله من جرائها ما تصيب، فكم مرة في اليوم الواحد يواجه فيها الصحفي فضلا بين رغبته الاكيدة الخالصة في الاعراب عن رأيه الذي يدين به اعرابا خالصا من شوائب اللف والمواربة وضرورة من ضرورات الاعتبارات المادية وما اليها تقضى عليه بالسكوت عن ركن من أركان موضوعه أو ناحية من نواحي رأيه، ولأنه لئلا مضعف مملك يؤثر الصحفي الحق عليه كل أنواع المحاكمات والتعذيب الجسمي .
ونوع آخر من أنواع تلك المواقف المؤلمة ذلك الذي يضطرك فيه رأيك إلى

مغاضبة صديق تربطك وإياه صلات وثيقة وتمتصان وإياه في ذكريات عزيزة ،
ويظهر أن إغضب الأصدقاء من شروط المهنة في الصحافة فقد استمعت منذ
سنوات - وأنا في لندن . إلى صحفي يخطب زملاءه وقد أقاموا له حفلة تكريم
لمناسبة إنسحابه من ميدان الصحافة وقد بلغ الخامسة والسبعين ، فيقول فيقول :
إن أشد ما ناله في حياته الصحفية اضطرابها إياه لمغاضبة أصدقائه ، وأشد ما كان
يؤله في هذا الصدد عدم استطاعته الجبولة دون هذه المغاضبة ، وقد انتهت الأمور إلى
الاعتقاد بأن هذه المغاضبة شرط من شروط المهنة نطالما أحسن بأنه لم يؤد واجبه
الصحفي على الوجه الأكمل كلما كان يعالج موضوعا يتصل بصديق له ولا يغاضب
هذا الصديق .

* * *

على أن الصحفي الحق الذي يقدم كل يوم تلك « المثل العليا الصامته » ،
ويذوب من جرائها في سبيل إثارة الغير ، إنما يحتمل كل ما تطوى عليه من آلام ،
بتلك الثقة التي تعرفها سير أصحاب الرسائل جميعا ، وإنما يسمو برسالته -
التي تكاد تكون الهبة هي الأخرى - فوق الدناء من الاعتبارات التي لا يخل
« المواطنون » أن يرحمهم بها وهو ين تحت أعباء ما يحمله عنهم من تكاليف ، كارجح
مواطنون رسلا وأنبياء فيهم من قبل . .

* * *

ولعل من العزاء للصحافة والصحفيين في شيء أن أذكر إذ أختتم هذه المحاضرة
تلك الكلمة التي قالها « كليمنصو » يوم نشل في محاولة ارتقاء عرش رئاسة الجمهورية
الفرنسية بعد ما أدى لفرنسا ما أدى من رسالة قومية أثناء الحرب العظمى ، فقد
سأله سائل عن أثر هذا الفشل في نفسه - وكان « كليمنصو » من عظماء الصحفيين كما
كان من عظماء رجال الدولة - فاجاب :

« بقلم متين وبعض من الورق يستطيع المرء أن يصبح ملك العالم » .
ولتحي صاحب الجلالة !

اتجاهات الصحافة الحديثة للأستاذ اميل زيدان رئيس تحرير الهلال

ألقيت مساء يوم ٩ ابريل سنة ١٩٣٦

في نصف قرن

تطورت الصحافة في الخمسين سنة الماضية تطورا بالغا أصاب كيافتها وهز أركانها
فالتفرق بين صحيفة صدرت منذ بضع عشرات من السنين وصحيفة تصدر اليوم
كالفرق بين عربة تجرها الجياد وسيارة من طراز ١٩٣٦ .

روى جورج نيونز وهو أحد آباء الصحافة الحديثة التي نحن بصددناها انه جلس
يوما يطالع صحيفة يومية فلم يلبث أن شعر بالسأم يستولى عليه اذ كانت الصحف
وتشبه أشبه شيء بالسجل الطويل الممل . ولم يسترققه في تلك الصحيفة الا خبران
اثنان طالهما بلذة . . . تفكر في الأمر ثم ساءل نفسه قائلا : لم لا تنشأ
جريدة تقتصر على نشر النبد والمعلومات المشابهة لذنيك الخبرين . ولم يمض
طويل وقت حتى اصدر مجلة « تيت بتس » جامعة لكل طريف جذاب فنالت
رواجا كبيرا .

وتأثر لورد نورثكليف - وكان اسمه وتبذ الفرد هرمسوث - بفكرة « جورج
نيونز » فانشأ مجلة « انسرز » على غرار (تيت بتس) . تلك كانت خطوته الاولى
في الصحافة . على ان أثره الباقي هو انشاء (الديلي ميل) التي كان صدورها بدء
عهد جديد . فنورثكليف كان بلا ريب نابليون الصحافة واليه يرجع الفضل
الاكبر في تقدمها العجيب .

ففي سنة ١٨٩٦ أى منذ أربعين سنة استرقف المارة في شوارع لندن اعلانات
كبيرة كتب عليها هذه الكلمات : The Daily Mail - A surprise - أى
« الديلي ميل - مفاجأة » ولم يلبثوا أياما قليلة حتى رأوا العدد الاول من هذه
الجريدة ففوجئوا به حقيقة - إذ جاء مختلفا اختلافا بينا عما ألفوه حتى ذلك
الحين .

وأول ما فوجئوا به ثمن الدليل ميل فقد كان نصف بنى (أى مليونين) وهو نصف الثمن المعتاد وقتئذ . ومع أن حجمها كان أصغر من حجم الجرائد الأخرى - ٨ صفحات فقط - فقد احتوت على خلاصة ما كانت تنشره تلك الجرائد . ثم إن تلك الخلاصة كانت مسبوكة في قالب جذاب وبعناوين لافتة وترتيب يرتاح إليه النظر . ولم يكن ثمة أثر للمقالات المطولة والمباحث المستفيضة بل اقتصر الدليل ميل على الزبدة التي تهتم الرجل العادى أو رجل الشارع . وما امتازت به أيضا عنايتها بالأخبار في المقام الأول ، وجعلها الآراء والمناقشات السياسية في المقام الثانى .

ذلك كان منشأ « الدليل ميل » بل منشأ الصحافة الحديثة . ولقد كوفئ منشئها على جوده بأقبال لم يعرف له مثيل . فبعد ثلاث سنوات بلغ المبيع من جريدته نصف مليون نسخة في اليوم .

أما الآن فالدليل ميل يتبع كل يوم ما يقرب من المليونين ، ولها في هذا المضمار ثلاث منافسات : الدليل اكسبريس ومنشئها لورد بيفربروك الكندى الأصل . والدليل هرالد صحيفة العمال وإن يكن ناشروها من الرأسماليين ، والنيوز كرونيكل صحيفة الأحرار التي تكونت باندماج (الدليل نيوز) و (الدليل كرونيكل)

* * *

وعلى ذكر الدليل اكسبريس، تعرفت في الصيف الماضى في لندن بالمستر بيفرلى باكستر وكان قد استقال من رئاسة تحرير تلك الجريدة الشهيرة . فسأله عن سبب استقالته فأجاب هذا الجواب: إن الناس لا يصدقونى حين أقول لهم السبب الحقيقى . والواقع أنه حين عهد إلى لورد بيفربروك في رئاسة تحرير الدليل اكسبريس كانت تطبع نحو ٤٠٠٠٠٠ نسخة نوزمت على الوصول بها إلى المليونين . وفى العام الماضى وصلت فعلا إلى بغى . فلم يعد لى ثمة حافز على العمل الصحفى بعد أن حققت الغاية التي نشدتها فتركزت الصحافة إلى عمل جديد ما زال مجال التوسع فيه عظيما - أعنى صناعة الأفلام .

على أن انتشار الجريدة ليس وحده مقياس شأنها فالتبمس تطبع نحو ٣٠٠٠٠٠ نسخة وهى بلا ريب أعظم جريدة في العالم - ومثلها الطان الفرنسية فانها تطبع أقل من ١٠٠٠٠٠ نسخة في اليوم .

* * *

ومع تطور الصحف تطورت مهنة الصحافة ، وأصبحت لها نظم وقواعد ، فبعد ان كان الصحفي في الغالب كاتباً بوهيميا أو أديبا يداعب القلم ويطلع على القراء بينات أفكاره خضع لقوانين معينة وتقيد باعتبارات كثيرة . وبعبارة أخرى أصبح محترفاً بعد ان كان هاوياً .

أما في مصر فقد تطورت صحفنا مثل تطور الصحف الغربية - مع حفظ النسبة طبعاً - . ويكفي للدلالة على هذا التطور انه لم يكن في مصر سنة ١٩١٤ صحيفة تطبع أكثر من ٤ أو ٥ آلاف نسخة في حين ان لدينا الآن صحفاً تطبع ٤٠ و ٥٠ ألفاً وأكثر . وصحفنا في تطورها تقتبس من زميلاتها الغربية ، ولذلك فما اناذا كره من اتجاهات الصحافة الحديثة والاحطار التي تتعرض لها ينطبق على صحفنا مثل ما ينطبق على سواها .

اتجاهات الصحافة الحديثة

لا تقوم الجريدة اليوم على التحرير والتحجير فحسب . ولانستطيع ، ونحن ندرس اتجاهات الصحافة الحديثة ، أن نغفل الأركان الأخرى التي تقوم عليها وهي :

١ - الادارة المالية - ٢ الاعلانات - ٣ الطباعة وما يتصل بها .
(١) فالصحف الكبرى في العالم تملكها الآن شركات قوية تديرها على أسس مالية واقتصادية ، فقد انقضى - أو كاد - عصر الصحافة الفردية وأصبحت إدارات الصحف متشعبة الأقسام والدوائر ولا يكاد يعرف العامل في احدى الجهات شيئاً مما يجري في جهة أخرى من صحيفته .

لست أعني أن الجريدة عمل تجارى بحت - كلا فلها وظيفة اجتماعية سامية . ولكنها لا تستطيع تأدية هذه الوظيفة على أحسن وجه إلا بتوطيد مركزها المالى . لماذا ؟ لأن الجريدة إذا توطدت ماليتها استطاعت أن تستل في آرائها وأمكنها أن تنتقد بجرأة وأن تصارح الحكومة والجمهور بما تقتضيه المصلحة العامة . أما إذا كانت ضيقة مالياً فانها تظل كالريشة تتجاذبها الالهواء وتلعب بها الاغراض (٢) وأما الاعلانات فقد أصبحت عماد الربح في الجرائد الحديثة . فالنسخة الواحدة تسكف أكثر من الثمن الذي تباع به ، وإنما تعوض الخسارة بفضل الاعلانات ، وقد حسبوا أن البيع والاشتراك لا يأتیان إلا بثلث الدخل ، والثلثان الآخران من الاعلانات .

ومن الخطأ أن يعتقد القارئ أن الاعلانات تطفئ على الجريدة وتحميه حته .
فالواقع أنه لولا الاعلانات ما أمكنه أن يشتري الجريدة بهذا الثمن البس .

(٣) أما الطابعة وما يتصل بها من فنون فلا حاجة بي إلى الافاضة بشأنها ، وقد بلغت الآلات الحديثة من السرعة ما جعل القارئ يقرأ تفاصيل الحريق الذى يشب في المدينة ويرى صورته على صفحات الجريدة قبل أن يطفأ ذلك الحريق ، والتحدث عن التقدم العجيب في هذا المضمار يخرجني عن نطاق بحثي الذى أردت أن يدور معظمه على التحرير والمحربين .

* * *

تعني الصحيفة الحديثة في المقام الاول بالأخبار . كما يدل على ذلك اسمها الانجليزي Newspaper أى صحيفة الأخبار . وقد ذهب البعض إلى أن كلمة News مشتقة من الاحرف الاولى للاتجاهات الاربعه West, East, North, South

ومما يمكن من ذلك فلا ريب أن معظم الاهتمام ينصب اليوم على جمع الاخبار بأسرع الطرق وسردها بأسلوب متعمق شائق .

وليس من السهل أن تحدد ماهية «الخبر» الصحفي . وقد يكون للخبر خطر في ذاته ولو لم يكنه لا يلفت نظر القارئ العادى فيهمله الصحفي أو يطرحه في احدى زوايا الصحيفة . وعلى الاجمال فقيمة الخبر على نسبة لفته للنظر . قال أحد كبار الصحفيين على سبيل التمثيل الفكاهي : «إذا عض كلب رجلا فليس هذا بخبر لانه عادى، أما إذا عض الرجل كلبا فهذا خبر ذو شأن» .

إن الهدف الذى يرمى اليه الصحفي العصري هو - كما قلنا - استمالة القارئ العادى أو رجل «الشارع» . فلا بد للصحفى من دراسة هذا المخلوق ومعرفة نزعاته لكي يستطيع اجتذابه واقتناص انتباهه والتغلب على ملله : فذهنه كسول يكره الجهد كما أنه فضول يعنى بسفاسف الامور وقد يعرض عن جلائلها . وعالمه في الغالب محدود لا يتعدى مدينته أو مقاطعته .

هذه حقائق أساسية يجب ألا تترك ذهن الصحفي . والقاعدة البسيكولوجية التى ينبغى له أن يضعها دائما نصب عينيه أن يتحدث عن أشياء تهتم القارئ وعن أشخاص يعرفهم . فلا بد من ربط الخبر بما يحويه ذهن القارئ من نزعات

وملوحات ولا بد من النظر الى الحوادث جميعا من زاوية الضيقة .
فهذا القارىء قد يتم لعراك صبيين فى الشارع الذى يسكنه أكثر مما يحفل لانقلاب
حكومة بعيدة . وقد قدر أحد الصحفيين أن وفاة تحدث فى المدينة التى تطبع فيها
الجريدة تعادل من حيث قيمتها الصحفية خمسين وفاة فى المقاطعة التابعة لها المدينة
والف وفاة فى أحد الافطار المجاورة ودميون وفاة فى قارة بعيدة .

وجملة القول أن للصحفى مقاييس غير مقاييس الأديب أو مقاييس العالم وقرع
البلاغة الصحفية تختلف من عدة وجوه عن قواعد البلاغة التى تدرس فى المدارس ،
كما أن الاجادة فى الصحافة تتطلب صفات خاصة غير تلك التى تتطلبها الاجادة فى
غيرها من المهن .

وفى رأس هذه الصفات السرعة والسبق يحكى عن أحد الصحفيين فى اثناء حرب
الترانسفال أنه أراد أن يسبق زملاءه جميعا فى ارسال نبأ عن نتيجة معركة خطيرة
وكان هناك مكتب واحد للتغراف فلكى يمنع زملاءه من استخدام ذلك التغراف
صمم على أن يشغله باستمرار وسلم للموظف نسخة من الانجيل وطلب اليه أن يرسل
إلى جريدته الصفحة تلو الصفحة ريثما يتلقى من نتيجة المعركة المرتبة . فيكون أول
من يرسل الخبر إلى جريدته .

ومعلوم ان معاهدة فرساي نشرتها جريدة شيكاغو تريبيون قبل ان تخرج من
أيدى مصنفها . وأثار هذا الحادث ضجة عظيمة ، فقد استطاع مكاتب تلك الجريدة
اقناع أحد ممثلى الدول الصغيرة المظلومة بتسليمه نسخة المعاهدة وأغراه بأن فى
نشرها تنبئها على الحيف الواقع على بلاده .

* * *

وبعد جمع الأخبار يجب « اخراجها » ، والاخراج الصحفى فن كالاخراج
السينمائى ، وغرضه ابراز الخبر وتنسيقه بصورة لافتة للنظر . وللعناوين شأن
خاص فى ذلك ، وقد حسبوا ان العناوين فى بعض الصحف الامريكية تشغل أحيانا
من المساحة أكثر مما يشغله الخبر نفسه .

أراد نورثكليف يوما ان يلقى درسا على أحد أعوانه فقال له : « اذهب إلى
بائع الفاكهة عند زاوية الشارع وسله أين يضع أحسن ما عنده من التفاح » ، فخار
المحرر ولكنه صعد بالامر ، وما لبث أن عاد وقال : إن بائع الفاكهة أخبره أنه يضع

أحسن تفاحة في أبرز مكان من الواجهة، فقال نور شكيف : « والصحفي كبائع الفاكهة يجب أن يبرز أحسن ما عنده للعيان ويأمنه تفسيقا جدا بإستهوى النظر وبأخذ باللب » .

أما الأسلوب الكتابي فأول ما يشترط فيه توضيح الخبر وتبسيطه وتقريبه بحيث لا يحتاج القارئ إلى بذل شيء من الجهد في تفهمه - لأن القارئ العادي كما قلنا عموما لكل جهد .

كنت في أول عهدي بالكتابة ميالا إلى بعض الموضوعات العويصة ، شأن المبتدئين المتفلسفين ، وحدث أن قابلت يوما أحد زملائي في المدرسة فأقبل على مهتا وقال : إن ما تكتبه يا فلان عال جدا فاني قرأت المقال ولم أفهمه . وقد ظن أنه يمدحني على اعتقاد أن الكتابة العالية هي تلك التي لا تفهم بسهولة ، هذا الصديق قد خدمني أعظم خدمة، فقد أدركت وقتئذ أن الواجب الأول على الصحفي أن يكتب لقراءه بأسلوب سهل قريب المنال .

أخطار المهنة

سمعنا جميعا عن الصحف الصفراء ، والمقصود بهذا التعبير تلك الصحف التي لا هم لها الا كسب المال عن أي طريق أتى، فغرضها الأول والأخير زيادة المبيع من نسخها ومضاعفة مساحة الاعلانات التي تنشرها ، فضلا عن موارد أخرى سرية وشبه سرية .

والصفرة في الصحف درجات ومراتب ، ولا تحجم بعض الصحف الصفراء ، في سبيل الوصول الى أغراضها ، عن استخدام أشنع ضروب التهويل والافتراء والاعغال والتجسيم .

ومن أغرب ما قاله أحد الصحفيين إنه يجب على كل صحيفة أن تضم اليها (مجنونا) لكي يستطيع بين حين وآخر أشياء غير مألوفة ليحدث عنها الناس ، فتحدث الناس هو سر الرواج .

ولنضرب بعض الأمثلة على أساليب الصحف الميركية، فهي أبرز من سواها في هذا الميدان .

لكل نجمة سينائية كما هو معلوم وكيل يشرف على مصالحها ويتولى استغلال مواهبها . وقد روى أحدهم أنه كان يتفق مع النجمة الناشئة لمدة ثلاث سنوات

فيشرع في الاعلان عنها مستهيناً بالصحف والصحفيين ثم يتماضى جانباً من الفرق بين راتبها الاصلى والراتب الذى وصلت اليه بمسماه ، ومن هذا التبيل قصة جانيت مكدونالد وزواجها بولى عهد ايطاليا . فقد اخترعت هذه القصة اختراعاً وشغلت الصحف زمناً غير يسير . وكان مروجها يذكرى الاهتمام بها يوماً بعد يوم فلم يمض شهر واحد حتى كانت جانيت مكدونالد أعظم نجمة تتألق فى سماء السينما .

قال أحد أرباب الصحافة الصفراء : (أفضل أنواع الأخبار الصحفية هى الأخبار الكاذبة" لأنها — أولاً — محتكرة للصحيفة التى تنشرها فلا ينافسها فيها منافس ، وثانياً لأن تلك الصحيفة" تستطيع أن تكون أول من يكذبها »

كان اديسون المخترع الاميركى العظيم يتمشى يوماً فى احد حدائق فيينا . فعلم بأمره أحد الصحفيين فأقبل عليه محدثاً ، ولكن اديسون لم الصمت ولم يشأ الافصاح عن شئ . وما كاد اديسون يرحل حتى دبج الصحفى حديثاً مستقيضاً بينه وبين اديسون ونسب اليه أقوالاً كثيرة فى شؤون شتى . وكان عنوان المقال : اديسون أعظم مخترع فى العالم . فلما أطلع اديسون على هذا الحديث أرسل الى الصحفى تلغرافاً قال فيه : « أرجو التصحيح . إن أعظم مخترع فى العالم ليس أنا بل انت » .

وعثر احد الصحفيين الامريكيين يوماً على عجوز زنجية بلهاء عمياء لاتكاد تعى شيئاً وكان فى ذلك اليوم قد نضبت موارد الاخبار لديه . فخطر له ان يبهر الجمهور الامريكى اذ يقدم له تلك الزنجية بصفة كونها مريض جوج واشطن . فمذا يستطيع اثبات العكس ؟ ولم يلبث ان عقب هذا الاكتشاف المزعوم مناقشة حادة فى الصحف . بل ان الجمهور الامريكى نفسه انقسم فريقين : فريق يؤمن بقصة المريض وفريق يشككها . وهذا الفريق الثانى كان على الخصوص من اعداء الزوج فقد عز عليهم ان يكون محرر وطنهم رضع لبن زنجية . وقد شغلت هذه القصة الصحف والجمهور زمناً غير يسير .

ونال مستر هرست ، ملك الصحافة الامريكية اليوم ، شهرته الفائقة على أثر عمل صحفى باهر ، مازال الصحفيون فى أمريكا يضربون به المثل : فقد حدث فى أثناء ثورة جزيرة كوبا على الحكم الاسبانى أن انضمت فتاة جميلة اسمها انجلينا ستروس إلى فريق الثوار ، فإكان من ولاء الامور الاسبانيين الا ان ألغوا القبض

عليها وزجوها في السجن ، وكانت الصحافة الأمريكية : وفي مقدمتها صحف هرس ، تدافع عن أهل كوبا وحقوقهم في الاستقلال وتخوض الحكومة الأمريكية على اعلان الحرب على اسبانيا ، الا أن الحكومة عارضت في هذه المجازفة . فلما اتى القبض على تلك الفتاة استغل هرس هذا الحادث إلى الحد الأقصى فأوفد أحد أعوانه البارعين بمهمة سرية هي السعي في انتزاع السجينة الحسنة ، وقد تم ذلك فعلا بعد أسبوعين وعاد الصحفي مع الفتاة إلى أميركا ، فلما استقبلت شعبييا عظيما حتى اضطر رئيس الجمهورية نفسه إلى استبدال تلك البطلة في البيت الأبيض ، وبالطبع كانت صحف هرس في تلك المدة تستغل هذا الحادث بتفاصيله استغلالا وافيا ، فتضاعف الاقبال عليها . . . ولكن ذلك (التحويل) الصحفي كان في مقدمة العوازل التي دفعت الولايات المتحدة الى اعلان الحرب على اسبانيا

* * *

على أن الخيال الخصب واستغلاله على تلك الأوجه الشائعة ليس هو الخطر الوحيد الذي تتعرض له الصحافة . . . والقراء طبعاً فهناك عوامل كثيرة قد تحد من حرية الصحافة وتحول دون تأدية مهمتها بالانزاهة الواجبة

فبعض الحكومات اليوم تقيد الصحف بتبويض صارمة وتسميط عليها سيطرة تامة فتحول دون نشر أى خبر داخلي أو خارجي لا يرضى عنه الحاكمون بأمرهم . على أن بعض الحكومات تلجأ الى وسائل أخرى للتأثير في الصحف . نحنى التفاهم الودى عن طريق الرشوة وبذل المال . وللحكومات جميعا مصروفات سرية يذهب معظمها الى جيب فريق من أصحاب الصحف

ومن أشد الاخطار على الصحافة طغيان أصحاب الأموال عليها ، واند أصبحت الصحافة في كثير من البلدان شبه احتكار . احتكار في الواقع وإن لم يعترف به القانون ، فالرأى العام في أوربا وأميركا يتغذى كل يوم بغذاء ذهني يقدمه له نفر قليل من قياصرة الصحافة . ومن الصعب بل يكاد يكون مستحيلا أن يجزأ احد اليوم على اصدار صحيفة جديدة في مدينة كندن أو باريس لما في ذلك من المجازفة المالية العظيمة .

ومن أنواع التأثير الذى تتعرض له الصحف تحكم المعلنين ومديرى المصالح والشركات - فقد يؤثرون فى خطة الجريدة فيمنعونها من كشف بعض الاعمال الضارة بمصلحة الجمهور ، فاذا لم تدعن الجريدة حرموها من اعلاناتهم، وهى كما لا يخفى من أهم موارد الصحف .

لكى يرتفع مستوى الصحف، يجب أولا أن يرتفع مستوى المشتغلين بالصحافة، وثانيا أن يرتفع مستوى الجمهور نفسه، فيبين الصحافة والجمهور تفاعل مستمر، فالجرائد تثقف القراء - أو على الأقل تعاون على تثقيفهم، والقراء كلما تثقفوا تشددوا فى مطالبهم واضطروا الصحف إلى رفع مستواها .
فكما تكون الأمة تكون صحافتها .

ومن أقوال برزبين أشهر صحفى أمريكا ان يوم قوله : « إذا نظرت إلى المرأة فلم يعجبك ما ترى فلا تلم المرأة، وكذلك إذا نظرت إلى صحيفة فلم تهجك فلا تلم الصحيفة بل الجمهور الذى يقبل عليها » .

على أن الصحفى ليس فقط خادم الجمهور ولسان حاله، بل يجب أن يكون أيضا دليله ومرشده، وأقصى ما تحتاجه الصحافة فى مصر وفى غيرها انما هو طائفة من الصحفيين يدركون رسالة الصحافة السامية ويعملون على رفع شأنها بين سائر المهن ولعل ما تدرسه الوزارة الماهرة من المشروعات المتعلقة بالصحافة يعاون على بلوغ المطلوب - إن شاء الله .

صانعو الجريدة للأستاذ أنطون الجميل بك

ألقيت في مساء ١٦ ابريل سنة ١٩٣٦

سادنى

تحدث إليكم من تقدمنى من الزملاء الأفاضل عن الجريدة بعد طبعها وبعد نشرها . وانى متحدث إليكم فى هذا المساء عن الجريدة قبل طبعها وقبل تداولها بين الناس .

سمعتم فى المحاضرات السابقة البيانات الطريفة عن تاريخ الصحافة ، وانتشارها ورسالتها وتوجهاتها الحديثة ، ولعلكم راغبون بعد ذلك فى سماع شئ عن صناعة الصحافة نفسها .

عرفكم من الأحاديث الماضية حالة الجريدة خارج دارها ، والكثيرون يطعمون فى ولوج الباب ليتبينوا ما فى الدار

فها بنا ندخل على الأسد فى عرينه لنعرف سر قوته

أو إن شئتم هلموا نتخطى عتبة الباب فندخل على صاحبة الجلالة فى خدرها ، لتعرفوا مهمة القائمين على خدمتها ، وهم كثر ، لأنها ذات دلال وذات مطالب ومطامع لا تقنع بالشئ القليل ، أو بعبارة أبسط . تعالوا ندخل الى مطبخ الجريدة ، كما يقول الفرنجة ، لنرى الذين يهيئون لكم غذاءكم اليومى

أما الزملاء فإن يسمعوا شيئاً جديداً غابت عنهم معرفته ، ولكنهم قد يروقه الخديث عن صميم حرفةهم على حد قول الشاعر : « حديثه أو حديث عنه يطربنى » وأما غير الزملاء فلا شك أنه يروقههم كما قد منا معرفة بعض أسرار المهنة ، والمرء ولوع بمعرفة ما يجمل .

* * *

من مهيء لكم هذه الصحيفة التى تقرأونها فى صباح يومكم أو أصيل نهاركم فى المنزل أو فى المقهى ؟

إن يتناول حديثي المعدات الأولية للجريدة من حروف وورق وحبر وآلات طباعة، مما يشغل به أئوف المهندسين والعمال في المصانع والمعامل والمسابك . فذلك موضوع آخر قد اعالجه أو يعالجه غيرى من الرصفاء في فرصة أخرى ، وأقصر حديثي في هذه الأسمية على صانعى الجريدة ، أى على أولئك الذين يحضرون موادها الكتابية في كل يوم حتى تجيء خلطنا سويا ، فيتناولها القارىء من يد البائع أو يتلقاها مع موزع البريد

صحافيون ظاهرون

وصحافيون مستترون

« صانعو الجريدة » هم الصحافيون أو الصحفيون ، وهم حسب المتعارف بين الناس جميع الذين يشتغلون بالصحافة ولكنكم تعرفون منهم فريقا وتجهلون فريقا ، فهم طوائف كثيرة منهم البارزون للعيان ، يراهم الناس ويعرفونهم . ومنهم المستترون عن الأعين ، تخمنون وجودهم تخمينا ولا ترون أشخاصهم ، بل قد تجهلونهم تماما . فهم كالوقادين في قعر السفينة يغدونها بالقوة التى تسييرها . يشعر الجميع بوجودهم ويكاد لا يراهم أحد . وإذا استعرنا تشبيها من الصحافة نفسها قلنا انهم الحروف الصغيرة التى يتألف منها الخبر أو المقال ، وغيرهم يؤلف حروف العنوان الكبيرة التى لا معنى لها لولا الحروف الصغيرة

صحافيون جالسون

وصحافيون واقفون

ثم إن الصحافة من حيث كيفية العمل ، كائنضاء : صحافة جالسة ، وصحافة واقفة : فالصحافيون الجالسون هم الكتاتيون أو المحررون ، فى مكاتبهم . والصحافيون الواقفون هم الجرالون المنتقلون ، يضربون فى كل جهة من المدينة وفى كل مدينة من القطر ، بل فى كل قطر من الدنيا . وما أشد ما تنطبق عليهم الآية الكريمة المنقوشة أمامكم فى صدر هذه القاعة « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها »

المخبرون

ينتشرون كل يوم كالنحل فى دواوين الحكومة ، ويرتادون الحفلات والمجتمعات

يُستقطن الأخبار ، ويستطلعون الناس حقيقة الأنباء ، ثم يعودون بنعيمهم إلى خلتهم كالنحل فيفرغون ما في جيبهم .

والبرز منهم من سبق زميلا في تصيد خبر هام ، أو برز في استيفاء تفصيل عن نبأ خطير . وعمل هذه الطائفة من صانعي الجريدة المعروفين بالخبريين يزداد أهمية مع تقدم الصحافة حتى يكاد يكون لبعضهم المقام الأول في الصحافة الغربية . وركن عملهم السرعة في التقاط الخبر والصدق في إirاده .

أما السرعة فهي سر النجاح في الصحافة الحديثة وقد أصبحت طرق النقل كثيرة وسبلها سهلة مهيأة ، بالتلغراف والتليفون . فإين من عصرنا عصر المتنبي الذي كان الخبر فيه يطوى البلاد حتى يصل إليه فيتردد في تصديقه .

طوى الجزيرة حتى جاء في خبر فرغت فيه بآمالى إلى الكذب
تعثرت به في الافواه السنها والبرد في الطرق والافلام في الكتب
أما الصدق في إirاد الخبر فقام على الامانة في نقله فلا يقال في روايته ما قاله
الشاعر قديما :

هو نقلوا عني الذي لم أفه به وما آفة الاخبار الا روايتها
وقد يكون الخبر صحيحا في جملته ، ولكن طريقة روايته تدل على غرض في
الصدر وهو في النفس :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان ذمت ثقل قء الزناير .
وما أشبه الصحفيين في عهدنا بالشعراء في الامس يوم كانوا يسجلون الحوادث
ويدونون الوقائع في تصائدهم فيتناقلها الناس حسب روايتهم .

المراسلون وبريد الجريدة

والى هذه الطائفة من الصحفيين ينتسب المراسلون من الداخل والخارج ، وهم الذين يوافقون الجريدة بأبناء الحوادث التي تقع في الاقاليم أو في البلدان الاخرى ، وينطبق اجمالا عليهم ما ذكرناه عن الخبريين .

ولا بد هنا من الاستطراد الى ذكر « بريد الجريدة » ، فان موضع البريد يحمل في صباح كل يوم وفي مسائه إلى صحفنا اليومية أكدا من الرسائل ، وفيها أحيانا المطرب والعجيب مما تجدون خبره عند المنوط بفتح « البوستة » واكتفى أن أروى لكم على سبيل المثال اننا تلتمينا أخيرا صورة شاب ، وقد دون اسمه تحت

رسمه ، واضاف اليه هذه العبارة: (ارجو نشره عملاً بحرية النشر) ، فتطليس إلا ،
مسكينة حرية النشر ! كم يطالب الصحفيون باسمها بأشياء . . !

ويظهر ان الصحف الاوربية لاتعاني ما تعانيه صحفنا من رسائل البريد . فقد
زرت اوربا في الصيف الماضي وقصدت الى ادارة إحدى كبريات الصحف ، وكان
من الاسئلة التي سألتها : ومن المكلف بفتح الرسائل عندهم ؟
قال محدثي : وأى رسائل !

قلت : الرسائل الواردة الى التحرير .

قال : ليس لدينا رسائل ، فان الانباء ترسل اليها بالتلغراف أو بالتليفون .
فتتلها الاوانس ويدونها على الآلة الكاتبة ثم يدفعنها الى القسم المختص فيصوغها
في القالب المناسب .

الكتاب

أما الصحافة الجالسة فتوامها المحررون أو الكتاب ، وهم الذين يدبجون المقالات
التي تقرأونها في صدر الجريدة أو في تضاعيف صفحاتها من بحث موضوع عام
أو تعليق على حادث ، أو معالجة مشكلة أو نقد مشروع ، أو تأييد فكرة .
وفي كبريات صحف الغرب طائفة من هؤلاء الكتاب يجتمعون كل يوم برئيس
التحرير فيقترعون الموضوع الذي يعالجه كل منهم ويقررون الاتجاه الذي يتبعونه
فيعلقون على الحوادث ، أو يبحثون الموضوع الذي توجيه تلك الحوادث بالتحديد
أو الاستنكار

وأخص مايجب أن تمتاز به هذه الطائفة من الكتاب السرعة في الكتابة
والطلاوة في الديباجة والبراعة في التعبير والافتتان والتشويق في الاسلوب .
وقد تتطور الحوادث في خلال اليوم الواحد فتتضي على عجل تحوير ما كتب أو
تعديله أو التدول عنه .

ومن تقاليد بعض الصحف أن يوقع كل كاتب ما يكتبه ، ومن تقاليد البعض
الآخر أن تكون الكتابات غملا من الامضاء كأنها صادرة من الجريدة .

المترجمون

ويدخل في هذه الطائفة المترجمون ، وعملهم في صحفنا العربية أهم منه في
الصحف الافرنجية ، لأن كل ما تتلقاه من الأنباء الخارجية يجيئنا بلغة أجنبية ،

فلا بد من نقله إلى لغتنا على وجه السرعة وقد يكون الاصل مبهم العبارة فيجب توضيحه ، أو مضطرب النقل فينبغي تقويمه ، أو مشتملا على بيانات لا بد من التثبت منها .

وكثيرا ما يقع المترجمون من جراء ضيق الوقت في اغلاط ، فيجىء المعنى متقلبا أو معكوسا ، وأكثر ما يقع ذلك لهم في نقل أسماء الاعلام . فيلامون على ذلك أحيانا أشد اللوم كهذا الذى ترجم «Saladin سلادينوس» فترك عظام «صلاح الدين» فى قبره ، ويعذرون على ذلك أحيانا كل العذر إذا كتبوا مثلا Mogdichou مقديشو فى سياق ترجمة تلغراف عن الحبشة . فكيف لهم أن يتثبتوا أنها «مقدشو» أو «مقعد الشاه» ، وفقا لما رواها ابن بطوطة كما يريد صديقى البجاجة محمد مسعود .

الهواة المتطوعون

وللى جانب الكتاب المحترفين يجب أن نذكر الهواة المتطوعين الذين يوافون الصحف بكتاباتهم . ولاشك فى أن صحافتنا مدينة لتفريق منهم بأبحاث غريبة النفع محققة الفائدة ، لاسيما وأن أمامهم متسعا من الوقت لتوفية الموضوع الذى يختارونه حقنه من البحث والتقصي . فهم غير مقيدين بموضوع مفروض ولا ببعاد مقرر . على أن هناك طائفة من المتطوعين يحملون رؤساء التحرير عبئا ثميلا ، كثيرا ما لا يعرفون كيف يتخلصون منه فيطرقون الموضوعات السخيفة ويلجئون فى نشرها الجاحا مرهقا . وإذا تأخر نشر ما جادت به قريحتهم الخاملة تصوروا أن الأرض وقفت عن دورانها .

ولعل أغرب ما وقع لى من هذا القليل الحادثة الآتية :
كنا فى سنة ١٩٣٣ وكانت قضية القنابل فى أشد أدوارها حتى أن المحكمة كانت تعتقد لها فى الغالب جلستين فى اليوم ، فلتسرق تفاصيها انهرنا بعدد كثيرة من صحفنا ، وحوالى الساعة العاشرة من احدى الليالى حل لى الحاجب بطاقة ثقلت باسم صاحبها وما تلاه من الألقاب العلنية الضخمة . فاضطرت لى مقابلته على مضض ، وكان بوى أن أقول للزائر الكريم ما قاله الشاعر «لصائدة القلوب»

..... ليس ذا وقت الزيارة فارجى بسلام
دخل ، وبعد تحيات ومجاملات قدم لى مقالا كثير الصفحات . فألقيت على

العنوان نظرة لأتئين الموضوع : فألفت أنه بما لا تذهب جدته ولا تضيع جهته بل هو من قبيل سد الفراغ بمثله، فوضعتة جانبا .
قال صاحبنا : أرجو أن تقرأ مقالتي هذه .
قلت : أنا مشغول جداً سأطالعها غداً .
قال : ولكني همى جداً أن تنشر صباح غد .
قلت : لا سبيل الى ذلك الساعة الآن العاشرة ولا نستطيع جمع مقالات .
والجريدة مزحومة ، وقضية القنابل تستغرق منها جانبا كبيرا .
رأى تصميمي على الرفض ، فوقف كاسف البال وهم بالانصراف . ثم عاذ
بقنابل : ولكن ألا يمكنك بأستاذ أن تؤخر قضية القنابل وتنشر مقالتي هذه ؟
كدت أصيح لأن موضوع مقالته الثمينة التي لا تتحمل التأجيل كان . . « صيد
الحوث في الأوقيانوس » ! وأودعكم تتصورون كيف شيعت حضرته الى الباب .
وعندى وعند زملائي الشيء الكثير نرويه لكم لولا خوف الاطالة .
وقانا الله شر الكتاب المتطوعين المتطفلين !

المحررون الفنيون

وهناك المحررون الفنيون للشؤون المالية والتجارية والسينمائية والألعاب الرياضية، وغير ذلك من الأبواب الكثيرة التي تشتمل عليها صفحات الجرائد الكبرى .

الجماعون والمصححون

والآن وقد جهزت المواد من مقالات وأنباء وتلغرافات وراجعها المسئول عنها ونسقاها ، ووافق بينها حتى لا يتنافر خبر مع خبر ، ولا تتعارض مقالة مع تلغراف ، ولا يطغى باب على باب ، فتدفع هذه المواد الى المطبعة حيث يبتدىء عمل منضدى الحروف أو الجماعين وعمل المصححين .

وهنا تطلب الميزات التي لا غنى عنها في الصحافة وهي الدقة والسرعة . ويجب أن تقرن دائما الواحدة بالآخرى . فالدقة مع الإبطاء ربما لا تضر عند جمع كتاب ولكنها تضر في جمع الجريدة التي يجب أن تنتهي صفحاتها في مواعيد معينة ، والا فاتها القطار أو فاتها الطائرة ، وكذلك السرعة وحدها بلا تدقيق لا تفيد فان هذا التلغراف الذي ورد في آخر ساعة عن سعر القطن في ليفربول أو عن سعر الغزل في مانشستر إذا لم يدقق في جمع الأرقام الواردة فيه قد يترتب عليه خسائر مادية جسيمة . وتعرفون المثل القائل « يريد الناشر ما لا يريد الكاتب » فكم من مرة تجيء الغلطة المطبعية التي يرتكبها العامل ويسمو عن تصحيحها المصحح هشوة للبعث

فنجعله غير مفهوم أو مفهوم ما على غير المقصود . والاغلاط المطبعية كثيرة في جميع اللغات . وقد تكون في لغتنا أكثر منها في سواها من جراء تشابه الحروف وبسبب الدور المهم الذي تلعبه النقطة فان اثبات نقطة على الحرف أو إهمالها كثيرا ما ينقل المعنى إلى ضده . والمشتغلون بالطباعة يعرفون الشيء الكثير من ذلك . وأنا مورد بعض ما تعيه الذاكرة من هذا القليل على سبيل التفككة : أخذ المرحوم الشيخ محمد الحضري على نفسه إعادة طبع كتاب الاغانى المشهور . وقد قرظت احدى الصحف عمله هذه وأرادت أن تأنى على همة الشيخ الحضري لجاء ثناؤها ، بغلطة مطبعية ، على « عمة » الشيخ رحمه الله .

وجاء في مقالة عن مشروع اصلاح القضاء انه يرجى من ورأه « تجديد شباب القضاء » ولكن العامل الذى جمع المقال أراد أن تكون العبارة « تجريد ثياب القضاة » ولا شك فى أننا جميعا مهما طمعنا فى « تجديد شباب قضائنا » لانريده عن طريق تجريد قضائنا الأجلء من ثيابهم .

ولعل أروع ما يروى من هذا القليل ماورد منذ بضع سنوات فى احدى صحفنا ، فقد أوردت خبر قران فوصفت الحفلة وذكرت أسماء الحاضرين من كبار القوم واسم صاحب الفضيلة الذى كتب عقد قران العروسين . ولشد ما كان دهش القراء اذ قرأوا بعد ذلك الجملة الآتية : « وقد زج الاثنان فى السجن ليلقيا جزاء ما جنت أيديهما » وكان القارىء يجد فى النهر الثانى خبرا آخر عن لصين ثقبا جدار حانوت وسرقا ما فيه وقد ختم بهذا الدعاء « فندعو لهما بالتوفيق والهناء ورغد العيش » .

وقد أدركتم ان العامل قد أخطأ عند « التوضيب » فنقل سطرين من خبر إلى محل سطرين من خبر آخر . ومثال ذلك كثير .

الموضبون

وعلى ذكر « الموضبين » والعمال لابد من الاشارة إلى ما يديه هؤلاء من ازدراء غير مقصود لأكبر المقامات . فاذا دخلتم مطبعة من مطابع الصحف ساعة « التوضيب » طرقت آذانكم مثل هذه العبارات : « حط وزير التجارة بعد تصدير البصل . كمل العمود بوزير المالية . احذف السطر الأخير من خبر رئيس الوزراء . قدم هتلر . آخر موسولنى » وهم على هذه الحال يتصرفون فى أكبر الاسماء تقدما وتأخيرا ، كلاعب الشطرنج .

ولن أنسى حكاية ذلك « الموضب » اللبق ، وقد جاءنى مرة فى آخر الليل ، مضطربا يقول ، اطال الله حياته : « ينقصنا باب من أبواب الجريدة . . . الوفيات . . . » .

رئيس التحرير

بقيت لى كلمة عن رئيس التحرير، وهو المطالب بوضع أنفه ، كما يقول الفرنسيون ، فى كل مواد الجريدة . فراجع المقالات والاخبار فحذف ويزيد ويشذب ويهذب ، ويعدل ويحور ، ويوافق على النشر أو يقضى بالاهمال والالقاء فى سلة المهملات ويتلقى العتب والشكوى من جراء إهمال خبر أو وقوع خطأ أو تأخير مقال ، فى حين أنه لا يتخير مواد اليوم إلا بعد أن يوازن ويقارن ويقابل بين ما لديه فيقتضى بتقديم هذا الخبر أو تأخير هذه المقالة وفقا لمقتضيات الحال .

ورئيس التحرير أو مدير السياسة مقتضى عليه فى صحفنا بتلقى جميع الطلبات ومقابلة جميع الزائرين . فطالب الاشتراك والراغب فى الاعلان والحامل كتابا من تأليفه أو مقالا من وضعه ، جميع هؤلاء يرون أنهم لا يصلون إلى ما يريدون إلا بالابتداء بمقالة رئيس التحرير ، مع أن الأمر على عكس ذلك وكان الأولى بهم أن يعربوا عن الغرض من زيارتهم فيحولوا إلى المحرر أو الموظف المختص ، فتتقى حاجتهم سريعا . ورئيس التحرير فوق ذلك هو المسئول قانونا عن كل ما ينشر بالجريدة . وكمن رؤساء التحرير عندنا مثلوا أمام النيابة والقضاء ، بل كم منهم زاروا السجن فعملوا فيه معاملة الأشقياء واللصوص والسفاحين القتل . إلى أن انتهى الأمر بتعديل مواد القانون فيما يختص بجرائم الرأى والنشر بعد أن طالت شكواهم من هذه الحالة . ويظهر أن هذه الشكوى قديمة العهد ، فإن الشعراء الذين كانوا فى الماضى يقومون بالوظيفة التى يقوم بها الصحفيون اليوم قد بثوا شكواهم من حبسهم كأنهم سارقو مال الدولة من جباية الضرائب .

قال أبو دلالة وقد حبس مع الدجاج :

أقاد الى السجن بغير جرم كائن بعض عيال الخراج
ولومعهم حبست لكان سهلا ولكنى حبست مع الدجاج

ادارة الجريدة

أيها السادة . نظرانا إلى معظم صانعى الجريدة التى تقرأونها . على أن موضوعنا لا يكمل إلا إذا أشرنا الماما إلى عناصر أخرى تعد ولوعن طريق خبر مباشر ، من صانعى الجريدة . وهم الذين تجمعهم كلمة « الادارة » وعلى رأس هذه الطائفة مدير الادارة .

وهو المنوط بحسابات الجريدة وتوزيعها وإعلاناتها وسائر شئونها المادية .
ولا يخفى ما يشترط فيه من الدقة والضبط واليقظة . وهو عادة غير محبوب إلى
الصحفيين مهما أوتى من لطف وكياسة ورقة طباع ، لأنه مسيطر على المال لا
يصرف إلا بحساب ، والصحافيون يطبعونهم ويهيدونهم ، يحجون أن يصرفوا بلا حساب .
أما توزيع الجريدة ، ويدخل فيه بيعها واشترائها أى يسالها إلى القارئ ،
فقد أصبح من أهم شئون إدارات الصحف .

وأما الاعلانات فقد صارت ركناً أساسياً في إيراد الجريدة لا غنى لها عنها لتكفل حياتها .
قلنا ان الشعراء قديماً كانوا يقومون بتدوين الحوادث والأخبار في قصائدهم كما
يفعل الصحفيون اليوم في صحفهم . وقد كان الشعراء أيضاً يقومون بمهمة الاعلان
ولا يعرف «التعريف» التي كانوا يتقاضونها عن الاعلان في شعرهم .

جاء في كتاب الأغاني ما ملخصه ان تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة مخمر
(والخمر ما تغطي به المرأة رأسها) فباعها كلها وبقيت السود منها فلم تنفق ، وكان
صديقاً للدارمي ، فشكا ذلك اليه ، وكان الدارمي قد نسك وترك الغناء وقول
الشعر فقال له : لا تهتم بذلك فاني سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ، ثم وضع شعراً للغناء :

قل للبليلة في الخمار الأسود ماذا صنعت برأب متعب
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد
فشاع غناؤه بين الناس ولم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ
ما كان مع العراقي منها .

وليس الاعلان عن الزواج أو الزواج بالاعلان من مبتكرات عصرنا . فقد
سبقنا اليه قدماء العرب . ولكن المنهاج كان أوفى كياسة وألطف أسلوباً كما تدل
على ذلك حكاية الأعشى الذي زوج بنات المحلق بأبيات نظمها .

كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة ، وكان المحلق الكلابي مشناناً (من
يلد أنثاً) فملأنا «فقيراً» فقالت له امرأته : يا أبا كلاب ما يمنعك عن التعرض
لهذا الشاعر ؟ فما رأيت أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً . قال : ويحك
ما عندي الا ناقتي وعليها الحل . قالت : الله يخلفها عليك .

قال : فلتماه المحلق قبل أن يسبق اليه أحد ، وابنه يقوده ، فقال الأعشى ،
وكان كما يدل عليه اسمه ضعيف البصر : من هذا ؟ قال المحلق : شريف كريم .
ونحر له ناقته وكشط له عن سناها وكبدها . وأحاطت بناته بالأعشى فقال :
ما هذه الجوارى حولي ؟ قال : بنات أخيك وهن ثمان .

وخرج الاعشى ولم يقل فيه شيئا . فلما وافى المحلق سوق عكاظ إذا هو
بسرحة قد اجتمع الناس عليها وإذا الاعشى ينشد من قصيدة جاء فيها :
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليقاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخاق
رضيحي لبان ثدى أم تحالفا بأسحهم داسع عوض لا تتفرق
فسلم عليه المحلق فقال الاعشى : مرحبا ياسيدي بسيد قومه . ونادى :
يامشر العرب هل فيكم مذكار (من يلد المذكور) يزوج ابنه إلى الشريف الكريم ؟
قال فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا زوجها .

* * *

أيها السادة - بقى واحد من « صانعي الجريدة » لم أذكره ، وقد يكون العامل
الرئيسى فى صنع الجريدة ، عنيت « القارئ » ولن أقول عنه الا ما نقله
صديق الاستاذ زيدان فى محاضراته الأخيرة عن الصحفي الاميركى بريز بين وهو
« إذا نظرت إلى المرأة فلم يعجبك ما ترى فلا تلم المرأة ، وكذلك إذا نظرت إلى
صحيفة فلم تعجبك فلا تلم الصحيفة بل الجمهور الذى يقبل عليها » .
جميع من ذكرت يتوهمون بخدمة صاحبة الجلالة ، فيصنعون هذه الجريدة التى
يطالعها الواحد منكم ثم يرميها ، وإذا سأله سائل عما فيها أجاب بعدم اكتراث : لا شيء !
والآن أيها السادة قد تمت زيارتنا وانتهت جولتنا فى إحدى دور الصحف
وتعرفنا من فيها . فان راقبتم هذه الزيارة فنتمنا ، والا فان الذنب ذنب الدليل
الذى رافقكم فى تجوالكم فلم يحسن الابانة عما فى هذه الدار .

٦

الصور الهزلية والصحافة للاستاذ سليمان فوزى

ألقيت فى مساء ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦

سيداتي ، أيها السادة .
نشأ الشعر والتصوير معا فى أقدم العصور ، ويجوز أن يكون أحدهما أخذ من
الآخر ، ولعل التصوير أقدم ، لأن القدماء جعلوا الصور حروفا للهجاء ، والمفهوم
من هذا أن مبتكر حروف الكتابة كان مصورا .

والهزل طبع في الانسان منذ فهم الحياة ، ولكن الآثار الباقية هي التي أراد القدماء تخليدها ، ولم يكونوا يخلدون غير المتصل بالشؤون الدينية والحرية والسياسية والاجتماعية العالية، نخلت من الصور الهزلية التي أهملوا تخليدها، وأخلدوها ولكنهم لم يحطوها بوسائل الحفظ من عادات الأيام وتأثير تقادم العهد فأكلها الدهر. والصور الهزلية معروفة من أيام قدماء المصريين ، أى قبل ثلاثة آلاف سنة عني قدماء المصريين بتصوير الحالات النفسية ، وتمتد صوروا ست في صورة وحش وسموه «ست الملعون» لأنه قتل أخاه أوزيرس وألقى بجثته في النيل كما قتل أخته ومثل بجثتها شتميل وصوروا أوزيرس في صورة (قطعة)

وتفنن قدماء المصريين في تصوير عظائمهم بأوجه حيوانات صغيرة وكبيرة، جميلة وقييحة ، بحسب أخلاقهم وميولهم وطباعهم ونفسياتهم وعرفت «الرقابة» أيام قدماء المصريين ، وفرضت أول ما فرضت على الصور الكاريكاتورية ، فقد حرصوا على أن لاتمس هذه الصور الاخلاق والدين والسياسة ، وكان عقاب المصور الكاريكاتوري الذي يتجاوز هذه الحدود الجلد واللعن

وأمتازت صور المصريين بالتشنيع على رجال الكهنوت، كما امتازت بتصوير الاسرى وتصوير نفسياتهم على وجوههم، ومجند أو سبل بين اسوان وادى حلفا يحتوى من جانبيه على صور كاريكاتورية مدهشة يقول الفنانون إن الهزل فيها، وخاصة في ابراز الشفاء والانوف والكتابة من الاسر ، من أبداع ما وفق اليه الكاريكاتيريون. وكان قدماء المصريين يمثلون - بالتصوير الهزلي - الموت والميزان والصراط ومن

ثقلت موازينه ومن خفت ، ولا تزال هذه الصور في معابدهم المختلفة وأخذ الافريقيون فن التصوير الهزلي عن قدماء المصريين فاستعملوه (أولا) في الآثار والالتيكات ، واستعملوه كثيرا في التشنيع على الآلهة وعلت في هذا شهرة مصورهم انفيل الذى خلق من خياله شخصا جعله رمزا ثابتا سماه (جرل ليس) أى (خنزير) كما هو الحال في شخص جحا وجون بول 1

ولذا كنا ننظر الى البحث في علاقة فن التصوير بالصحافة فاقدم ما كان منها انما كان في الصين منذ الف سنة على ما يظن المؤرخون ، وكانت صحافة رسمية للحكومة فلا مجال فيها للهزل

ويقال إن الفرس كانوا قبل الف سنة يجعلون صورا هزلية على الاثمنة الخزفية والمسوجات ولكن لم يبق منها شيء يدل على الصور الكاريكاتورية في ذلك الزمن، والعرب لم يحدثونا عن غير صور قصور الملوك .

كما أن الصور الكاريكاتورية كانت على أمتعة الشعب الرومانى ولكنها ذهبت لان الرومانيين والافريقيين لم يحافظوا على شىء غير الصور الدينية والتاريخية العليا ، ولم تكن لهم صحافة تبقى مجاميعها للأجيال المتعاقبة ، وفى وصف تلك الامتعة يقول عبده ابن الطيب .

حتى انكفأنا على فرش يزينا من جيد الرقم أزواج تماويل
فيها الدجاج وفيها الاسد مخدرة من كل شىء يرى فيها تماثيل
وليس فى وسعنا الرجوع إلى غير الكتب العربية من مؤلفات القدماء ، وهذه الكتب العربية لم تعرف الا فى زمن الاسلام ، وكان المسلمون يحرمون التصوير لأنه يذكر الناس بالوثنية ، ولو لم يكن معروفا فى الجاهلية ما نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام .
ولكن العرب لم يعدموا وسيلة للتعبير عن أفكارهم الكاريكاتورية بالكتابة فى النثر والنظم كقول الشاعر :

كنشاطح صخرة يوما ليوهنا فلم يضرها وأوهى قرنة الوعل
ولو كان هذا مصوراً ، أو لو أن مصوراً رسم رجلاً على هيئة وعل ينطح
صخرة فخلع أحد قرنيه لكانت من أجل الصور ولاسيما حين يكون الرجل المرسوم
من عظماء القوم .
وفى ديوان الحماسة الذى جمعه أبو تمام فى شعر الجاهلية والاسلام باب للهجاء
فيه أعاجيب الخيالات التى لو صورت لكانت من أبدع التحف ، وهل صورة
كاريكاتورية ادعى للضحك بما فى قول الفائل :

الانف بالعرض والعينان بالطول
وقول الآخر :

وأقسم لو خرت من استك بيضة لما انكسرت لتقرب بعضك من بعض
وفى غير الحماسة فى كتب الادب كثير لا يحصى ، نذكر منه قول حماد عجرد فى بشار:
..... فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم
وقول جرير فى أحد الشعراء ، يضعه بين أمه وأبيه :

كالجحش بين حمامة وحمار
وقوله فى هجاء بنى تغلب قوم الاخطل :

وإذا وضعت أباك فى ميزانهم قفزت حديدته إليك فشالا
ومن الصور البديعة ما وصف به ابن الرومى رجلاً أحذب قال :

فصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما قد داق أول صفعه وأحس ثأنية لها فتجمعا
ومن المضحك أن يتغزل المزار العدوى في امرأة فيصفها بقوله :
وإذا تضحك أبدى ضحكها اقحوانا قيدته ذا أشر
فهى هيفاء هضم كضحها فخمة حيث تشد المؤثر
ولو صور مصور امرأة بهذا الوصف وهى تضحك وتعض بأسنانها اقحوانة
وهى نحيلة الخصر غليظة المنعد لأضحك منها اعداءها وهى بشكل الخنفساء .
ومن الاوصاف الكاريكاتورية قول الاعشى : وهى يتبع امرأة يحبها وهى تتبع
رجلا تحبه ، والرجل الذى تحبه هى يتبع امرأة أخرى يحبها ، وكل معشوق يفر من
العاشق ، فى قوله :

عالمتها عرضا وعلمت رجلا غيرة وعلى أخرى غيرها الرجل
أما وذلك زمن لم يكن فيه عند العرب اشتغال بصناعة التصوير فان فى شعرهم
صوراً كاريكاتورية وفنية كثيرة ، وكذلك فى نواذرهم ومآزحاتهم ، وشرحها
يطول حتى يتصل بالكتب الهزلية التى كانت أصلاً للصحافة الفكاهية .
وانتقل التصوير الهزلى من اليونان إلى إيطاليا والمصورين القدماء المشهورين :
ليونارد دافنشى واتيال وكراش وباسو ، لوحات فاخرة مذهشة .
وللفنان هول بين الألمانية جملة رسومات فى تقرير الجنون ومدحه جعلها كلها
حول غرامه بأراسو .

وكان « راتلى » الفرنسى دكتوراً وكاتباً ، ولكنه كان مصوراً هزلياً لانظيره ،
ولقد برع فى صوره سنة ١٥٦٥ إلى درجة أنه كان يبيع كل البارزين فى عصره .
وتعشقت فرنسا الكاريكاتير فى عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر
بحيث احتل فيها وفى صحافتها مكاناً حراً إلى أوسع حدود الحرية ولما إلى درجة أنه
كان الخطر كل الخطر على التيجان والعروش .
ورأى ذلك لويس الخامس عشر لخاربه بكل أنواع المحاربات وجعل بوليسه
وإدارة الأمن العام فى وقته تطارد المصورين الكاريكاتوريين أفضع مطاردة
وتشدهم أشنع تشريد ، ومع ذلك فانهم كانوا كلما اشتد ضغطه عليهم اشتدوا فى
التشهير به والتشنيع عليه الى درجة أنهم ألهبوا نيران الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩
وكانوا العامل الاول فى اعدام لويس السادس عشر وزوجته ماري أنطوانيت .
وصور المصورين الكاريكاتوريين فى ترف « اللوايسة » لويس ولويس

ولويس - واسرافهم وانفاق أهوال الدولة على الملاهي والملاذ وتصوير الشعب
مع ذلك عاريا جائعاً مضطراً، بما يعتر به التاريخ .
ولا تزال لوحات الأستاذ فرى معدودة من أجل مايقتنى .
وانجلترا مدينة لريشة الفنان الكاريكاتورى هوجارت فى تقويم العادات
الاخلاقية والسياسية والاجتماعية فيها .
وتقدس اسبانيا رجلها العظيم جوبا الذى قد يعد الآن وبعد وفاته بما لا يقل
عن مائتى سنة نقيب الكاريكاتوريين فى العالم .
وبدأ الكاريكاتير فى أمريكا بالفنان هو آرت .
وفى سويسرا بالفنان توبفار .
وفى النمسا بكل من تيودور وجراتسى .
وفى البرتغال بالفنان براندالو .
وفى هولندا بالفنان جون براينسك .
أيها السادة :

عرفتم أن العرب لم يشغلوا بفن التصوير وإن كانت فى شهرهم ونواذرهم صور
كاريكاتورية مدهشة .
وعرفتم أن الصحافة الفكاهية تتصل بسكتهم الهزلية .
ومن المتأخرين من مؤلفى تلك الكتب الشيخ حسن الآلاتى صاحب (مضحك
العبوس) الذى قلده المرحوم الشيخ النجار صاحب الارغول .
وأول من أدخل التصوير الهزلى فى الصحف العربية الشيخ يعقوب أبونظارة .
كان مدرسا فى المدارس الأميرية واشتغل بالتمثيل وأنشأ جريدته «أبونظارة»
فى آخر عهد اسماعيل باشا وغضب سموه عليه فقصد إلى باريس وأصدر فيها جريدته
«أبونظارة» وجرائد ومجلات أخرى مزينة كلها بالصور الكاريكاتورية .
وكانت هذه الجرائد والمجلات ممنوعة من الدخول إلى مصر ولكنها كانت تصل
إليها خلسة فى مظاريف مقللة .
ومن أصدروا صحفا كاريكاتورية بعد ذلك .

١ - الأستاذ عبد الحميد أفندى زكى الذى كان ضابطا بالجيش المصرى ولعب
دورا فى سياسة مصر والسودان ثم سافر إلى أوروبا وأصدر جريدته أسبوعية
مصورة بالألوان باسم «السياسة المصورة» كانت تظهر أولا فى فيينا ثم أصدرها
فى روما ثم جاء إلى مصر وأخذ يطبعها فى روما ويصدرها فى القاهرة .

٢- الأستاذ خليل زينية وكان يحرر في الأهرام الخمسين سنة اتفق مع جريدة
التي باريزيان على أن ترسل إليه أعدادها مصورة بدون متن .
وكانت متى وردت يملأها بما أعده لها من مادة باللغة العربية مع نبد وجيزة عما
فيها من صور ورسوم هزلية وجدية .

٣- وأصدر عبد المجيد أفندي كامل، وكان ضابطاً في الجيش المصري ثم اشتغل
بالصحافة زمناً، جريدة هزلية باسم الباباغللو المصري كان يطبع صورها
الكاريكاتورية على الحجر .

٤- وأصدر فتيد الصحافة العظيم محمد بك المويدي جريدة «أبونواس» فكانت
أبداع وأرق صحيفة هزلية كاريكاتورية .
وكانت تجمع إلى جانب الصور مقالات نقدية يسكتها نخبة من مشهورى كتاب
العصر المعروفين .

كما أصدر جريدة كاريكاتورية أخرى هي جريدة «أبوزيد»
٥- وكان المرحوم ابراهيم بك رمزي من أعيان القيوم بدأ حياته العملية بالاشتغال
كاتباً في مديرتها

وفي ذلك الحين عين المغفور له على يكن باشا مدير القيوم فزوج شقيقته من ابراهيم بك .
وترك رمزي بك العمل في الحكومة واشتغل بالصحافة فأصدر مجلة أسبوعية
باسم القيوم .

ثم حولها إلى جريدة ذات أربع صفحات ونقلها إلى العاصمة .
وكان يصدرها دائماً بصورة هزلية محفورة على الخشب تملأ ثلث الصفحة
الأولى منها .

وأنشأ مسبكاً للحروف باسم مسبك التمدن .

وأنشأ كذلك مجلة بهذا الاسم .

٦- وأصدر يوسف حياته جريدة ذات ثمانى صفحات وكان صفحتها الأولى دائماً
بصورة هزلية .

ورسم فيها يوماً جلالة الملكة فكتوريا برأس انسان وجئمة خنزير معلق في مشنقة .
ومع تسامح اللورد كرومر فإنه لم ترضه هذه الصورة ، واهتمت النيابة بالموضوع
وأحسن حثاته بالعقاب ففر إلى الأستانة مع زميلين له توفيا منذ سنوات .

وبدل حثاته اسمه باسم يوسف كمال . وهو يشتغل الآن بالتحرير في صحف بيروت .

٧ - وأصدر الزميلان الكاتبان الكبيران الأستاذان محمد مسعود وأحمد حافظ عوض بك جريدة «هاهاها» .

٨ - وأصدر الأستاذ حافظ بك وحده بعد ذلك جريدة «خيال الظل» .

٩ - كما صدرت «الجريدة الأسبوعية» لصديقنا الأستاذ طاهر حقي .

أيها السادة

أعلنت الحرب العالمية الكبرى سنة ١٩١٤ وفرضت الرقابة على الصحف في مصر فكان من الصعب جدا أن تواصل الجرائد الكاريكاتورية مهمتها أو أن يصمد الصحفيون الكاريكاتيريون في عملهم فاختفت هذه الصحافة من الميدان إلى أن كانت سنة ١٩٢١ فأدخل الكشكول على تحريره الصور الكاريكاتورية وبدأها بلون واحد وبأيدي مصورين مختلفين .

كان الكشكول ينشر كل أسبوع أربع صور لكل فنان صورة وتنافس الفنانون في وضع صور الكشكول واشترك فيها فقيده الفن النابغة مختار والاساندة الأفاضل محمد حسن وعياد وأحمد صبرى ومحمد مندور ومصطفى بك مختار .

واستمر فن التصوير الهزلي يتقدم تبع الحوادث ، وتبع التمرين الأسبوعي المستمر ولأن المجال الصحفي للتصوير الهزلي ليس واسعاً فإن كثيرين ممن ساهوا في وضع الصور وظفوا ، أو أن صرفتهم أعمالهم الواسعة عنه ، وبقي في ميدانه الذين اختاروه في حرفة واختاروه محترفين .

أيها السادة :

تختلف مهمة الجرائد الكاريكاتورية عن الجرائد الأخرى تمام الاختلاف ، ويختصر عمل الجرائد الكاريكاتورية في البحث عن مواطن النقد في الأعمال العامة وإبرازها في وجوه أصحابها وتكبير ما يكون صغيراً منها وإظهاره واضحاً جلياً ليراه الناظر إليه كأنما يراه في أصله .

فليس من شأن المصور الكاريكاتورى أن ترى الحسنات .

والصور التى تتضمن المدح أو الثناء ليست إلا عيباً فنياً فاضحاً فى التصوير الهزلي لا يهضمها الفن ولا يتذوقها .

ومهارة المصور الكاريكاتورى أو مهارة مديري سياسة الجرائد الكاريكاتورية فى تصوير العيوب تصويراً يجعلها بارزة بقدر علاقتها بالجمهور وبالمصلحة العامة . ومن الناس من يكون مطبوعاً على الهزل فتجيء ألفاظه صوراً كاريكاتورية ولا يتعمد .

ونظرة هؤلاء لها على صورهم التأثير الذى يكون لفطرة الشاعر على شعره أو لفطرة الكاتب على كتابته .

كان الفرزدق فى بعض الطريق فصادفه نبطى فقال له :
أأنت الفرزدق الشاعر ؟ قال : نعم .

قال أإذا هجوتنى يموت ولدى ؟ قال : لا

قال أفيموت حمارى ؟ قال : لا

قال : أفتموت امرأتى عائشة ؟ قال : لا

قال : أأموت أنا ؟ قال : لا

قال : فأنا من قدمى إلى عنق فى عين أم . . . (الا بعد) .

فقال له الفرزدق وهو مغيط : ولم تركت رأسك خارجا .

قال : حتى أرى ما تصنع .

وكان غلام يستمع للفرزدق وهو يلقى قصيدة على جمع كبير ، فكان هذا الغلام

يصفق طربا ، فلما انتهى الشاعر الكبير من انشاده استدناه وقال له :

أأعجبك شعرى ؟

قال الغلام : لم أسمع مثله فى الجودة والرصانة والمعنى .

فدخل الفرزدق الزهو ، وقال للغلام :

أيسرك أن أكون أباك ؟ فقال الغلام :

أما أرى فلا أبتغى به بدلا ، ولكن يسرنى أن تكون أُمى !

ولو أن النبطى كان مصورا كاريكاتوريا لكان عنيقا بفطرته ، كما أن الغلام

لو كان مصورا كاريكاتوريا لكان رقيقا بفطرته .

ولو أن أهل رشيد درسوا فن التصوير الكاريكاتورى لبزوا العالم كله فيه ، فإن

نواديرهم الهزلية وقهشاتهم يصبح أن تكون صوراً كاريكاتورية لا تحصى .

منها على سبيل المثال أن « رشيدا » قصد إلى محطة سكة الحديد ومعه ولده

الصغير وكان مستعجلا فسأل :

أى القطارات يقوم الآن ؟

فقال له : المفتر فالأكسبريس فالمستعجلة .

وظن الرجل أن « المستعجلة » هى أسرع القطارات فركبها .

وأزعجه أنها تسير الهوينأ وتقف فى كل محطة ، فلما جاء الكوميسارى سأله

عن تذكرته قدم له (نصف التذكرة) الذى يركب به ابنه .

ولهذا تأتى صورهم الحديثة صناعية بعيدة من طبيعتها .
ولإذا ذكرت (الكشكول) وأشارت إلى المتاعب التى لاقاها أصدقاؤه والمشتغلون
فيه فيما سبق فانما أردت أن أشير إلى أنه لم يعش فى خدمة فن التصوير الهزلى إلا بفضل
القضاء العادل وأحكامه وفضل الذين تولوا الدفاع عنه من حضرات المحامين الأفاضل .
فبقوة هذه الأحكام وتحت رايها أمكن أن يتشجع أصحاب الصحف الهزلية
وأن ينهض فن التصوير الهزلى وأن تكثر صحفه وتتعدد ، وستبقى هذه الأحكام
دستوراً لهذه الصحف ولا أصحابها ما بقيت وبقي الفن .
وأرادت الصحف اليومية أن تراحم الصحف الأسبوعية فى التصوير الهزلى،
ولكن أغلبه عدل عنه واكتفى بالتصوير الفوتوغرافى لا للنقطة ولا لقلة المصورين
الكاريكاتوريين ، ولكن لأن الفكرة — دسمة جد التعب — ولا أنه أسهل على
الكاتب أن يديج عشرات المقالات من أن يحرق دماغه فى فكرة كاريكاتورية
لصورة واحدة .
أيها السادة :

خطا التصوير الهزلى فى أوربا خطوة جديدة ، فقد استعملوه فى الروايات
السياسية على المراسح وأخذ الممثلون والممثلات يضعون على وجوههم
أقنعة مرسوما عليها وجوه الكبراء والوزراء ورجال المال والأعمال والنواب .
ولقد تناقلت الصحف أن بعض المراسح فى باريس أخرجت لبان الأمانة
الوزارية الفرنسية الأخيرة رواية سياسية هزلية أبطالها رئيس الجمهورية ورئيس
الوزراء والنواب .

رفعت الستارة عن رئيس الجمهورية يضرب رئيس الوزراء شلوتا فإذا به يتدحرج
حتى يصل إلى مجلس النواب .

ويتألفه النواب ، فهذا يرغزغه وهذا يمرط به الأرض ، وآخر يخرج له
لسانه، وغيره يحاول أن يشلحه من بطنونه .

ويبعد مدة تجد رئيس الوزراء واقفا يشكر النواب على ما لقيه منهم من العطف
العظيم وعلى ثقتهم العالية ويعدم أن يكون عند حسن ظنهم به .

ويصفق النواب ويرقصون مع رئيس الوزارة ورئيس الجمهورية على نغمات المارسيليز.
ولا ينقصنا لكون هذا عندنا إلا فرقة تمثيلية جريئة وإدارة مطبوعات واسعة
الصدر ونيابة عمومية لا تجرى وراء كل صائح .

أما القضاء فتتسع عدالة أحكامه للبرسح كما اتسعت للصحافة الهزلية من قبل في
حدود المصلحة العامة .
والسلام عليكم ورحمة الله .



المخترعات الحديثة في الصحافة

للاستاذ فؤاد صروف

رئيس تحرير المقتطف

ألقيت مساء يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩٣٦

أيها السادة

ان الصحافة تجارة خاصة من ناحية ومهنة عام أو شبه عام ، من ناحية أخرى ،
فهي تجارة مهمها صنع عرض معين وتوزيعه وبيعه . وهي في مقابل ذلك أحد
المنشآت العامة التي ينص الدستور على حريتها في حدود القانون . فمن الناحية
العملية - تتأثر بأحوال العصر الاقتصادية واتجاهاته . ومن الناحية الثقافية تتأثر
كذلك بالأفكار الاجتماعية السائدة والمثل الوطنية والدولية التي ترنو اليها الشعوب ،
ان نجاحها في ميدانها التجاري يقاس بارباحها الصافية في آخر السنة . وإما نجاحها
من ناحيتها الاجتماعية ، فمهمون بنوع الاخبار التي تذيعها والآراء التي تؤيدها
والتسليبة التي تتيحها للجمهور القارئ .

الآن ، سواء نظرنا اليها ، من الناحية الخاصة ، أو من الناحية العامة ،
لا يسعنا ان نقف بمعزل عن روح العصر وأساليبه . ولابد لها من أن تأخذ
بأسباب المخترعات الحديثة ، التي جعلت تيار العمران سريع المجرى ، وتدافع
الأموال . فاننا بفضل هذه المستنبطات الحديثة ، في المخاطبات والمواصلات
على وجه من التخصيص - أصبحنا ، ولا صبر لنا على البطء في شيء . فالمسافات
الشاسعة ، نريد أن نجتازها بالطائرات ، ولا نكتفي بالقطار ولا بالسيارة .
والأنباء من البلدان النائية نريد أن نتلقاها بالتلغراف ، ونفضل اللاسلكي .
وقد أثر هذا في أخلاق الاحداث . فالفقير يريد أن يتعجل اليوم الذي يصبح فيه
رجلاً أو يعامل معاملة الرجال . والفتاة تستبقي الساعة التي تمسكها من أن تصير
لامها أختاً وصديقة . والامم تقطع الاوصال التي تربطها بالماضي ، لتجاري

الامم السابقة في ميدان الرق . وهي تحاول أن تختصر عصورا من التقدم في
بضع سنوات .

ولما كانت الصحافة مرآة للحضارة في بلد من البلدان ، بل مرآة للحضارة في
جميع البلدان ، وجب عليها أن تدخل أسباب السرعة . إلى مخادع كتابها
ومراسليها ، وإلى الحجر التي تنضد فيها حروفها ، وتطبع صفحاتها وتوزع نسخها
السرعة ديدن وشعار

تصوروا ادارة صحيفة لا تزال جارية على نظام العهد القديم . يجتمع المحرر
بعض الرجال من أصحاب المكنانة في البلد ، في ناد أو مجتمع خاص ،
فيتناقش معهم في شؤونه السياسية والعمرانية ، فيكتب في ذلك مقالة أطول
من ليل المعنى ، يقف فيها من الأمة موقف الخطيب أو المعلم أو الواعظ ، ثم يدفع
بالمقال إلى عمال ينضدون الحروف باليد ، فإذا انتهى العمال من تنضيد الحروف
ورتبت صفحات الجريدة ووضع بعض الصفحات على بلاطة مطبعة مسحطة تدار
باليد فقطع ناحية واحدة من عدد الجريدة ثم ترفع هذه الصفحات وتوضع محلها
الصفحات التي تقابلها على الوجه الثاني فيقطع الوجه الثاني من الجريدة ولا تكون
سرعة الطبع أكثر من ألف في الساعة ثم تؤخذ هذه النسخ وتطوى باليد ، وتوزع
بالبريد على المشتركين ، وإذا نشر صاحب الجريدة شيئا من أخبار البلدان المجاورة أو
البعيدة انتظر وصول البريد بالسفينة أو القطار لينشر رسالة مضى على كتابتها أسبوع
أو أكثر ، وقد تكون الأيام دارت دورتها وآلت إلى حوادث تنقض ما انطوت
عليه تلك الرسالة من وصف للحوادث أو بسط للأراء .

لذلك جعلت جريدة « بروكان لإيغل » الأميركية شعارها « أنباء اليوم اليوم »
To-day's news to-day وهي كغيرها من الصحف العصرية في أميركا
وانسكترا وفرنسا واليابان تتكبد نفقات طائلة في سبيل ذلك ، وقد لا يستطيع أن
نصدق ما يهتضه تحقيق هذا الشعار من النفقة إلا إذا اطلعنا على صحيفة نيويورك
تيمس الأميركية مثلاً ، وقرأنا فيها مقالات برمتها تنقل إليها كل يوم من مراسليها
في جميع أقطار المعمورة على أجنحة الأثير أو بأسلاك البرق .

من منا يطيق أن يقرأ صحيفة من الطراز القديم الذي وصفته لكم ، من منا لا
يطلب في مقدمة ما يطلبه في الصحيفة التي تعود مطالعتها أنباء تليفونية عما
هو حادث في أنحاء القطر المصري وجيرته وسائر أقطار العالم في ميادين السياسة

والاقتصاد والعلم والرياضة والفن وغيرها، من منا لايفتح صحيفته كل صباح ليعلم نتيجة انتخاب أو اقتراع الذيلة السابقة أو نتيجة مباراة في الملاكمة أو التنس ختمت في لندن أو نيويورك قبل بضع ساعات. وإذا لم يجد تلك النتيجة باء كاسفا أسينا لان جريدته لا تلبيه، إن الصحيفة التي لا تستطيع أن تبجل السرعة والدقة ديدها وشبابها في جمع الاخبار وإذاعتها ليست بالجريدة التي تستطيع أن تثبت طويلا في ميدان المنافسة التجارية، ولو حوت كل ثمانية الأولين والآخرين، لأن الجمهور الذي يقرأ، أصبح وهو لا يصبر على البطء في شأن من شؤون الحياة. فاهي أهم المستنبطات الحديثة التي لا غنى للصحف عنها، أو التي تضافرت على رفع الصحف الغربية وبعض الصحف الشرقية إلى أعلى مقام؟

المطبعة الدوارة

أولا - المطبعة : ولا أريد بالمطبعة المبدأ الذي كشف عنه جوتنبرج، فالصحيفة البطيئة التي تقدم ذكرها كانت تطبع بمطبعة أرقى جداً من مطبعة جوتنبرج. ولكن طابعيها لم يكن في وسعهم أن يطبعوا منها سوى نسخ محدودة في ساعة من الزمان. إلا أن ارتفاع وسائل المواصلات وتقديمها، وانتشار التعليم وازدياد عدد القراء. كل هذه العوامل قد تضافرت على توسيع انتشار الصحف، فالمطبعة التي تدار باليد والتي تطبع صفحة واحدة من الجريدة ثم الصفحة الأخرى من كل عدد على حدة لا تستطيع أن تلي الطلب، لذلك استنبطت مطبعة تسد الحاجة من هذا القبيل، وهي على اختلاف في التفصيل بين أنواعها المختلفة تقوم على بضع قواعد أساسية : فالحروف إذا نضدت باليد وجبلت صفحة ورصفت الصفحة قرب الأخرى كان من المنتذر أن تطبع من هذه الصفحات شيء ما إلا إذا بقيت الصفحات على بلاطة من الحديد مستوية كل الاستواء لأن أقل محاولة لتغيير استواء صفحة الحروف يفك الحروف وينثرها، أما في المطبعة الجديدة فتضد الحروف ثم يصنع لها قالب من الورق المقوى بأساليب خاصة بطرق هذا الورق المقوى على الحروف، وهي بارزة كما لا يخفى، فيكون مكان الحروف غائراً في هذا الورق المقوى ثم يؤخذ هذا القالب ويوضع في آلة خاصة فيتخذ شكلاً نصف اسطوانى وبعد ذلك تصب فوقه طبقة من مزيج أو خليط معدنى، خاص، من الرصاص والقصدير والانتيمون، ويكون هذا الخليط مصهوراً، فيملا كل منخفض في قالب الورق المقوى ويخرج قالباً معدنياً نصف اسطوانى الشكل، فيه حروف بارزة تقابل الحروف الأصلية ولكن الفرق بين الاثنين، أن الحروف الأولى مفككة - وهذه كلها متماسكة في

لوحة واحدة ، الأولى مستوية وهذه نصف اسطوانية. فإذا صنعت صفحات الجريدة كلها على هذا النمط . توضع القوالب على اسطوانات خاصة في ماكينات الطباعة ، ثم تدار الماكينة ، فتقوم المحابر قيما ذاتيا بتجوير وجوه هذه الصفحات ، وتلتهم المطبعة الورق من لفائف ضخمة ، فيمر الورق المنساب في الماكينة أمام هذه الصفحات ، فيضغط عليها ضغطا خفيفا ، فتطبع الجريدة ولو كانت صفحاتها عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين أو خمسين صفحة ، وتقطع كل عدد من الجريدة عن أخيه ، وتخرجه مطويا جاهزا للبيع ، بسرعة تختلف من عشرة آلاف إلى عشرين ألف نسخة في الساعة .

يقف المشاهد أمام الفتحة التي تخرج منها الأعداد فيكاد يعجز عن احصائها بعينه ، ولذلك تجد في بعض الماكينات ، عدادا خاصا ، يقرع صوتا معينا كلما أخرجت المطبعة مائة عدد من الجريدة ، فيأخذها العامل الواقف أمامها ويعطيها لآخر فيهرزها في رزمة على حدة استعدادا للتوزيع والمطابع التي تقوم على هذه القاعدة تعرف بالمطابع الدائرة أو الدوارة ، وتعرف بالانكليزية باسم Rotaries وبالفرنسية باسم Rotatif

لفائف الورق

ثانيا - ولكن هذه المطبعة لا تجدى الصحافة الحديثة نفعا ما . إلا اذا كان الورق في لفائف ضخمة ، لافي رزم كل رزمة منها قطع من الورق مفصول بعضها عن بعض . وهذا يرجع بنا إلى صناعة الورق وتقدمها . وليس يتسع أمامي المجال الآن ، الا لاجمال المبدأ في صناعة الورق ووصف موجز لما رأيت في أحد معامله الكبيرة في انكلترا

فالمبدأ الذي بنيت عليه صناعة الورق هو استعمال الالياف الخشبية الدقيقة التي في جدران الخلايا النباتية ، سواء أكانت تلك الالياف من خرق قطنية أو نباتية أو من جذوع أشجار أو من أنواع خاصة من القش . تؤخذ الخرق القطنية والكتانية مثلا وتنظف وتقطع وتبل وتغلى حتى تتحول ربا ، ثم يؤخذ هذا الرب ويوضع في مرجل كبير ، ويغمر بماء حار نقي ، اذ تبث فيه الصودا ، وتضرب جيدا بأجهزة خاصة ، حتى تنقطع الالياف ، ثم تلون أو تترك على لونها المصفر ، أو تقصر أي تبيض وفقا للطلب ، ثم تضاف اليها مادة غروية تمسك الالياف الخشبية معا متى جفت ثم يحل كل هذا حتى يصير الرب الكثيف ، وهو أكثف قليلا من الماء . فيمر في آلة كبيرة طويلة ، وهو طبقات رقيقة ، تختلف نجاتها باختلاف

نخانة الورق المطلوب ، فتبخر الآلة الماء رويدا رويدا ، وتترك الألياف والغراء ، فتتسك معا وتصيح ورقا .

وقفت من سنوات أمام آلة من هذا القبيل ، في مصانع دكنسن الانكليزية المشهورة ، حيث يصنع جانب كبير من ورق الحكومة المصرية ، فرأيت الرب المحلول في الماء يدخل أحد طرفي الآلة ، ماء أو شبيها بالماء ، فيمر في أجزائها المختلفة ، وهو كلما تقدم فيها صار أقرب إلى الورق وأبعد عن الماء ، ويخرج في نهايتها بعد مسيرة عشرين قدما أو ثلاثين ورقا منسابا ، صالحا للاستعمال ، ملفوفا لفائف ضخمة ، هي من الأركان التي تقدم عليها صناعة الصحافة الحديثة .

منضدات الحروف

ثالثا - كانت الصحف أولا ، نشرات صغيرة ، تنضد حروفها باليد ، وكانت لصغرها لا يعيتم هذا التنضيد البطيء . فلما صار حجم الصحف يتباين من ١٦ صفحة الى ٣٣ الى ٤٠ صفحة أحيانا ، صار لاندحة عن استنباط وسيلة ميكانيكية تمكن القارئ على اصدار هذه الصحف ، من تنضيد الحروف في أقصى سرعة مستطاعة ، فاستطاعت لذلك الآلة المعروفة باسم « اللينز تيب » واتقنت ، وهي شبيهة بالآلة الكاتبة ، أو المكنتاب (التيب ريتير) ، لها مفاتيح عليها رسوم الحروف المستعملة . فاذا قرع الكاتب على أحد هذه المفاتيح ، خرج من خزانة خاصة في الآلة ، قالب نحاسي حفر فيه شكل ذلك الحروف . وتعرف هذه القوالب بالامهات فاذا تم جمع الامهات الخاصة بسطر معين ، رفعت بالضغط على جهاز خاص إلى امام مخزن آخر ، فيه الخليط المعدني الذي تصب منه الحروف ، فيصب من هذا الخليط سطر كامل فيه الحروف التي نضدت أمهاتها بالضغط على المفاتيح . وبعد ذلك تفرق الامهات تفريقا أو توماتيكيا ، فيذهب كل حرف إلى المخزن الخاص به ، ويسقط السطر الذي صب في جانب خاص من الآلة ثم تليه السطور الاخرى وانتم تعلمون أنه في استطاعة البارعين من الكاتبين على المكنتاب أن يطبع أكثر من مائة كلمة في الدقيقة . فتصوروا السرعة التي تنضد بها حروف الصحف التي تعتمد على هذه الآلات المنضدة للحروف ، ويقدر في دوائر الصحف الاميركية ان العامل على منضدة الحروف يحل محل أربعة أو خمسة من العمال ، الذين ينضدون الحروف باليد . فاذا دفعت بمقال لعامل ينضد الحروف باليد واستغرق في تنضيد حروفه ساعة من الزمان تمكن العامل على منضدة الحروف الميكانيكية أن يفعل ذلك في ربع ساعة على الأكثر .

ومن مميزات هذه الآلة ، ان كل حرف يستعمل في طبع الجريدة ، حرف جديد ، كأنه خارج من المسبك ، في حدوده ومعامله ، فيخرج الطبع به جلياً واضحاً ، لانه بعد استعمال الحروف المنضدة كذلك يعاد صهرها ، واستعمال مبعدها المصهور في صب حروف أخرى . يقابل ذلك ان الحروف التي تنضد باليد ، تفرق بعد الاستعمال ، ثم تنضد ثانية وثالثة ورابعة شهوراً متوالية ، حتى تفقد معالمها الواضحة ويصبح الطبع مطموساً أو غير واضح في بعض الأحيان . وقد أتيت لى زيارة جريدة نيويورك تيمس من سنوات فرأيت فى « العنبر » الذى يحتوى على منضدات الحروف - ثمانين منضدة تشغل ليل نهار ، مع تبديل العمال طبعاً .

وكان يؤخذ على هذه الآلة المنضدة عند الشروع فى استعمالها ، قلة أشكال الحروف التى تستعمل فيها . لان زيادة عدد الالمات ، يجعل الآلة معقدة كثيرة النفقة . ولكن المستنيطين ، تداركوا ذلك ، فصنعوا آلات خاصة للعناوين والاعلانات ، وهى مما يتضمن استعمال أشكال مختلفة من الحروف . وقد شاهدت فى ادارة النيويورك تيمس ، إحدى هذه الآلات فاذا هى من عجائب البراعة والانتان .

فعلى لوحة هذه الآلة ، مفاتيح بأشهر أنواع الحروف التى تستعمل فى العناوين والاعلانات المنمقة . Displayads يرسم المصدر الاعلان أولاً ، ويكتب ازاء كل سطر من سطوره ، نوع الحروف التى يجب أن يجمع بها ، فينقر العامل بأصبعه على تلك الحروف ، فيحرك قضيباً والقضيب يحرك دبوساً ، ينقب ورقة أمامها فى شكل اسطوانى . وحينما ينتهى العامل من عمله ، تكون هذه الاسطوانة الدرقية ، قد أصبحت كثيرة الثقوب وهى أشبه ما يكون بملف «البيانور» فتؤخذ وتُدفع فى آلة فيها مزيج من الرصاص والقصدير والانتيمون ، وهى المعادن التى تدخل فى الخليط المعدنى ، الذى تصنع منه الحروف ، فتسبك الحروف فى الشكل الذى أشار به الرسام ومدير الاعلانات .

وقد استنبطت من سبع سنوات آلة عجيبة : يتمكن بها الصحفي من تضديد الحروف عن بعد وتعرف باسم Teletypesetter أى منضدة الحروف التلغرافية أو منضدة الحروف عن بعد ، ولا أعلم مدى استعمالها الآن ، وانما أرجح أن أكثر استعمالها ، فى ملاحق الجرائد الرياضية . فالصحف الفرنسية - وبوجه خاص الصحف الاميركية والانكليزية - تعنى عناية خاصة بأبناء الألعاب والمباريات

الرياضية على اختلافها ، وتنافس في السبق إلى اعلان نتائجها ووصفها ، وعلاوة على تنافسها بعضها مع بعض ، يجب ان تنافس مذييع محطات الاذاعة اللاسلكية الذين يجلسون في شرفات تطل على ساحة اللعب ويصفونه دورة دورة . فهذه الآلة الجديدة ، أى « منضدة الحروف عن بعد » ليست في الواقع الامنضدة الحروف نفسها (أى الليترتيب) وقد شطرت شطرين : شطرا فيه لوحة المفاتيح ، يأخذه المكاتب معه إلى ميدان المباراة ، وينقر وصفها على مفاتيحه أول أول ، ثم تنقل تأثيرات النقر على المفاتيح إما بواسطة اتصال سلكي ، أو بواسطة اتصال لاسلكي ، إلى الجزء الثاني من الجهاز الباقي في دار الصحيفة ، وهو الذى يحترى على الامهات والحليط المعدن المصهور ، فتضد الحروف ، حتى إذا انتهت المباراة ، كان وصفها المنفصل معدا للطبع ، فيصدر الملحق ، بعد انتهاء المباراة بدقائق معدودة .

وسائل الأنباء

نتقل الآن إلى المخترعات الحديثة التى كان لها شأن كبير ، ولا يزال ، في جمع الانباء من أربعة أقطار المعمورة ونقلها . أما التلغراف والتلفون السلكيان فحرفان لديكم جميعا ، وكذلك التلغراف والتلفون اللاسلكيان ، ونقل الصور السلكي واللاسلكي ، وقد أضيفت جميعها إلى أساليب نقل الأخبار في الصحف الحديثة . ولا أبغى أن أتولى هنا بسط القواعد العلمية ، التى بنيت عليها جميع هذه المخترعات ، فان وصف مخترع واحد منها قد يستغرق أكثر من محاضرة واحدة ، ولكننى أجمل القول في ارتقاء وسائل المخاطبات ، ثم أصف لكم مثلا أو مثلين ، يدلان على مدى اعتماد الصحيفة العصرية على هذه المخترعات المجدبة . فوسائل المخاطبات اجتازت في ارتقاءها من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ثلاث مراحل : الأولى لما كان التخاطب يتم بالإشارات أو بالكلام أو برسول يعتمد على مضاء ذاكرته . والثانية لما استنبطت الكتابة فنصار في الامكان ارسال رسائل مكتوبة يكتبونها فيها بعض الكتبان أو الكتبان كله ، ومن ثم صار ارتقاء رسائل التخاطب مرتبطا بارتقاء المواصلات ، فاستخدمت الجياد والبربات والسفن الشراعية أولا ثم البواخر وسكك الحديد ثم الطائرات والبلونات .

أما المرحلة الثالثة فهى المرحلة التى بدأ فيها المستنبطون ، بتحويل الكلام إلى إشارات كهربائية تنتقل من غير أى تقيد بسرعة الناقل سواء أكان حمامة من حمام

الزاجل أو رسولا أو باخرة أو طائرة . والارتقاء في هذا النوع من وسائل
التخاطب من أهم ما اتصف به القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين ،
وقد كان نقل هذه الاشارات أولا بالسلك ، ثم على متن أمواج الاثير أو بكلمتها
معا . وهذا النقل السلكي واللاسلكي ، من أهم الأركان التي تقوم عليها الصحافة
العصرية الراقية .

فما من حادث يقع في ناحية من انحاء الأرض أو في أعلى طبقات الجو أو في
سفينة تتقاذفها الأمواج في عرض البحر ، الا وتنقل أنباءه على متن الأسلاك
البرقية أو على أجنحة الأمواج اللاسلكية . فوسائل المخاطبات الحديثة صغرت
الأرض وقربت الشعوب والأمم بعضها من بعض حتى أصبحت وكأنها ، من
هذا القبيل ، أمة واحدة ، وللصحافة في ذلك شأن عظيم ، لأن رسلا يجمعون الأخبار
ويرسلونها تنتضد وتطبع وتذاع بعد حدوثها بساعات أو سويغات ، فيقرأها الجمهور
ويحس كأن الحادث واقع ببابه ، وعندى أن هذا العمل من أجل الأعمال العمرانية
شأنا ، إذا تنزه عن الغرض الضيق والمأرب الخسيس لانتا حين نخرج من حدود
ذاتيتنا الضيقة بتوسيع أفق نظرنا إلى الحياة ينطلق الفكر من أغلال الحزب والتشيع
الوطني والتاريخي والاجتماعي ، وهذا الانطلاق إذا عرف أرباب الصحف كيف
يربونه على خير وجه كان أمثا دعامة من دعائم السلام .
والآن أريد أن أصف لكم بعض الأمثلة على مكانة وسائل المخاطبات السلكية
واللاسلكية في الصحف الحديثة .

دخلت في ذات مساء من صيف ١٩٢٤ جريدة نيويورك تيمس بنيويورك فذهب
في أحد المحررين إلى غرفة التلغراف اللاسلكي فرأيت رجلا جالسا على أذنيه سماعة
مزدوجة وأمامه آلة كاتبة . فقلت إلى ماذا تصغي؟ قال لي محطة باريس — قلت وما
يذاع؟ قال خطبة مكوندل ، وكان مكوندل أيها السادة رئيس الوزارة البريطانية
حينئذ ، في جنيف ، يلقى خطبته المشهورة في جامعة الآم في موضوع التحكم ونزع السلاح .
والثفت إلى ناحية أخرى في تلك الغرفة . فرأيت آلات كاتبة عدة تنقر من تلقاء
نفسها حروفا وكلمات على ورق ينساب على اسطواناتها الدائرة ، فجريت بذلك وسألت
فيه ، فقبل لي هذه آلات كاتبة ، هتصلة رأسا بشركات الأخبار الأميركية وفي
مقدمتها الأسوشيتد برس ، فإنه عند ما تتلقى هذه الشركات انباء جديدة لا تطبعها
على ورق وتوزعها كما تفعل شركات روتر وهافاس بالقاهرة ، بل انها ، توفيراً
للوقت ، تبعثها إلينا وإلى من كان مثلنا مشتركاً فيها بهذه الوسيلة ، وهي في الواقع

تأخراف متصل بمكتاب، توفيراً للوقت واقتصاداً للعناء، وهذا المكتاب التلغرافي يستطيع أن يتلقى من الاسوشيتدبيرس ستين كلمة في الدقيقة، فالجريدة الكبيرة تستطيع أن تتلقى في خلال ثمانى ساعات من الانباء ما عدد كلماته ٨ آلاف كلمة ، بهذا الجهاز .

لقد سمعتم جميعاً باسم الاميرال برد الاميركى الذى كان أول من طار إلى القطبين، طار إلى القطب الشمالى سنة ١٩٣٦ وإلى القطب الجنوبى سنة ١٩٣٩ .

ففى الرحلة التى رحلها إلى القطب الجنوبى سنة ١٩٣٩ اتفق مع إدارة نيويورك تيمس لقاء مبلغ كبير من المال على أن يخصصها بانباؤه عن طريق الارسلان اللاسلكى، لكن أعجب ماتم له ولها فى هذا الصدد هو أنه استقل طائرته فى أحد الايام ومعه رجلان مصور وعامل لاسلكى — وطار ميمما القطب الجنوبى وإذ دلته البوصلة على أنه فوق القطب كان العامل اللاسلكى قد اتصل بمحطة نيويورك تيمس بواسطة التليفون اللاسلكى ودار حديث بين ذلك الانسان المحلق فوق القطب والانسان الآخر الجالس على مقعد وثير فى نيويورك ، والمسافة بينهما عشرة آلاف ميل . وبعدها زرت جريدة المنشستر جارديان منشستر فأريت فيها ما لم أره قبلاً فى جريدة أخرى، مع أنه قريب جداً من الجهاز الجامع بين التلغراف والآلة الكاتبة الذى وصفته لكم، ذلك أن لادارة هذه الجريدة مكتباً خاصاً كبيراً فى لندن . ورجال هذا المكتب أعضاء فى قلم التحرير العام . ويصل ادارة الجريدة فى منشستر بمكتبها بلندن خط تلغرافى يستطيع أن ينقل عدة رسائل تلغرافية فى آن واحد، سواء أكانت ذاهبة جيمها من منشستر إلى لندن أو آتية جميعها من لندن إلى منشستر أو ذاهية أو آتية معا . وفى هذا الجهاز جزء كهربائى خاص ، بارع التركيب يفصل الرسائل بعضها عن بعض. وفى غرفة الاستقبال فى مكتب منشستر جارديان خمس آلات كاتبة تتلقى هذه الانباء بعد فرزها بعضها عن بعض وتطبع كل رسالة على حدة . وإذ كان مدير هذا المكتب يشرح عمل هذا الجهاز قال: لنسأل مثلاً عن حالة الجو فى لندن ، ومال إلى المائدة أمامه وضغط على بعض أزرار هناك رسالة تلغرافية بشفرة مورس، مؤداها : كيف حالة الجو عندهم ؟ وفى أقل من دقيقة كانت احدى الآلات الكاتبة امامى تكتب ما يأتى : الجو صاف والشمس مشرقة والهواء دافىء .

أساليب التصوير وطبع الصور

وتوزيع الجريدة

ولا يخفى عليكم ان الجريدة العصرية عادت لا تكتفى بالانباء مكتوبة ، بل صارت تميل كثيرا الى الانباء مصورة ، وقد كان نشر الصور في العهد الماضي صعبا جدا ، لان صنع الكليشات كان يجب ان يتم على الخشب أو النحاس باليد ، ولكن اتقان أساليب التصوير الضوئي ، والحفر الزنكغرافي ، وما اليه من أساليب الحفر المختلفة ، جعل نشر الصور في الصحف اليومية أمرا ميسورا ، على ما فيه من مشقة ، تلازم كل أعمال الصحفي .

وفي العهد الأخير استتبطت وسائل نقل الصور بالتلغراف السلكي ، وبالتلغراف اللاسلكي ، حتى وبالتلغراف ، فن نحو سنتين ، لما تمت المباراة الجوية بين انكلترا وأستراليا ، تمكنت جريدة الديلي اكسبريس من نشر خبر وصول الطيارين السابقين بصورة وصولها ، في عدد واحد .

جميع هذه الاجهزة ، تحتاج في بسطها إلى وقت ، ولعل أحد اخواننا المشتغلين بالصحافة المصورة ، يجعل الصحافة المصورة موضوعاً لمحاضرة يلقيها علينا . أما أساليب التوزيع ، فليس فيها شيء جديد الا استعمال السيارات كثيراً والطائرات أحيانا ، علاوة على القطارات . ولكن استعمال هذه الوسيلة أو تلك يتوقف على طبيعة البلاد التي توزع فيها الجريدة بقيت لي كلمة واحدة :

قد تنفق الأموال الطائلة ، في ابتياع الدور الفخمة ، والمنضدات والمطابع الحديثة ، وقد تستخدم الاسلاك والامواج في نقل الانباء والصور ، والسيارات والطائرات في توزيع أعداد الجريدة ونشرها . ولكن وراء كل ذلك عمل الرجل :

الرجال الذين لا يصدهم صاد عن تسقط الاخبار وتمحيصها ، الرجال الذين يعلقون عليها بأراء حصيفة صادرة عن علم واسع واخلاص جم ، عن بداهة مصقولة بالاخبار ، واستقلال قائم على السعى في سبيل النفع العام ، الرجال الذين يقيمون باختيارهم من ضمايرهم وعقولهم مجلس رقابة يجرون على قضائه ويفهمون ان الصحافة ، مع كونها تجارة ، يجب الاتبور ، هي كذلك أمانة اجتماعية معلقة بأعناقهم ، ويجب أن يؤدوا الامانة حقها ، فاذا أقبل المحررون جميعا من الرئيس إلى أصغر المصححين على أعمالهم بهذه الروح ، فالصحافة خير ، وتستحق أن يسبق عليها لقب « صاحبة الجلالة »



الاحطاء اللغوية الاصطلاحية والمطبعية

للاستاذ محمد مسعود بك

ألقيت مساء يوم ٢٧ أبريل سنة ١٩٣٦

سيداتي سادتي

اخترت أن يكون موضوع محاضرتي الليلة الكلام في الاحطاء اللغوية والاصطلاحية والمطبعية، لأنني رأيت القائمين بصناعة الصحافة ينشدون فيها المثل الأعلى للاتقان، ويتوثبون إلى سدره منتهى الاحسان والاجادة فوددت لو أن يكون أول مظاهر جهودهم في هذه السبيل بروز صحفهم من خدرها كل يوم نقية الذيل من شوائب الاحطاء لتكون كمثال المثال العبقري، يخرج من تحت سنان قلبه الفولاذي صقلا جميلا كالحسنة في ايامة جلواها

واذا كنت قد آثرت هذا الموضوع على غيره من الموضوعات المتصلة بالصحافة، وهى جماء العدد متشعبة المناحي، وأغلبها يغرى الباحث بطرق أبوابها، فها هو إلا لآثني بعد تلك الامنية التى منيتها لخبر الصحافة أوقن أن الخطأ العلوى أو الادبى، ولو كان مرده إلى الجهل أو السهو، يبق دينافى عنق صاحبه لا يبرأ منه الا بالقيمة العاجلة الى الصواب فيه، بعد أن يعلم ما جهل ويتذكر مانسى

نعم ان الخطأ يبقى معلقا بعنق المخطئ اذا تجلى له وجه الصواب فيه فاستهتر ولم يأخذ به، أو استكبر ولم يأبه له، لان الخطأ فى العلم كالخطأ فى الحقوق العامة، عمل ضار بالغير ولو لم يقصد به إلى نفع ذاتي أو مغنم خاص، ومن ذلك أنه يضمر ناشئة المدارس لانهم دائماً يتقنون الصواب فى كل ما يتلقونه عن الصحف فيأخذون به على علانته من غير ملاحظة ولا تمحيص ولا نقد. فتنتشر الاحطاء بينهم وتنساب إلى غيرهم بالتناقل والتداول فيكون من شأنها ما يكون من الداء الوبيء اذا استقرت جراثيمه فى بيئة لا يلبث لوثها أن ينتقل الى ما يحاورها من البيئات

والخطأ، قل أو جل، واحد تجاه التزام المخطئ بالرجوع فيه إلى الصواب بل بالعمل عل ترويجه والدعوة اليه حتى يستقر فى الازدهان وينقش فى الصدور ويأخذ مكانه بين الحقائق التى لا مرية فيها.

تلك هي عقيدتي في تصحيح الاخطاء ووجوب الانزام به كدين يتحتم وفاؤه .
والى وقد انبرت لمعالجة الموضوع انما اعمل بوحى هذه العقيدة ، لا لنمط أحد
أو الازدراء به ولا للازدهاء بمعرفة لا أملك منها قليلا ، وأما لا أقضى حاجة في نفسي
وهي أن أرى الصحافة المصرية في رقيها الأدنى مسيرة لها في رقيها المادى

* * *

أخطاء الصحف ، أيها السادة ، صنفان : أحدهما مصدره المحررون والمترجمون
والمتطوعون من الكتّاب ومردّه غالبا إلى الجهل أو السهو والثاني مصدره الطابعون
أى منضدو الحروف ورؤسائهم ومردّه أولا إلى طبيعة الحروف العربية وكثرة
عددها وتشابهاها ثم إلى جهل الطابعين أصول صناعتهم وعجز منضدى الحروف منهم
عن ادراك معنى ما يتضدون حروفه لأن سوادهم تعلموا رسم الحروف في المطابع
لا في المدارس ، فهم يحولون بسائط العلوم العربية من نحو وصرف وغيرهما .

والمخطئون من الطبقتين لاجتراح عليهم ، الى حدما ، فيما يخطئون ، مادام عليهم
من أصحاب الصحف رقباء على أعمالهم مفروض انهم يوجهون تصرفاتهم الى ناحية
الاتقان والكمال ومن رؤساء التحرير مرشدون مسئولون عن أخطائهم ، ويجب عليهم
لدرء هذه المسئولية ان يتحرك في نفوسهم الارباحية الى ضبط عملهم والتوفر على
اقتانهم بذرائع أولها أن يحصوا على هؤلاء أخطائهم ويأخذوهم بتصحيحها أول أول
ويتقوا الطابعين من المتعلمين الذين فازوا من علوم الوسائل في اللغة العربية بتسقط
يقيم مساقط الاخطاء ومعاثرها .

* * *

والاخطاء في الصحافة المصرية ليست تراثا ورثته عن صحافة الربع الاول من
هذا القرن فيما قطعته من أشواط بخطواتها المستخذية العائرة وإنما هي طغيان
الجانب المادى منها على الجانب الأدنى وقصر العناية فيها على الوضع دون الموضوع
كانها ليست نقیصة لاصقة بها دون غيرها من صنوف المطبوعات كالكتب التي
يتسمع الوقت عادة لا برازها في ثوب قشيب من الصحة والصواب ومع ذلك لا يكاد
يظهر كتاب في عالم المطبوعات حتى تكون في الاخطاء منثورة على صفحاته تأخذ
الابصار بلائها المشرق .

نعم لم تكن الصحافة المصرية أثيرة الاخطاء دون المطبوعات غيرها ، ولكننا مع
هذا نبغى لها الكمال الذى يكفل لها أن تصيح من هذه الناحية على صعيد واحد مع
الصحافة الاوربية التي اجتازت دور التعثر في الاخطاء بفضل سهرها المتواصل

على الخلاص من ربقتهما، وقد بلغ من أمر ذلك انكم تقرأون الصحيفة الأوربية قراءة تمعن واستقصاء فلا يجد أحدكم خطأ في كلمة ولا حرفاً صاعداً أو هابطاً أو مزعجاً من حيزه يمنه أو يسره مع أنها تكون من كبريات الصحف التي تصدر في بضع عشرات الصفحات أي بضع مئات الأعمدة للعدد الواحد منها . ولعلكم سمعتم بقصة ذلك الصحفي الإنجليزي أو الأمريكي الكبير الذي أرصد مبلغاً كبيراً من ماله لمن يهديه إلى خطأ أيا كان في جريدته الكبيرة؛ فهل لنا أن تمنى لصحافتنا التوفيق يوماً ما لمنح هذه الجوائز لمن يتتبع سقطاتها ويتلمس غلطاتها .

* * *

أيها السادة - قلت فيما تقدم إن الأخطاء يختلف أنواعها لم تقتصر على الصحف بل عنتها إلى الكتب مع أن الكتب على خلاف الصحف تطبع في مدّسع من الوقت وبعد مراجعات كفيفة لمجانبة الخطأ فيها ، ولهذا المناسبة أرائني في حاجة إلى الانضاء إليكم بكلمة استشارية في موضوعها سوف ألمحون منها فداحة المسؤولية التي تبطل عواهل الطابعين الذين لا سبيل لهم إلى التوصل منها بما يمكن أن ينتحلوه من ضيق الوقت أمامهم لإبراز مطبوعاتهم عاطلة من الأخطاء .

طغى سبيل الأخطاء على الكتب بأنواعها من مدرسية وغير مدرسية؛ فأصبحت لا يخلو أحدها من فهرس الخطأ والصواب في أوله أو آخره ، لا يتناسب عدد صفحاته مع بقية صفحات الكتاب وقد جرف ذلك السبيل في مسيله الكتب المنزلة قبل غيرها؛ فالقرآن الكريم، مع ما يتجرأه الطابعون له في مصر وغيرها من التدقيق المطلق في تصحيحه ؛ ليخرج من بين أيديهم مصوناً من الخطأ؛ وقد وقعت الأخطاء في طباعات كثيرة منه متشابهة رسم الكلمات أو حركات الحروف أو ما جرى مجرى ذلك حتى قصت الحالة بأبادة النسخ المطبوعة منه بالغة ما بلغت مقاديرها ونفقاتها .

حدث في العقد الأول من هذا القرن العشرين إن عهدة وزارة المعارف إلى إحدى المطابع الحجرية في فيينا طبع خمسين ألف نسخة من المصحف الشريف فلما ثبت لها أن أخطاء طليقة من قلم الناسخ اندست فيه أمرت بالقائها في البحر منذ وصول الباخرة الإسكندرية .

وكما يقع ناسخو القرآن الكريم وطابعوه في أخطاء نسخية أو مطبعية؛ على الرغم من حرصهم ويقتظهم نرى الكثيرين من حفظته أو مستغفري طائفة من سوره وآياته تخونهم الحافظة في معرض الاستشهاد أو التضمنين أو غيرهما؛ فيبدلون من عباراته أو كلماته عبارات أو كلمات أخرى؛ لاسيما عند تشابه الآيات ، وما أكثر

المتشابهات في القرآن الكريم .

نشر مقطع ١١ ديسمبر سنة ١٩٣١ للاستاذ محيي الدين رضا أحد محرريه نبذة أشار فيها إلى تحريف آية قرآنية في الصفحة الأولى من مقدمة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ففي اليوم التالي نشر المؤلف في المقطع كلمة يعترف فيها بالتحريف ويعتذر بأنه صحح الآية في آخر الكتاب، ولم يشر الاستاذ رضا إلى هذا التصحيح وحسناً فعل لأن كلام الله أرفع من أن يكون موضوع تخطئة وتصويب في ذيل كتاب كان الامثل بمؤلفه الفاضل أن يعيد طبع الورقة التي وقع الخطأ فيها لأن التصحيح في آخر الكتاب لا يحول دون بقاء الخطأ ماثلاً في الصفحة الأولى منه .

وفي يوم الجمعة قبل الأخير ظهرت في المقطع مقالة بقلم الاستاذ عبد الرحيم ابن محمود ضمنها الآية الشريفة: « يريدون ان يطفئوا نور الله الخ » على أنها إحدى آيات سورة الصف فأبدل من كلمة « ان يطفئوا » كلمة « ليطفئوا » الواردة في آية مشابهة لها من سورة التوبة ، وقد نبه إلى هذا الخطأ منبه فكشبت في مقطع الاثنين الماضي كلمة يعترف فيها بخطأه اذ يقول « وأكاد أدوب حرنا لوقوع هذا الخطأ مني في حرف من القرآن فأسأل الله الغفران » فالكاتب الفاضل خائنه الحافظة فخلط بين الآيتين للتشابه بينهما .

ومن الأخطاء ضرب يقع فيه محرر المقال أو مؤلف الكتاب ، لمجرد أنه قام بنفسه على تصحيح مقاله أو كتابه ، وتعليل ذلك فيما يل :

كتب الاستاذ م . الشرفاوى من علماء الأزهر ينعى على الدكتور زكي مبارك وقوع أخطاء مطبعية في كتابه النشر النفي فقال : « كنا نحسب أنه لا يوجد خطأ في كتاب يشرف على تصحيحه رجل عالم كالدكتور مبارك وتتولى طبعه دار الكتب المصرية » الخ، فرد الدكتور عليه في بلاغ ١٨ مايو سنة ١٩٣٥ يقول: « إن الغلط المطبعية في المطبوعات العربية قد عجز عنه الاساة ، ولا سيما إذا كان المؤلف هو المصحح، فإنه يقرأ في صحائف ذاكرته، وهو يظن انه يقرأ في صحائف الكتاب » ، وهذا التعليل يدل على ان سواد أخطاء المؤلفين ناشئ من تصحيحهم التجارب المطبوعة لمؤلفاتهم بأنفسهم ، لانهم وهم بسبيل تصحيحها تسبق خواطرم أنظارهم فتتم الأخطاء أمامهم مرادون أن يطفئوا لها .

وبين يدى الآن مصنف حديث جم الفائدة اسمه اعجام الأعلام ، ألفه الأستاذ محمود مصطفى مدرس اللغة العربية بالجامعة الأزهرية لضبط أعلام الناسى والبلاد، وهو فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط ومصدره باستدراك لطيف جاء فيه:

« حرصنا كل الحرص على سلامة هذا الكتاب من الخطأ المطبعي ، فنحقق أننا غرضنا على وجه كاد يكمل ، وساعدتنا على ذلك جهود رجال المطبعة وحسن معاملتهم لنا في هذه الغاية ، ولكن فات حرصنا أغلاط قليلة ، ولعل ما أوردناه في البيان الآتي هو كل ما وقع في الكتاب من الأغلاط والحمد لله على ذلك » ، ثم يحىء البيان فإذا به يتتبع خمسة أخطاء مطبعية فقط ، وهما نذا قد بلغت من مطالعة الكتاب إلى صفحة ١٣٨ فأحصيت سوى الأخطاء الخمسة المتقدمة ستة عشر خطأ مطبعياً ، وفي هذا الدليل المتقنع على أن المؤلف الفاضل لم ينفعه حرصه في اخراج مؤلفه بريئاً من عيوب الأخطاء وأن مساعدة الطالبين له على ذلك كانت مجرد حسن ظن لم يحققه الواقع ، لأنه إذا كان مجموع الأخطاء في الصفحات المائة والثمانين والثلاثين قد بلغ إلى ٣١ خطأ فإمناظور من مراعاة قاعدة النسبة والتناسب أن يبلغ عددها في كتاب يعد ٢٥٠ صفحة إلى ٣٨ غلطة وكسراً من غلطة واحدة يعدل على ٣٢ فأين إذن هذه الحقيقة المؤلمة من أن يكون عدد غلطات الكتاب كله خمسا فحسب ؟

* * *

بعد هذا الاستطراد الذي وقفتم منه ، أحم السادة ، على أسباب تسرب الأخطاء إلى الصحف والكتب أرى لزوماً على قبل الكلام على الأخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطبعية وضرب الأمثال عليها أن أكشفكم بما يعرفون من الدهش المنقرون بالأسى كلما فتحت صحيفة من صحفنا المشهورة في مضمار الاجادة والاتقان فتكون تلك الأخطاء بمختلف أنواعها أول ما يلتبس نظري منها .

ولقد استغرقني ذلك منذ فترة من الزمن إلى النقاط دررها وأصدافها من بطون الصحف ، فاجتمع لي منها بضعة آلاف قيدت أو أبدتها في كراسات كثيرة رجاء أن تتاح الفرصة لي يوماً لابرارها في كتاب يكون عدة للكاتبين في توقيهم معائر الأخطاء التي تملأ طريقهم ، وهما أنذا ما زلت استشرف تلك الفرصة المرموقة ولكنها لم تسنح بعد من وراء الأفق ، وإلى أن يبلغ أطرح بين يدي فضلكم ألوانا من الأخطاء التي جمعتها ، منقولة عن النصوص التي وردت فيها .

تتساعج الصحف كثيراً في نشر عبارات للكاتبين تلهجون منها ضعف التأليف وركاكة العبارة مع الخطأ ، من ذلك قول بعضهم : « تربتنا تترأوح منذبذة بين الحنان الأموى والاهمال الأبوى » يريد بالأموى النسبة إلى الأم بيتنا هو النسبة إلى أمية ، وقوله عن امرأة ولدت مولوداً شاذ الخلق : « وهى بعد طول العذاب

وطول التمني قد تفجع كما يرى اليوم، حتى أن أموميتهما الحنون تذكر ذلك المخلوق»
يريد بالأمومية الأمومة؛ وقوله: «كان أرباب الطرق يضربون سيوفهم بالهواء»
أى انهم كانوا يفتلون من خيوط الهواء طرة يلهبون بها ظفر سيوفهم، وكان الامثل
أن يقول: «يخطر ببالهم» لأن الخطران هو تحريك السيف في الهواء
ازدهاء بالشجاعة والبطولة.

ويجرى مجرى الرككة وسوء التعبير قول بعض الصحف: «حكمت المحكمة على
المتهم بعام واحد سجننا مع الاسعاف بقانون التأجيل» يريد وقف التنفيذ
ويرسل بعض الكتاب القول ارسالاً لا يدرون معه أتتفق نتائجه مع مقدماته
أم تناقضها؟

نعت احدى الصحف في سنة ١٩٣٤ للقراء أحد موظفيها الامناء وقالت في
نعيا انه توفي عن ٦٥ سنة وانه خدمها منذ تأسيسها - إذن يكون التقيد قد زاول
خدمة الصحافة في السادسة من عمره لانه ولد في سنة ١٨٦٩ ولان الصحيفة التي
خدمها منذ وجدت أسست سنة ١٨٧٥

وكتب كاتب: «ستلقى محاضرات عن الاسرائيليين في عهد الفاطميين أى منذ
قرنين ونصف» ومعنى هذا أن الدولة الفاطمية التي انقضت سنة ٥٦٧ للهجرة
كانت لا تزال قائمة بعد سنة ١١٠٠ وأتينا الآن نعيش في ظل دولة الممالك البحرية
ولان حكم الولاة العثمانيين الذي بدأ سنة ٩٢٣ هجرية لم يخرج بعد من عالم الذر .
وكتب غيره يقول: «السحت سواء كان حلالاً أو حراماً» ولعمري إذا كان
السحت في اللغة هو كل ما لا يحل كسبه ولا أكله فمن أين يكون له حلال وحرام؟
واذا اتبنا من الجمل والعبارات المصنوعة بما تقدم من ألوان الخطأ والتناقض
وجدنا أمامنا طوائف من الألفاظ المفردة يتناولها الخطأ من وجوه شتى .

من هذه الطوائف أفعال تتعدى بنفسها فيعدونها بحروف الجر مثل: أدمن .
احتوى . سلب . حرم . وقى . كلف . عمد . وعد . زود الخ .
وهذا خطأ كل الخطأ، صوابه الاستغناء عن تلك الحروف .
قال الشاعر :

لا أعرفك بعد اليوم تندبني وفي حياقي ما زودتني زادى
وقال ابن بطوطة: «زودني دراهم لم تزل عندى محوطة»، وهكذا بقية الافعال .
وأفعال تتعدى بحروف الجر فيعدونها بنفسها مثل: أبصروحف في قوهم :

أبصرهم الشرطى ، وحفه الثلاثيد ، والصواب أبصر به وحف به - وأفعال يخلطون معانيها بعضها ببعض لأن أصلها اللفظى واحد مثل : رصد وارصد ، حرم وأحرم ، غلا وأغلى ، توفرو وتوافر ، خلد وأخذ ، لحظ ولا حظ ، باح وأباح ، لغا وألغى ، زكا وأزكى ، عفا وأعفى الخ - وأفعال مزيدة بحروف الطلب نقتصر منها على فعل : استعرض واسترجل ، اللذين تمرّون بهما كل يوم فى كل الصحف ، لتضرب بهذا مثالا على مقدار ما يشرح اليه استعمالها من فساد وتناقض فى المعنى . فالاستعراض فى اللغة هو إما الانحاء بالسيف على الرقاب وإطارة الرؤوس من السكينات ، وإما فحص الجارية لشرائها ، جاء فى وفيات الأعيان : « كان الخليفة الطائع قد استعرض جارية فأعجبته فأمر بشرائها » ، وأما فى المعنى التالى وهو أن تكون رئيسا فى ديوان فتقول : « استعرضت اليوم كاتب سرى » أى طلبت منه أن يعرض على عمل يومه ، ولا يجوز أن تقول : « استعرضت العمل أو الأوراق » . أما استعراض الجيش والكشاف والتلاميذ فخطأ ، صوابه عرض الجيش الخ - أما الاسترجال فيما يسمونه الفتاة المسترجلة أى المتشبهة بالرجال فى زيها وأطوارها فعبارة طلب الرجل وكذا إذا قيل الفتاة المترجلة فلا معنى له أكثر من أن فتاة كانت تمشى مطية ثم نزلت عنها ، والصواب فى ذلك أن تقول : الفتاة أو المرأة المترجلة ، من أرجلت المرأة أى تشبهت بالرجل .

وترد فى الصحف كلمات مثل : أولا فأولا أو أولا بأول وعلى قيد وجلس على يمينه أو يساره ومن أول وهلة ولأول وهلة وفى أول وهلة ، والصواب فيها على التوالى هو : أول أول ، قيد (بكسر القاف) ، وجلس إلى أول وهلة .

قال المغفور له أمير الشعراء فى رثاء والدته :

من الهاتكات القلب أول وهلة وما دخلت لها ولا لامست عظما

وترد فيها على الرغم من أن اللغة العربية أغنى لغات الأرض طرأ ألفاظ عجمية مع وجود مقابلها فى هذه اللغة . من ذلك قولهم فى وصف موكب عرس : « وكان القمشجى يفتح للموكب الطريق » ، والصواب : المطرق ، بتشديد الراء المكسورة . جاء فى بعض كتب الأدب عن أمير « خرج والمطرق بين يدى موكبه » . ومنه استعمالها اللفظ والاسانيسور للترقاء وهو أوفى كلمة لأداء معنى تلك الآلة ومنه . قولها الفليسيو والكستليته وهما الطعامان المعروفان من اللحم تظفر بأدائهما اداه لغويا صحيحا كلمتا الملحء والشراسيف ، فإذا كان من الآكلين من يتشبهاهما غير ناضجتين ينزو الدم منهما وصفتا بالمعرضتين بتشديد الراء أى غير

تأمل النضج تفننجان بالدم . ومنه «أفتتح دولة . . . معرض الكرير نقيم لجمعية
فلاحة البساتين» كأن كلمة الاقحوان رحمت من معاجم اللغة العربية وأذكر هذه
المناسبة إلى قرأت كتابا في علم الزراعة طبعته وزارة المعارف جاءت فيه كلمة
«توليب» تعريبا لكلمة tulipe الفرنسية كأن اللغة العربية خلعت من مقابلها وهو
الحزامى التي كانت لإحدى الأعرابيات تدل باسمها ولدها الصغير حيث تقول :

يا حبذا ربيع الولد ربيع الحزامى في البلد

ومنه قولها : «صورة بروفيلا لأجل فتاة» كتبت هذه الجملة تحت صورة إحدى
الحسان ون حفا أن يكتب «صورة من عارض لأجل فتاة» لأن العارض هو
جانب الوجه لمقابلة بالفرنسية «profil» ومنه الباطنة أى الضريبة على المهن الحرة
ومقابلها العربي الصحيح هو «القبالة» التي ذكرها هذا المعنى الشريف الإدريسي
في نزهة المشتاق ونقلها الأفرنج إلى لغاتهم بلفظها العربي فقالوا gadelle للضريبة
على الصناعات كضريبة الجوخ والملح ومنه المدالبة للشارة التي تمنح للرضى عنهم
والكلمة عربية محرفة عن المثالة بفتح الميم ومنه الغرائيت في فصل عنوانه «صناعة
الغرائيت ومستعملها في مصر» واسمه العربي هو الحجر الأعبل ، ومنه القرويت
تعريبا لكلمة georvette وهى نوع من السفن الحربية في القرن التاسع عشر وكان مثلها
في الأسطول المصرى على عهد ساكن الجنان محمد على باشا معروفا بالغراب ومنه
السابورت لمانسية من ناحية أخرى جواز السفر وأتم كلمة لأداء معناه هو البراءة
تؤيده الآتيان الأوليان من سورة التوبة ويعززه قول ابن بطوطة في كلامه عن
بلدة الصالحية التي دخلها في طريقه إلى الشام : «كان لا يجوز عليها - أى الصالحية -
أحد إلى الشام إلا براءة من مصر ولا إلى مصر إلا براءة من الشام احتياطاً على
الأموال وتوقياً من الجواسيس» ومنه الاستنجة لقصيب الحديد فوق قاطرة الترام
يتناول سلك الكهرباء ، وهذا البنى متوافر في كلمة الكندرة وهى كل قصيب طويل
رفع ينال بواسطته شئ بعيد .

وحيث تظهر فوادح الأخبار ففيها يتصل بأسماء الاعلام لأناسى والاماكن
الجغرافية والاصطلاحات العلمية من طبية وفلكية وغيرها ، أما أسماء الاعلام
الخاطئة فيها «مولى عبد المجيد قاضى البوليس» فى الهند طبعا والصواب مولوى
وكولونل زهرواردى والصواب سهروردى نسبة إلى مدينة سهروردو و«السلطنة
فايدا زوج السلطان عبدالعزيز» للسلطنة الوالدة أمه لا زوجها و«الزعيم سمدخان»
للزعيم عبد الصمد و«١٥٠٠٠ مقوال ويزدى» لهذا العدد من المقولة واليزيدية الخ

أما أسماء الاعلام الجغرافية فالخطأ فيها عام وشائع ومتأصل لا أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر سوى مغاديشيو لمقدشو وويبي شيبالي لوادى الشبل واكسوم واكسوم ليكسوم المدينة المقدسة وجوندار وغوندار لغندرا وآساب لعصب وجوبا وجوالند لبلاد الجب هذا فى الحبشة ، وفى مراکش موجادور ومغادر لشغر مقدور «اسم ولى من الأولياء» وطنجير لطنجة ومكنس لمكناسة وطفيليات لتافليت وطيطوان لتلوين عاصمة المنطقة الاسبانية وموكتيم mercultem لبقعة من أزموور اسمها مرسل-تم أى أمضى وكل هناك وفى الجزائر الجاه منطوق alger الفرنسية المدينة أو ثغر الجزائر وبوجي منطوق bougie الفرنسية لبحاية وأوران لوهران، وفى بلاد أندلس سراجوسه وسراجوسا وسرقوسة لقسطة وسيفيليا وسيفيل الاشيلية ومجاء وملعالم لثة بفتح اللام وفلاسيا وفاليس لبانسية وسلبنكة لشبنقة، وفى مصر جفتن للجزيرتين اللتين تجاه ساحل الغردقة حيث آبار البترول بالبحر الاحمر وصواب اسمهما «الجافتين» أو «الشفتين» وغوسن لأرض جاسان المعروفة فى التوراة وهى وادى طوميلات ... الخ .

أما الاصطلاحات الطبية فقد اعتاد كتاب الصحف ايرادها بمنطوقها العربى وفى هذا من التعرّيط فى حق اللغة ما لا يستهان بضرره وسوء مغبته . فهم يقولون التيتانوس لداء السكران والابنديسيت أو الأعور للمراغ أو المرغة وكانا يلسم للملازق والجوهر تعريبا من goitre للنوطة وهى الانتفاخ فى الرقبة ... الخ .

واعتادوا فى الاصطلاحات الفلكية أن يطرحوا أسماءها العربية الصحيحة جانبا ليجلوا محلها منطوق أسماءها الافرنجية ، فهم يقولون جوبيتر للمشتري وفينوس للزهرة وعلامة سكوريو لبرج العقرب وبرج السكيش لبرج الحمل وخط الظهيرة المركزى لخط الزوال . . . الخ مع أن المفهوم هو أن هـ فى المائة من الأسماء والاصطلاحات الفلكية عربى الأصل نقل بلفظه إلى اللغات الافرنجية فى كثير من التحريف يقذف فى وهما أنها أسماء أجنبية فنسبها بمنطوقها الفاسد بينهما هى عربية بحمّة فى أصلها وأروها .
نتنقل الآن الى الكلام على الاخطاء المطبعية فى الصحف فتنصر على أن نذكر منها ما مرده إلى الطابع . هذا العامل كثيرا ما يستعمل عليه معنى ما هو مكلف ان ينصده من الكلام فتراه يتصرف فيها بما يوحيه اليه الخيال من تصحيف وتحريف وتقديم وتأخير وإضافة وحذف ، فالكامة من قولك إذا لم يضمها ، لأنها لم ترد عليه من قبل ، تناولها بالتحريف والتصحيف دون أن يحسب حسابا لاتساق المعنى .
من ذلك خبر نشرته الاهرام بالرسم والوضع الآتين :

الحديقة النموذجية

«تم إنشاء الحديقة النموذجية التابعة لوزارة التجارة والصناعة وركبت آلاتها ويشغل قسم الجلود الآن بشراء الخامات اللازمة لادارتها»
«وستكون مهمة هذه المدينة ترقية صناعة دبغ الجلود وذلك بتعليم رؤساء المداينغ الأهلية أحدث الطرق المتبعة في هذه الصناعة»

في هذا الخبر كلمتان وهما الحديقة والمدينة اذا أبدلت منهما كلمة المدينة ولاحظت أن بين الكلمتين الثلاث جناساً لفظياً واضحاً بدأ لك سر هذا القالب المضحك الذي صب فيه ذلك النبا

وفي باب التلغرافات من مقطع ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٥ خبر جاء فيه «رفع الصليب المعكوف رسمياً على الباخرة بريمن» وما من شك في أن محرر المقطع أو مترجمه أراد «المعكوف أى المعطوف المثنى من طرفه وهو صليب الراية النازية ولم يرد «المعكوف» الذي له من المعاني ما لا محل لوصف الصليب به ولكن الطابع كان يعرف معنى عكف ويجهل معنى عكف فعز عليه أن يؤثر بجهولاً على معلوم

وفي عدد المقطع الصادر بتاريخ ٢٥ يناير مقال في الحرب يظهر ان مصححه وجد فيه كلمة زائدة فرجحها بقلبه ومبالغة في تفهيم الطابع ان المراد من الرميح هو حذف هذه الكلمة كتب على الهامش تجاهها «تحذف» فظهرت الجملة كما أتى :

«وهذا تكون المصادر الحبشية اتفقت روايتها مع رواية المصادر «تحذف» الإيطالية» والأمثال من هذا القبيل لا يكاد يحصيها العدد وقد زخرت بها الصحف والمجلات والكتب، ولكن أدعاهما إلى العناية بالتفكير في استئصال شأفته هو الذهاب في الطباعة الى حد تغيير الأوضاع في المقال أو الصحفة بحيث يستعجم على القارئ فهم المراد . من الأمثال على ذلك ان إحدى الصحف بتاريخ ٢ مارس سنة ١٩٣٥

نشرت صورتين إحداها الملك اسبانيا السابق على أثر عزله والثانية لوزيره الذي دعا الى الثورة عليه . فاذا بالاولى تحمل اسم الوزير وبالثانية تحمل اسم الملك

وفي صفحة الصور من أهرام ١٨ أبريل سنة ١٩٣٤ صورة كتب تحتها السطران التاليان : «للصوص الثلاثة حسن ومراد وعويس الذين يملئ خريطة العالم وتم تخطيطه الآن باكتشاف الجلف الكبير وما جاوره» وفي إحدى الصحف الصادرة بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ صورة كتب تحتها في ثلاثة أسطر ما يأتي : «محمد الجندي تاجر الخددرات وإلى جانبه سكيته أحد الجمل بائعة . أحدهما الحكم على الاحرار والثاني وجوب الاتفاق على خطة حاسمة تسير عليها . الفجل وأمامها

الغلامان عبده عباس وفتحى عطوه « فسبب هذا الخلط كله إحلال أسطر محل أسطر أخرى أو دس بعضها بين البعض الآخر كما هو ظاهر

وبمناسبة تصرف الطابعين فى أوضاع الكلام والرواسم (الكليشيات) حتى انهم فى جريدة روز اليوسف الصادرة بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٣٦ وضعوا رسماً لخريطة الحبشة فى وضع أصبح الشرق به شمالاً والشمال غرباً والغرب جنوباً والجنوب شرقاً. أذكر نادرة لجريدة e cons aitu tiomrel التى كانت تصدر فى عهد الملك لويس فيليب . فقد حدث أن قلده هذا الملك رئاسة الوزارة للمسيو تيير *tiyers* السياسى المؤرخ فنشرت الجريدة هذا الخبر بالعبارة الآتية : «دعا جلالة الملك اليه المسيو تيير وعهد اليه تأليف الوزارة فألقى بين يديه كلبة شكر قال فيها : إن أسف فلا أسف إلا على شيء واحد وهو عجزى الآن عن كسر رقبتك ييدى كما يكسرون رقبة الديك الرومى » فلما قرأ الناس هذا الكلام البذىء بقنوا أن المسيو تيير قد أصابه مس من الجنون وتوقعوا له سوء العاقبة ولكنهم لم يلبثوا أن تحقق لهم فساد حسابهم وخطأ ظنهم لأنهم لما مضوا فى تلاوة الصحيفة قرأوا فى النهر التالى ما يلى « أسفر البحث الدقيق الذى أجراه البوليس فى جناية شارع . . عن نتيجة باهرة فلقد قبض على الجاني الأثيم الذى لم يتالك بعد أن جرد من سلاحه وشدت يده إلى عنقه أن صاح بوكيل النيابة حانقا «إن الله وأبناء وطنى ليشهدون بأنه لم تكن لى ثمة من غاية غير الاخلاص فى خدمة مليكى ووطنى» إذ فهموا أن الطابعين الكرام قد أزعجوا الجملة الأخيرة الواردة على لسان الوزير المؤرخ من حينها فى العمود الأول حيث حل محلها قول المجرم القاتل الذى عز عليه أن يرى نفسه عاجزا عن الفتك بوكيل النيابة فاعرب عن أسفه لانه لم يكن ليستطيع كسر عنقه كما يكسر عنق الديك الرومى

سيداتي سادتي : هنا أمسك عن الكلام فقد أتممت محاضرتى التى رमित بها الى جمع رأى رجال الصحافة المصرية فى كالحة الاخطاء اللغوية والاصطلاحية والمطابعية على التذرع الى هذه الغاية بوسيلتين :

الاولى : وضع معجم لتلك الاخطاء بعد تصويبها .
الثانى : انشاء مطبعة نموذجية لتعليم العمال فى المطابع أصول صناعتهم .
وقد قلت فى غضون محاضرتى اننى جمعت بضعة آلاف من تلك الاخطاء وصححت شطراً منها وبقي الشطر الثانى تحت التصحيح وأنه ليسرنى ان أعلن لكم الآن استعدادى لوضع هذا العمل بعد إتمامه بين يدى الصحافة ليكون نواة لعمل أوسع نطاقاً « قل لأسالكم عليه أجراً الا المودة فى القربى »

تطور الصحف الأسبوعية
للأستاذ حسين شفيق المصرى
ألقيت مساء يوم ٧ مايو سنة ١٩٣٦

سيداتي، سادق

تذكر بعد أن شاب الشباب فان وفد دعاه فما أجابا
وشاقته الأوانس والحيما فود من التشوق لو تصابى
وعاوده هواه فسكاد لولا وقار الشيب يوسعه عتابا
ولولا أن يقال دهاء من فخولط ما تبايت الخضابا
ومن ظن الشباب صديق شعر فان الصقر قد أمسى غرابا
ومن يكتب حساب سنيه يوما فصفحة وجهه تبدى الحسابا
بقاء الشيخ فى الدنيا فناء ولو ملك النواصى والرقابا
وهل بعد الشباب له حياة وقد لاقى المنية حين شابا

تذكرت وأنا أسجل هذه الحوادث أيام الصبا والشباب فى ذلك الزمن الذى كان يمر بالنسيم بالحديقة الغناء متعطرا بنفحات الزهر والدنيا ضاحكة والآمال كالأيدي الممدودة للمصافحة والسلام .

كانت مصر فى ذلك العهد تبدأ سيرها فى طريق المطالبة بالاستقلال ؛ وليس حديثنا الآن عن ذلك الشأن فأحدثكم عنه ؛ ولكننا نتكلم عن تطور الصحافة الأسبوعية وهى جزء منه ، وقد كان ضعفها قوة ؛ وضيق نطاقها سعة ؛ وبطؤها سرعة ، فان الحرية مطلوبة ، يقول من يشاء ما يشاء ؛ ويكتب من يريد ما يريد والأمة فى حريتها وهى جاهلة تستطيع ما لا تستطيعه فى قيودها وهى متعلمة .

كنّا نلهو وكنّا نلعب ، وكنّا نطيع أنفسنا فى المرح والمجون ولكن كان لنا أدب وكانت لنا أخلاق ولم نكن ننسى أن بلادنا رازحة تحت أعباء ثقال فلم يكن مرحنا ولهونا يصرفنا عن التعاون على إلقاء تلك الأعباء عن عاتق الأمة وهى منغلقة فى سبيل الاستقلال .

ولست أنسى أن عدد المتعلمين منا فى ذلك الوقت كان أقل من عدد الجنينيات الانجليزية فى هذا الوقت الحاضر ؛ وأسألوا كبار الاسنان منها عن المهرجان الذى كان يتم تعظيما للتبليذ الذى يقال الشهادة الابتدائية ، وكيف كان الناس ينظرون إلى ذلك التبليذ الطافر بالشهادة الابتدائية كما تنظر الآن إلى الدكتور منصور فهمى

أو الدكتور طه حسين ! فإذا علمتم هذا عرفتم قلة عدد الذين كانوا يقرأون ، ولا تذكروا الذين كانوا يكتبون فإنهم كانوا كالجن ، نسمع بهم ولا نراهم ، وفي تلك القلة من عدد القراء كانت تعيش الصحافة وليس العجيب أنها كانت تعيش ، ولكن العجيب الغريب أنها كانت قوة فاهرة تهابها الاعداء ويفاخر بها الاصدقاء .

نشر قلم المطبوعات عدد قراء الصحف اليومية والاسبوعية في ديسمبر سنة ١٨٩٢ منذ أربع وأربعين سنة ، فكانوا :

٢٧٧٥ قراء الأهرام ، ١٤٥٥ قراء المقطم ، ١٢٠٠ قراء المؤيد ، ١٣٤٥ قراء الاستاذ ، ١٣٠٠ قراء المقتطف ، ٧٤٠ قراء الهلال ، ٦٠٠ قراء الزراعة ٥٤٥ قراء الفلاح ، ٤٤٣ قراء المحروسة .

فأنتم ترون ان قراء أوسع الصحف انتشارا لم يبلغ عددهم إلى ثلاثة آلاف وأكبرها حجماً وأطولها وأعرضها أربع صفحات كالخطاب الذي يكتبه أحدكم إلى أخيه يسأله عن صحة والديه .

وإذا علمنا ان الاهرام والمقطم كان كثير من نسخهما يرسل إلى لبنان والشام والعراق والناضول وبلاد الغرب الأقصى، رأينا ان « الاستاذ » كان أوسع الصحف انتشارا في مصر ، وكلنا يسمع بصاحبه ، عبد الله نديم ، الكاتب الشاعر الرجال الجاد الهازل المقطع النظير ، خطيب الثورة العربية الذي كان الانجليز يحسبون له ألف حساب وكان المصريون يرفعونه إلى صف العظماء .

ونحن نبدأ الحديث عن تطور الصحافة الاسبوعية بذكر « الاستاذ » لان المجالات التي سبقت زمنه لم تكن لها حركة تستحق الدرس الطويل ، وعلى هذا الحساب يكون عمر الصحافة الاسبوعية اليوم خمسة وأربعين عاماً ، وأنها نشأت بين يدي ذلك الأديب الكبير ، وهو أول من أجاد الجمع بين الجد والهزل في الصحافة ، وقلده المقلدون ، ومنهم من قعد به العجز عن ادراك شأوه ومنهم من لحقه ولكن بعد زمن ، ثم سبغته السابغون من المتأخرين الذين جاؤا بعده بزمن طويل وله فضل السبق على كل حال .

فهل كان عبد الله نديم أكتب الكتاب وأشعر الشعراء وأزجل الزجالين وأظرف الظرفاء؟ كان كذلك في زمنه وليس ينقص من قدره أن يأتي الزمان بمن يفوقه ، وحسبه مجدا أنه كان الاول في عصره . وهذه سنة سنهيا التطور لكل عظيم ينبغ في عصره انخطاط يتلوه عصر ارتقاء وإلا وقعت المدنية عند حد لا تتعداه .

كان الأدب العربي في عهد عبد الله نديم في الدرك الأسفل من الاضمحلال فانفض الصحافة الاسبوعية من رقدها وأنفض الادب العربي ومشى بهما الخطوات الاولى

بما وهب الله له من تلك المقدرة التي كانت على قدر ذلك الوقت ولم يكن فيها لغيره مطمع .
ولتروا كيف كان الأدب في تلك الأيام اسمعكم شيئا من ثمره ونظمه ، قال
بعد كلام طويل على هذا الطراز :

« وقد جادت القريحة بحريذة بين أترابها فريدة ، وها هي تزف إليك لتسلم بالنيابة عني
عليك ، فافتح لها باب البستان ، وافرش لها القصر والايوان واجعلها في بيت
الضيافة ، ثم أكس الماشطة والقهرمانة » .

وهو سجع كانوا يرقصون له طربا على ما يتخيّلون من فصاحته وأحكامه لضعف
اللغة والاسلوب في ذلك الزمن ، ولم يكونوا يرون فيه ما نراه الآن من التفكك
والركاكة ، أما خريدته الفريدة فمنها قوله :

لم يبق في الأقوام من شخص معين أو معير
فكأنني وكأنهم ضيف على باب الفقير
حولى ألوف نوم منعوا منامى بالشخير

ولا ريب في أن (الشخير) خير من هذا الشعر ومقام قائله محفوظ لأنه أصل صالح
لشجرة الأدب المباركة .

أما أرجال عبد الله نديم فكانت غاية في الرقة والانسجام ، لولا اقحامه قليلا
من الالفاظ الفصيحة في اللغة العامية ، ومن بدائعه أنه ناظر جماعة من طائفة
(الادبانية) وهم شحاذون كانوا يسألون الناس الصدقات بالرجل ، فقال واحد منهم لم يفته :

أنا الاديب الادباطى ألم عيش تحت بطاطى
جانتك رصاصة خباطى تغلبك شرب الدخان

فقال الآخر للاول :

أنا أديب أدب منك ألم عيش أكثر منك
جانتك رصاصة في خنك جعندى دون جربوع عريان

والنفث الى عبد الله النديم ومن معه وقال :

انعم بقرشك يا جندى الا واكسنا مال يا أفندى
إلا أنا وحياتك عندى بقى لي شهرين طول جيعان

فقال عبد الله نديم ارتجالا :

أما الفلوس أنا مديشى وأنت تقولى ما أمشيشى
يطلع على حشيشى أقوم أملص لك لودان

والمناظرة طويلة نشرها في مجلة الاستاذ وليس هذا مقامها وفي الذى نقلناه منها
الدليل على رفته وسرعة بديهته وما كان لمجلته من الحظوة عند الجمهور

سيداتي سادق

أما الادب المحض الخالص من العامة الذي يكاد يكون سالما من اللحن فبدأ عهده بجريدة مصباح الشرق الاسبوعية التي أنشأها شيخ أدباء عصره، ابراهيم بك المويلحي ، ولا أظن أن فيكم من لم يسمع به ، واعتقادي انكم تريدون شيئا من كلامه الذي كان يميز الاعطاف وتحقق عنده القلوب، ولعل هنا من أدركه وقرأ له أو تاملذ عليه وكان من المعجبين به

أنشأ ابراهيم بك المويلحي جريدة مصباح الشرق وقتئذ فكانت معرضا لأدب كبار الادباء ومدرسة ليردى الادب ومجالا لقرائح السياسيين المعدودين في الفصحاء فبلغ من شأنه أن المجيدين من الكتاب كانوا يتمنون أن يروه في الطريق أو يسلموا عليه في المجامع إن لم يسعدهم الحظ بالاخذ عنه أو الجلوس اليه ، وكان مصباح الشرق بأسلوبه وحسن ديباجته في نظر القوم تحفة يقتنونها ويقتطفون منها ما يزينون به الاحاديث والمراسلات ، ولكننا اذا رجعنا اليه الآن بعد أن بلغ الادب مبلغه الحاضر، لم نجد كما كان يجده معاصروه، ولا أدل على استمرار التطور والارتقاء من أن ننقل عنه خير ما كتب، قال في استقبال إحدى السنين :

« هل العام الجديد ونون النصر في جبينه ، والراية العثمانية في يمينه ، فطلع الهلال على فروق (يعنى استامبول) وفروق أسعد منازل الهلال ، وأشرف مطابع الابهة والجلال ، والخليفة أيده الله في مواكبها ، شمس كواكبها ، شمس قدسية الاشراق ، على الآفاق تنبعث منها حياة الاسلام ، انبعثت الاشعة على الاعلام . ولما انصرف العام الى اخوته من أعوام الهجرة المحمدية وتلا عليها ما جرى فيه من الحسنيات وبدائع المحسنات ، أضيف الى صف أعوام الخلفاء ذوى الهمم العالية والابادى البيضاء، ثم حل آخره العام الجديد مشرق الطلعة مبارك التنمية على جلاله أمير المؤمنين وسلاطان العثمانيين جعله الله عليه عاما سعيدا لياليه وأيامه، ووقفاه بأمثاله من الاعوام، لسعادة الاسلام »

أفترون أن مثل هذا يحسن أن ينشر في احدى صحفنا الآن ؟ أنا أقول: لا ، ولا أراه الا كانشاء طلبة المدارس ، غير انى لا أجد إلى كنت أراه عظيما في زمنه، كما كان يراه غيرى من شبان ذلك الزمن، ولا أنكر أنى تعلمت منه كيف أقرأ وكيف أكتب ، ولولا أثره وأثر أمثاله في نفسى ما عرفت سبيل الكلام، فله فضل هدايتنا جميعا إلى أول الطريق .

وأما الصحافة الهزلية بعد « الاستاذ » فسارت في الطريق الذى رسمه لها عبدالله

نديم ، وارتقت من حيث الصناعة ولكنها انغمست في اقدار الهجاء الشنيع وبذاءة
الافلاطون . ولم يسلم من ذلك القبيح الا - الارغول - فقد نزهه الشيخ محمد النجار
عما يشينه من تلك السفاهة اللهم الا ألفاظا أصابته بالعدوى ، وحسب الفتى أن تعد
معاياه ، ولا سيما الرجل الذي يعيش بين أولئك السفهاء من أصحاب الصحف
الاسبوعية التي كانت تنهش الاعراض وتستخلص الخبز الذي تأكله من الوحول .
وليس لدينا ما يقال عن الارغول الا ما قلناه عن الاستاذ ، فقد اقتفى أثره وقايله
ولم يأت بعده بجديد مع أنه جاء بعده بنحو سبع سنين .
ومن أرجال النجار في أرغوله قوله في الهزل :

وقفت مع غالى على عود خلال واصطدت بالشباب حمارة حرون
حلتها نملة رشيدى بيلك من ثقلها تكسر لها جوز قرون
بصيت لقيت في القرن ملوة فريك فلفلتهم طلعوا زويل وكنون
وكل ده يطلع وده في الغسيل وده مقدر من قديم الازل
أفيعجبكم هذا ؟ ؟

سيداتي سادتي : أخذت الصحافة الاسبوعية في الارتقاء بحمارة منيتى والخلاعة ثم الشجاعة
ثم السيف والمسامير ، ولكنها ارتقت في كتابتها وتدهورت في اخلاقيها الى أسفل
مكان ، ولكل صحيفة من هؤلاء الصحف تاريخ يجذل منه الجليس لانها كانت تعيش
بالطعن على الكبراء والخوض في الاعراض ولولا هذا لكانت هذه الصحف الملعونة
مفخرة من مفاخر الأدب القومى ، ولم يكن في أصحابها كاتب الا محمد ائدى
توفيق صاحب حمارة منيتى ، فقد كان أديبا يكتب وينظم الشعر والزجل بأسلوب
بضحك الشكلى والآخرى أميون كان يكتب لهم كتاب يستترون وراءهم فلا يعرفهم
الجمهور أذ كر منهم الأدياء : محمد امام العبد ومحمود جاد وخليل نظير وواحد
صاحبنا اتندم بعد كده وربنا تاب عليه .

ظهرت حمارة منيتى سنة ١٨٩٨ فجاء فكانت ترفس هذا وتعض هذا وتتهق في
وجه هذا ، ولم يسلم الاستاذ محمد عبده من شرها ، وراجت رواجاً لم تبلغ
اليه صحيفة غيرها حتى لقد وصل ما يباع منها في الأسواق الى أكثر من أربعين
الف نسخة مع قلة عدد المتعجبين لاذ ذلك .

وكانت الكتابة في الصحف قد بلغت مبلغا وسطا بين القديم الغث والجديد الطيب ،
وساعدتهم ارتقاء الحس وسلامة الذوق على الافتتان وابتكار المفاجآت ، وما نسميه
بالمفارقات ، فكان الناس يتلقون أقداعهم في الهجاء متفكرين لامستكرين ، ومن
مفارقات الحمارة قول صاحبها في مطلع قصيدة خلط فيها بين العامى والفصيح :

أمن تذكر جيعان لذى لقم فتحت خشها ترينازقة العجم
وقال في شكوى الازمة المالية :

هو المش فالحس يا قى إنه سهل ولا تستمع من أبغضوه فهم هبل
ويظن كثيرون أن هذا الضرب من الشعر ميسور لكل يحاول فيأتون بسخف
عمل مضجر وهم يهزلون فيكونون كالندابة في المهرجان أو المقيمة في المأتم ولا
يعلمون أنه أصعب ضروب الشعر وأبعدها ممن لم تصف نفسه ولم يبلغ من درس
اللغة الفصحى إلى مكانة الفحول لأن أول شروطه المحافظة على الاعراب والتزام
قواعد الصرف حتى في الالفاظ البلدية ومن هذا الاحتراز حذف توين زعلان -
في قول الآخر :

أطل من الشباك زعلان يشخط غزال رآه العاشقون فغيظوا
وقوله وهو غير صاحب الحماره :

الحب أخرج مقلتي بصباعه وأذاب قلبي بالليب بتاعه
سار البجور الى بلاد أحبي يا ليتني متعلق بذراع
غير أن صاحب حمارة منيتي كان يلحن أحياناً فيفسد شعره الجميل ويكدر صفو
خياله البديع ومفارقاته الباهرة على حين أنه كان عارفاً بالفصحى متفوقاً فيه كما تشهد
له مقالاته في السياسة والاجتماع .

والاطلاع على - حمارة منيتي - رينا ما وصل اليه هذا الرجل من التمكن من
لغة العامة والقدرة على محاكاة رجال الطبقة السفلى ونساء الرعاع واللواق يقال لمن
شراشيح، واليك نادرة مشهورة صاغها في ذلك القالب العجيب قال :

مرة كان واحد حكيم يتفصح مع واحد سكرى في الازبكية ففعلوا سهرانين للساعة
٢ بعد نصف الليل وبعدهما روح كل منهم على يده فصاحبنا السكرى لما روح ودخل
الأوضة التقاه ضله قام بيدور على السكرت فوق البوريه وكان التقي قزازه حبر
قام افكر أنها قزازه خمرة قام هفه الغرام راح قائمها على حنكه عشان يكمل بها
خيبته وزى الى كان مستحلف لها فضل يقبع منها لما استوفاه صافي ولا كان في
بطله سبع دواوين بيبيضوا في ميزانية السنة الجديدة .

فنهايته بعد ماشاف مزاجه مع قزازه الحبر ولع النور وببص في المراية وكان
التقي حنكه ملحوس زى الى كان متعين في لحس مصبغة والاخذ له هضر على بقه
في شوية وحله والاكيدة قام صحي الولية جماعته وكانت تبص في خلقتة التقت
بقه حشمة زى الى كان يديوس في جارية غطيس والاكان يبلع في جزمة واحد
براسي بدقته والاكان يجهك بقه في كبوت عربية . قامت قالت له ديهده يا مسخمت

يامدهول على عينك يوه ان شاء الله تتخبل وتمحاس وتنداس يابعيد دا سخام ايه
دا ياخنى . هو السكر يعمل كده . . . ياخوسى . ياخوسى مدعوق السكر على
الى بيسكروه . يوهات لك لباس واحنا بايتين من غير عشا والاهات لك
بدال انزله دى صابونه كنت غسملت بها حنكك اللى عامل زى طين العنكبوت
والاحوش واسكن لك فى أودة زى الناس بديل الحاصل ده اللى تخش فيه
الكتشيمة بجنب . والا احلق وانت عامل زى كبش اسماعيل بدقنك دى اللى شابت
على نجاسة وبقت زى رغاوى البوظة والاهات لك شوية ششم حطهم فى عينك
الى صبحوا من كتر العيا اللى بتشربه زى تسكرية الفجل ولا بقتش تعرف تشوف
بهم عشرة راكبين على جمل . بقى كده هو كل ساعة سكر . سكر وكل مايجى لك
كام نص من سمسة والامن غيره تروح تقدفهم للشيطان الرجيم وتخلينا طول
النهار قاعدين نص فى صوابنا زى اللى بيرعوا السكالب بالنص لا قرنين باميه
تقمعهم ولا حنتين لمة نفرهم لك على عينك ولا حاجة زى الناس الى خلتها ربنا . .
هو أنت ياترى فاهم انك متجوز مره أستك لا تاكل ولا تشرب . وكل مايتجى تقول
يسكن ربنا يديه تقوم انت تلغمط راس الحارة وانت الى جاي لى بحنكك ملحوس
ماحد عارف ان كان منعاص طين ولا مجروح وكابسه لك الحكم بقصرمل والا
ايه مايقول لى . . يكونش حد كفاك على دقنك فى مستوقد والا يكونش الميرى
قابلك فى السكة نمرك بوحله على بقك والا ايه بس . اياك مرافق معزه ومعلمك
بجالوس طين أحسن تنوه . بقى كل ليله سكر كده موش تعقل بقى وتقرع وانت
مناخرك سوست من كتر الفجر وبسلامته ضرس العقل طلع لك فى ركبك اهو
وبقى حالك تلف وانت لا بتختشى ولا حاجة ودابر عامل لى كده زى غزالجيزة
الى يبقوا جعانين ويفرشحوا ع البحر ، قام قال لها روى ياويلية وانت
عند قولك . والله ان جت سليمة يام عبد الملاك وسلمت من الشوية الخبر
الى شربتهم دول ولا متش لابل السكر وأبقى وادفيس فيجى فى بيقى ولا
تبقيش عارفه الخير داخل عليكى منين قامت قالت له خبر ايه وسخام ايه الى
شربته . . . مهبول والا ايه بيقى ما لقيتش غير الخبر تشربه أيوه اشرب
لك حاجة تشبعك وأنت بايت من غير عشا وألا شوية بلا فى جنتك تسند قلبك
وأنت عمال تطولح كده زى اللى ييخنقوا القمر ما تقدم كده تشوف لك نصيبه على
عمرك تقاطع بها البلاوى اللى فى حنكك قبل ما يفتش فيك واحد عرضحالى ويقول
ذا شرب الشوية الخبر الى عمالين نرقص وندهى لهم ، يعنى النشان ياخنى فرحان
به قوى وقاعد مزقظ كده زى اللى ييخنس العفريت فصاحبنا ما صدق خد
الكلمتين دول فى عضمه وراح يجرى على الحكم قام قال له اعمل معروف يادكتور

شوف لى دوا أحسن شربت حبر وخايف لا يكون يموت. قام رد عليه الحكيم وقال الحق كل لك فرخين ورق نشاف قبل الخبر مايسرى فى جنتك .

وكان أخاش الحارة فى السبب والقذف بالبذاءة المنكرة نكية على الادب القومى فقد قلدها كتاب الصحف الاسبوعية فى قبح المذهب وخالنها بعضهم فى طريقة الكتابة لجأوا بأساليب جديدة منها النسكت التى كانت تنشر فى الشجاعة والسيف من بعدها وهما لاحمد عباس وقد كان لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه كان شعلة ذكاء له بديهة حاضرة وروح من أخف الأرواح وله نودا طريقة تذكر منها أنه جلس وأصحابا له أمام مشرب قهوة يتحدثون لجأ شحاذا كبير السن بيده دف ينقر عليه ويغنى بصوت منسكر « سهران ما بنام ، سهران ما بنام . . . » فانقلب أحمد عباس من الضجر وصاح فى وجهه « ما تروح تنام بلعن أبوك وإحنا مالنا » وأنا لا أخرج من أن أصف ذلك الرجل بأنه أديب فقد كان دقيق الملاحظة نقادا بارعا لا ينشر فى جريدته الا الجيد من الفصيح والعامى ويعرف مواقع الرصانة والركاكة بذوقه السليم فكانت جريدته آية فى الابداع ولا عيب فيها الا ماشرت اليه من نهش الاعراض والتهم على الناس بمثل قول جريدة السياف فى أحد الباشوات وهو غنى لم يكن يحسن هندامه ويتهم بأنه وسخ الثياب بخيل لا يأكل من الادام الا ما يطهى بالزيت : انغاض خدام فلان باشا من سيده فدرس له السم فى الطعام

ترمى الحنة العجينة فى جيب فلان باشا اليمين وتطلعها من جيبيه الشمال لقمة قاضى يجلس فلان باشا على الكرسي وهو بيرشح وتحتة ماجور أخضر رأى بعضهم فلان باشا ماشى فى الشمس وطربوشه يبطشطش

وكان التاجر الكبير يوسف الجمال أو أحمد الجمال سميئا متناهياف فى السم فقل فيه : نادى الجمال أحد العربجة فقال له العربجي : اركب قبل ما البهايم تشوفك لما الجمال يحب يفصل بدلة الترزي يجيب له مهندس من مصلحة المساحة رأى بعضهم الجمال لافق على رقبته بدل الباقة سير وابور

وكان أحد الاعيان متهم بالمبالغة المعروفة بالفشر فقل فيه : يدعى فلان ان فى بيته بساط مر سوم عليه جنيته والاولاد يقطفوا منها البر تقان ويأكلوه يدعى فلان ان فى مطبخ منزله مسكة حد يد يسافر بها الطباخ بين الحلال وبعضها يدعى فلان انه حدف طوبه لفوق ولا نزلش الا بعد ثلاثة أيام

وكانت الصحف الاسبوعية فى تلك الايام تحاول أن تكون كالشجاعة والسيف فتسحف سخفا تشمئز منه النفوس ، فلا يقام يقام لها وزن ، فتختفى بعد ظهورها بأسابيع ولم تسكن الصحف الاسبوعية كلها للهل فى تلك الايام ، فقد ظهرت مع الشجاعة والسيف

صحف أخر منذ ثلاثين سنة وأصحابها في حكم الامين، وكان يكتبها لهم رجل عجيب يدعى الشيخ الشربتلى رأيتهم رأى العين يجلس في بعض مشارب القهوة بالعتبة الخضراء ويكتب (الجريدة) كلها في ساعتين وهي أربع صفحات من القطع الكبير وقد حاولت أن أعرف سبب وجود تلك الصحف فلم أستطع لأنى لم أقدر على فهم ما كان الشربتلى يكتبه ولا أظنه كان يفهم ما يكتب ولعله كان يكتب لاولاد الجن بلغة العفاريث سيداى سادى : فى مذهب داروين ان أصل الانسان قرد ، وان القرد ارتقى مع الزمن حتى صار حيوانا انقرض بعد أن تحول بالارتقاء الى رجل ، ولم تبق من ذلك الحيوان بقية فسمى الحلقة المفقودة ، وقد أخطأ داروين فى زعمه انقراض تلك الحلقة ولوعاش الى سنة ١٩٠٠ لعلم أن تلك الحلقة موجودة بوجود أصحاب تلك الصحف الاسبوعية ، لانهم كانوا وسطا بين الانسان والحيوان وبما اذكره عنهم ان اثنين منهم اختاراني حكما فى اللغة العربية وقد اختلفا فى هل الصواب فطاحل ولا حطافل فقلت لا فطاحل ولا حطافل والصحيح فطاحل فراحا سعيدين بهذا التصحيح المعكوس ولو كانت الصحافة الاسبوعية وقفا على أولئك الجهال لقلنا عليها يارحم يارحيم ولكن حلقات سلسلة التطور الصحفى الاسبوعى ابتدأت بالاستاذ فصباح الشرق شجرة منقبة فالشجاعة فالسيف وجاء بعد ذلك الظاهر من ارجاس المطاعن الشخصية والافتداع فنويعت كتابا بجرادة السيف حوالى سنة ١٩١٤ فجلتها صحيفة سياسة وأدب وحولت دفعة الهجوم عن الاشخاص الى ناحية الحكومة والمحتمين وأنصارهم من الجماعات والرجال السياسيين كما يذكر كثيرون من الذين يشرفوننى الآن بسماع هذه الكلمة فراج السيف حتى طبع منه أربعون الف نسخة فى الاسبوع فلم الأدياء أن تنزه الصحافة الاسبوعية عن السفاسف يحجبها الى الجمهور فطهروها وظهرت الصحف الشريفة تباعا إلى الآن .

ومعاذ الله ان ادعى انى أول من ظهر الصحافة الاسبوعية من الاداران ، فقد سبقنى عبد الله نديم وابراهيم بك المولىبى والشيخ محمد النجار أصحاب الاستاذ ومصباح الشرق والارغول وأستاذى الكبير ان محمد مسعود وحافظ بك عرض فقد أنشأ مجلة خيال الظل سنة ١٩٠٦ ، ان صحت ذا كرقى ، ولكننى أغفلت الكلام عنما وعن جريدة السياسة المصورة لانهم لم تعيها طويلا لأسباب غير السكاد فقد كانتا رائجتين كل الرواج واستقبلهما القراء أحسن استقبال ولو قدر لها طول البقاء لكانتا هما السابقتان فى سبيل الصحف المصورة ، لانهما أقدم الصحف التى ابتدعت التصوير وعنه ، أخذ الكشكول ومجلات دار الهلال وروز اليوسف وآخر ساعة وأنتم تعرفون الباقي .

وقد أكون ناسيا بعض الصحف التي لها أثر في هذا التطور وجل من لا ينسى فلا يحقد على من نسبته من أصحاب هذا الفضل .

سيداتي ، سادتي : - سمعت كثيرا ان الصحافة اليومية أجدر من الصحافة الأسبوعية بالاجلال والاكبار ، وان الكتاب المشتركين في اصدار الصحف اليومية أرفع منزلة من كتاب الصحف الأسبوعية ، وليس هذا بصحيح ، فان كائنا من كان يستطيع أن يكتب في الصحف اليومية اذا كان على قسط من المعرفة ، وليس يستطيع الكتابة في الصحيفة الأسبوعية الا الاذيب المتمكن من اللغة ، الجيد الأسلوب الواسع الاطلاع ، الخبير بالحوادث ، والاخلاق والطباع .

وأقول الصحيفة الأسبوعية وليس في حساني شيء من الصحف السرية التي تسدع بها ولا تراها والتي لا نسمع بها ولا يعرف وجودها أحد غير ادارة المطبوعات ، فان هذه في حكم العدم ، وليس وجودها دليلا على ان لها كتابا الا اذا كانت انكسابة بعد اهدى مزيد السلام عليكم وكثرة الاشواق الزائدة اليكم الى غير ذلك وإذ سألتكم عنا فله الحمد صحتنا جيدة ، ولكن الصحيفة الأسبوعية التي لها قراء كثيرون وكلية مسموعة ومقام محمود هي التي أقول ان كتابها من فطاحل الآداب ، ولا غرو ، فانهم يستميلون اليها القراء بعلمهم وفضلهم بالالبناء البرقية ولا بالاخبار المزوقة ، وما من كاتب في صحيفة اسبوعية منشرة الا له قدرة على التحرير في أكبر الصحف اليومية وأعظمها شأنًا ، وليس كاتب تلك الصحيفة اليومية الكبرى بقادر على الصحافة الأسبوعية الا اذا كان من الآدباء العارفين باللغة والمنطق والنثر والنظم معرفة اجادة واحسان .

ثم ان كتاب الجدم من الكثرة بحيث يخطئهم الاحصاء وليس في البلد من يجيد الكتابة الهزلية الا نفر من عطاء أهل الادب ، واذ كرر لكم الاستاذ الشيخ عبدالعزيز البشري والاستاذ فكري أباطله والاستاذ محمد التابتي فيل في مصر كتاب هزليون غير هؤلاء ؟ كل واحد من هؤلاء يستطيع أن يكون رئيسا لتحرير أعظم الصحف اليومية ويهر القراء بكتباته الهزلية وليس كاتب جدي في جريدة كبرى أو مجلة عالية القدر يدعي أنه قادر على الكتابة في أصغر الصحف الهزلية .

وليس هذا انتماصا لزملائنا اليوميين فان مقامهم مشهور وفضلهم غير منكور وكل ما أريد بهذا الاستدراك أن أدفع ما يتهمنا به الجملاء بصناعتنا . وهذا هو الاستاذ انطون الجليل والاستاذ حافظ عوض من كبار الأدباء ولولا انصرفهما الى الصحافة اليومية لكنا من خير الكتاب الهزليين بما لهما من العلم والادب ، حسبى ذكرهما دليلا على حسن النية في هذا البيان ، وأسعد الله مساكم .

خاصة بحيث يستطيع منع السبابين ونهضة الأعراض مثلا من معالجة مهنة الصحافة ،
وبحيث لانسمح لكاتب بالاخلال بالنظام أو مخالفة الآداب العامة ؟
أم أن نطلق الحرية الصحافية اطلاقا تاما ، والحرية نفسها كفيلا بتنظيم نفسها
وتطورها مع الزمن إلى الإصلاح الأنفع ، فلا يجد السباب المعتدى من يقبل على
قراءة جريدته ، فهو بين أن يستقيم وبين أن يترك المهنة بتاتا، وأى الرأيين أجدى
علينا وأنفع في ظروفنا ؟ ولأنى أميل الآن للرأى الثانى وهو اطلاق الحرية للصحافة .
ولقد عرضت على حضراتكم ما بدا لى من وجوه الرأى فى هذه المسألة ، ولكم
أن تقرروا ما ترون .

حضرة محمد على بك — أوافق على ابقاء المادة (١٤) على أصلها ، والموضوع انما
ينحصر فى النقطة الآتية :
هل يعطى للبرلمان الحق فى سن القوانين اللازمة للصحافة تأمينا للنظام وصونا
للأعراض أم لا ؟

حضرة على ماهر بك - هذا تكفل به قانون العقوبات ، والذى
أريده ألا يكون للبرلمان ، وخصوصا فى الأحوال العادية ، الحق فى تقرير
قوانين تبيح للحكومة مراقبة الصحف أو عدم الترخيص باصدارها .
سعادة قطاوى باشا - لماذا نضعف ثقةنا بالبرلمان إلى هذا الحد ، ان البرلمان
من جهة أخرى لا يعسر عليه أن يقرر اعلان الأحكام العرفية ، وحينئذ يستطيع
القبض على ناصية الصحافة وتعطيل حريتها .
معالى الرئيس - يؤخذ الرأى أولا على ابقاء المادة ١٤ أو تعديلها كما اقترح
حضرة المسكباتى بك .

فتقرر بأغلبية الآراء الموافقة عليها من غير تعديل .
معالى الرئيس - اذن يؤخذ الرأى على المادة الجديدة التى اقترح وضعها حضرة
على ماهر بك .

حضرة عبد اللطيف المسكباتى بك - ان من أعظم الخطر على البلاد أن يسمح
لكل انسان بأن يتصدى للصحافة ويحاسب فى مجلس الارشاد العام .
حضرة توفيق دوس بك - نعم هذا خطر شديد .

حضرة على ماهر بك - أسلفت أنه لا مانع من تقييد هذا الحق ، كأن
ينص على أنه لا يجوز مزاوله الصحافة للأشخاص المحكوم عليهم بأحكام
تخل بشرفهم .

حضرة عبد العزيز فهمى بك - النص الذى اقترحه حضرة على ماهر بك يتضمن
أمرين : أولهما ان كل انسان له الحق فى مزاوله مهنة الصحافة بدون تصريح ،
والثانى أنه لا يمكن اصدار قانون يجعل الجرائد تحت مراقبة أو عقوبة ادارية .
فالنص الذى عرضه لا يبيى مباشرة مع النص الذى وافقتم عليه ، وعلى ذلك
ينبغى تعديله كما أتى : « لاجابة إلى تصريح سابق من أى سلطة كانت . . الخ »
حضرة على ماهر بك - انى أقبل ذلك وأترك للهيئة اختيار أحد
النصين .

معالى الرئيس - تؤخذ الآراء ،
فتقرر بالأغلبية رفض كلا الاقتراحين .
ثم تليت المادة (١٥) وهذا نصها :
« لايسوغ فرض أى قيد على أى شخص متمتع بالرعوية المصرية فى حرية
استعماله لآية لغة فى معاملاته الخصوصية أو التجارية أو فى الدين أو فى الصحف
أو فى المطبوعات من أى نوع كانت أو فى الاجتماعات العمومية » .
فتقررت الموافقة عليها بالإجماع .

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الرابعة والعشرين المنعقدة فى يوم الاثنين ٢١
أغسطس سنة ١٩٢٢ ماأتى :

معالى الرئيس - هل تسمحون بعرض الاقتراحات ؟
حضرة على ماهر بك - لنند تليت المبادئ الخاصة بحقوق الأفراد
مرة واحدة ، فأرى أن تلى مرة ثانية ، فاننى أريدأن أتسكلم عن حرية
الصحافة المتعلئة بالمادة (١٤) من تلك المبادئ

حرية الصحافة قانونا معناها حرية اصدار الصحف ، لأن حرية
الرأى والكتابة قد سبق لنا تقريرها ، وحرية اصدار الصحف لا تكون
الا إذا لم توضع قيود وعقبات فى سبيلها، وأهم القيود الرقابة والرخص .
وليس معنى منع الرقابة ألا تحاكم الجرائد على ما تسكتب . كلا . انى
معكم فى أنه يجوز للبرلمان فى ظروف خاصة أن يزيد ان شاء فى الجرائم

الصحافية ، لأننى لا أرضى الفوضى أبدا ، لكن هذا يقع بعد صدور الصحف . أما ما أتكلم الآن عنه فرقابة الصحف قبل صدورها ، وهذه هى الرقابة التى قررت الدساتير منعها ، فليس يصح أن تعرض صحيفة قبل نشرها على هيئة إدارية للتصريح بشئ أو تحريم نشر شئ آخر فيها ، هذا لا يجوز مطلقا فى الأزمنة العادية ، ولهذا تقرر مبدأ عدم الرقابة فى بروسيا العسكرية وحتى فى تركيا . وكما أننا لا نريد الفوضى ، فنحن لا نريد الاستبداد . فأرجو أن تقررُوا أن الرقابة على الصحف قبل نشرها ممنوعة .

سعادة حافظ حسن باشا - الرقابة على الصحف غير موجودة حتى فى قانون المطبوعات .

حضرة على ماهر بك - انما أطلب تقرير حرية موجودة الآن فعلا ، لأن الرقابة على الصحف غير موجودة الآن بحكم القوانين المصرية .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك - حضرة على ماهر بك يريد منع الرقابة على الصحف قبل إصدارها ، وهو يريد منع ال « Censor » ، ولكن للبرلمان أن يضع فى قانون الصحف من الأحكام ما شاء غير هذا .

حضرة على ماهر بك - أريد أن تنشر الصحف بدون تقديم لرقيب ، وهذا واقع اليوم بالفعل .

حضرة توفيق دوس بك - وهذا مسلم به من الجميع .

حضرة محمود أبو النصر بك - لكن الرقابة موجودة فى الأحكام العرفية .

حضرة على ماهر بك - فى وقت الأحكام العرفية تعطل أحكام الدستور وتحرم البلاد من حريات كثيرة .

حضرة توفيق دوس بك - وتقريرنا منع الرقابة على الصحف قبل إصدارها انما نريد به أن يكون فى الأيام العادية .
فتمت الموافقة على ذلك .

حضرة على ماهر بك - النقطة الثانية أن لكل فرد حق اصدار الصحف بلا حاجة إلى ترخيص خاص متى توفرت فيه الصفات التي يقررها القانون، حتى لا تتحكم الادارة في العطاء والمنع، ولا تمييز بين الأشخاص الذين يتقدمون لها ماداموا حائزين للصفات التي اشترطها القانون .

حضرة توفيق دوس بك - أرى أن لا نقيد البرلمان فيما يضعه من القوانين للصحف، فقد يجوز أن يعطى للادارة هذا الحق .

حضرة على ماهر بك - انما نريد أن نحول دوز استبداد الادارة قومي كان الطالب حائزا للشروط المطلوبة قانونا وجب أن يرخص له باصدار صحيفة

حضرة توفيق دوس بك - يجوز ان يقرر البرلمان شروطا أخرى غير الشروط الشخصية .

حضرة على ماهر بك - نريد أن نمنع البرلمان من هذا

حضرة زكريا نامق بك - البرلمان هو الذى يمنع الادارة من الاستبداد فى اعطاء الرخص .

حضرة محمد على بك - يرى زكريا بك ان القانون إذا أعطى للحكومة هذا الحق فالبرلمان يراقبها في تنفيذه تنفيذ اعدالا . ويرى حضرة على ماهر بك عدم ترك الانصرف باعطاء الرخص وعدم اعطائها للحكومة . وإننى أؤيد حضرة على ماهر بك فقد يكون طالب الرخصة من حزب الاثلية ، فترفض الحكومة اعطاء الرخصة، والحكومة دائما من حزب الاكثريّة تتجدد من حزبها مؤيدا لها في عملها وإذا ذاك تستبد الاكثريّة بالاثلية استبدادا يمنحها من أن تنشر آراءها .

حضرة على ماهر بك - اضرب مثلا يوضح فكرتى : اشترط للدخول فى مدرسة الحقوق أن يكون الطالب حائزا للكالوريا وأن يكون سنه كذا فلا يصح منعه بعد ذلك من دراسة الحقوق، مثل هذا هو ما أطلبه للصحافة .

حضرة عبد اللطيف المكباتى بك - فى أول عهد الدستور يدخل الأتمة دخلاء كثيرين ، فسيكون يومئذ مصريون حقبةيون يصدرن الصحف لخدمة الأتمة، ومصريون بالاسم يدخلون فى الصحافة لخدمة سياسة أجنبية ، فلا محل لشل يد البرلمان عن أن تمتد لمنع مثل هذا الأذى عن البلاد .

حاضرة على ماهر بك - إن هذا التفريق بين مصرى ومصرى هدم لما سبق تقريره من أن المصريين متساوون في الحقوق والواجبات ، فإن كان الضرر بالمصلحة العامة هو ما نخشى ، فأمامك طريقان : طريق العقوبة في الأحوال العادية وطريق اعلان الاحكام العرفية اذا استفحل الخطر حاضرة على المنزلاوى بك - أرجو حاضرة على ماهر بك أن يضع اقتراحه في صيغة نص ويلوه علينا .

حاضرة على ماهر بك - الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل مصرى حق اصدار الصحف مادام حائزا للشروط التى يقررها القانون .

حاضرة محمود أبو النصر بك - إذن لاختلاف بينك وبين حاضرة مكباتى بك حاضرة زكريا نامق بك - هذا مفهوم المادة ١٤ .

حاضرة على ماهر بك - المادة ١٤ لم تتعرض مطلقا لحرية اصدار الصحف ، على أننا ما دمنا متفقين على المبدأ فلنقرره ونندع الأمر للتحرير ، فإن كان هناك محل لهذا النص بعينه أثبت ، وإن أغزت النصوص الأخرى عنه لم تكن حاجة للإثبات .

حاضرة عبد اللطيف المكباتى بك - أنا متفق مع حاضرة على ماهر بك إذا هو استبدل (الشروط التى يقررها القانون) بعبارة (فى الحدود التى يقررها القانون) .

حاضرة على ماهر بك - هذا قد يسمح للبرلمان أن يضع قانونا يجعل للحكومة حق الترخيص بالصحف وعدم الترخيص بها

حاضرة محمد على بك - عبارة (الشروط التى يقررها القانون) إنما تقصد فيها صفات شخصية فالحكم فى وجود هذه الصفات وعدم وجودها هو القانون . أما عبارة (فى حدود القانون) فقد تسمح بوضع قانون يميز للحكومة اعطاء التصريح أو عدم اعطائه سعادة حافظ حسن باشا - لقد قررنا أنه لارقابة إلا فى وقت الاحكام العرفية ولم يكن عندنا قط رقابة بحكم القانون ، أما مسألة التصريح باصدار الصحف عند توفر شروط خاصة فى عليه اعتراض ، ذلك أن الادارة كثيرا ما ترى أننا نتفرق فيهم جميع الصفات القانونية ولكنهم على جانب عظيم من الانعطاط الخلقى ، فالشخص الدنى الاخلاق ، وإن توفرت فيه الصفات القانونية ، يخشى منه على الاخلاق العامة ،

وهذا أمر يجب ترك تقديره لجهة من جهات الحكومة. للبعثات العمومية والترخيص بها شروط. فإذا فرضنا أن حصل خلاف بين صاحب المحل والحكومة ترى الرجل غالباً يفتح المحل بدون رخصة وفي هذه الحالة يكون الحكم للقضاء بدلي كل من الطرفين أمامه بحجته وهو صاحب القول الفصل في الموضوع، وما دام ذلك فبئدنا ضمانان: أولهما نظر البرلمان فيما إذا كان هناك محل الرخصة أم لا. والثاني مراقبة القضاء، وذلك خير من ترك الأمر فوضى فيدخل في الصحافة كل من أراد، ولذلك أرى أن يكون النص: (لكل مصرى حق إصدار صحيفة في حدود القانون) معالي الرئيس.. رأى حضرة على ماهر بك أن لكل مصرى حق إصدار الصحف ما دام حاصلًا على الشروط التي يقرها القانون بلا حاجة إلى ترخيص خاص، ورأى سعادة حافظ باشا أن نترك للبرلمان وضع شروط إصدار الصحف وقد يشترط القانون الذي يضعه البرلمان أخذ رخصة وقد لا يشترط. حضرة توفيق دوس بك - أما حضرة على ماهر بك فلا يرى بحال من الأحوال استصدار رخصة.

حضرة على ماهر بك - النص الذي وضعته لا يحرم البرلمان من كل أنواع المراقبة لتوطيد الأمن وحماية الآداب، فللبرلمان أن يقرر ما شاء في حدود النظام العام

هناك في بلاد أخرى ضمانات للصحفيين، كاشتراط المحلفين في محاكمتهم، حتى في الجنح، وأنا لم أقترح هذا تاركًا للبرلمان أمر النظر فيه، وهناك حظر دفع التأمين ولم أقترح أنا حظره. ثم إن الضمان ضد ما نخشاه سهل. فيمكن النص في القانون الذي يصدره البرلمان على أنه لا يتولى الصحافة غير الأكفاء، ويمكن تشديد العقوبة عند المساس بالآداب العامة، وهذا أفضل أثرًا من الترخيص والرقابة، فقد رأينا تحت حكم قانون المطبوعات أن الجرائد التي تعتدي على الآداب لم تمس بسوء، مع أن البرلمان له أن يمنع قوى الأخلاق الفاسدة من احتراف الصحافة حضرة محمود أبو النصر بك - تؤخذ الآراء على النصين.

معالي الرئيس - نص حضرة ماهر بك هو الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل مصرى حق إصدار الصحف مادام حائزًا للشروط التي يقرها القانون، فبئل تأخذ الهيئة به أو تأخذ بالنص الثاني ؟

تقرر الأخذ بالنص الثانى وهو «الصحافة حرة والرقابة ممنوعة ولكل
مصرى حق اصدار الصحف فى الحدود التى يقررها القانون»، على تكون أن
مادة ١٤ مكررة

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الرابعة والثلاثين المنعقدة فى يوم الجمعة ٢٩
سبتمبر سنة ١٩٢٢ ما يأتى :

ثم تليت المادة الرابعة عشرة ونصها :

« الصحافة حرة فى حدود القانون والرقابة على الصحف قبل نشرها محظورة »
حضرة على ماهر بك لاحظ أن لجنة التحرير انتصت شيئاً مما تقرر
فى اللجنة العامة، وهو النص على أن لكل مصرى حق اصدار الصحف،
فاذا أريد حذف ذلك فأقترح أن يكون النص (حرية الصحافة مكفولة)
حضرة عبد الحليم بدوى بك - روى أن بين المادتين ١٣ و ١٤ بعض التداخل،
فلاولى قررت حرية الاعراب عن رأى بكل الطرق ومنها الكتابة فلم يبق
لحرية الصحافة معنى سوى ابداء الرأى على صورة مخصوصة وهى اصدار الصحف
وهذا المعنى هو الذى يؤديه صدر المادة ١٤، فذكر عبارة ان لكل مصرى حق
اصدار الصحف . . . الخ بعد ذلك تكرر لامسوخ له :

فوافقت الهيئة بالاجماع على بقاء المادة على حالها .

ثم تليت المادة الخامسة عشرة ونصها :

« لايسوخ تقييد حرية مصرى فى استعماله أية لغة أراد فى المعاملات الخاصة
أو التجارية أو فى الامور الدينية أو فى الصحف أو المطبوعات أيا كان نوعها أو
الاجتماعات العامة »

حضرة على ماهر بك - اقترح حذف كلمة (مصرى) من المادة فيقال
(لايسوخ تقييد حرية استعمال أية لغة الخ) اذ المفهوم ان الدستور
موضوع للمصريين

فضيلة الشيخ نحيث - وأنا أقترح حذف عبارة (أو فى الامور الدينية) حتى
لا يباح قراءة القرآن بغير اللغة العربية .

معالي الرئيس - يؤخذ الرأي .
فتمتقر بالأغلبية بقاء المادة على حالها .

وجاء بمحضر الجلسة التاسعة والثلاثين المنعقدة في يوم الخميس ٥
أكتوبر سنة ١٩٣٢ ما يأتي :

حضرة على ماهر بك - أريد أن أتكلم عن المادة الرابعة عشرة من
باب حقوق المصريين وواجباتهم الخاصة بالصحافة ، ونصها هو : (الصحافة
حرة في حدود القانون ، والرقابة على الصحف قبل نشرها محظورة)
تكلمنا عن هذا النص كثيراً ودولة رشدي باشا أبلغنا أمس أن له
ملاحظات على هذه المادة ويود أن يبلغها للجنة وهي ادخال تعديلين على
النص وزيادة فقرة عليه

أما التعديل الأول فهو زيادة كلمة (العام) بعد عبارة - في حدود
القانون - حتى لا تكون الصحافة مقيدة في حريتها الا بالقانون العام
التعديل الثاني هو حذف عبارة (قبل نشرها) ليكون النص : (والرقابة
على الصحف محظورة) أي بصفة عامة .

أما الفقرة التي يريد اضافتها فهي : (ان الصحف لا يجوز أن تكون محلا
لعقوبات ادارية)

معالي طلعت باشا - الاضافة الأخيرة لا لزوم لها اكتفاء باضافة كلمة (العام)
لأن هذا النص يمنع جهات الادارة من التعرض للصحافة بأي عمل كان .
حضرة عبد اللطيف المكباتي بك - إننا الآن في حالة انتقال وبأول واجب
علينا هو تربية الشعور العام على المبادئ الصحيحة ونشر الآراء السليمة . وحالنا
قابل للتطرف وبأول ما يقبل التطرف هو الصحافة ، ومع الأسف أقرر ان كثيراً
من الصحف لا يعمل للمصلحة العامة بل يسير وراء آراء أو أغراض خاصة ؛ لذلك
أرى أن يترك للبرلمان الحرية التامة لوضع الأنظمة التي يرى وضعها للصحافة .
لقد مرت إيطاليا بتجارب عديدة تشبه ما نمر به ، وقد وضعت
لنفسها دساتير تقرب من العشرين ، وقد جاء في دستورها الأخير نص حكيم يتعلق

بالصحافة أرجو أن تتخذ نهجاً لنا في وضع نص مثله في دستورنا، وهذا هو نص المادة في الدستور الإيطالي :

(الصحف حرة ولكن للبرلمان ان يقيد التطرف فيها) .
نرى الآن الكثير من صحفنا لا يتبع الطريق القويم، وأخشى أن يزداد ذلك، فأرجو أن يترك البرلمان حراً ليمكنه وضع العلاج الذي يكون ضروريا لحالة البلاد، وذلك بأن نضع في دستورنا نصاً شبيهاً بنص الدستور الإيطالي .

حضرة الياس عوض بك - المادة بنصها الحالي فيها الضمان الكافي
حضرة عبد العزيز فهمي بك - النص الحالي هو النص الذي أدخل على الدستور التركي في سنة ١٩٠٩ أى عقب الثورة التركية ، ومع ذلك فلا أعارض في التوسع في حرية الصحافة ، فقد كان لي نص عرضته فيما مضى أوسع من كل هذا .
ولكنني أعارض في زيارة كلمة (العام) في أول المادة لانه لا يمكن أن يحجر على البرلمان وضع قانون خاص للصحافة .

حضرة على ماهر بك - المراد هو منع تسلط الادارة على الصحف بأى طريقة من الطرق ، فلا يباح للادارة انذار الصحف أو اقفالها .
حضرة عبد العزيز فهمي بك - نحن متفقون على منع جهة الادارة من ارسال انذارات إلى الصحف أو وقفها بغير حكم قضائي . وسأنتق مع حضرة على ماهر بك على وضع الصيغة المطلوبة
موافقة عامة على ذلك وأن يعرض النص غداً في أول الجلسة

* * *

وجاء بمحضر الجلسة الأربعين المنعقدة في يوم الجمعة ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ما يأتي :

حضرة عبد العزيز فهمي بك - قررتم في الجلسة الماضية تعديل نص المادة ١٤ من باب حقوق المصريين الخاصة بحرية الصحافة فأقترح عليكم النص الآتي :
« الصحافة حرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الإداري محظور كذلك »
موافقة عامة .

لَهُدًى فِي سُبُلِهِ

شهد الأدب فى عهد وزارة على ماهر باشا فترة ذهبية ، لم يشهدها من قبل ، وبعث فيه مقامه الرفيع من عناصر النشاط والحياة ما عهد له به من قبل . كان عهد وزارة مقامه الرفيع موسم الأدب ، وعهد الانتاج الفكرى المنظم ، وقد مضى عهد الوزارة ، ولكن بقيت آثارها فى الأدب والسياسة والاجتماع خالدة لا تفنى .

طلعت الصحف على الناس يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦ بمشروع عجيب ، لم يكن أحد يحلم به ، أو يفكر فيه ، وهو مشروع « المباراة الصحفية الأدبية » ، ولم يكد المشروع يذاع ، حتى صار حديث القوم ، والشغل الشاغل للأدباء والمصلحين والصحافيين ، وغمرت البلاد يومئذ موجة ، من النشاط الأدبى الفذ ، فأقبل الجميع يحيون المشروع ، وصاحب المشروع ، و يباركون هذه الحركة التى خلقتها على ماهر باشا ، لاهياء الأدب الشعبى ، وتوجيه جهود الأكفاء من أبناء الشعب إلى الانتاج المثمر المنظم ، وانصرف الى المباراة عدد هائل من الأدباء والمفكرين ، يعالجون هذه النواحي الاجتماعية الحيوية ، التى أثارها رئيس الوزراء ، وأثار فيهم الاهتمام بها ، وانصرف اثنان وأربعون رجلا (١) من قادة الفكر والعلم والأدب فى مصر إلى دراسة مواضيع المباراة ، ونقدتها ، والحكم عليها ، فسيجلت هذه الحركة الحية أزهى عصور الأدب فى عصر النهضة ، وفيما قبله من عصور .

(١) حضرات أصحاب الفضيلة والمعالي والسعادة رؤساء وأعضاء لجان التحكيم

وما ظنك بنحو ألف وخمسمائة كاتب وأديب يتوفرون على دراسة أحد عشر موضوعاً حيويًا في الأدب والفن والعلم والسياسة والاجتماع؟ ما ظنك بهذا العدد الهائل ينصرف إلى الانتاج المثمر، فيخرج إلى البلاد خلاصة أفكاره وتجاربه فيما يهمها من الشؤون؟ ما ظنك بهذا العدد الضخم من الأدباء والعلماء يعالجون مشاكل الأسرة والفلاح والبطالة، والنواحي التي تهتم مصر من الأزهر الشريف والدستور والبوليس والتربية الوطنية، ثم اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال؟

لقد شاء حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا أن يتفجع بأكبر عدد ممكن من أكفاء الشعب، في معالجة ما يهم الشعب من مسائل وأمر، وأن يستغل أكبر ما يمكن استغلاله من الكفايات للصالح العام، وأن يمنح الفرصة للأدباء المعغمورين والمعروفين للانتفاع بخدمتهم ومواهبهم.

وكانت هذه الحركة المباركة الناجحة باعثاً على توجيه الفكر إلى تعميم المباريات.

فمن آثارها اقتراح سعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا إقامة مباريات سنوية منتظمة (١)، في الأدب والشعر والاجتماع والتاريخ والسياسة

(١) قدم هذا الاقتراح في ٨ يولييه سنة ١٩٣٨ ونصه:

« حضرة صاحب العزة مدير إدارة المطبوعات

دفعت المسابقات الأدبية في الموضوعات التي أقامتها الوزارة السابقة إلى تقدم كثيرين بالبحث وتقليب الآراء والافكار المختلفة في هذه الموضوعات مما كان له أثر صالح يدعو في نظرنا الحكومة القائمة إلى تقدير فكرة المسابقة على صورة مطردة في كل سنة. على أن ضيق الوقت الذي حدد للمسابقة الماضية مع اتساع مدى كل

وتبسيط العلوم ، وقد حول هذا الاقتراح إلى وزارة المعارف

موضوع من موضوعاتها قد أدى بالكثيرين إلى تناول هذه الموضوعات تناولاً سريعاً أدنى في نوعه إلى البحث الصحفي اليومي منه إلى البحث الفنى أو العلمى الدقيق وقد رأت اللجنة التى أشرفت برئاستها، والتى هى لإحدى اللجان التى ألفت للفصل فى هذه المسابقات، أن تتقدم إلى الحكومة؛ نظراً لما ظهر بوجه عام من فائدة الدعوة إلى المسابقة ، ومن نتائجها الصالحة، وحرصاً على أن تزكى هذه الدعوة خير ثمراتها، رأت أن تتقدم برجاء استمرار هذه المسابقة لتسكون دورية سنوية حافزة لبذل الجهد بصورة متصلة يطمئن معها كل باحث لتناول بحوثه تناولاً فنياً لا يتجنى السرعة عليه، ويتسنى معها أن تكون الثمرات أكبر قيمة وأعظم أثراً فى الحياة الفكرية العامة فلا تقتصر على بحث وجيز فى موضوع من الموضوعات بل تسكون كتاباً فى هذا الموضوع .

لهذا تتقدم هذه اللجنة بأن تقترح :

- أولاً - تقرير خمس جوائز سنوية قيمة كل منها ٢٥٠ جنيه مصرى .
- ثانياً - أن تقتصر أربع من هذه الجوائز على المتقدمين من المصريين وأن تسكون الجائزة الخامسة للذين يتقدمون لنوالها من أبناء البلاد التى تسلك العربية .
- ثالثاً - أن تعطى واحدة من أربع من تلك الجوائز للبصرى الذى يؤلف كتاباً يستحقها فى واحد من الموضوعات الآتية :

(١) الأدب .

(٢) الشعر .

(٣) الاجتماع أو التاريخ أو السياسة .

(٤) تبسيط العلوم .

وأن تعطى الجائزة الخامسة لصاحب الكتاب الذى يستحقها من أبناء العربية جميعاً فى أى من هذه الموضوعات .

رابعاً - تقدم هذه الكتب مطبوعة سنوياً فى موعد تعينه الحكومة قبل أن تجتمع لجان التحكيم بشهرين على الأقل؛ وذلك لتشترك الصحافة ولتشترك النقاد والجمهور فى إبداء الرأى فى هذه الكتب قبل نظر اللجان لإياها .

ومن آثارها أيضا مانشهده اليوم من نشاط وزارة المعارف في
شحننا لهم ، وتشجيع الانتاج الأدبي ، بمبارياتها المعروفة .

ولقد كانت نية حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا متجهة
إلى جمع مواضيع المباراة ودراستها دراسة يكون من ورائها الانتفاع
بما فيها من تجارب وآراء ، لكن توالى الحوادث السياسية عطلت هذه
الرغبة الكريمة النافعة ، حتى شاء الله تعالى أن يوفقني إلى بعثها (١) من
جديد ، في هذا العهد المبارك الميمون : عهد مولانا حضرة صاحب
الجلالة المليك المعظم الصالح المفدى المحبوب نصير الآداب والأدباء
« فاروق » الأول حفظه الله تعالى ذخرا لمصر والمصريين .

أغسطس - سنة ١٩٣٨

لأنه لم يكن

ولم تجعل اللجنة أول قصدها من تقدير قيمة هذه الجوائز الفائدة المادية التي تعود
على المؤلفين ، فهي تقدر أن طبع كتاب صالح طبعاً متقناً قد يستفيد منه الجائزة ، وإنما
قصدت - على المعاونة على طبع الكتاب - إلى الأثر المعنوي الذي يترتب على منح
الجائزة سواء في نفس المؤلف أو عند الجمهور .

ولأنى أرجو من عزكم الفضل بمرض هذا الاقتراح على دولة رئيس الحكومة
وزير الداخلية ، وأمل أن يستحق عنايته ورعايته .

وتفضلوا عزكم بقبول فائق الاحترام «

(١) نشرت رسالة الفائز بالجائزة الأولى في كل موضوع ، وملخصا لكل
من رسائل الآخرين .

المباراة الصحفية الأدبية بيانات من إدارة المطبوعات

(١)

لما كان من أعر أمانى الوزارة أن ترى فى أقرب فرصة متاحة نهضة الصحافة
تمضى قدما لاتلوى على شئ ، متجهة نحو الغاية الثقافية التجديدية التى يرومها كل
مقدر لأهل هذه الصناعة الشريفة ، وأن تساهم من قبلها مع العاملين من رجال التأليف
مساجلة الأقسام ومباراة اصحاب البيان ، وأن تعمل بقدر المستطاع على تمحيص
الآراء بين ذوى المواهب والكفايات ، وأن تعرض على بساط البحث والدرس
الموضوعات الإصلاحية الثقافية العامة ، فإنها ترى لزما عليها نحو الصحافة
والصحفيين ، والكاتبين والباحثين أن تخصص من ناحيتها جوائز للمجدين والمحسنين ،
تنشيطا للأقلام ، وإثارة للاهتمام ، وإثارة للحماس العلمى ، وإنها ضا للبحث الأدبى ،
وإثارة للعنان العقلى ، وزيادة فى الانتاج الثقافى ، وتوخيا للإصلاح الاجتماعى .
لذلك يسر الوزارة أن تديع بين الناطقين بالضاد ، من كتابنا وأدبائنا ، أنها قد
قررت جوائز تمنح للفائزين فى الموضوعات العشرة الآتية :

- (١) رسالة الأزهري فى القرن العشرين .
- (٢) اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال .
- (٣) أثر الحافز الشخصى فى تطور الإصلاح الاجتماعى والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام
- (٤) البطالة ووسائل علاجها والتعليم الإقليمى وأثره فى علاج البطالة .
- (٥) التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها فى بناء الأمة .
- (٦) عدة النجاح لرجل القرن العشرين .
- (٧) تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير .
- (٨) ترقية الفلاح اجتماعيا . (٩) استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام .
- (١٠) وضع تشيد وطنى قومى .

وقد تقرر للفائز الأول فى كل من الموضوعات المتقدمة مائة جنيه ، وللغائز
الثانى خمسون جنيا ، ولكل من الثالث والرابع خمسة وعشرون جنيا .
ويمكن لحضرات الكاتبين نشر ما يعين لهم فى الموضوعات المتقدمة إما فى الصحف السيارة
أو غيرهما من المجلات العامة على أن يرسلوا صورة ما يكتبونه إلى إدارة المطبوعات .
أما مدة هذه المباراة فقد تحدد لها خمسة عشر يوما تنتهى فى ١٥ إبريل سنة ١٩٣٦

وستعلن الوزارة قريبا عن هيئة التحكيم في كل موضوع من هذه الموضوعات .

١٩ مارس سنة ١٩٣٦

(٢)

الحاقا لمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية الأدبية تنشر ادارة المطبوعات بأن تذيب على حضرات الصحفيين والكتابين بأن اختيار دولته قد وقع على حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة الآتية أسماؤهم بعد رؤساء اللجان التحكيم كل فى الموضوع الذى يخصه وترك لكل من حضراتهم حرية اختيار زملائه أعضاء لجنته . وستدعى الادارة قريبا أسماء الجميع ، كما أنها استدعى ماقدترامى لهذه اللجان من توجيهات وارشادات وقواعد وأسس .

وقد تفضل دولة الوزير فأمر بامداد مدة تقديم الموضوعات الى امد نهايته ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ فى غير تحديد لحجم ما يكتب وفى مطلق الحرية للكتاب فيما يريد ابداء من آراء ومقترحات وأن التفضيل يكون للرسالة العملية النتائج وليس ثمت من حاجة الى التطويل فيما هو ظاهر جلى وأن العبرة كل العبرة فى حسن التصوير ودقته والالمام الصحيح بشتى نواحى الموضوع العملية الانتاجية ، كما أن دولته قد أشار بترك الحرية المطلقة لحضرات المتقدمين من الصحفيين والكتابين فى أن يرجئوا نشر رسائلهم الى ما بعد ظهور نتائج المباراة وأن ينشروها من الآن فيما يختارون من صحف ومجلات . كذلك أمر دولته أن تطبع الرسائل الفائزة فى كتاب خاص رغبة فى اذاعتها والاستفادة من وجاهتها ونشرا للثقافة وحسن الافادة ، وأن يداع منها من محطة الاذاعة الحكومية اللاسلكية ما تشير به لجان التحكيم ، تعميما للفائدة بأوسع ما يكون وترجو ادارة المطبوعات ، رغبة منها فى عدم اضاءة الوقت ، أن يتكرم حضرات الراغبين فى دخول هذه المباراة بارسال خمس صور مما يكتبون فى الموضوع الذى يختارونه الى حضرات أصحاب الفضيلة والمعالى والسعادة رؤساء اللجان ، كل فيما يخصه ، وهم حضرات :

الموضوع الاول : رسالة الازهر فى القرن العشرين .
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الشريف والمعاهد الدينية

الموضوع الثانى : اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال
رئيس لجنة التحكيم : سعادة الأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

الموضوع الثالث : أثر الحائز الشجعي في تطور الإصلاح الاجتماعي والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام .

رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير مكرم عبيد نقيب المحامين
الموضوع الرابع : البطالة ووسائل علاجها والتعليم الاقليمي وأثره في علاج البطالة
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة أحمد عيد الوهاب باشا وزير المالية .
الموضوع الخامس : الترية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الامة .

رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير محمود فهمي النقراشي
الموضوع السادس : عدة النجاح لرجل القرن العشرين
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا
الموضوع السابع : تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتسكين الوطنى المستنير .
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب العزة الدكتور بهى الدين بركات بك
الموضوع الثامن : ترقية الفلاح اجتماعيا .

رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة محمد طلعت حرب باشا
الموضوع التاسع : استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام
رئيس لجنة التحكيم : حضرة صاحب السعادة على الشمسى باشا
الموضوع العاشر : وضع تشيد وطنى قومى
رئيس لجنة التحكيم : الاستاذ الكبير الدكتور أحمد ماهر

٢٣ مارس سنة ١٩٣٦

(٣)

الحاقا لمشروع حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا الخاص بالمباراة الصحفية
الأدبية وموضوعاتها العشرة السابق اذاعتها .
تتشرف ادارة المطبوعات بأن تدعيغ أيضا أن دولته قد أمر باضافة الموضوع
الآتى ليكون ضمن موضوعات المباراة المتقدمة ، وهو :

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون . البوليس - وهو من
حراس القانون - صديق للشعب ، ووجوب مساعدة الشعب له فى أداء واجباته .
وستدعيغ الادارة قريبا أسماء حضرات رئيس واعضاء لجنة التحكيم فى هذا
الموضوع الذين سيتفضلون بقبول المساهمة فى هذه الخدمة الثقافية العامة .

٢٦ مارس سنة ١٩٣٦

لجان التحكيم

الموضوع الاول

رسالة الازهر في القرن العشرين

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى
- ٢ - معالى الاستاذ عبد العزيز فهمى باشا (٣) فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم (٤) معالى الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك (٥) حضرة الاستاذ امين الخولى - أعضاء

الموضوع الثانى

اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الاستاذ أحمد لطفي السيد باشا
- ٢ - سعادة الاستاذ جعفر ولى باشا (٣) سعادة الاستاذ الدكتور بهى الدين بركات باشا (٤) حضرة الاستاذ طه حسين بك (٥) معالى الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك - أعضاء

الموضوع الثالث

أثر الحافظ الشخصى فى تطور الاصلاح الاجتماعى والوسائل العلمية لتوجيه
للخير العام .

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الاستاذ مكرم عبيد باشا
- ٢ - معالى الدكتور أحمد ماهر (٣) حضرة الدكتور على مشرفة (٤) حضرة الاستاذ عبد الوهاب عبد الرازق (٥) حضرة الاستاذ محمد صبرى أبو علم - أعضاء

الموضوع الرابع

البطالة ووسائل علاجها ، والتعليم الاقليمي وأثره في علاج البطالة .

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الاستاذ أحمد عبد الوهاب باشا
- ٢ - سعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا (٣) - حضرة الدكتور فؤاد سلطان بك (٤) معالي الدكتور أحمد ماهر (٥) - حضرة هنري نوس بك - أعضاء

الموضوع الخامس

التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الامة

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - معالي الاستاذ الكبير محمود فهمي النقراشي باشا
- ٢ - حضرة الاستاذ الدكتور طه حسين بك (٣) - حضرة الاستاذ أحمد أمين (٤) - حضرة الاستاذ ابراهيم عبد الهادي (٥) - حضرة الاستاذ أحمد حسن الزيات - أعضاء

الموضوع السادس

عدة السجاح لرجل القرن العشرين

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا
- ٢ - معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا (٣) - سعادة الاستاذ محمد محمود خليل بك (٤) - حضرة الاستاذ خليل مطران بك (٥) - معالي الاستاذ مصطفى عبد الرازق بك - أعضاء

الموضوع السابع

تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - سعادة الأستاذ الدكتور بهي الدين بركات باشا
- ٢ - سعادة الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا (٣) سعادة الأستاذ يونس صالح باشا (٤) حضرة الأستاذ محمود حسن بك (٥) حضرة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي بك - أعضاء

الموضوع الثامن

ترقية الفلاح اجتماعيا

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - حضرة صاحب السعادة محمود عبد الرزاق باشا
- ٢ - حضرة صاحب السعادة جعفر ولي باشا (٣) حضرة صاحب السعادة سيد خشبه باشا (٤) حضرة صاحب العزة طراف علي بك (٥) حضرة صاحب العزة علام محمد بك - أعضاء

الموضوع التاسع

استثمار نهضة المرأة المصرية للخير العام

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - حضرة صاحب السعادة علي الشمسي باشا
- ٢ - حضرة الدكتور درية فهي (٣) حضرة الأستاذ الدكتور طه حسين بك (٤) معالي الأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل باشا (٥) معالي الأستاذ مصطفى عبد الرزاق بك - أعضاء

الموضوع العاشر

وضع نشيد وطني قومي

لجنة التحكيم

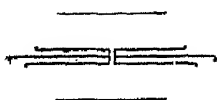
- ١ - الرئيس - معالي الدكتور أحمد ماهر

٢- سعادة الأستاذ مكرم عبيد باشا (٣) سعادة الأستاذ عبد القادر
حمزة باشا (٤) حضرة الأستاذ خليل مطران بك (٥) حضرة الأستاذ
محمد عبد الوهاب - أعضاء
الموضوع الحادى عشر

سلامة النولة في حفظ الأمن والنظام واحترام القانون والبوليس - وهو من
حراس القانون - صديق للشعب ووجوب مساعدة الشعب له في إداء واجباته .

لجنة التحكيم

- ١ - الرئيس - حضرة صاحب السعادة محمد ليث عطية باشا
- ٢ - حضرة صاحب السعادة عبد السلام الشاذلى باشا (٣) حضرة صاحب
العزة سيد مصطفى بك (٤) حضرة الأستاذ أمين سامى حسونه (٥) حضرة
الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى بك - أعضاء
أول ابريل سنة ١٩٣٦



تقارير لجان التحكيم

(١)

الموضوع الأول

رسالة الأزهر في القرن العشرين

قررت اللجنة أن هذه المباراة ليست رياضة فنية للأقلام ، يقصد منها الى زيادة الثروة الكلامية ، بل هي إن اتخذت من الأدب وصفا ، فانما تعنى منه ما يتصل بالحياة ، ويقوم فيه الكتاب مقام قادة الفكر ورواد المستقبل .

وموضوعات المسابقة انما هي مشاكل اجتماعية ، تمس أسس الحياة المصرية ، ليتها لكل ذى خبرة أكسبه البحث الاجتماعى ، والتوافر الشخصى على بعض هذه الشؤون أن يدلى فيها بالرأى ، ويهدى المشورة لأولى الشأن ، فتكون الشورى فى الإصلاح يستعان فيها بخبرة الخبير ، ولو كان من غير رجال الحكم ، بل لو كان من المعمرين .

ومن هنا رأت اللجنة أن موضوع رسالة الأزهر فى القرن العشرين ، انما يقوم على النظر الدقيق فى تلك التركة التى خلفتها عشرة قرون ، موصولة السبب بحياة مصر الاجتماعية : سياسية ، وخلقية ، وفقهية ، وغيرها ، وحياة الدينية : اعتقادية ، وعبادية ، وتشريعية ، وحياة مصر العلمية ، سواء فى ذلك علوم الدين أو علوم الدنيا ، ثم لها مثل هذه الصلة بالعالم

الاسلامى ، فالكاتب الاجتماعى المتحدث عن رسالة الأزهر إنما يعرض فيها لنواح ثلاث :

١ — اجتماعية عامة .

٢ — دينية — اجتماعية خاصة .

٣ — علمية .

ولكل ناحية تفاصيلها التى كونت اللجنة فيها رأيها .

وبعد ما استوى للجنة هذا رأى قدرت ما لديها من مقالات ، فأثرت ، بعد التحرى ، أن تعدل توزيع الجوائز ، ولما رأته من مقارنة المثل المرجو ، وما لاحظته من ذهاب بعض الكتاب الى جهات فى البحث متكاملة ، ينتفع بكل مقال منها فى جهة ، فأقرت النتيجة التالية :

١ — الاستاذ أحمد خاكي المدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية

جائزة مقدارها ٨٠ جنيها

٢ — الاستاذ عبد العزيز عبد الحق مدرس التاريخ بمعهد الزقازيق

جائزة مقدارها ٤٠ جنيها

٣ — الاستاذ أحمد توفيق عياد شارع الشيخ عبد الله رقم ٢٤ —

عابدين معسر

جائزة مقدارها ٢٠ جنيها

٤ — الاستاذ مصطفى صادق الرافعى - طنطا

جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٥ - الأستاذ الشيخ عبد الله عفيفي المحرر العربي بديوان جلالة الملك
جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٦ - الأستاذ محمد الهياوي بشارع الجامع الاسماعيلي رقم ٢٦ بالقاهرة
جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٧ - الأستاذ الشيخ محمد عرفه مدرس بكلية اللغة العربية
جائزة مقدارها ١٥ جنيها

٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ شيخ الجامع الأزهر

(محمد مصطفى المراغي)



رسالة الاستاذ احمد خاكي

(١) في أصول الاسلام

يتصل تاريخ الأزهر لإتصالا وثيقا بالحركات الفكرية التي قامت في مصر منذ السنة التي أنشئ فيها . ويتمثل فيه من ناحية أخرى مبادئ الاسلام وما كان لها من سلطان في أيام العز والمنعة ، وجدير بنا إذ تقرب الأزهر ورسالاته في القرن العشرين أن نجعل النظر في تلك المبادئ فنراها صحيحة صريحة تحت النور الذي تملئه علينا مطالب الناس وحاجاتهم في العصر الحاضر . ولا نرى خيرا من أن نلقي بنظرة عجيلى على الأصول الأولى التي ارتكن عليها الاسلام في تنظيم الجماعة الاسلامية . فقد كان لهذه أثر عميق في نظم الأمم المسلبة : أثر طبعها بطابع الاسلام لخاص وصحبها على طول العصور التي ازدهت فيها الخلافة ، وما يزال يتخلف بعضه الآن في أسس الدول التي كونها الاسلام .

حينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كان العرب قبائل متافرة متدبرة . وما حانت وفاته حتى كان هؤلاء أمة واحدة لها نظام يشمل الناس جميعا . هذا التأليف بين قلوب العرب كان آية الاسلام الكبرى . وقد نزل القرآن بأحكام تنظم هذه الجماعة . وكان الاقتناع بجلال هذه النظم شيئا يتصل إتصالا وثيقا بالايان . وحاط أحكام الاسلام منذ المبدأ شيء من القداسة التي استمدت من آيات الدين الحكيم . بل لقد كان الملك السياسي دائما يجمع في صعيد واحد كلا السياسة والدين . فكانت الخلافة على طول عصورها تتشعب بوشاح الدين بما كل لها من تقاليد تنشأت من تاريخها الطويل . ونزلت من أصلها حينما جمع النبي العرب كافة تحت راية القرآن . ولم يفرق الاسلام حينها بدأت تلك الجماعة بين ما تحبه الآن من شؤون الدين وما نخاله من شؤون الدنيا . بل جمع بين هذه وتلك . ولوكة التي هي إحدى قواعد الاسلام الحس كانت تشريعا أتى به التنزيل . ولوكة عند

المشرع الحديث قاعدة من قواعد النظام الدينى . فالى جانب العقائد التى ثبتها الاسلام فى قلوب المسلمين تنزل بشرائع . ووصل ما بين هذه العقائد وتلك الشرائع . وكان أساس كل ذلك هو السعى لتخير الجماعة . ولا يمكن أن تسيطر الشريعة إلا إذا كان لها أساس من الايمان .

ولما تكونت الجماعة الأولى فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت سابقة من سوابق الاسلام ، وكانت تلك العقائد وهذه الشرائع هى القوائم التى قامت عليها المجتمعات المسلمة فيما بعد . وللمسلمين بعد ذلك تاريخ طويل حثل بنظم استمدت من أصول النبوة فى الاسلام . وقد كان الدين فى تاريخ هذه المجتمعات دائماً محور التقدم . بل لم يكن المسلمون يفرقون بين سلطان الاسلام السياسى والاجتماعى ، وبين سلطانة الدينى . وقد كانت مصر إحدى دول الاسلام التى تمثلت فيها هذه النظم .

والأزهر معهد دينى كانت رسالته دائماً رسالة الاسلام وقد اتصل بحركات الفكر التى قامت بمصر . ولن نستطيع أن نقدر رسالة الأزهر فى القرن العشرين حتى نتبين إلى أى مدى تغلغل أثر الأزهر فى الحياة المصرية فى القرن الماضى . وجدير بكل رسالة فكرية أن تقوم فى أساسها على التقاليد التى صحبت المعهد الذى أنجزها . بل خليف بها أن تسيّر مع تقاليد البلد التى تنشأ فيها . على أننا سوف نكتفى بالتاريخ الحديث دون تاريخ الألف سنة التى مرت على الأزهر

(٢) الأزهر وزعامة الفكر

حينما خطا نابليون أرض مصر فى سنة ١٧٩٨ كان يقدر ذلك الشعور الدينى العميق حق قدره . وكان يرى أن مصر لا تنال إلا بالاستلانة والاسترضاء . وما هو إلا أن قضى زمنا وجيزا حتى تبين أن علماء الأزهر هم قادة الشعب . وأنه لن يستقيم له أمر حتى يستطيع أن يرضى هؤلاء . ولقد كان نابليون يقدر هذا الوزن السياسى للدين الاسلامى ، حتى لقد قيل إنه كان يضع القرآن الكريم جنبا إلى جنب مع كتب السياسة . وقد أدرك أن التفكير السياسى والاجتماعى عند المسلمين المصريين يصدر عن كتابهم الكريم . فكان عليه بعد ذلك أن يسترضى

علماء الأزهر حتى يسلس له قياد الأمة بأسرها . وقد حفزته هذه الفكرة إلى أن يضرب علي النغمة الدينية طول مقامه بمصر حتى لقد أوشك أن يدعى أنه مسلم . وأن الفرنسيين كلهم مسلمون . وحتى لقد قال حينما ولي الأمر في فرنسا إنه كان مسلما في مصر وكاثوليكيًا في فرنسا الخير الشعب . ويصوره بعض المؤرخين جالسا إلى علماء الأزهر يبادلهم الحديث والرأى في عقائد الاسلام وشرائعه ، ويذهب آخرون إلى أن قانونه قد تلون بألوان من الشرع الشريف .

وقد كان للأزهر سابقة خلال الفترة التي لبها نابليون في مصر : سابقة أولته الزعامة الدينية والاجتماعية والسياسية في وقت معا . ذلك بأن الحاكم الفرنسي ضم ديوانا ، يمثل المصريين كي يستعين به علي حكومته . وكان قوام هذا الديوانا شيوخ الأزهر . وقد كان في إنشائه إشراك ، ولو صوري ، للمستبشرين من أبناء الأزهر في حكومة مصر . وليس يذهب بنا الغلو إلى الحسد الذي نخال أن مثل ذلك كان حكما دستوريا صحيحا . وإنما نرى فيه اعترافا ضمينا بما كان لسلطة الأزهريين على العامة وبما كان للظروف المحيطة من قوة اضطرت نابليون — وهو أبعد الحكام عن التفكير في الحكومة الدستورية — أن يلجأ إلى معونة هؤلاء . وفي الحق لقد كان هذا انتصارا أدبيا بليغا للأزهر وبداية حسنة لولقيت رعاية لانتجت نتاجا طيبا .

فرغما عن أنه لم يقم في أذهان العامة لا دستور ولا شبه دستور إلا أن الخاصة من المصريين قد انتهوا إلى أن آراءهم جديرة بالتقدير والاحترام . ووسط الزوابع السياسية التي تلت عصر نابليون وسبقت ولاية محمد علي قام الأزهريون بثبتون حق الشعب ويؤيدون ما يذهبون إليه بنصوص من الدين الخفيف . ولقد كان للسيد عمر مكرم نقيب الأشراف حينئذ المكانة الأولى بين ممثلي الشعب . وكان الشعب غاضبا على خورشيد باشا راغبا في تولية محمد علي . وفي تاريخ الجبرتي نقاش بين السيد عمر مكرم وبين عمر بك أحد أنصار خورشيد باشا . فقد كان عمر بك يذكره بالآية الكرسي : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . فلم يكن من السيد عمر إلا أن قال : « أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل » . ألسنا نحس في ذلك الرد وحده تلك القوة الوليدة التي شعر بها زعماء الأزهر ؟ وألسنا نستطيع أن ندرك حصانة محمد علي حينما اجتذب هؤلاء الشيوخ

إلى جانبه فتغلب على القوى التي كانت تنافسه ؟ وسلطان هؤلاء الأزهريين هو الذى ظاهره على المالك ، وهو الذى أرغم الخليفة على أن يعترف بولايته . كانت هذه إذن سابقة الأزهر أعلنت من مكانه فظل زعيما للجماعة المصرية بعد ذلك . وما برج الأزهر يساير الحركة الفكرية في مصر حتى تمخض في أواخر القرن التاسع عشر عن حركة شاملة من حركات الإصلاح توجهت ضد العناصر الدخيلة التي مشت بالسوء في أمم الشرق . وقد رفع لواء هذه الحركة جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده .

ولعل خير ما يذكر من أياذى الاستاذ الامام أنه خرج الى فلاسفة الغرب يرد الحجة بالحجة ويقرع البرهان بالبرهان . ولم يكن الجدل الذى نشب بينه وبين هانوتو الا ناحية من الصراع الفكرى بين الشرق والغرب ، وكان المؤرخ الفرنسى يقتعل الذرائع والمبررات التي تحال ما اقترفته السياسة المادية التي استجحات لنفسها كل ما تحرّمه الشرائع والقوانين . ولم يكن الامام المصرى في ردوده الا مدافعا عن أصول الاسلام الاولى يلحق البيئة بالبيئة ويميز بين ما هو من صلب الدين وما هو دخيل على الدين .

على أن ذلك الكفاح الذى تولاه الأستاذ الامام والذى خلق بعد ذلك مدرسة بأسرها من مدارس الفكر لم يزل حتى أصاب ساعدا قويا في أفراد من المتخرجين في الأزهر ثاروا على حكومة الدخلاء . واتصلوا بالجيش آملين أن يحققوا بعض مثلهم العليا : فكانت الثورة التي اتصلت باسم عرابي باشا . وقد جنح التفكير الأزهرى في هذه المرة إلى ثورة عسكرية لم تكن موفقة ، لانها لم تكن من طبقة الأزهر . وعرابي نفسه كان أزهريا لكنه لم يكن بالأزهرى الرشيد . وقد جمعت هذه الثورة العسكرية إلى العناصر الواهية التي أنهكتها كثيرًا من العناصر السامية التي خلفت في مصر أثرا بليغا . وكانت رغما عما اتبها من بوهن نهضة قومية ما زالت تنمو حتى كانت شاملة بعد الحرب الكبرى . ولسنا ننسى أن الأزهر كان خطا لركاب هذه النهضة .

(٣) نقالبر الازهر

تلك صفحة من تاريخ الأزهر كان حقيقا بنا أن نعرضها قبل أن نقرر الرسالة

التي يلتزم بها في القرن العشرين، ونرجو أن نكون موفقين في أن نستخلص منها تقاليد وسوابق تحدد العلاقة بين الأزهر كمعهد ديني وبين المصريين كجماعة وأمة. فالأزهر كان مركزا للزعامة في أوائل القرن التاسع عشر، وقد ظل مصدرا للزعامة حتى بداية القرن العشرين. وقد ظهرت قوة الأزهر في الحالات التي احتكت بها مصر بالدخلاء الأجانب: ظهرت تلك القوة أمام الفرنسيين بزعامة السيد عمر مكرم. ثم انتظمت في جسم الأمة حتى وضعت مرة أخرى بزعامة الشيخ محمد عبده. وكانت موجبة في هذه المرة إلى الذين بسطوا أقدامهم في الدين من الفلاسفة والمؤرخين الأجانب. ثم كان لها بعد ذلك وجه قومي بقيادة عرابي وانتهى سلبا شاهلا بزعامة زغلول. وقد حاولت الحركة الأولى أن تتخلص من دخلاء الشر كس وحاولت الثانية أن تستقل عن كل أجنبي.

كيف استطاع معهد واحد أن يقود أمة بأسرها خلال قرن كانت فيه مسرحا للطمع الأجنبي؟ وكيف أمكن له أن يصمد لعدوان الأجانب؟ ثم أي قوى هذه التي واثت الأزهر حتى وقف رابضا أمام الأعداء والمتفهمين من كتاب الغرب؟ إننا نرى أن تلك القوة ما كانت إلا قوة الاسلام نفسه. وهذه الحركات التي دبت فيها الحياة في مصر أول القرن التاسع عشر ما كانت إلا بقية صالحة من تلك الحياة التي سرت في أمم الاسلام. وما اتبعت مصر الأزهر إلا لأن الشعور الديني فيها كان قد ائلف بالشعور القومي. ولولا تلك الثقافة الدينية التي نشرها الأزهر ما فكر المصريون في المقاومة، ولا املوا في التقدم

« والمصريون قوم دينيون ». قال هيرودوتس، ذلك حينما تحدث عن أسلافهم الأوائل، وقال عنهم مثل ذلك « ستان لين پول، حينما عاش بينهم في أوائل القرن التاسع عشر. وقد كان الدين في مصر القديمة مصدرا للتقدم المادي وكان الاسلام هو القوة الدافعة في أمم الاسلام بل لقد كان روح التقدم نفسه. وما بلغت أمم الاسلام ما بلغت من شأو إلا حينما تألفت القلوب حول الدين. فنحن إذن كمصريين نضم حماسة دينية بين جوانحنا تسكاد تكون غريزية فينا — وقد ورثنا كمسلمين تلك القوى الحية التي حركت الجماهير وارتقت درجات بالعالم الانساني. وقد كانت الأزهر موطن هذه القوى الحية وفيه إذن تتمثل عدتنا»

وعتادنا ، إذ ننفكر في التقدم واذ يحدونا الامل إلى الحياة الراضية المطمئنة .

لقد رأينا كيف كان الأزهر مصدرا للزعامة والكفاح . وقد رأينا كيف استعان الفكر المصرى في كفاحه السياسى والدينى والاجتماعى بسلطان الأزهر ، فقفى على المبادئ الخربة التى تربصت بالشرق الدوائر . وقد تزعم شيوخ الأزهر المصريين ، لأن هؤلاء كانوا يستوحونهم الشعور الدينى وكانت يتمثل فى خلقهم وارشادهم تلك القوى الحية التى نماها الاسلام وقواها . فان نحن أردنا أن نضرب بهم فى سبيل التقدم وجب علينا أن نرجع إلى أصول الاسلام الأولى فنحى ترائه . وتلك الرجعة إلى ديننا الحنيف هى من رسالة الأزهر لحمتها وسداها .

وجدير بالأزهر إذا أراد إحياء لذلك المجد الأثيل أن يعود سيرته الأولى من حيث الكفاح والزعامة وأن تتمثل فيه كل المثل العليا التى بسطنا القليل منها فيما تقدم . وبذلك يستطيع أن يلهم الناس دينهم خالصا نقيًا . بل خلق به بعد ذلك — إذا أراد أن يكون فى الرأس — أن يتصل اتصالا وثيقا بالحركات الاجتماعية التى تدب بين المصريين . وقد بينا كيف كانت رسالة الأزهر دائما مزدوجة: فهى دينية من ناحية وهى اجتماعية من ناحية أخرى . ذلك بان الاسلام كما أسلفنا دين يجمع بين العقائد والشرائع ، يسعى لخير الجماعة فى شتى الصور ويؤلف بين خلق الفرد خاصة وبين الامة بوجه عام

لقد كان اهتمام الأزهر بالحركات الاجتماعية فى مصر وحده عليها أساسا لزعامته التى ظل الجميع يعترفون بها حتى أواخر القرن التاسع عشر . وفى اليوم الذى يعتزل الأزهر فيه الحياة العامة يضحى بكثير من سلطانه الذى كفله الدين نفسه ، والذى عنى له المصريون خلال الاحداث التى اكتظ بها تاريخهم الطويل الحافل . ويعتزل الأزهر الحياة العامة إذا هو اطمأن إلى القيود التى تعوق التقدم ، فان ذلك لا يتفق مع روح الاسلام نفسه . ومصر — كمثل جزء من أجزء الارض — ما زالت تشهد الايمان والخير والحرية . لكن المصريين إذ يتشبثون بتلك المبادئ يتلفتون ذات اليمين وذات اليسار يريدون أن يجدوا ملجأ يطمنون اليه ويعتصمون به ، ونحن المصريين نربأ بنفوسنا أن ننجح إلى مبادئ الغرب فتتخذ من حضارتهم وحدها نبراسا . ونحن نشفق أن يطوح الهوى بالمصريين فيقصى جلتهم

عمائليه عليهم الدين وما تجود لهم به تقاليد الاسلام . والازهر في القيام بذلك .
 محط الآمال ومطمح الانظار . فهو الذى سوف يعيدنا إلى حظيرة الدين وهو
 الذى سوف يبعث الطائفة والرضى إلى نفوسنا الجزوعة الملوعة . ودور الذى
 سوف يلائم بين مبادئ الاسلام السامية وبين مقتضيات العصر الحاضر . فإذا
 هو ساهم في حياة مصر العامة استعاد تلك الزعامة الروحية التى صاحبتة زمنا غير
 وجيز ، وكسب ثقة الجماهير التى توشك أن تتزعزع .

(٤) التقدم المادى والتقدم الروحى

لقد كان تقدم المصريين في السنوات العشرين الماضية أسرع بكثير من تقدم
 الازهر . في كل ناحية من نواحي الحياة تولدت قوة تدفع بالمصرى إلى الامام .
 في الصناعة قام « بنك مصر » وشركائه بعبء فادح . وفي الزراعة أدت الجمعية
 الزراعية الملكية واجبا خطيرا . وفي العلوم أنشئت الجامعة المصرية فكان انشاؤها
 مبدأ لعصر زاهر ، وقد دفعتنا كل تلك المنشآت في طريق التقدم المادى ، ونخشى أن
 تكون قد وهنت العلاقة بين الازهر وبين الناس حتى أصبح يزور عنه الكثير ، وبحسب
 الكثير شططا انفعائى للتقدم . ولكن رسالة الازهر يجب أن تدوى في آذان أولئك
 وهؤلاء ، فإن التقدم المادى إذا لم يصحبه التقدم الروحى انتهى إلى ما هو شر من
 التأخر . وقد بينا أن طبيعة الازهر وتاريخه كان كلاهما عاملين من عوامل التقدم في
 مصر . وقد وضعنا أن الدين نفسه ينظر إلى الامام ويرغب فيما هو خير
 وأبقى .

فجدير بالازهر إذن أن يساهم في كل نواحي الحياة المصرية . وأن يكون - كما
 كان في القرن التاسع عشر - قوة دافعة تستمد من قوة الدين . والحق إن زعامة
 الازهر لنواحي النشاط في مصر سوف تنتج خيرا شاملا . ذلك لأن التقدم
 المادى ينتهى دائما بكفاح يخلو من المثل الأعلى . وكل كفاح يخلو من المثل العليا
 يؤدي حتما إلى الفناء ، كالنار تأكل نفسها . وقد تقنعتنا نظرة عجيلى الى تاريخ
 أوروبا بكل ذلك ، فقد تناست بمالكها في نزاعها بعضها مع البعض كل المثل
 العليا التى جاء بها دينها . وهى لا تزال تتناساها الى اليوم في نزاعها مع
 القارات الاخرى

ونحن نشفق أن يؤدي بنا التقدم المادى إلى ما وصلت اليه أوروبا ونضن بانفسنا ونحن أمة أن يكافح بعضنا بعضا وأن ندوق ألوان العذاب فى سبيل المادة . ونحن نشفق على الدولة وما يحيط بها من سلطان أن تتحيقها مبادئ الهدم وأن تأخذ منها معاول الفناء . ونحن نخشى - إن نحن تقدمنا ماديا ولم نعن بمبادئ الروح - أن نجد أنفسنا وقد انقلبنا أعداء وقد كنا بنعمة الله اخوانا . وقد وقع كل ذلك للمالك قبلنا . وما أظن إلا أن روسيا أقرب مثل يواتينا فى معرض حديثنا ، وسوف نعود إلى تفصيل ذلك فيما بعد ، وقد حوى الاسلام فى أصوله مبادئ التقدم نفسها ، فعلى الأزهر أن يحيى تلك الأصول . نحن نرجو أن تقوم حركة واسعة بقيادة الأزهر تنفخ فى الحكومة والدولة والمجتمع روح الاسلام .

(٥) روح الاسلام والنظم

وأى مبدأ ذلك الذى يسرى فى أصول ديننا وفى تاريخه الطويل ؟ نحس باننا فى حاجة إلى تبيان تلك الروح التى سوف نتكلم عنها خلال حديثنا . لو استطعنا أن نضم أصول الدين فى كلمة أو كلمتين لقلنا إنه يتمثل فى التأليف والانسجام . ذلك بأن للأفراد والجماعات رغبات وأطماعا تملى عليهم مذاهبهم التى يقومون دونها مجاهدين . وإذا نحن استعرضنا أمامنا تاريخ البشر رأينا كل عصر من عصوره يمتاز بمذهب من تلك المذاهب . بدأت أئمتنا فى القرن الخامس قبل الميلاد بمبدأ حرية الفرد ، وقامت روما تدعو إلى النظام بما يتطلبه من شدة وعنف ، ثم جاءت العصور الوسطى فكانت الوحدة فى الدين غاية الفرد والجماعة ، ولما تصرمت هذه وجاء عصر النهضة قامت الممالك تنصب على رؤسها ملوكا ، فضم الملك سلطة الشعب بين يديه . وحينما انقلب الشعوب على الملوك قامت الثورات بما مجددت من حقوق الشعب . ولم تزل حتى رأينا مبدأ القوميات يعمل فى الأفق السياسى . وما زال مبدأ القوميات شغل الدولة للشاغل لأننا لم نصل بعد إلى تحقيق المذهب العالمى . وإنما نرجو أن يتحقق . وكل هذه المذاهب قامت للظروف التاريخية التى أحاطت بكل مملكة من الممالك ، ولكنها كانت نتيجة لاطماع الأفراد ولعقلى الجماعات .

على انه قد ولد كل مبدأ من المبادئ وهو يحمل في صميمه عوامل فنائه ،
ولقد كان الاثينيون يشيدون بذكر الحرية حينما حوت أثينا أكثر من مائة ألف
من الرقيق . وقد انتهت الحرية الاثينية إلى نوع من الاباحية المدمرة . وانقلب
النظام الروماني إلى ظلم ، وانتجت وحدة الدين في العصور الوسطى تلك الهوة
السحيقة بين الشرق والغرب ، وانتهت بالحروب الصليبية بين الاسلام والمسيحية ،
واعتمد الناس إبان النهضة أن سلطة الملوك وهبت لهم من عند الله فاعتسف الملوك
في حكوماتهم . وانتجت الثورة المذاهب الديمقراطية التي حط من قدرها عقل
الجماعة . أما القومية فما زالت حتى أصبحت معتدية جائرة حتى في عصرنا الحاضر
وقد خلف كل مذهب من هذه أصولا مازال لها وزن في الشرائع والقوانين ولكن
التأدي في الاخذ بكل مذهب على حدة والاسراف في الاقتناع به والتفوق إلى
الدود عنه . كل ذلك كان لعدة في انقلابه

ان التوفيق بين خير ماختلف من كل تلك المبادئ من شأن المشرع المقنن . لكن
المشرع لا يستطيع أكثر من أن يثبت قانونا . ولا يكون القانون جدرا باسمه ان
لم يلق الطاعة من جانب الناس ، وما دامت الطاعة لانتشأ في نفس الانسان إلا بالاقناع
فهي إذن صفة نكسها من الدين . وعلي ذلك فوظيفة الدين هي التأليف بين خير
تلك المذاهب وأنبىل منتجاتها . وإذا أثبت التاريخ ان الأفراط كان أساس تدهور
المبادئ مهما كانت نبيلة فجدير بنا أن نعتدل في الاخذ بها . ونحسب ان الاسلام
بما حوى من أحكام ضمين بأن يتألف كل تلك المذاهب على ألا ينتقص أحدها
من الآخر . وقد كفّل الاسلام الحرية بما رفع من مقام الانسان ، والنظام بما أتى
من أحكام الشرع . وجعل طاعة الله ورسوله وأولى الأمور واجبات تقوم بها ونحن
راضون . وبذل النصح لأولى الأمر بأن يترفعوا بالناس . ثم انه قد جعل الناس
كلهم اخوة فكان خير الناس عند الله اتقاهم ، فضمن بذلك حق العامة أمام الخاصة
كل هذا أتى به الاسلام ونزله مبادئ دستورية يستطيع الفقهاء ان يلائموا بينها
في بيئاتهم . وبذلك كفّل للانسان أن يتقدم دائما . ولستأرى تقدما أرشد من هذا
الذي يقوم على مثل هذه المبادئ . على ان التوفيق بينها أجمعين كان دائما أس
المتقدم عند دول الاسلام

يقول النفسيون ان الإنسان لا يبلغ حسدا من الكمال إلا إذا وازن بين القوى
والمسلكات التي يكسبها وقد ذهب إلى ذلك افلاطون ، وقال مثل ذلك قوم آخرون
قبل ان يدرس علم النفس . لكن التوازن بين قوى الانسان ومسلكاته أصبح
حقيقة علمية في العصر الحديث . وينشأ كثير من أنواع الجنون إذا اختل هذا
التوازن . بل نحسب ان الانسجام محبب إلى النفس من الوجهة الجمالية . وقد
حاول كثير من الفلاسفة - وقد كانوا موفقين - ان يبحثوا في مثل هذا التوازن
في المجتمع . ويحدث جنون الفرد إذا هو أفرط في الأخذ بفكرة من الأفكار
أو خيال من خيالاته . وهكذا يحدث جنون الجماعة إذا هي أخذت بمبدأ واحد
تمادت فيه - مهما كان هذا المبدأ سليما - وما نظن الا ان الاسلام كفيلا بأن
يؤلف بين كل تلك المبادئ فيرسل الانسجام فيها ارسالا .

(٦) رسالة الزهر الى العامة

ولكن ماهي الوسائل التي يتخذها الأزهر حتى يبذل للجماهير الدين خالصا ،
وحتى يقرب بين أبنائه وبين الجماعة في مصر . إن أول ما يعيننا في هذا السبيل هو
القضاء علي البدع والضلالات التي سرت إلى الدين وتسربت بسببها ثم شاعت
بين العامة حتى غم عليهم فاختلط الخبيث بالطيب والحق بالباطل . ولقد أساء كل
ذلك إلى الدين أكثر من أى شيء آخر . وما نحسب أننا في حاجة إلى تعداد تلك
الترهات . ففي جناز العامة وفي أفراحهم ، وفي صحتهم وفي مرضهم ، وفي كل ناحية
من حياتهم المعاشية عادات ورثوا بعضها عن أسلافهم الأوائل وعقائد أقدمها
الجيلاء إقحاما في جسم الدين . ويحسب العامة كل هذه من الدين ويدبر الخاصة عن
الدين لانهم يحسبون أنها كل الدين . فممن نرى لزاما على الأزهر والمتخرجين فيه
أن يجودوا بالوعظ والارشاد لأولئك وهؤلاء ، فيردوا العامة إلى الصواب ويوجهوا
الخاصة وجهات التقدم التي أسلفنا الحديث عنها .

على أن الوعظ في مصر يجب أن يتخذ وسائل عامة تكون أكثر شيوعا مما
تعلمه الآن منها . وتقوم الدعاوة في العصر الحديث على وسائل شتى أنتاجها العلم -
ولعل الصحف والراديو والسينما هي خير تلك الوسائل وأوسعها ذيوعا . والأزهر

إذا أراد أن يدعو الناس عامة إلى مبادئ الدين الحنيف فليقلق به أن يتخذ من هذه الوسائل الثلاث وسائل بينه وبين الجماهير . هذا إلى أن مثل هذه يمكن أن يأخذ هو بجهاها بين يديه فيكون هو المشرف على تحرير صحافته ويكون هو المشرف كذلك على محاضرات الدين التي تلقى على متن الأثير وعلى قصص الأخلاق التي تشعها الشاشة البيضاء . فيندس نور الدين في الأركان المظلمة التي تنمو فيها الجرائم والشور .

وينقاد العامة في مصر الآن إلى نوع من الرعاء الدينيين لانخال الكثرة منهم إلا المرتقة يستغلون أو هام العامة ويعشون بخيالهم الساذج : قوم اختلقوا لأنفسهم أسماء وتفرقوا شيعا وطوائف ، ينصب القوى منهم نفسه رأساً على الباقي فيتخذونه ولياً من دون الله ، ويترك الأطفال والعجزة بأطراف ثيابه ويشرب المرضى ماء وضوءه سائعا !! ويضرب الكثير من هؤلاء في القرى والندساكر يتخذون لهم شيعة قد تربو بعض أحيان على الآلاف وتأمّر العامة بأوامرهم وتنتهي بنواهيهم . والكثير من هؤلاء بقية غير صالحة من الدراويش الأتراك الذين استغلوا الغرائز الدنيا عند الانسان ووصلوها بالدين . فهم يقومون بحركات شبيهة بالرقص وهم يوقعون على المزمار والأرغول وهم يصعدون الآهات والأناث ذاكرين اسم الله، والله منهم براء .

تلك هي الرعامات الدينية التي تغلغل بين العمال والمزارعين . فإذا استطاع الأزهر أن ينظمها كان في ذلك الخير كل الخير . فما لهذا تنزل الاسلام والعقائد إذا قامت على تلك النواحي الضعيفة من حياة الانسان كانت مزعزة تعصف بها ريح الشك . ونحسب أن تنظيم هذه الرعامات الدينية لا يقع إلا إذا استطاع الأزهر أن يوحدها جميعا وأن يضرب بقوة على أيدي هؤلاء . ولا نظن أن الحكومة تقصر عن مظاهرة الأزهر في مثل هذا الإصلاح . فحذر بسلطة التشريع أن تسكن للأزهريين المستعدين أن يكونوا هم وحدهم الوعاظ والمرشدين . فتحول بذلك دون المرتقة ممن يستغلون أحلام العامة ، وتقضى على تلك البدع التي رانت على أفئدة قوم ونفرت قلوب آخرين .

(٧) الازهر وحرية الرأي

أما الوسيلة الثانية التي نراها كفيلة بأن ترهف الشعور الديني في المجتمع المصري فهي حرية الرأي . وقد أصبحت الحرية مبدأً على قدمه يحكم الشرائع ويملي العدل والحق علي القضاة والمشرعين . وقد كفّل الاسلام حرية الفكر وهو ما يزال في مهده الأول وقد نزلت سورة كريمة في ذلك فقد جاء في الذكر الحكيم : **و بسم الله الرحمن الرحيم . قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين ، ، وبذلك اختط الاسلام نهجاً واضحاً لحرية العقيدة . بل إن تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم صفحة من الجهاد في سبيل تلك الحرية . ولولا ذلك لما استطاع أن يحطم تلك الأغلال التي وجد العرب آباءهم يتقيدون بها طوعاً . ولقد قدر الاسلام تلك الحرية تقديراً في حياة النبي نفسه حتى لقد أمر الله المسلمين بالقتال في سبيل الذود عنها إذا اعتدى عليها المعتدون . وقد كانت هذه الفكرة السامية عن الحرية هي التي شدت أزر النبي وثبتت جنانه في كفاحه مع قريش . وهي بعد ذلك التي نشرت دعوة الاسلام إلى سائر الأقطار وكفّلت للعلويين حرية العقيدة . بل لقد كان للحرية الفكرية سابقة سائرت نشأة العلوم في الاسلام . ولئن ينمو العلم ولئن يزدهر حتى يغرس في جو صالح من الحرية . وكذلك فتحت تلك الحرية للمسلمين باب الاجتهاد . فقام الأئمة ينتجون تلك الثقافة الفقهية الذخرة ، التي يفيض بها كتب الشرع . وقد امتازت هذه الحرية الفكرية منذ المبدأ بأنها كانت تخلو من الحقد والضغينة . وقد جاء في القرآن الكريم : **و لا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، .** وكذلك تسامت الحرية حتى انضمت إلى أصول الدين الأولى وعاشت المذاهب في جنبها جنباً إلى جنب : كلها وجهات نظر شتى تستمد أصولها من القرآن والسنة . ولم تنقلب هذه المذاهب شراً إلا حينما أفسدت أطاع السياسة والحرب . فكانت ذرائع للشحناء والبغضاء واستغل بذلك الدين في غير ما وضع له .**

والعالم اليوم يقدر حرية العلم لأنه يراها شعبة من الحرية السياسية التي كفّلتها

القانون في حدوده . فعن إذ نأخذ بحرية الفكر نرجع إلى أصل من أصول الاسلام ونسائر عنصرها ما من عناصر القانون في العصر الحديث . هذا إلى أن الأزهر في تاريخه الطويل سار في دراسته على طريقة كانت كفيفة بأن تشجع الاجتهاد وأن تحوط حرية العقيدة بسياج من الجلال . وقد أتى علي الأزهر حين من الدهر كان طلاب العلم يجلسون فيه إلى شيوخهم في حلقات ينتقلون من الواحدة إلى الأخرى في غير تقييد بالمظاهر . وكان الأزهريون شيوخاً وطلاباً مولعين بالنقاش والمحااجة ، وكانت مناقشاتهم - علي ما كان يعتورها بعض أحيان من لجاج - تمتاز بالدقة التي تنبت عن المنطق المدرسي القديم . ويشر بمثل هذه الطريقة المربون في العصر الحديث في أوروبا ، وبذهب الكثير منهم (مثل برتراند رسل) إلى أن الوسيلة المثلى للتربية الجامعية يجب أن تضمن للطلاب الحرية في المناقشة ابتغاء الحق . ويصبح التعليم بغير ذلك شكلياً محضاً يفرض على الطالب فرضاً من غير أن يرى في نفسه رغبة ولا ميلاً إليه . وإذن فخلق بالأزهر أن يأخذ بفكرة الحلقات مهيبة ويجعلها قوام الدرس في مختلف طبقاته . فيكون البحث الشخصي هو معيار التقدم في دروس الدين ويفتح بذلك باب الاجتهاد على مصراعيه ، فتجلى تقاليد الاسلام التي تنشأ عليها والتي اتبعها في عصوره الاولى .

إن شر ما يشوب التعليم الجامعي في العصر الحديث تقييدان : أولاها شكلية التعليم وثانيتهما عدم الدقة . ولسنا نرى علاجاً لها إلا في الأخذ بحرية الفكر ، فإذا كانت وسيلة هذه الحرية تقليداً من تقاليد الأزهر فأحرزنا أن تتبعه حتى يصبح قاعدة لها سلطان على سائر المعاهد . بل حري ألا يعنى الأزهريون عناية خاصة بتلك النظم المتعلقة التي يفتننا بهرجمها . ونرجو أن لاتكون إجازات الدراسة غايات ليسعى إليها الأزهريون لأن هذه قد أمانت الذكاء في المعاهد الأخرى وهي التي خلقت الشككية التي قد برم بها كتاب الغرب . هذا إلى أن الحوار كفيل بأن يقيد الانسان بحدود تلزمه الدقة في البحث والتحرى عن كل ما يقول وكل ما يحظر له .

وخلق بالأزهر بعد ذلك ألا يتهيب سلطان العلم . وخلق بتلك الحرية الفكرية التي ندعو إليها أن تشمل العلم كما تشمل الدين . وقديما رمى الأزهريون بالتعصب لأنهم أعرضوا عن منتجات العلم ولا يهمهم تولوا عن أبسط أصوله في

دراساتهم . فإذا ساهم الأزهر مع المعاهد الأخرى في البحث العلمى سائر ناحية جليلية من نواحي التقدم في مصر وكسب ثقة المجتمع الذى يعيش فيه . وما أحسب أننا في حاجة إلى التذليل على أثر العلوم في الدولة الحديثة - فنحن نعيش في عصر يحكم العلم فيه أقل حاجتنا وأجلها . ونحن في غدونا ورواحنا ، وفي حركتنا وسكوننا ، نراظم بنظم حاكمها العلم . في الاقتصاد تنقيد بالقواعد والقوانين التى يملها علينا المليون والخبراء . وفي التشريع نخضع لما يثبتته العلماء المشرعون . وفي الأدب نخشى سطوة النقاد والنفسيين - وكل مثل ذلك في أدق شئون الحياة : في المصنع والمحلل والطريق والمنزل والبر والبحر - فالأزهر إذن سوف يشجع ذلك البحث العلمى الذى لا نستغنى عنه . ومثل تلك البحوث تساعدنا على معاشنا ، ولا نظن الشارع يحرمها . وقدما كان التقدم العلمى ثمرة من ثمرات الاسلام ، وحسبنا دليلا على ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم إذ قال : تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ودراسة تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة . وبذلك لأهله قربة » .

على أن الأزهر من ناحية أخرى يجب أن يقف دائما بين العلم والدين فهو عامل مخفف يلازم بينهما . ذلك بأن العلم إذا اشتط أنتج نتيجة باهظة . والدولة إذا قامت على أسس علمية من غير أن تعنى بعواطف الانسان كان مصيرها الفوضى . إن تنظيم الدولة علمياً لا يستقيم إلا إذا لقيت طاعة من ساجد الحكومة . والطاعة شيء يمت بسبب وثيق إلى العاطفة والوجدان . وتهذيب العاطفة والوجدان شيء يختص بالدين . وإذن فالدولة لا يمكن أن تكون دولة إلا إذا استطاعت أن ترضى النواحي الدينية في نفس الانسان كما ترضى نواحيه العلمية والعقلية . والدين إذن لازم للعلم لزوم العلم لنا . والأزهر إذا تزعم المصريين في حلبة العلم استطاع أن يدرأ عنهم مثل ذلك الاشتطاط العلمى الذى يجمد الاصول الأولى للنفس الإنسانية . ولن يستطيع أن يقوم بذلك حتى يفرق بين عناصر العلم فيميز بين الخيد والكريه . ويشجع العناصر التى تمشى مع أصول الدين ويقضى على العناصر الخبيثة التى تقول إلى الفناء .

تلك عندنا إذن رسالة الأزهر في مصر . نرجو أن نكون قد بسطناها في إيجاز ، وإذا نحن ألقينا نظرة عجل على ما قدمنا تخيلنا الأزهر وهو يحاول أن يبشر

بالإسلام . وأن يشجع بالناس إلى الامام دائماً : يحفزهم الدين الحنيف وأصوله الأولى التي أسبغنا في الكلام عنها . فهو يحاول أن يخلق حالة من التوازن بين أنواع النشاط في مصر ، وقد أسلفنا أن هذا هو أساس التقدم في الإسلام . فعلى الأزهر أن يختص طريقاً وسطاً بين حدى التفريط والافراط وأن يوفق بين التعصب وحرية الفكر وأن يلائم بين النظام والحرية وبين العلم والدين وبين القديم والحديث . هذا وعليه أن يؤلف بين قلوب العامة والخاصة . ونحسب أن هذه الحالة من توازن الأفكار والقوى هي الحالة المثلى التي يرجوها المشرعون والفلاسفة . وبما نظن أن دستوراً أفلح لإلهذا التوازن الذي يتألف الاضداد ويكافئ بينها . وهذا التكافؤ وحده هو الذي يضمن لنا تقدماً مطرداً في مختلف غايات الحياة . وما نحسب أن أمة أفرطت في الأخذ بمبدأ واحد إلا كان مصيرها القويض . وقد بدأ أساءت الحرية إلى أثينا حتى انقلبت شراً مستطيراً . وكذلك قل عن النظام في روما وعن التعصب في العصور الوسطى وعن الارسطية راطية في فرنسا قبل الثورة وعن العلم في العصر الحديث . وأمة تستطيع أن توازن بين كل تلك القوى جذير بها أن تبلغ حداً من التكال . ويمتاز الدستور الانجليزي بشيء من ذلك التكافؤ ضجبه منذ أقدم العصور وكان هو السر في نمائه . فابت الأزهر يخلق عندنا مثل تلك الحالة من التوازن فيمكن إليها الأفراد والجماعات ويجدون فيها كلا الهدى والرضى ١١

لو أن الأزهر قام بشكل تلك الاعباء التي فضلنا لوصل ما بينه وبين المجتمع المصري ولأصبح كما كان مركزاً لحركة فكرية سامية . وما نخال إلا أنه سوف يجمع حول الدين مدرسة من مدارس الفكر تلاحى عنه وتقوم دونه . ويتخلل بذلك من ذلك الطابع الشكلي الذي يكاد يجعله معمداً من معاهد الحكومة . وقد رأينا أن مثل هذه المدرسة سوف تشمل العامة والخاصة على السواء . ومثل ذلك يخلق مبادئ تسيطر على نفوس الناس وتجتمع فيها المثل العليا في الإسلام وليس هذا إلا سبيل التقدم .

على أن الأزهر إذا استطاع أن ينشئ في مصر مدرسة مثل هذه من مدارس الفكر تقود المستعربين إلى مثل الاسلام العليا وإذا استطاع أن يغذي المصريين بما تنفق نفوسهم إليه من الهدى والرضى، فإن عليه أن ينشئ إلى العالم بأجمعه فيرسل في أنجائه تلك المبادئ مساطعة ناصعة ليمتدى بهديها أولئك المتشككة من أهل الغرب. ويجد فهم الكفاة منهم تلك الطمأنينة التي ما زال ينشدها الجميع. قد يكون هذا العيب ثقيلا وقد ينوء به معهد واحد ولكننا نضرب بنظرنا في المستقبل البعيد فنرى أن الغرب ما زال في حاجة إلى الشرق. وقد كان الشرق دائما مبعث الدين واليقين وما نظن إلا أنه سوف يؤدي هذه الرسالة مرة أخرى، وقد تنزل الاسلام للناس كافة فعلى الأزهر إذن أن ينشر رسالته بينهم أجمعين وأن يجاهد في سبيل ذلك في نهضته هذه كما جاهد مرات خلال تاريخه الطويل

ويقف العالم اليوم في مفترق من الطرق يكاد الشك يتحيف اليقين والبساطيل يزهر الحق، ففي أوروبا اليوم مذاهب تكاد تأتي على الأخضر واليابس مما أنتجته الحضارة، والعالم مشبع بمذاهب تلاحي عنها جماعات كل منها تسرف فيما تذهب إليه وقد يعلو بعض تلك المذاهب في قوم حتى تبلغ حد المائل الاعلى وقد تنحط هي نفسها عند آخرين حتى يكون ذكرها وحده إثمًا وعدوانًا. علي أن هذا التماهي أن هو إلا نتيجة من نتائج الحضارة التي اتصلت بهضة أوروبا الصناعية منذ القرن التاسع عشر فأصبح العالم كله يعج بالتفكير في المادة دون الروح ويتلفت المصلحون في أوروبا اليوم فلا يجدون خلاصا مما هم فيه إلا باعتناق دين جديد ينتج حالة من التوازن يطمئن لها الجميع. وما نظن إلا أن الاسلام سوف يكون له أثر عميق في نفوس الغربيين ونظمهم لئلا نال حظا من الدعاوة بحيث يقتنعهم بمبادئه ويبدل لهم من أصوله وينير لهم الطريق نحو مثله الاعلى

لقد حاولت المسيحية أن تنفذ إلى قلوب أهل الغرب، ولكن المسيحية نفسها نبذت خلال النزاعات التي قامت في سبيل المادة. والامم التي كان يبشر بالحب والسلام قسيسوها في كنائسهم لم يكن يتورع أفرادها عن أن يقتلوا أعداء الآثام في سبيل

استعباد الآلاف من الأمم الأخرى . وكانت مصالح الأفراد الخاصة تملى على المستعمرين سياستهم فقد كان يملك هؤلاء سندات الشركات وأسهمها فكانوا يحبذون الحرب ويشجعون الفتح . وقد تناست تلك الأمم المسيحية تعاليم المسيحية وأصبحت أصول الدين الأولى ستارا للسعى وراء المادة وانقلبت آية الوطنية إلى ماهو شر من الوحشية . وعبثا حاول المصلحون أن يربطوا العالم بأجمعه برباط دينى مقدس فقد أخفقت تلك المحاولات

فى سنة ١٨١٤ قام الاسكندر الأول امبراطور روسيا بوضع حلفا مقدسا تخضع الأمم لنصوصه . وكان العالم قد أنهكتته حروب نابليون وكان يريد الجميع أن يتشبثوا ببقية باقية من الحياة الروحية التى كادت تذهب هباء . لكن الحلف المقدس الذى تواضعت عليه الأمم المسيحية ولد ميتاً . وقد قال عنه لورد كاسلريه ممثل إنجلترا وهو يسخر إنه خليط من اللغو والتصوف . وعلى ذلك فلم تكن أوروبا جادة فى الأخذ بمبادئ الدين . بل لقد كان النفاق يتجلى فى السنة بعد السنة حتى ابتكرت معاهد ترجع بالإنسان إلى أصول الدين وتبرر فى نفس الوقت كل الجرائم التى اجترحت ضد الدين . وما عصبة الأمم فى يومنا هذا إلا مثالا من أمثلة هذه المعاهد

لقد كان فشل الحلف المقدس فشلا للمسيحية نفسها فقد ذهب السياسيون بعد ذلك إلى الحد الأقصى من التعسف والاشتطاط . وقام «دارون» بفصل نظرياته فأتخذ السياسيون منها مبررا إذ بشروا بالحرب والخديعة قائلين ان البقاء للأصلح وإن الحرب نفسها ماهى إلا صورة للكفاح الذى يقع بين عناصر الطبيعة فى سبيل البقاء . واتقاد الناس وراء تلك النظريات انقياد الاعمى . وكانت النتيجة فشلا ذريعا لمبادئ التعاون والسلام

ولكن أوروبا نفسها دفعت الثمن باهظا لكل ما أسلفنا . فلقد أصبحت مرجلا قفلى فيه المبادئ والثورات . وكأنما تلفت لتجد نفسها بعد الحرب العظمى على كف عفريت لا تستقر على حال . وهذا الكفاح الذى سلم به السياسيون والفلاسفة قد امتد حتى أصبح اليوم شديدا بين الطبقات أولا وبين الأمم ثانيا . وانتج هذان النوعان من الكفاح الشيوعية بما تحويه من جحود صريح للدين والقومية الهدامة

بما جاءت به من نكران لمبادئ التعاون الدولي . وقد أصبحت الشيوعية نفسها الآن ديناً يعرقل المسيحية ويكاد يضعفها في بلادها . وأصبح قبر لينين مقدساً يحج إليه العامة من كل صوب في روسيا بل لقد أصبحت الدولة في بلاد كإيطاليا وألمانيا معبودة من دون الله ، وفي سبيل تلك التقاليد القومية العنيفة اضطهدت المسيحية وحلت محلها الفاشية والنازية .

وقد كان الكشف في سبيل المادة هو الأساس لكل ما وصل إليه الفرد والدولة من انكار الدين . وقد جر انكار الدين في ذيله انكاراً لكل ما أتى به من مثل علياً . وحسبنا ان نستعيد هنا ما قاله الزعيم غاندى في ذلك وهو من أشد الناس انتصاراً للمبادئ الروحية السامية ومن أحدهم نقمة علي كل ما يتصل بالمادة : « لا تمثل أوروبا اليوم روح الله ولا روح المسيحية وإنما تمثل روح الشيطان . وإنما يفلح الشيطان أكثر ما يفلح حينما تلوك شفتاه اسم الله . ان أوروبا اليوم مسيحية بالاسم لا إله عندها إلا إله المال... »

« ولقد أبانت الحرب الأخيرة في أجلى صورة هذه الطبيعة الشيطانية التي تمس الخضارة المسيطرة علي أوروبا . فباسم الفضيلة قد استباح الغالبون كل قاعدة من قواعد الخلق العام . وباسم الفضيلة أيضاً لم يتورع هؤلاء من أن يجترحوا أسفل الكذبات . علي أن الباعث على كل اثم من تلك الآثام لم يكن لا الدين ولا الروح . وإنما كانت المادة في أبشع صورها »

ولم يكن غاندى وحده من الساخطين على تلك المادية التي استباحت الدين وإنما شعر بذلك المصلحون الأوروبيون أنفسهم فبشروا بهضة في المسيحية تحاول تنصير أوروبا من جديد . ولكن لم تتعد اصلاحاتهم حد المظاهر والصور وكانت العلاجات التي ابتكروها لا تنكاد تنفذ إلى خبيثة النفس . ونحن لا تؤمن مع تاجور شاعر الهند بذلك العلاج الذي يفرض على الناس فرضاً بل نحن نؤمن بالآية الكريمة « لا يغير الله ما يقيم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فيجب ان تتغير عقلية الأوروبيين وإحساسهم حتى يطمثوا إلى عقيدة جديدة تؤمن بتلك العلاقات التي يلزمنا المجتمع اياها . ويجب ان يخلص الإيمان من كل العلاقات التي تحط من معنويته في نفس المؤمن . وقد كان شر ما زعزعه في قلوب الأوروبيين انه اتصل

اتصالا وثيقا بحياتهم المادية فأصبح ذريعة يتخذونها في جهادهم المادى . خذ مثلا مبدأ الرحمة الذى نزل به المسيح عليه السلام . إن الأوروبيين يؤمنون بالرحمة فيما يختص بالضعفاء منهم والمعوذين . لكنهم فى مواجهة الشعوب الشرقية انقلبت الرحمة فى نظرهم الى الضد منها . فقد حسبت الجماهير المقتونة ان فتح البلاد المتأخرة واستغلال أرضها هو نفسه إحدى نواحي الرحمة . ولسنا ننسى ان سياسيين من الانجليز ادعوا مثل ذلك عن مصر حينما ذهبوا الى ان مصر وانجلترا قد ارتبطتا برابط من عند الله وأن ما وصله الله لا يستطيع أن يفصله البشر

(٩) الأزهري والرحمة العالمية

ماهى رسالة الأزهري والظروف المادية محيطة بنا كما ترى ؟ ان على الأزهري أولا أن يضع نفسه درعا بين الاسلام وبين مثل تلك المبادئ الخربة التى أدت بأوروبا الى هذا الجحود . وقد أسلفنا الكلام عن الوسائل التى يمكن بها أن يغرس العقيدة الدينية فى نفوس الناس بمصر وإذا نحن أفلحنا فى ذلك فسوف تنكسر موجات المادية من غير أن تحدث سوما فى عقائدنا . ونحن نرى ذلك فى أئمة الاسلام فى العصر الحديث . فأما عن الشيوعية فقد فشلت فشلا تاما حيث كان الاسلام : لا لأن الحكومات نفسها قد صدتها بل لأن الشيوعية والاسلام ضدان لا يأتلفان . ولأن فى أئمة الاسلام بقية من التوازن الذى حفظه العامة عن أن ينفسوا على ذوى اليسار منهم وارتقى بدوى اليسار عن أن ينقموا على ذوى المتربة ، بل ونحن نرى أن مبادئ القومية العنيفة التى تتمثل فى المانيا واطاليا لا تستقيم مع روح الاسلام . وقد امتاز الاسلام منذ اللحظة التى نزل فيها بتلك النظرة العالية التى حبيته الى قلوب الناس كافة ثم ان على الأزهري ان يغير من عقائد هؤلاء القوم مثل ما يغيرها بالمصريين أنفسهم ولقد أعرض هؤلاء عن الاسلام لأنهم لم يعرفوه وتطير بعضهم به للدعابة السيئة التى أطلقت السنة الكتاب منهم عن جهالة . وفى كتابات رينان وهانوتو يرى المسلم كيف تقلب الحقائق وكيف تمسخ حوادث التاريخ . ولم يكن هانوتو يحسب المسلمين إلا دراويش كسالى يتكثرون على الأرائك ويملئون على الخلفاء . الأتراك رغبتهم . وقليل من الغربيين الآن من لا يعتقد أن المسلمين لا يعبدون محمدا .

وكثير منهم قسراً ألف ليلة وليلة ولم يقرأ القرآن ! ويحسب هؤلاء ان المسلم لا زال يقتنى بيتاً تملؤه الجوارى - ويذكر كاتب هذه السطور سيدة كانت تلقى شيئاً عن الاسلام في مؤتمر ديني في أدنبره سنة ١٩٣٣ فألقت على السامعين أشنع ما يتصوره العقل من الاتهام التي وجهتها ضد الاسلام. فزعمت بأن الأقباط في مصر يعيشون في بيوت تحت الأرض خوفاً من جور المسلمين وانهم يشمون الصليب على أيديهم حتى يتعرفهم أهلهم اذا فتك بهم المسلمون في الطريق العام - بل لقد كان يذهب بعقولنا حينما كانت السيدة تتحدث عن ذلك في صراحة الواثق .. ولم يشك في كلامها أحد حتى قام البعض من المصريين السامعين يدحض كلامها

فلنضرب المثل هؤلاء بأن يكون المجتمع المصري مثلاً عالياً من أمثلة النظام .. فاذا استطاع الأزهر ان يخلق جوله مدرسة من مدارس الفكر يحول المصريين إلى شعب مؤمن خير كان ذلك رداً بليغاً على تلك المقالات الشائنة التي يلوكمها هؤلاء إفيكا وبهتاناً . وليس أحسن من المثل في الاقتناع . فلو أردنا أن نهدى أهل الغرب إلى الدين الحنيف فخير ان نبدأ بأنفسنا فننظم الجماعة في مصر حسب أصوله . ثم ننثني على العالم بعد ذلك فنمنعه بجلال هذه النظم . ونستخدم في سبيل هذا الاقتناع وسائل الدعاوة المختلفة التي ابتكرها العلم الحديث

وقد أسلفنا ان الصحافة أولى هذه الوسائل لخرى بالأزهر ان يذيع الدين بين الناس بمختلف لغاتهم وأن يكون صلة بين الاسلام وبين كل صقع من الأصقاع في الشرق والغرب . وليبدأ بالشرق أول ما يبدأ حتى يستطيع ان يوحد جهودهم ليغزو الغرب بعد ذلك فيذعن القليل أو الكثير ممن تولوا عن مبادئ الدين . نحن نؤمن أشد الإيمان بأن الشرق سوف يمد يده مرة ثانية يحاول ان ينقذ الغرب من الحماة التي يتردى فيها . ونحن نؤمن بأن الدين الجديد الذي يفتقده أهل الغرب إنما هو روح الاسلام : تلك الروح التي تأخذ من كل مبدأ بخير ما فيه ثم تختط طريقاً وسطاً غير مفرطة ولا مسرفة

ان اختلاف النظم والمذاهب في قيمتها لدى الأفراد والجماعات كان السبب الاساسي في حالة القلق التي ضربت بجرانها على العالم الغربي - فلاشتر اكيون يرون ان قيمة الحياة في النظام الاشتراكي والقوميون يرون الأقيمة للحياة نفسها إذا

لم تشد بلادهم على كل بلد عداها وقل مثل ذلك في الديمقراطيين والفرديين وعباد العلم وعباد الثورة . ولكن سوف يطعن أولئك وهؤلاء الى مذهب واحد يؤلف بينهم ولا يرى ذلك المذهب إلا الدين نفسه . والإسلام قيمة هذا التأليف الذي يوحد بين الجماعات . وقد قام بذلك العبء في التاريخ الماضي فهل يستطيع الأزهر أن يحمل هذا العبء في التاريخ الحديث ؟

(٢)

ملخص رسالة

الاستاذ عبر العزير عبر الحق

تحدث عن ماضى الأزهر وثقاليده ، والأطوار التي مر بها ، وحالة المسلمين في الوقت الحاضر من حيث حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وتطرق الى ذكر النزعات الفكرية والحلقية وغيرها التي تسود العالم بتأثير انتشار ثقافة الغرب وحضارته ، ثم أشار إلى حياة الأزهر في نشر الفقه الشيعي في العهد الفاطمي وكيف اتخذ الفاطميون مركزاً لدعايتهم الدينية ، وانتهى من هذا إلى أن الأزهر يقيد في القيام بدعاية اسلامية في العالم ، وأن رسالته في القرن العشرين ، إحياء تراث الثقافة الاسلامية . والتوفيق بين الثقافة الاسلامية وما جدم من التقدم العالمي في النواحي المختلفة منذ العصور الوسطى حتى القرن العشرين لأوروبا ، والعمل على الدعاية للإسلام في مصر والعالم الاسلامي وغيره وعرض الاسلام عرضاً صحيحاً لأوروبا ، والدفاع عنه بترجمة المؤلفات القيمة التي يضعها المستشرقون والمقالات التي تنشر بالمجلات الدورية الخاصة بالاسلام والتي تطبع بأوروبا ، ثم الاستفادة من هذه الأبحاث والرد على ما بها من شبه ومطاعن ، وإيجاد ثقافة قومية متجانسة ، ثقافة مصرية إسلامية تقوى من وحدة الأمة وتماسكها

(٣)

ملخص رسالة

الاستاذ أحمد توفيق عباد

استعرض تاريخ الأزهر منذ إنشائه في أيام المعز لدين الله الفاطمي لنشر

الدعوة الفاطمية ثم اتخاذها وجهة جديدة في غايته بعد انتهاء الفاطميين . وتوفر علمائه - بمختلف مذاهبهم - على الحرية في البحث وعدم التعرض للمعتقدات ، والعمل على نشر اللغة العربية وتوطيدها وشد أزرها وتدعيم أسس الديانة الإسلامية ووقوفها تسند الإسلام بكل ما انبعثت فيها من المجموعات العقلية والروحية ، ومواجهة الديانة المسيحية التي كانت تعمل ولا زالت تعمل على اغتيال الإسلام وطرده من مصر لتعود الديانة القديمة إلى أصلها ، وتيسير نظام التعليم فيه ، وتخرج المدرسين والعلماء الذين يتولون إرشاد الناس وهدايتهم

ثم أشار إلى الأطوار التي مر بها الأزهر ، وانحطاط درجة الاشتغال بالعلوم الإسلامية وانصراف علمائه إلى وضع الشروح والتفاسير على ما بين أيديهم من مؤلفات ومصنفات علمائه المتقدمين ، ثم انصرافهم إلى المناقشات اللفظية التي لا تؤدي إلى نتيجة عملية لها اتصال بالحياة أو بالعالم الخارجي

وانتهى من هذا إلى أن رسالة الأزهر في القرن العشرين لإحياء تعاليم د أهل التجلي والكشف ، الذين يترجمهم حجة الإسلام الامام الغزالي ، ثم إحياء وتعاليم أهل الوحدة ، الذين يترجمهم الفيلسوف الديني ابن العربي ، ، ثم اتصال علماء المسلمين بغيرهم اتصالاً علمياً وذلك بتعرف اللغات الحية التي يكثر فيها الانتاج العلمي والتي يتناول بها العلماء مسائل الإسلام ومسائل اللغة العربية ، وأن يكون لأهل الأزهر نصيب من هذه اللغات ، فانها تساعد على معرفة الأسلوب الحديث في التأليف والتفكير وطريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين ، وبذلك يستطيع أن يبعث ماضى مصر الإسلامية من جديد وأن يجعل من الدعوة الإسلامية دعوة إنسانية عامة ، ويؤدي واجبه الحق في المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف وصيانيته من أسننه السوموم مساعده على التطور والارتقاء

(٤)

ملخص رسالة

المرموم الاستاذ مصطفى صادق الرافعي

تحدث عن الأزهر ومثله في الثبات والقدم بالهرم ، وجعل من كل عالم من علمائه حجراً معنوياً قام عليه بناء الأزهر ، كما قام الهرم على أحجاره المادية ، ثم

أسترسل فقرر ما يأتي :

رسالة الأزهر أن يحدد عمل النبوة في الشعب ، وأن ينق عمل التاريخ في الكتب ، وأن يطل عمل الوثنية في العادات ، وأن يعطى الأمة دينها الواضح المسموح الميسر وقانونها العلمي الذي فيه سعادتها وقوتها . ولا وسيلة إلى ذلك إلا أن يكون الأزهر جريئاً في قيادة الحركة الروحية الاسلامية ، جريئاً في عمله لهذه القيادة ، آخذاً بأسباب هذا العمل ، ملحاً في طلب هذه الاسباب ، مصراً على هذا الطلب . وكل هذا يكون عبثاً إن لم يكن رجال الأزهر وطلبته أمثلة من الأمثلة القوية في الدين والخلق والصلابة لتبدأ الحالة النفسية فيهم ، فانها إن بدأت لا تقف ، والمثل الاعلى حاكم بطبيعته على الانسان ، مطاع بحكمه فيها محبوب بطاعته له . والمادة المطهرة للدين والأخلاق لا تجدها الأمة الا في الأزهر ، فعلى الأزهر أن يثبت أن فيه تلك المادة لاطهار عملها لا بالصاق الورقة المكتوب فيها الاسم على الزجاجة ، ومن ثم يكون واجب الأزهر أن يطلب الاشراف على التعليم الاسلامي في المدارس ، وأن يدفع الحركة الدينية دفعا بوسائل مختلفة ، أولها : أن يحمل وزارة المعارف على اقامة فرض الصلاة في جميع مدارسها ، من مدرسة حرية الفكر . . . فنازلاً ، والأمة الاسلامية كلما تشد رأى الأزهر في هذا . وإذا نحن استخرجنا التفسير العملي لهذه الآية الكريمة و ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، دلنا الآية بنفسها على كل تلك الوسائل ، فما الحكمة هنا الا السياسة الاجتماعية في العمل ، وليست الموعظة الحسنة الا الطريقة النفسية في الدعوة .

العلماء ورثة الانبياء ، وليس النبي من الانبياء الا تاريخ شذائد ومحزن . ومجاهدة في هداية الناس ، ومراغمة للوجود الفاسد ، ومكابدة التصحيح للحالة النفسية للأمة ، فهذا كله هو الذي يورث عن الانبياء ، لا العلم وتعليقه فقط . وإذا قامت رسالة الأزهر على هذه الحقائق وأصبح وجوده هو المعنى المتمم للحكومة ، المعاون لها في ضبط الحياة النفسية للشعب وحياتها وأمنها ورفاهتها واستقرارها . اتجهت طبيعته الى اداء رسالته الكبرى للقرن العشرين ، وهذه الرسالة هي بث الدعوة الاسلامية في أوروبا وأمريكا واليابان بلغات هذه الأمم في ألسنة أزهرية مرهقة مصقولة لها بيان الأدب ودقة العلم واحاطة الفلاسفة وإلهام الشعر

وبصيرة الحكمة وقدرة السياسة ، ولا ينسجم له ذلك الا بفتح باب الاجتهاد
وتتمة التاريخ الفقهي وتهذيب الروح الاسلامي والسمو به عن المعاني الكلامية
الجدلية السخيفة ، واستخراج أسرار القرآن الكريم ، واستفاضة الأثر على
العالم العربي بكتبه ودعائه ومبعوثيه من حاملي علمه ورسول الهامه .

(٥)

ملخص رسالة

الاستاذ عبر الله عفيفي بك

استهل رسالته بالنعي على أن مالية الأزهر الحاضرة لا تفي بما يتطلبه الأزهر
في رسالته الحديثة من جهد وذويع ، ولهذا رأى أنه واجب على المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها أن يساهموا في إعانة الأزهر إعانة مالية ليبلغ غايته من أداء
الرسالة الاسلامية ، لأن المسلمين جميعا يعلمون أن الأزهر تراثهم الديني ومنهلم الروح ،
وأن مصر لا تستأثر به عنهم ولا تغلق بابه دونهم ، لأنه ما من بلد من بلادهم إلا
وللأزهر عليه يد بادية الأثر واضحة الخبر ، فاذا آمنوا بعد ذلك بأن الأزهر
عنوان الوحدة الفكرية الاسلامية وأنه سيكون بحول الله وقوته عنوان الوحدة
الروحية العالمية ، فقد بذلوا له كل شيء ونزلوا له عن كل شيء ، واستشهد على ذلك بأن
جميع الرسائل الدينية في بقاء الأرض إنما تقوم بأموال الأشياع والنصرام في
كل مكان ، وإذن يجب أن تساهم حكومات الاسلام في العالم وأمارات الاسلام
في الهند وجماعات الاسلام وأفراده في كل مكان في رفع دعائم الأزهر العظيم
وإعلاشائه وتمكينه من إذاعة كلمته وإبلاغ رسالته ، وهؤلاء إن فعلوا لا يبذلون
برأ ولا صدقة لكنها ضريبة مقدسة يؤدونها له لقاء ما يؤديه لهم وللإسلام من
أعظم العون وأصدق الجهاد ، وهم بما يؤدون من هذه الضريبة إنما يشتركون الكثير
باليسير والجوهر الخالد بالعرض الزائل ، وفي تقديم هذه الضريبة إقرار لنفوذ
الأزهر على العالم الاسلامي وتمكين له من أداء أمانته وتبليغ آيته
ثم قال : ولا يرتاب أحد في أن للأزهر وحده الفضل كله في صيانة هيكل
الدين الاسلامي وهيكل اللغة العربية صيانة كان لها الأثر الأول فيما فيها فيه الآن
من نمو وسمو ، وفيما يبقين من سيادة وسلطان وقوة واستمكان

وقد جعل لرسالة الأزهر ثلاث وسائل وثلاث غايات : جعل الوسيلة الأولى وجوب تحرير علوم الاسلام وآداب الاسلام وفلسفة الاسلام بأسلوب سافر يحلو يشرح صدور الناس للدراسة الاسلامية العالية ، مما يتفق مع مزايده في السباحة والوضوح ، وكال العقل وسلامة الفطرة ، ويرى من حق الأزهر أن يحجر الأدب العربي كما وجب عليه أن يحجر الدين الاسلامي ، وأن يقومه "ويحمله" للناس رائعاً قوياً سائغاً مصقولاً كآداب الرعيل الأول من أعلام الاسلام ، ومن أوجب الواجبات علي الأزهر في القرن العشرين أن يكون له طراز خاص في الأسلوب الديني والأسلوب الأدبي ، كما كان لكل عصر طراز خاص في هذين الأسلوبين

ويرى في الوسيلة الثانية أن علي الأزهر تيسير مصادر الدين لغير العرب من العالمين ، وهي وسيلة على خطورتها لا بد منها ، ليؤدي الأزهر أمانته ، ولاسيا وقد تأهب بالعمل علي ترجمة القرآن الكريم ، فما عمل بعد جمع القرآن أفضل من اذاعته بين الأمم القوية ، وهي الخليفة لقوتها وقوتها وعلمها واستنارتها أن تعمل بروحه وأن تسعى الى غايته وأن تريد به ما يريد الله منه ، وليست ترجمة القرآن الكريم هي كل ما نريد من تيسير الاسلام لغير العرب في العالمين ، بل أن الندي نريده ويريده الاسلام أن تنشر الثقافة الاسلامية كلها باللغات الاجنبية صافية جلية نقية ، فان عامة الغربيين وأكثر خاصتهم لا يؤمنون بأن للاسلام أصولاً راسخة ، وشريعة واضحة ، وطريقة بيّنة ، وثقافة عالية ، وأدبا رائعا ، وروحاً قوياً كريماً وجعل الوسيلة الثالثة خاصة بتكوين الأزهرى الصالح لتأدية الرسالة ، وأراد به الأزهرى الفدائي الذي يهب بروحه ونفسه ، ومعناه وحسه ، وتفكيره وتدبيره . وتصريفه وتقديره ، وجهده وقوته ، وعلايقته وسريره ، لله رب العالمين ، علي ألا يلتحق الطالب بالكلية حتى يقسم بيمين الفداء ، وذلك بأن يعطي الله عهده وموثقه أن يرصد له روحه ، وأن يبيعه نفسه ، وأن يفنى في سبيله مآربه ومطالبه ، وأن يضع حجرافى بناء الالفه والوحدة بين المسلمين ، وبذلك يشعر بعظم أمانته ، وسمو رسالته ، ونفاضة قيمته .

وكذلك يجب العمل علي تكوين الأزهرية الصالحة لتأدية الرسالة ، وأن يكون لها في الأزهر حلقة خاصة للتلقى والافادة ، بل يجب أن ينشأ للنساء معهد ديني خاص

لتخريجهم ، فما وجد الدين قلباً أرق من قلب المرأة ، وسريرة أشف من سريرتها
وأما الغايات الثلاث ، فهي : بث روح الدين في المسلمين ، وتوحيد الأواصر
المذهبية والأدبية بينهم ، وإذاعة دين الله في العالمين .

(٦)

ملخص رسالة

الاستاذ محمد الهمباري

تحدث عما كان عليه الأزهر في ماضيه المضطرب بين الأخذ بعلوم الدنيا والدين ،
وبين الوقوف عند علوم الدين وحدها ، ومر في كلامه بالفترات التي اعتورت الأزهر
وشيوخه من حظر ما هو مباح ، وتحريم ما ليس بالحرم من علوم الفلسفة
والرياضيات والعلوم العقلية وما إليها ، واكتفائه في بعض أدهاره على دروس الحديث
والتفسير وعلم الكلام وتقسيمها على الأزمنة في اليوم والليلة ، وأبان أن رسالة الأزهر
إنما هي رسالة إلى الإنسانية قاطبة لا يحل منها ولا يحيط عنه تكاليفها ما تعاوره
من التخصيص في تحصيل وسائلها حيناً والفقر عن تبليغها حيناً آخر

ثم قال : فنحن لا نجد للأزهر رسالة مفلحة إلا أن يتزود له كفاية الزاد من
لب العلم وصفاء جوهره ، ولا نحسبها بالغة أمرها إلا أن يبرأ الأزهر إلى نفسه من
القنوع بالقشر المتبدل والعرض الزائل ، بل ليس بهذا وحده تتأتى ضمانة الفلاح ،
فلا بد للعلم من حارسه ، ولا بد لحارس العلم من وعاء يحويه ومكان لا يجتويه ،
حارس العلم فيما نعتد هو الخلق الفاضل في مكانه من النفس المطمئنة وعند وعائه
من القلب السليم ، واذن ففي القلوب الواعية والصدور الرحبة مستقر العلم ،
وطريق العلم إلى هذا المستقر عقول الناس ومساكنهم ، فإذا لم تعُد العقول بعدتها
من صحة الفهم ونفوذ الإدراك لم يكن الذي تعيه علما ولكنه يكون إذا طاب مذاقه
مدخلا من مدخل العلم ، وإذا لم تترب المسكنات في معاناة البحث وبالتمرس في حل
العقد واستنباع الزلال العذب بتفليق الحجارة عنه حتى يصبح مرانها على ذلك طبعاً
طاعادة فيها لم يكن الذي تبلغه من الفهم قدرة على الفهم ولكنه يكون ، إذا حسن الظن ،
سبباً من أسباب القدرة ، فإن مضى الأزهر بأبنائه في سبيل العلم وتربية المسكنات ثم

وقف بهم دون هذه الغاية فقد عرق نفسه وأنكر أمسه . ورمى الدين والعلم بأشباه
العلماء فقالوا في الدين والعلم بهوهم فضلوهم وأصلوا .

وعلى الأزهري بعد ذلك حق الوفاء لماضيه ، والبر بسلفه ، وللأمة عليه حق
أوجب من هذا الحق ، وكلا هذين الحقين متوقف على بقاء الصلة بين الأول والآخر ،
ولا بقاء لهذه الصلة إلا أن يحسن الآخر فهم الأول

ويرى أن وسائل تمكين الأزهري من حسن القيام بأداء رسالته تجمل فيما يلي :
أخذ الطالب - عند التحاقه بالأزهري - بالرفق والأناة ، فلا يلقى إليه ما لا يقوى
عقله على فهمه ، ومتى تفتح ذهنه واستوى استعدادده حسن إذن نقله إلى شيء من
معتقدات الكتب وعوالم المسائل لتتربى فيه ملكة الفهم والتحصيل ، على ألا
يستغرقوا به في ذلك أطول الزمن . ولا يصلح ابن الأزهري لأداء رسالة الأزهري
ما لم يكن قادراً على الإبانة بقلبه والافصاح بلسانه ، فيجب ألا تقوم اللغة العربية
في الأزهري قيام العلم الجاف الخشن المحبوس على قواعد النحو والصرف أو المحصور
في علوم البلاغة ، بل يجب أن تقوم هذه اللغة بين الأزهريين مقاماً يكشف لهم
عن أسرارها ويسقيهم العذب السائغ من بلاغتها وسحر أسلوبها ، وأمثلة السبل
إلى ذلك أن تدرس اللغة وفقها وأدبها وتاريخها درس تذوق واستشعار ، لا درس
حفظ واستظهار . وليس من التهجم أن يقال إن الناس أصبحوا لا يفهمون كتاب
الله في هذا الزمن خفق فهمه ، فليس بين يدي طالب الفهم من كتب التفسير ما يعين على
هذه الغاية الواجبة ، فلا بد إذن أن تتوفر للأزهري حاجتان ، ليس أعلق منها برسالته
المنتظرة ، إحداها تفسير القرآن الكريم تفسيراً يقطع الشك في أن كتاب الله جاء
سابقاً ثم جاء العلم وجامت العقول آخر الزمن تدب على طريقه ديب الخلل ، ويقرر
اليقين بأن لكتاب الله فضل السبق إلى غاية ما وصل إليه العلم ونهاية ما بلغت طاقة
العقول . والثانية تناول حقائق العلم بالدرس ومتابعة سيره فيما لا يزال ناصباً له
، ومجتهداً فيه ، فليس إلا بهذا الدرس وهذه المتابعة يفهم الأزهري كتاب الله حق فهمه
فيؤدي رسالته حق أدائها

(٧) ملخص رسالة

الاستاذ الشيخ محمد عرفه

تحدث عن أن الأزهر معقد آمال المسلمين من ممالك الاسلام القريبة والبعيدة ومحط رجائهم ، وهو من العالم الاسلامي كالقلب من الجسد ، وهو ليس المصري وحدهم بل لأمم الاسلام جميعاً ، فمن قتله فكأنما قتل أمم الاسلام جميعاً ، ومن أحياء فكأنما أحيأ الناس جميعاً ، منزلة بوأه إياها ماض مجيد وعشرة قرون قضائها يجاهد في سبيل العلم والفضيلة والدين

فرسالة الأزهر في القرن العشرين هي فهم الدين الاسلامي وتفهم المسلمين إياه على وجهه الصحيح وتنقيته من الزوائد والشوب وتصفيته من السكر ، ليعود حلواً جنازه وعذباً مشربه ، وبذلك يتمكن من أن يقوم بما يأتي :

١ - إحياء أمم الشرق باحياء الاخلاق فيها ، وذلك باحياء الدين وعمارة نفوسهم باليقين

٢ - إصلاح الأسر الاسلامية بتنظيم الزواج والطلاق فيها ، وجعل رباط الزوجية متيناً جداً أمناً بما هو عليه الآن

ج - صباغة المعاملات الاسلامية على رجة يتفق مع النظريات الاقتصادية ولا يخالف روح الدين

د - صبغ الروح الاسلامية بالصبغة الاستقلالية باعتناق العقيدة التي تجعل المرء حراً مختاراً مسؤولاً عن كل ما يعمل بقدر ما أعطى من حرية واختيار

هـ - بعث العقول من مراقدها وإنهاض قوى الانتاج العقلي من سباتها وإجلال العقل الانساني واحلاله منزلته العليا في الوجود التي ليس بعدها منزلة ، والتي جعلت الدين يحتاجكم اليه فيما شجر من خلاف بينه وبين الناس ، والتي جعلت من مبادئ الاسلام أن يؤول النقل إذا تعارض مع العقل

و - ربط حديث الامة بقديمها ، فيحافظ على اللغة العربية وعلى علوم الأوائل ويعرضها على الجيل الحاضر في معرض حسن جذاب يشوق إلى قراءتها والتشبع بها .

الموضوع الثاني

اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

حضرة المحترم مدير المطبوعات

أتشرف باخبار حضرتكم بأن لجنة المباراة في موضوع اللغة والدين والعادات، رأت بالاجماع منح ثلاث جوائز قدر كل منها ٢٥ جنيها فقط لكل من حضرات الأساتذة احمد وفيق ، زكى مبارك ، يوسف محمد .

وأرسل مع هذا الموضوعات التي وقع عليها الاختيار ، وبقية الموضوعات وتفضلوا بقبول تحيتي واحترامي ؟

٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦

مدير

الجامعة المصرية

« اصممر لطفى السيد »

رسالة المرحوم الأستاذ الصمري وقيني

كلمة اجمالية

موضوع « اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال ، موضوع قديم . ولكنه يبقى جديداً ما بقيت القوة والضعف والمطامع والشهوات من ناحية ، والوطن والقومية من ناحية أخرى .

إن اللغة والدين والعادات عناصر جوهرية بين عناصر الوطن والقومية ، والاستقلال صفة للوطن والقومية ، فإذا استمرت عناصر الوطن أو القومية قوية أو ضعفت أو انحلت ، استقامت الصفة أو هنت أو زالت تبعاً للأحوال ، ولذلك قيل إن هذه العناصر من مقومات الاستقلال .

ولما كان الأمر كذلك فقد وجب أن نبدأ بتعريف الوطن لأنه أساس القومية ، حتى نستخلص من هذا التعريف نتيجة نستبين منها أن اللغة والدين والعادات عناصر بين تلك التي يتكون منها الوطن ، ولا معدى عن عدها من مقومات الاستقلال باعتبارها صفة لسكان هي عناصره ، فإذا تم ذلك ننتقل إلى معنى القومية ، ومن ثم نتم الكلام عن كل من اللغة والدين والعادات كمقومات الاستقلال .

الوطن

الوطن نوعان : وطن مادي ، وآخر روحي ، فما هو تعريف كل منهما ؟

الوطن المادي

يقول دافاجيه ، في تعريف الوطن المادي إنه « ارتباط الانسان بذلك الجزء من الأرض الذي ولد فيه وله صلات به أحكام وأوثق من تلك التي تربطه بغيره من أجزاء العالم . فالوطن مبدئياً وأصلياً هو حب المعلوم ، والقلق على المجهول ، إنه حب الألف الذي تستشرفه العيون عادة ، وتتألم له النفوس كلما تغير ، وتجزع عليه كلما تبدل . »

وعندنا أن الوطن هو ذلك الجزء من الأرض الذي يحدث مع الزمن تفاعله في النفس والجسم بانبساطه وارتفاعه أو انخفاضه، ونباته وحيوانه ومائه وجوه طبيعته ذراته وألوانها، فلا يكون هذا الحدث إلا سحراً في العيون، وتسلسلاً على الاحساس . وسيادة تملك العاطفة، وتحكما في الوجدان، ولحاصلاته الغذائية جاذبية في البطن تهلب معها الإرادة أو تلين، ولما نه انعاش يشد الأعصاب أو يرخيها، واسماها انعكاس على النفس يكسبها الصحو أو الإكفهرار، ويطبعا بطابع المرح والطرب . أو السامة والملل، وهوائه نشوة تذهله عن الواجب أو تستحثه على التوثب نحوه، ولشمسه لفحة تغري بالكسل أو تستثير العزائم، وللغته رنين خاص في الأذان يستفز النفس ويحلق بها في آفاق خاصة . ولعقدهاته تسلط على الأفئدة يستمويه ويدفعها إلى السير في اتجاه خاص، ولعاداته سلطان على القانون والنظام والمعتقدات فيكون منها الخلق الذي يقتاد الإنسان في وجهات معينة، فيتولد عن كل ذلك علاقة متينة بين الإنسان ووطنه لا انفصام لها إلا بالموت، أو بالغية المنقطعة التي تتيح تكوين حلقة جديدة من الخلق تقوى على إرخاء ذلك الرباط ثم حله، وهذه العلاقة هي الوطنية التي تجن دائما إلى الوطن، وتغري بالسذل في سبيله، والثناء لحاله، إن أعيت الوطني الحبل وحالت الظروف دون البذل والتضحية في سبيل إنقاذه .

لقد كان الرجل فيما مضى لا يشعر بالطمأنينة إلا في قريته أو على مقربة من قريته، ذلك بأن في هذه القرية الأقربين والأصهار والحلفاء والانصار والأصدقاء . أما خارجا عنها فلا يجد غير الأعداء الألداء، فإذا ما ارتاد النواحي الواقعة على بعد من القرية أو على مقربة منها، ثم عاد فاض غلباً، وتدفق بشراً بقاء تلك الأكرام المكسدة من الوقود الجاف فوق الأسطح، والتمتع برؤية الجاموس والبقرة في أماكنها القذرة ذلك بأن في هذه المناظر معنى التقاليد والعادات التي لا مناص من العثور على أثرها مهما تطورت المدنية، لأنها العنصر الجوهرى الذي تقوم عليه كل وطنية .

هذا هو الوطن الصغير في القرية أو في الخط أو الحى، أما الوطن الكبير فاهو إلا الاطار الذى يحيط بالوطن الصغير، فتصور أنك عائد إلى الوطن من سياحة طويلة وأنت تشرف على شاطئ بلادك، وأن السفينة تكاد تلتقى مراسها، فأى شعور يديب

في أعماقك ، وأى عاطفة تحتاج حناياك ، وأى حنو تحسه يتدفق من الأعماق وينسلك في شرايينك وأوردتك تياراً كهربائياً يغزو الفؤاد ويحاق في جو غير جو الساحل ؟ هو جو الحقل ، وجو المنزل العائلي ، فلا ترى على الشاطئ الإسكندري كوم الدكة ورأس التين والرمل ، أو لا تنظر على شاطئ بورسعيد تماثيل دلبس ، ورسيف الميناء « والكازينو » وحى العرب ، ولا تبصر هنا أو هناك البحارة وبوليس الميناء أو عمال الجمارك أو الخالين ، إنما تنظر الساقية والبقرة ورجل المقانة ، أو المنزل أو القصر ، وتبصر الأشقاء مقبلين على باب الدار لتحييتك ، والاب والام مهرولين لتقبيلك . وترى الابن ممسكاً بعنقك ملتفماً بأقدامه حول ساقك ، والقبيلات الحارة تنطبع على وجنتيك ، وأمه من خلفه تحاول عبثاً أن تجعل الابن على أن يقسط في التدليل على حبه ، وألا يسرف في شغفه بوالده حتى لا يظن تحمسها لرؤياه ، وقصارى القول إنك ترى مدينتك أو قريتك أو حيك بدارك وأسرتك في « فلم » يدور على الشاطئ بدلاً من حقيقة الشاطئ

إن فكرة الوطن إن لم تكن غريبة في بادية الرأي فهي فكرة يثبتها في النفس جميع العوامل التي يمكن أن توظف فكرة المصلحة المشتركة ، أو الحياة المشتركة على الأقل ، فهل إذا أنت حضرت عيداً أقيم تكريماً للظافرين باستقلال بلد ما ، أو حضرت حفلة من الحفلات القومية التي تقام بمناسبة فتح أو ظفر ، أو عملت في الحقول مع هؤلاء الذين يجنون القطن على نغمت الأناشيد الشعبية اللذيذة ، ألا يبعث بعض ذلك وكل ذلك في نفسك القوة على التفكير في أن هناك أسرة أكبر من الأسرة العادية ، وأن هناك إخاء أوسع من الإخاء العائلي ؟ بل هل لا يستحثك هذا الموقف على أن تكشف نفسك بأن هناك شيئاً إن لم يكن أقرب اليك من بذك بامتياز على الأجني المريب ، أو العدو المرهوب ، فمن خاصيته أن يلبس الجميع ثياباً ذائعة يمكن لأي إنسان أن يعرفها بسمائها التي تكسبك عطفاً ورفقاً وإنسانية ؟ هذا الشيء هو الوطن الأصيل ، الوطن المادى ، ولذلك ننتقل إلى الكلام عن الوطن الروحي

في الوطن الروحي

يتكون الوطن الروحي من اختلاط الوطن المادى بالذكريات والتقاليد . ولما

كانت الذكريات والتقاليد في معنى المقبرة ، فإن المقابر قد صارت العنصر الجوهرى الأساسى لشعور الوطن ، وفي هذا المعنى قال لامارتين : « إن جسد الأوطان من رفات الأموات » ،

فالوطنية إذن هى المعنى المتقدم على أن تكون اتحاداً بين أرواح الموتي وأرواح الأحياء ، وفي هذا الاتحاد الروحى يدخل إحساس قائم على وحدة الدم ، وآخر قائم على وحدة التربية ، وفاق وحدة التفكير والفكرة ، ووحدة العواطف المتعاقبة المتواليه ، يضاف إلى كل ذلك وحدة إحساس الاعتراف بالجميل ، فإذا قلت آباؤنا الذين بنوا مجد مصر ، وآباؤنا الذين شيّدوا القناطر الخيرية ، وآباؤنا الذين بنوا الجامع الأزهر .. الخ ، هل تدرى على التحقيق آباء من هؤلاء الذين بنوا هذه المفاهيم ؟ لا وإنما تكون هنا الوحدات التى ذكرناها ماثلة فى هذا الجمل الذى هو أقوى عامل من عوامل الوطنية ، مادامت لا تستطيع أن تفرق بين ذكريات والدك وذكريات والد جدك ، وفى ذلك أيضاً ما يدعو إلى التضامن فى الذكريات وفى تقديسها ، وفى الإقرار بالجميل ، وفى هذا التضامن معنى الوطنية الصادقة التى لا تعرف التخصيص وإنما تعرف التعميم إجتماعياً للفشل والانقسام

فمن مقام الذكريات ، حتى ذلك المكان القدسى الذى يرقد فيه الأسلاف ، يتولد فى مخيلة الانسان ذلك الشعاع الوضاء الرحيم العطوف ، الذى يحمل أمل الحاضر إلى ارواح لم تتجسد مادة ، لا تزال فى عالم الوضاح والنور ، أرواح الخلف .

ففى وسط هذه المرحلة القائمة بين الذكرى والقبر ، يقف المرء ليقول لنفسه : لأقدس هؤلاء الذين مهدوا إلى هذا المكان من العالم ، ولقدس جميع الذين مهدوا لنا هذا المكان من العالم ، لأن من سيتولد عني ، ومن سيتولد عنا سيؤدون واجب التقديس هذا نحونا ، ولذلك حق على أن أحبهم مقدماً ، لأننى أشعر من الآن بهذا الحب الذى يقضى بالدفاع عما أقدم من أرض وذكرى

ولا مشاحة فى أن هذا الحب مقص إلى تضامن آخر غير تضامن الحاضر مع الغابر ، وهذا التضامن الجديد هو تضامن الحاضر مع المستقبل ، تضامن ما هو كائن مع ما سيكون ، أى الاشفاق على الوطن فى الحال والمستقبل وصيانته من الاعداء . ولذلك نرى أن نضيف إلى كلمة لامارتين كلمة نيتشه : « هناك ستكون

أحراراً وهناك سيكون الوطن ، ، وإذا أنت أردت أن تسمع كلمة لامارتين مندمجة في كلمة نيتشه فاصغ إلى قول جوريس : « يربطك هذه الأرض كل ما تقدمك وكل ما تأخر عنك ، ما أنشأت وما تنشئه ، الماضي والمستقبل ، جمود المقابر وزلزلة المهاد .

نقد الفكرة

إن حب البلد الذي ولدنا فيه والتضامن الذي يشعر به السكان مع من كانوا من جهة ومع من سيكرويون من جهة أخرى يكفيان لوجود وطنيه كاملة حية أبدية ،

كان « فولتير » الكاتب العظيم ، الذي لا يشكر فضله على النهوض بالانسانية وإشباعها بروح الحرية السياسية ، رجلاً من بين رجال عصره الذين امتازوا بالتجرد من هذا الشعور حتى لقد بلغت به السخرية من الوطنيين أن قال : « أريد من الناس أن يتفضلوا على بأن يحيطوني علماً بمكان وطن ابراهيم ؟ ، مع أنه لا نزاع في أن وطن ابراهيم كان قبيلته . لا نزاع في أنه كان آباءه وإخوته وأبنائه وأحفاده ومواطنيه الذين تعلق بهم وهام بحبهم من غير شك .

لقد أصر « فولتير » ، على التمسك بفكرته ، ولم يطأوعه عقله الكبير في أن يتصور الوطن الذي يمكن أن يكون ليهودي ، حتى لقد تسامل في تكلم « هل يهودي » من مدينة « كوامبر » ، يكون وطنه كوامبر ؟ ألا إنه لا يجد هناك إلا مضطهديه وإلا مطاردة ، أم هل وطنه بيت المقدس ؟ لقد طرأ سمع هذا اليهودي صوت غامض يقول له : إن أسلافه قد سكنوا فيما مضى هذه الأرض المخصبة البلقع تحيط بها بحجر جرداء كريمة بسط الأتراك سيادتهم عليها وعلى هذه المدينة الصغيرة التي لا تجديهم قتيلاً . فبيت المقدس ليست وطنه . وليس لهذا اليهودي أى وطن في العالم . ولا يملك شبر أرض فيه ، ولقد تسامل « أميل فاجيه » ، امام هذا القول عن حكمة الاشاعة التي تداولتها الألسن وتناقلتها الأجيال ، ودارت حول أن اليهودي أشد الشعوب وطنية وأمتهم تعلقاً بكل ما هو يهودي . فما كان منه إلا أن أجاب بأن علة ذلك أن الوطن هو التقليد ، والوطنية هي التضامن في

تقديس التقليد . فوطن ذلك اليهودى ليس « كوامبر » ، ولا بيت المقدس . وانا هو « اسرائيل » ، فالأمر الذى يخرج إلى الوجود وطنية صحيحة ، وينمى قوتها الرهيب . هو أنها ليست مرتبطة ضرورة بمكان . وانا في مقدورها أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالناس . والارتباط بالجنس وحده قوة كاسحة لا تقاوم .

ولم يكتب « فولتير » ، بما تقدم . بل زاد عليه : « إن كلمة الوطن تكون كلمة لا ثقة بالاغريق وجميلة الواقع في مخه عند ما يحمل بتاتا أن قد وجد في بلاده رجل يدعى « ملتياد » أو آخر يسمى « أجينيلاس » . ولا يعلم إلا أنه عبد الانكشارى . عبد الأوغا . عبد الباشا . عبد الوزير . عبد الباد شاه الذى نسميه التركي الأعظم في باريس » ، ففولتير يلهو بالمصائب إذ يجرد هؤلاء الشعوب الذين أقاموا أسطع برهان على أنهم رسل الوطنية من وطنهم ويتزع الذكريات من هؤلاء الشعوب الذين استمدوا وطنيتهم من ذكرياتهم دون سواها فما غامرت اليونان بحياتها لتكون أمة إلا لائنها وثقت بأنها مدالة أمثال « ملتياد » ، وأضراب « أجينيلاس » ، كما برهن « فاجيه » على ذلك .

وتادى « فولتير » ، واسترسل يقول : « وهل يجرؤ القساوسة أيضاً على أن يقولوا إن لهم وطناً ؟ يقولون إن لهم وطناً في السماء ، فيا لسعادتهم ! أما أنا فيكفنى أن لا أجد لهم وطناً في الأرض . »

ولكن « فاجيه » يرى في الوطن السماوى اشتقاقاً من الوطن الأرضى . فضلاً عن أن في الوطن السماوى مظهراً من أجل وأجلى مظاهر الاحساس الوطنى . إذ يتضح منه أن وطن القسيس هو نظامه الذى يتعلق به أو ثقافته التى يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً يحاكي في قوته قوة ارتباط اليهودى باسرائيل . واليونانى ببلاد الاغريق .

فالوطن هو إذن كما يقول فاجيه : « تعاقب الناس في حضيرة نظام اجتماعى يعيش بالذكريات والتقاليد والاخلاص لهذه الذكريات والتقاليد . فالقسيس هو إذن مثال الوطنى الذى أنشأ بنفسه وطناً لنفسه . وإذا خرج معنى هذا الوطن عن المعنى الصحيح للوطن فانه وطن على أية حال . ووطن قوى جداً ، وحى للنهاية . أما وقد عرفنا الوطن على أنه صلة تربط الانسان بالجزء الذى يعيش فيه من العالم . وتحمله على تقديسه والذود عنه إذا ما اعتدى عليه معتد حتى يستأثر بالسعادة

فيه حراً من القيود المذلة ، فقد وجب أن نعرف قوام هذه الصلة ونناقشها في دائرة اللغة والدين والعادات

اللغة

اللغة عامل أساسي في تكوين الوطن والوطنية ، بل لقد رأى البعض أنها أهم عامل من عوامل تكوين الوطن والوطنية ، مادام معنى ذلك هو تعاقب الناس في حظيرة نظام اجتماعي يعيش بالذكريات والتقاليد والاختلاص لهذه الذكريات والتقاليد ، وإلا فكيف يفهم الخلف ذكريات السلف والتقاليد ، وكيف يتخلص هذه الذكريات والتقاليد على بحر الأيام إن لم تكن هناك أداة واحدة لوجدة الفهم ووحدة المشاعر ووحدة الاحساسات ، ونريد بها اللغة

ولكن في العالم حالات تحول دون الاغراق في تقدير اللغة على أنها أهم عامل من عوامل تكوين الوطن والوطنية . فأهالي الولايات المتحدة الذين يرجع أصابعهم إلى جنسيات مختلفة تتكلم لغات متعددة ولهجات متباينة تجعلنا نقف هنيهة للتفكير في قيمة اللغة من ناحية تدخلها في تكوين الوطن والوطنية ، لا سيما إذا راعينا أن أهالي الولايات المتحدة رغم تعدد لغاتهم ولهجاتهم قد أمسوا مضرب الأمثال بوطنيتهم بسبب تاريخهم الذي فاض بطولة وتدفق فروسية جعائهم بهيكتورون ، والإمام يباهون ، حتى صار كل فرد منهم « واشنطن » لفرط تمسكه بهذا التاريخ الرائع الخلاب . وإذا كان قد ترتب على هذا التاريخ أثره الجليل في النفوس فإن هذه الوطنية العميقة المتأصلة قد غزاها ونماها ما لهذه البلاد في العالم من مكانة أباغ يسحر عزتها وأنفتحت من سحر العزة والأنفة مضافاً إلى ما فيها من نظم يعدون الانتساب إليها قوام الشرف العالمي والكرامة الإنسانية

إن كل ذلك قد جعل جوهر الوطنية الأمريكية يشع نوراً وضاء يرسم أمام الأمريكي أينما حل وأينما سار آية الخلود والمجد . نحن أكبر جمهورية عرفها العالم بشقيه الجديد والقديم ، فوحدة اللغة ليست إذن ضرورة لقوم كهؤلاء ولكن هذا الرأي على شيء من المغالاة أيضاً ، لأن الباعث الصحيح على هذه الوطنية هو أن غالبية سكان الولايات المتحدة من الجنس الانجلوسكوني ، أما الأقلية فهي من أجناس متعددة ، هي أقليات تافهة بالنسبة للأغلبية . وأخلاقها ليست بالمتانة

والصلابة التي يمتاز بها الخلق الانجلوسكسوني ، ولذلك فهي تاتزم الخضوع لما يرسمه هذا الجنس من أوامر ونواه

وكذلك الشأن بالنسبة لسويسرا . فهي تتكلم ثلاث لغات ، ومع ذلك فانها أشد شعوب الأرض استمساكا بوطينيتها ووحدها التي تألفت من ذكرياتها التاريخية ، وتعلقها بدستور سياسي وافق على العمل به جميع الأحزاب التي تألفت منها هذه الأمة . وهذا يجب أن نقول إن هذا التماسك البادى على الوحدة السويسرية يرجع إلى اعتبارات سياسية . وإن تعدد اللغات في سويسرا لا يمكن أن ينقص من قدر اللغة على اعتبارها من العناصر الجوهرية في تكوين الوطنية

ولكن اللغة رغماً من كل ذلك لا تزال وستبقى رابطة قومية لا انفصام لها ولا تضع موضع لقوتها . فهل من عامل أقدر على أن يحمل الانسان أجنبياً عنك كالعصوبة في فهم كلامه والتفاهم معه ؟ وهل لا يحس الانسان تلك الطوة العميقة المفزعة التي تفصل بينه وبين محدثه إذا هو عاجل التفاهم معه دون أن يقوى على ذلك ؟ وما هو المعنى الذي تربده تلك السيدة الأجنبية التي تزوجت وطنياً حباً وعاشرته عشر سنوات أو يزيد عند ما تعلن بعد فوات هذا الوقت الطويل أن التعارف اللغوي الذي يرفع التكليف بينها وبين زوجها لم يتم ؟ أليس معناه أن الفارق في اللغة فارق بين تعاقب الأرواح وتشابكها وتشاكلها واندماجها ؟ وما هي روح الوطن إن لم تكن تعاقب أرواح الوطنيين وتشابكها وتشاكلها واندماجها في سبيل الدفاع عن استقلال البلاد بمختلف طرق الدفاع ؟

ثم ألا رأيت الى اللغة وكيف تبدع طرائق التفكير وتحملها من جيل الى جيل حتى تفرض على الأجيال المستقبلية طرائق تفكير الأجيال البائدة ؟ إن اللغة هي إذن قالب تسن فيه الافكار ، وأرحام تصب فيها وسائل الكلام ، وشارات ابدام الاحساس ، وعلامات التعبير عن الحركات والسكنات والايام ، فالطفل الذي تعلم كلمة يرث فكرة تقليدية ، فإذا عسى يكون الحال مثلاً لو أن وجود كلمة « السيادة » أو « الملكية » قد انعدم في اللغة العربية أو أنه جاء بلغة أجنبية ؟ أما كان نتيجة هذا النقص أن يقل عدد جنود الحق وسلطان الأمة فلا يتسع مجده إلا أمام الشياطين الذين تسول لهم أنفسهم هضم الحقوق وسلب النفوذ واغتصاب السلطان ، فلا يقوى إبليس إلا على أن يوسوس في صدور الناس ليزين لهم حب

الحضروع ، والولوع بالخنوع ؟ فوجود الكلمة أوجد الفكرة ، ووجود الفكرة تأصل في النفوس ورسخ بمرور الزمن حتى استعصى اجتثاثها . لان الكلمة فرضت الفكرة ، والفكرة التي تتطلب أن تكون شيئاً قد تحولت الى مادة بتحقيقها وما دام الأمر كذلك فإن التضامن الصحيح ، ذلك الذي يمثل في تلك الصلات التي تربط الأحياء بالأموات على الأقل هو من مميزات اللغة التي تخلقه بدورها وتصونه وتحافظ عليه وتطيل في أجله وتحلده . ألا ترى الى اللغة وكيف كانت وحدتها أحد الاسباب التي استبقت حياة ايطاليا وحفظتها من التمزيق والتوزيع بين الغالبين ؟

لقد اجترأ أحد الساسة على أن يشهر باباطاليا باعثة الفنون والعلوم الى حد أن وصفها بأنها تعبير جغرافي، ولكن هذا السياسي لم يصب كبدا الحقيقة. فقد طاش سهمه وتبدد حله . إذ برهن الزمن علي أنها كانت أكثر من اصطلاح جغرافي بها أنها عاشت وسط الزعازع والاهوال وبددت طبقات ظلمات الاستبداد وهي الآن في أجواز الصحو وحده تعمل وتجد في سبيل استرداد العظمة الرومانية القديمة . وكل ذلك راجع إلى وحدة اللغة أساس وحدة التفاهم الانساني المشتقة من وحدة الله .

وكذلك كان خطاب اليونانيين ، فمن الاسباب التي دعت إلى الاحتفاظ بكيانهم انهم لم ينسوا لغتهم ، ولما كانت اليونان لم تنس لغتها لأن لها في بطون التاريخ ذكريات لا تعد ولا تحصى ، فان واقعة التخاطب بهذه اللغة نشطت مدفوعة بالذكريات التي أجرت فيها دم الشباب وخلدتها .

فاللغة القومية إن لم تكن روح الأمة فهي على الأقل مجرى ذكائها وإحساسها . مثلها كمثل المؤلف وأنشائه ، طريق تسير فيه للفكرة ، لا الفكرة ذاتها . ومن هذا نعلم أن اللغة سلاح المغلوب في غزو غالبه وإخضاع قاهره .

إن الفاتح مرغم عادة على أن يتعلم لغة للبلاد التي يغزوها ، حتى يتم تفاهمه مع أهلها ويستمعوا إلى أوامره ونواهيها ، ولكن تكلمه هذه اللغة بطابع تفكيرها وعاداتها . وإذا نحن أردنا أن نفهم مدى هذا الطابع واجب علينا أن نقف على مقياس القوة الانسانية في الشعوب ، بل مقياس قوة طبائع الشعوب . ولنعرف ذلك بمجرد بنا أن نعلم أن هناك حالتين ، فاما أن يوطن الفاتح نفسه على

أن يسكره المغلوبين على أن يتعلموا لغته ، ولما أن برغم نفسه على التكلم بلغتهم ،
وفي الحالة الأولى يسكرون الفاتح غازيا بمعنى الكلمة ، أى منشأ ومكوناً ومصوراً
ومولواً ، وهذا مستحيل في العصر الحاضر . وفي الحالة الثانية لا يسكون الفاتح إلا
ظافراً في يومه مغلوباً في غده ، لأنه ينشئ نفسه ويسكونها ويصورها ويلونها من
جديد ، اللهم إلا إذا جعل من عماله سياحا متنقلين ، وهذا ما يزعم سياسته
ويمكن البلاد المفتوحة من أن تزول أقدامه يوماً بعد يوم حتى تقتلعها .

نستطيع أن نعرف الشعوب ذوى الشكيمة والبأس من قوة تمسكها بلغتها
وشدة تعلقها بها ، بحيث لا تمر بها لحظة إلا وتعمل الفكرة في الرق بها ، حتى إذا هم
تركوها فاتها لا تتركهم ، لأن هناك اندماجا تاما بمعنى الصحيح ، لا اندماج
لغة في أفراد وإنما اندماج أفراد في لغة ، اندماج زائل في خالد ، فاللغة تعجز
الشعوب ثم تصبهم في قالب الوطنى الذى لا يشبهه قالب آخر .

وإذا نحن أدركنا التاريخ على أعيننا علمنا أن الفترة الزمنية التى يقوى فيها أى
شعب ويسعد حالاً هى نفسها التى يشمخ فيها بأفنه اعجاباً وتبها بلغته . ولذلك نراه
يسهر على صيانتها في غير ، ويطارد كل من يحاول العبث بها أو اتضاع قدرها ، رغبة
منه في أن تسكون لغة فنية طاهرة جميلة موسيقية جذابة . وهذا هو الواقع في فرنسا
وانجلترا وألمانيا وإيطاليا الخ . وما كان قديماً في أميناوروما وبلاد العرب والأندلس
والعراق والشام الذين لم يستسكروا تضامنهم مع الماضى والمستقبل ، ولم يحاولوا
النقض على الذكريات والتقاليد والعادات الوطنية أو الروح الوطنية والوطن .
فحافظوا على كرامة الاحياء وأراحوا في القبور الآباء .

ولهذا الاعتبار عدوا النحاة وطنيين ، بل عدوهم حماة الوطن ، فمن استحق
تقدير اللغة استحق تقدير الوطن ، وإذا نحن أقمنا وزنا لهذا الاعتبار فإن في الأرياف
اعتبار آخر لا يقل أهمية عن ذلك ، لأن في هذه النواحي من الوطن نحاة لا يقولون
إلا أن يتكلموا بلهجات أقاليمهم ويمجون تسكلم غيرها من اللهجات ، ما دامت
أجنبية عن مقاطعتهم وما دام آباؤهم لم ينطقوا بها من قبل ، ولا غرابة ، فإن اللهجة
لغة هى طرف اللسان أو الملازمة ، وفي ذلك معنى الدوام ، والدوام من صفات الوطن ،
فتمسك هؤلاء النحاة الريفيون بلهجاتهم تمسك ببقاء أطراف ألسنتهم أى تمسك
بالدوام ، ومن ثم تمسك بالوطن والوطنية ، ولذلك كان من الطبعي أن يختفى حب

هذا فى حب ذاك . وأن يكون واسطة لدوام الوطن والاستقلال .
وقصارى القول : إن اللغة هى التقليد ، هى اللباس بل هى أكثر من لباس ،
هى القالب ، بل هى أكثر من قالب ، هى قلب التقليد ، أنها تهيه كل توقعاته ،
وكل هزائنه التى تنفذ الى الروح وتعود منه ذهابا وإيابا حتى ينتهى الأمر بها الى أن
تشكل الروح الذى تلهمه فى الشكل الذى تريد ، وما دامت هى التقليد فهى خلق ،
والخلق القومى أساس الاستقلال ، ومن الواجب العناية والاستمسك بها واحدة لا تعدد
لها فى وطن مع العمل دائما على جعلها متلائمة وحاجات الوطن العليسة والفنية
والأدبية والصناعية والتجارية عن طريق تنظيم المجمع اللغوى على أحدث طراز ممكن ومده
بالمال السكا فى لسد حاجاته وإطلاق يده فى تحقيق كل ما ينهض بالخلق القومى والاحساس
الوطنى . ومضى تبين ذلك فقد وجب أن ننقل إلى الكلام عن عنصر الدين

الدين

الدين عقيدة عامة تربط الوطنى بالوطنى برباط معنوى قوى يتناهى أمره إلى
أن يكون تضامنا محكما بين الجماعة عند ما يمر عليه الزمن الضرورى لأن يكون خلقا
قوميا .

الدين مجموعة فضائل تلوح للعين المجردة وكأنها نظام سياسى الغرض منه إيجاد
وحدة فكرية سامية . والخلق القومى لوحة تضمنت فضائل الشعب وقائمه وحسن
حظه وسوء طالع ، ونجاحه وفشله ودهورة مصيره ، وكل ذلك أثر من آثار النظم
مجتمعة ، والنظم أثر من آثار العادات والمعتقدات ، وهذه بدورها أثر من آثار الخلق ،
لأن الأسباب والنتائج فى عالم الاجتماع والسياسة تضامان فى العمل ، فالأخلاق تنتج
النظم التى تتألف منها الأخلاق بدورها ، فإذا انقضت عدة قرون اندمج كل منها
فى الآخر وأصبحا كلا لا يتجزأ بحيث لا ترى النظم إلا الأخلاق محسوسة مرئية
ثابتة مستمرة . ولكن من الواجب ألا ننسى أن النظم ليست إلا سدا خارجيا
يؤيده سبب داخلى هو الخلق الذى يقتل بالوراثة . ومن أجل هذا رأى كثير من
الفلاسفة أن الدين عنصر من عناصر الوطنية ، ودعائم الاستقلال .

لقد قامت الجماعات فى بادئ الرأى على قاعدة المصلحة المشتركة ، ولكن الدين
جماع بعد ذلك فممكن لأواصر الألفة بين أعضاء الجماعة ، وضاعف روابط الاجتماع

وزادها توثيقاً وإحكاماً ، إذ كان من النادر ألا ترى سلطان الدين قد اقترن بسلطان السياسة وازدوجا حتى جب سلطان الدين سلطان السياسة إلى حد متفاوت باختلاف وتباين الأحوال ، بحيث صرنا نرى حق الشعوب الأولية حقاً مقدساً في بداية الأمر ، وهذه القداسة كانت نتيجة لازمة ، أما بسبب المصدر ، وهو الأب ، وإما بسبب قداسة الزعماء اللذين يطمحون أن يحلوا محل الأب في تسكييف السلطان ، وأن يعملوا على احترام الوساطة بين أعضاء الجماعة وبين المعبودات ، أو بسبب اجتماع الناحيتين في شخص واحد أو شخصية واحدة ، ولهذا كان الرئيس دائماً شخصية دينية ، أو كانت حكومته على الأقل تختمى خلف ستار ديني يجعلها أكثر احتراماً في أعين رعاياها . ولهذا رأينا اليونان الأقدمين قد عجزوا عن التفرقة بين فكرة الجماعة السياسية وفكرة الجماعة الدينية ، ولكن الدين كان رابطة اجتماعية لها أهميتها الخاصة في نظرهم .

لقد كان الدين في اليونان القديمة رابطة اجتماعية بسبب طبيعته القومية أو بسبب طبيعته المحلية بمعنى أصح ، وهي طبيعة ساعدت مساعدة جليلة الشأن في تكوين أخاذ القبيلة وبطونها وعشائرها ، ثم القبيلة ذاتها ، ولما تم ذلك عاوت هذه الطبيعة في تكوين المدينة ، ولذلك فإن الدولة والدين لم يشتبكا قتالاً أو نضالاً كما وقع في أوروبا ، بل على العكس قد رأينا هناك فكرتي الدين والوطن مترادفتين تقريباً ، ولكن منهن نفس القوة ونفس الذبوع والانتشار ، حتى لقد وجد الفرد أن من المتعذر عليه أن يجد لنفسه دستوراً وحقوقاً خارج حدود المدينة وميادين آلهته .

ولقد كتب « رينان » يقول بصدد دين أثينا : « كان دين أثينا هو نفس أثينا ومؤسسيها وقوانينها وعاداتها وعرفها ، فهو دين لم يكن بحاجة إلى قواعد جامدة ، إنه إذن كان دين الدولة بكل ما في الكلمة من قوة ، بحيث لا يكون الفرد أثينا إذا هو لم يقم هذه الشعائر ، فالدين كان إذن عبادة « الاكروبول » مشخصاً ، والحنف بمذبح « أجلور » لم يكن له معنى غير القسم بالموت في سبيل الوطن ، (راجع رينان - ما هي الامة ص ٢٢) . وأذن فلا عجب ولا استغراب إذا علمنا أن « ارسطو » قد اعتبر الوظائف الدينية تكليفاً مدنياً في مرتبة منصب القضاء ومن البديهي أن هذا الشعور الديني القومي ، بل من البديهي أن عبادة الوطن

بهذه الطريقة كانت تضمن على الدولة قوة دونها أى قوة اديية اخرى ، ولذلك كانت الفكرة الدينية الروح الملهم والمنظم والحافز على رد غارة المغيرين على الوطن عند الافدمين ، حتى لقد اعتبرت عند العصريين من مقومات الاستقلال .
ولسكن اذا كان الدين من مقومات الاستقلال باعتباره عنصراً من عناصر الخلق والوطنية إلا أنه قد يكون في بعض الاحيان عنصراً ضاراً تبعاً لوحدة الدين أو تعدده في دولة .

لقد كان الدين واحداً في أثينا ، وكان مرتبطاً باصوله ومبادئه ارتباطاً وثيقاً ولذلك قويت الوطنية ، وقويت حمية الدفاع عن الوطن ، وعجز الاثينيون عن التفارقة بين حب أثينا وحب الاله « اتينييه » ، ودججوا الاله في المدينة ، والمدينة في الاله ، وأحبوها بحمة ، وأسماها واحداً ، وهكذا صار الدين وطناً ، والوطن ديناً ، ولم نرى أثينا حرية دينية لان معنى هذه الحرية كان الحرية نحو الوطن وإحلال الحرية محل الوطن ، وهذا هو الانتفاض على الوطن أو الثورة ضده ، وفي هذه السبيل حق القتل أو النفي على الفلاسفة امثال «أناكراجور» و«سقراط» و«أرسطو» لان الوطن والدين شيء واحد ، وهادم الدين هادم الوطن ، فالدين إن لم يكن واجهة الوطن في أعين الشعوب فهو قلبه .

وهكذا كان الحال في أثينا ، ولكنه لم يكن كذلك في جميع بلاد اليونان القديمة ، ذلك بان كان لكل مدينة - أى دولة - من مدن اليونان القديمة آلهة خاصة لحمايتها ، والآلهة الذين كانوا يحمون كل مدينة كانوا يفضون أيديهم من الدفاع عن المدن المجاورة ، فكانت النتيجة أن كل وطن يخرج بعيداً عن حدود أرضه القومية يفقد مزية الانتفاع بحقوقه ، ويمسى أعزل من وسائل ردعادية اللصوص عنه ، فيعجز عن دفع المظالم ووقف سوء المعاملة ، الا اذا كان هناك اتفاقية تغاير ذلك إن هذا النظام الذي قام في بلاد اليونان على قاعدة الخلط بين العدالة والدين كان نظاماً قصير النظر جداً ، لان أعماله ومهامه لم تتخط حدود المدينة ، ولذلك فإن الاستعانة بالآلهة لم تتوافر الا داخل هذه الحدود ، ولم يسكن في وسع وطني مدينة أن يستظلوا برعاية آلهة مدينة اخرى ، بيد أن هناك ما هو أغرب مما تقدم ، فعندما تعلن الحرب بين مدينتين تدخل الآلهة في هذا النضال ، وتشتبك في المعامع ، وتصبح أعداد . وهكذا قاتل آلهة تروادة آلهة اليونان ، فانتهى الامر باحقاد الجنود

وعداوات الدول الى أن ادعمتها الاحقاد والعدوات الدينية واذلتها ، فاذا كان الدين قد قوى كل مدينة في اليونان القديمة ، فانه قد حال دون خروج كل مدينة من حظيرتها الضيقة ، وإذن يكون الدين الخرافي عائقاً قوياً في سبيل الاتحاد العام ، وعقبة كأداء أمام أى اتحاد استقلالي ، أو أى وحدة في صورة دولة قوية كبيرة تتكون عن طريق ادماج المدن الصغيرة بعضها في البعض الآخر

ومع ذلك فان الرقي المطرد الذى طرأ على الفكرة الدينية اليونانية قد أدخل مع الزمن شيئاً من المرونة على العقيدة الدينية المحلية ، فبعض العقائد وبعض المعبودات أصبحت شائعة شيوعاً تناول كثيراً من المدن ، ان لم يكن تناول اليونان كلها ، إذ تكونت اتحادات دينية وذهب بعض الفلاسفة إلى حد الدعاية لمعبود واحد ولقد اتعظ الرومان بموقف مدن اليونان وآلهتها ، ولذلك رأينا روما تتنجح في أن تتخذ آلهة المدن التى فتحتها آلهة لها . أوفى أن تتيح لهذه المدن أن تتخذ لنفسها آلهة من بين آلهة روما . فكانت النتيجة أن آزرها مدداستخاضته من قوة السياسة المرنة المتسامحة ، وسرعان ما تناست كل مدينة آلهتها ومعبودتها ، وبخاصة في اليونان . وإذا لم تكن المدن تناسست معبوداتها وآلهتها ، فانها قد أنزلتها على الأقل منزلة ثانوية وعبدت الاله « روما » والاله « قيصر » فكان هذا الأمر مبدأوحدة وتماسك جزيل النفع ، جليل القدر ، غلفت عليه حكومة روما أهمية جوهرية

على أنه إذا كان اندماج الدولة في الدين قد تغير في مظهره قليلاً فانه قد تم حتى أصبح من المتعذر أن نجد في الخارج تبعية رسمية مطلقة تحاكي تبعية روما للآلهة ، ولذلك فان الشعائر العامة تميزت عن الشعائر الخاصة تماماً ، وهذه شعائر ما كانت الدولة تعيرها أى اهتمام ، على عكس الشعائر العامة ، فان الدولة قد قست بسببها في معاملة المواطنين والشعوب إذ جعلت الاشتراك في الحفلات الدينية الرسمية فرضاً يدل أدائه على أنه مظهر ولاء للإيمان ذاته ، أما التناول عن أداء ذلك الفرض فقد اعتبره الرومان موقفاً عدائياً ضد الوطن

فان روما القديمة لم يعرف التفرقة بين حب الوطن وحب الدين ، ولذلك أحبهما ككثرة واحدة لا انقسام لوحدة عناصرها ، ولا تمييز بين ذراتها ؛ وإذن فانه قد أحب أمته الالهية وآلهته القومية

فاذا قام في الوطن أديان متعددة ، فانك ترى والحالة هذه أن الوطن الدينى لا يتأخر عن الاعتراف على الوطن القومى ، لأن الدين وطن ، والحرية الدينية ما هى

إلا أن يؤثر بعض الأهلالي إحساسهم الديني على إحساسهم القومي ، وينسوا وطنهم القومي نسياناً تاماً في سبيل العمل على نصرة وطنهم الديني . ولو أن هؤلاء الفلاسفة جعلوا حب الوطن من الإيمان ، ولم يجعلوا الإيمان من حب الوطن ، وتمسكوا بذلك لما قامت حرب أهلية ولألقى الوطن الديني الاصغر سلاحه أمام الوطن الديني الأكبر ، ولتحصن الوطن القومي في أحضان الوطن الديني الأكبر . ولما رأينا كاثوليكي فرنسياً في القرن السادس عشر يستنجد بالاسباني ليحارب البروتستانت الذي كان يستنجد بالألماني لمحاربة الكاثوليكي . إن كلا الفريقين كان له وطن كاثوليكى أو الرومانى أو المسلم فى بدء عهد الاسلام الزاهرة . غير أن هذا الأخير كان يحب وطنين مختلفين ولكنه جعل الوطن الدينى أهم . على نقيض الآثني والرومانى فقد كان لكل منهما وطنان وأما مندجنان فى بعضهما ومكونان وطناً واحداً . ولهذا الاعتبار أكره الفرنسي على أن يختار بين الحبين ويميز بين الوطنين ويستنجد بالعدوين . فالدين فى نظر الغربى على حسب الظروف : إما أن يكون عاملاً من عوامل الوطنية كما كان الشأن فى صدر الاسلام ، أو عاملاً من عوامل الانحلال كما كان الأمر فى عهد الشيعة والسنيين الذين اختلفوا كما اختلف البروتستانت والانجليكان الخ مع الكاثوليك فأدى هذا الخلاف إلى تمزيق الوطن ، أو كما كانت الحال فى مصر فى بداية أيام غورست حيث كادت نار التعصب تلتهم مصر ، ولكن قدر الله وكشفت الديسيسة وحبطت فى مكنتها بعد أن سلب الحكام المضخات على النار قبل أن تبدلع فى الإحطاب الجافة . وهذا ما يفسر لنا رأى دمتسكيو ، ذلك الحكيم الفرنسى الذى دعا إلى مقاومة دين يحاول الدخول فى الدولة لمنافسة دينها العام ، ثم نادى بالتساج إذا ماتم أمر دخوله فى الدولة . فمتسكيو كان رومانياً يدعو إلى التمسك بالدين الواحد قبل أن يراحمه دين آخر ، على اعتباره أداة خلاص من عدو الوطن ولأن وجود دينين معناه حرب أهلية ، حرب الوطن الدينى مع الوطن القومى ، ولكن دمتسكيو كان مع ذلك الرجل المشايخ للحرية عند ما تسامح مع الدين الأجنبى بعد دخوله واستقراره حتى يعوق الهجرة التى تترتب على اضطهاد الأديان ويحول دون تحويل القوة القومية إلى قوة معادية للوطن تستلزم تدخل الأجنبى حتى لا تنتقل عدوى الثورات إلى بلاده .

ولكن أفكار رجال الدين تغيرت على مجرى الدهر . وشاعت فكرة الحرية حتى لقد قامت الاتصالات خلال القرون الوسطى في سبيل فصل السلطة المدنية عن السلطة الروحية ، وسمعنا كاليغان يقول خلال القرن السادس عشر : « لا يمكن مطلقاً أن يدرك الملوك وغيرهم من كبار الحكام سلطانهم فوق الأرض باستخدام الخبث والشر الذائعين بين الناس ».

« ولقد نظم الله بوليس هذا العالم ، . فكل امارات العالم كصورة وسراب من مملكة سيدنا المسيح . . . » ومن يحفل أن هذا النظام قد أمر الله به ؟ أن كل شيء في هذا العالم تقتاده قدرة الله وتحكمه ، ولقد احتفظ المولى سبحانه وتعالى بحقه في العناية الخاصة بهذا النظام ، نظام الممالك والامارات والدول والملوك ومديرى العدل ، وكل هذه الأعمال أعمال الله التى تستطيع أن تلاحظ فيها وجود الخالق ومجده . . . و من شأن هذا أن يزيد فى حبنا لبوليس هذه الدنيا ، وبذلك قام الدليل على طيبة ربنا وحبه الأبوى ،

ولكن كاليغان لم يكن له عزم فى سبيل مطالبة السلطة بتطبيق القانون الطبيعى وهو قانون يتفق ونظام الطبيعة الذى خلقه الله .

ان نظام الطبيعة هو أساس الجماعة الانسانية . ولا قيام لآى شيء بدونها ، لا قيام للانسانية ولا للجماعة بغيره ، « فالقانون الأدبى ليس شيئاً آخر غير الدليل على وجود القانون الطبيعى والافتناع ، انه القانون الذى نقشه الله فوق نفوس الناس أجمعين ، ان القانون الطبيعى خالد ، مصون ، لا ينهدم ، « فإذا سن أى مشروع فى قالب الفضيلة مآذله الطبيعية رذيلة ، أو اجتراً ظلم غشوم مختال على أن يحاول ذلك فلا مناص من أن يتجلى النور ويسطع ويستظهر إذا هو توارى لحظة ،

و خلاصة هذا القانون الطبيعى نجدها فى الوصايا العشر لسيدنا موسى ، وهى : « يوجد قانون طبيعى ، ويقوم هذا القانون على أمتن أساس يمكن أن يوجد ، وهو الواجب الطبيعى للانسان ، وفى الواقع إن الواجب والحق يؤلفان دائماً وجهى مدالية ، لذلك كانت فريضة عبادة الله أول واجب على الانسان تمنحس فولد أول حق جاء مصدر جميع الحقوق ، . ولقد تأسس على اعلان حق العقيدة فكرة حق الانسان العام الذى استوجب اعتراف المشرع به ، ومن هنا تنبئين الأصل الدينى دون الأصل السياسى لفكرة الحقوق الفردية الطبيعية المقدسة التى لا يطرأ عليها

أى تغيير أو أى تخوير . ومضى كان القانون الطبيعى الذى اشتقه كاليان من الدين يقوم على الواجب الطبيعى للانسان فقد حق القول بان الدين من مقومات الاستقلال ما دام يحض على اداء الواجب الطبيعى وهو الدفاع عن الحرية والاستقلال . على أن الدين لم يكن من مقومات الاستقلال فى الداخل بل كان أيضا من مقومات الاستقلال فى الخارج ، واذا أنت راجعت كتاب « اسمان ، الموسم باسم » نظرية التدخل الدولى عند بعض الكتاب الفرنسيين فى القرن السادس عشر ، وجدت هذا المؤلف يقول فى صفحة ٢٤٣ وما بعدها بصدد كتاب « دوبليسى مورنيه » - الانتقام من الظلمة - : « لقد دعا دوبليسى مورنيه الامراء الاجانب لمساعدة بروتستنت فرنسا وبخمس على جهودهم ، ذلك بان الواجب يقضى عليهم بالتدخل ، فلماذا يتدخلون ؟

« يتدخلون أولا لان كنائس الاصلاح الدينى رغم تعدد مذاهبها هى كنيسة الله الحقيقية : بل لإنها المسيحية ذاتها ، انها الكشاكشة نفسها ، فالامير مرغم على أن يمشق الحسام عند الحاجة ليدافع عن كنيسة بلاده الى جانب دفاعه عن الكنيسة العامة أيضا ، ومتى كان الامر كذلك فقد وجب عليه أن يدافع عن أعضاء هذه الكنيسة الخاضعين لامراء آخرين . »

« ويتدخلون ثانيا لان جميع المسيحيين البرتستنت اخوان بما أنهم ابناء ابن سماوى واحد ، يجب عليهم أن يتعاونوا وأن يتبادلوا الدفاع بالساعد والعصا على اعتبارهم اخوانا . »

إن فى هذا المبدأ انبثاق فكرة اخاء انسانية تخطى حدود المدن والممالك ، ولكن هل الظلم حالة من أحوال التدخل المشروع ؟ لقد قرر الكتاب البرتستنتى ان الواجب يقضى على الامراء والشعوب الأجنبية ان تتدخل للدفاع عن رعايا أمير ظالم . حتى وان كان الظلم سياسيا شأنهم فى ذلك شأن من يدافع عن المضطهدين فى سبيل الدين .

وبحكم استمرار هذه العادة اصبح التدخل فى سبيل نصره الشعوب المسيحية المضطهدين وتحقيق استقلالهم مشروعا ، ولكن هذا العصف الدينى ليس من أسباب التدخل إلا فى دائرة ضيقة

فالدين اذن من مقومات الاستقلال داخليا وخارجيا ، ولذلك يجدر بنا العناية

به والعمل على بث فضائله وصيانه وحدته على اعتباره ديناً عاماً والتسامح مع باقي الأديان وإطلاق الحرية لمعتنقيها، وإذا أنت راجعت معاهدات الصلح ولانسيا معاهدة سان جرمان آن لى، وجدت نصوصاً كثيرة خاصة بهذا التسامح وعلى الخصوص ما كان منها متعلقاً بتشيكوسلوفاكيا. ويجدر بنا بعد ذلك أن ننقل إلى الكلام عن العادات باعتبارها من مقومات الاستقلال

العادات

العادة قاعدة تحكم مظهر الإنسان. ففى أساس القانون باعتبارها قاعدة تحكم مظاهر الحياة الاجتماعية. فالعادة هى قانون طبيعى غير مسنون، تنتقل من فرد إلى فرد بحكم قانون الوراثة إلى أن تتأصل فى النفس وتكتسب انساساً وعمقاً فى كتلة الجماعة فتزغم المشرع على أن يسنها قانوناً وضعياً، أو تبقى خلقاً عاماً قومياً لا يجرأ المشرع على تضيق دائرة سلطانه، وإذا هو حاول ذلك كان نصيبه الفشل وكتب لأثر قوانينه العفاء حتى وإن بقيت مسطورة

ألا رأيت حكم العادة التى استحالت خلقاً فى الرجل الفرنسى؟ اننا نرى الرجل الفرنسى الذى يعيش فى هذا العصر هو نفس الرجل الفرنسى الغولى الذى عاش أيام بولبوس قيصر، فإذا نحن راجعنا «سترابون» و«ديودور الصقلي»، وجدنا مميزات الخلق الفرنسى فى التعلق بالأسلحة والشغف بكل ما يلبع، وخفة الروح، والطيش الشديد، والزهو البليغ، والمسكر والخداع وذلافة اللسان، وسهولة الاغترار بالعبارات الخلاة، أما إذا نحن رجعنا إلى مذكرات ديولبوس قيصر، فإننا نعيش على آراء وأفكار خاصة بالشعب الفرنسى تكاد تكون بنت اليوم، فقد قال قيصر: «فاض أهل الغول بحب الثورات، فالأخبار الكاذبة تثير عواطفهم وتقودهم إلى إقرار أعمال هامة لا يلبثون أن يعضوا بنان الندم عليها، أما الفشل فيلقى إلى ريعهم الخور، وينك عزيمتهم، فبنسبة اسراعهم إلى الشرع فى الحرب التى لا مسوغ لها تسودهم الرخاوة والكآبة، ويذهب عنهم كل نشاط وهمة، ويخمد فيهم كل مجهود وعزمه» (راجع الجزء الرابع من مذكرات قيصر ص ١٣ و ١٤ وسترابون جزء ٤ ص ٤ وديودور الصقلي جزء ٥)

أما إذا أنت أردت أن تبحث عن المثل العجيب للخلق القومى الذى قام أساسه

على العادة فامامك صفحات التاريخ الاغريق القديم فهناك تجد كيف كانت حال أهل بينظطه .

لقد قال « أمبير » Ampère بصدق من هذا « ان جوهر الخلق الاغريق لم يتغير على ممر الايام ، وتقلبات الازمان فهو هو بفضائله ونقائصه حتى الآن » . ومعنى هذا أن أثر العادة في الاغريق الاول لم يتبدل ، وانه انتقل بطريق الوراثة كما هو . ولما عثر بوكفيل ، في المورة عن نماذج آيبل (Abel) و « فيدياس » Phidias لاحظ بعد فحصها أن الخاصيات الجوهرية للعادات تنتقل أيضا بانتقال الخلق إلى ظاهر الصناعات فالارقادون (أهل Arcadie) يعيشون حتى الآن عيشة الرعاة ، لان فكرة الحياة بهذه الطريقة لاتزال حية في أعماقهم تعمل في نفوسهم عمل « الدينامو » المحرك ، أما جيرانهم أهل اسبرطة فانهم لا يزالون مولعين بشهوة العراك والقتال ، فياضين بالغيط والحقد والخفيضة والصخب ، أما البنظطيون فانهم قد احتفظوا باللغة والتقاليد والعادات والمهارة التي لم تعز بأية قوة ، ولذلك فان هذه المهارة تنقلب مكرراً سيئاً ، أما حب جمال اللغة والمناقشات الرائعة فقد صارت اللغو البنظطي أو الثرثرة والسفسطة البنظطية ، وأما المرونة اليونانية فقد استحالت كياسة خائفة ، فيوناني اليوم هو يوناني عصر « بيريكليس » ، ولكنه جف وأمسى هشاً ، ذلك بأن « الاجناس تتغير كلما تقدمت في السن ، وهذا التغيير إما أن ينطوى على صلاح أو فساد ، ولكن معدن الاجناس لا يبدل ، ولذلك تحتفظ بطبيعتها الاولى ، وتحمل دائماً في الاعماق علاماتها المميزة ، ومادامت الاجناس تحتفظ بطبيعتها ، فانها تحتفظ بفكرتها وعاداتها وعرفها ونظمها السياسية والدينية .

كذلك نرى بالاختبار والملاحظة أن سلالة سكان الجبال أو شواطئ البحار أو فرسان الصحارى يميلون إلى سكنى الجبال وشواطئ البحار أو ينزعون إلى الفروسية . وإذا كانت العادات من مقومات الاستقلال إذا انطوت على فضيلة الحرية والاستقلال وتأصلت في النفس وانتقلت بالوراثة عن طريق الدم الاصيل دون اختلاط الانساب ، ذلك بان اختلاط الدم بما يغير الخلق القوي ، وبالتالي عما يغير عناصر هذا الخلق ومن بينها العادات والعرف والنظم . فاذا ماتدهور الخلق باختلاط الدم تدهورت هذه العناصر ، أي تدهورت فكرة الدولة التي لا تخرج عن أنها فكرة نظام ، والعكس بالعكس تماماً .

علي أن هناك عاملا آخر من عوامل الاحتفاظ بالعادات القومية، وهو الحرص على الوسط الذي نمت فيه العادات القائمة على فضيلتي الحرية والاستقلال، أو خناق وسط يساعد على ذلك، أو وسط يرقى بالعادات الثبيلة .

ان البيئة تؤثر في الجسم والنفس تأثيرا عميقا، إذ هي تشكلها في صورة خاصة على مجرى الزمن، وهي صورة تجيء بمثابة تغيرات مضبوطة البقاء، لذاتيات للفرد ظروف ملائمة للتطبع بها، فإذا تمكنت هذه الظروف من أن توجد في النفس هذه التغيرات، استطاعت هذه التغيرات أن تتسلسل، ذلك بان سلطان الوراثة يحافظ بطبيعته، وهو يرمي دائما الى أن ينقل إلى الخلف طبيعة السلف كلها، سواء أكانت رقا الى الامام، أم تدهورا طبيعيا أم فكريا أم جثمانيا أم عقليا . . . الخ

فكيف نحافظ على أقوم العادات وكيف ننميتها ؟ ان أهم عامل من عوامل الاحتفاظ بهذه العادات وتنميتها بعد الكف عن اختلاط الدم الضعيف والعمل على اختلاط الانساب القوية هو خلق وسط ملائم لانماها، وأول وسيلة لذلك هي معرفة تاريخ الوطن لان تاريخ الوطن هو الوطن .

تاريخ الوطن هو الوطن

يتكون الوطن من تاريخ البلد مضافا الى الأرض والعادات والتقاليد، ولقد قال « إميل فاجيه » بحق « إن الوطن هو تاريخ الوطن، وإذا لم يكن المؤرخ وطنيا فإنه مع ذلك يبذر الوطنيين . » وقال الشاعر أو بينيه « رفات الشهداء بذور كريمة . » وكذلك ذكريات السلف التي دونت في بطون السكتب التاريخية هي بذور كريمة تنبت في البليد الطيب نباتا طيبا ولا تنبت في الخبيث نسكدا، فرجل اليوم مشدود إلى أسلافه بوثائق محكمة العرى ماثلة فيما يقوم به وهو متأثر بما وقع على عينيه من مراثي ومشاهدات وأعمال تجمعت في لوحة وضاء تهديه إلى اقتفاء أثر السلف وتقصى خطاهم .

ولقد يكون في الامكان الاعتراض على هذا الرأي بما ارتكب السلف من جرائم وما احتقبت من مثالب ونقائص ومعائب ومخازي لا تحمّل على حبههم ولا يحمل معها التعلق بهم، ولكننا نسمع هنا وحى الكرامة والهام العزة، ولانحس وخز

الالهانة ، وحز الجريرة ، لان ذلك الوحي وهذا الالهام يشرفان دائما على خطاة الانسان ومهما تخطاهما فانهما دائما أقوىام للحيلولة دون أن تنكشف الحقيقة التاريخية فتعجل بنورها نور الوطنية. فاذما أدت الكرامة والعزة واجبهما كان التاريخ حصانة الوطنية وشاحدها ومستثيرها ومضرم نارها باستمرار لاتعرف معه أوار ولا انطفاء ..

أفأنت تعلم أنك لاتذكر عن والدك الا محاسنه وفضائله مهما كانت علاقاتك به وصلاتك. فلم ذلك ؟ لأنه والدك ، ولأن احساس التضامن بينك وبينه يحور من تلقاء نفسه جميع عوامل الاساءة .

وكذلك الحال بالنسبة للتاريخ . فأننا نرى فيه محاسن السلف ومساوئهم ولكننا لا نتحدث الا عن الفضائل ولا نذكر الا محاسن الموتى اذا ما كان الأمر خاصا بالذكرى .

و أما المساوىء فأننا نتلمس لها المعاذير اذا لم نشأ أن نذكرها ، وقد نستند الى فعل الزمن ونفوذه ، ناسين أن الزمن ليس منسا ، ولا نحن منه ، مع أنه مجموعة الناس الذين عاشوا فترة معينة ، ولكن ما الخيلة وهذا هو مجرى الأمور ولا مناص معه من أن نلقى على انجاز تبعة السيئات التي ارتكبتها أسلافنا وان لانعول إلا على ما قدمت أيديهم من حسنات . وهذه الطريقة يقر التاريخ في أعماقنا على أنه عقيدة دينية مقدسة نحمليها شعارا لأجدادنا ، فاحساس تضامننا مع آباءنا هو الذي يمنع بنا على غير روية ولا تبصر الى ألا نرى فيهم غير الجوانب الطيبة والنواحي الخيلة وألا تبصر فيهم من هذه النواحي الا ما يضاعف احساس تضامننا معهم ، فالمسألة اذن فعل ورد فعل ككل حدث ،

فالتاريخ اذن اكبر محدث للوطنيين ، وكل شعب يغزو شعبا آخر لا بد له من أن يجعل همه الاكبر منصرفا الى اداء أقدس واجب عليه نحو نفسه ، وهو منع المغلوب من أن يتعلم تاريخ بلاده ، واضطهاد المؤرخين واعجازهم عن الاضرار به او شرائهم بشمن أغلى مما يساوون أو أرخص مما تقدر به قيعمة النفوس الكريمة وليس المؤرخ هو ذلك الرجل المكسب على تمحيص الوثائق واستقراء الوقائع وتحليل الاحداث لاستخلاص الحقائق من تحت أنقاض الزمن ، ليس هذا هو

الاختصاصى فحسب وانما هو أيضا ذلك الزعيم أو ذلك السياسى أو ذلك الصحفي الذى يصب الحوادث فى قوالها ، ويسن الاعمال فى صورها دون تشويه أو تزيف أو تمويه ، خالصة نقية كالطبيعة فى سيرها .

هذا أمر المؤرخين باختلاف أنواعهم ، أما الفلاسفة الذين يعترضون على الوطن والوطنية ويعادون فكرتهما فمن الواجب أن لا يكونوا مؤرخين حتى وإن كانوا قساة غلاظ القلب ، لأنهم يمتقون التاريخ ويصبون عليه اللعنة ، وإذا هم لم يقدموا على أن يلعنوه فانهم يلعنون على الأقل تاريخ الوقائع الحربية ، والمجازر البشرية ويتزلفون الى المؤرخين بأن لا يضعوا الا تاريخ المدنية ، وأن يحوها من كتب التاريخ التى تدرس للأطفال كل ما هو سيرة حربية . لأنهم فلاسفة سطحيون لم ينزلوا الى أى عمق من أعماق الفلسفة التى لا تجرى الا وراء الكشف عن الحقائق الخالصة ، ولذلك فهم لا يدركون أن تاريخ الفتوحات والانتصارات ودوى المدفع وأشرار قتاله فى جوف الاجواء ، وبريق الحراب ولمعان السيوف يفرغ الوطنية على قلوب الرجال والأطفال سواء بسواء كالنار يخ ذاتة وما يعمل بهذاته ولذاته ، كما أنهم لا يفهمون أن تاريخ عظماء الرجال يخفى العزة الوطنية والانفة القومية مهما كانوا ، وأن هاتين الفضيلتين يمكنان الايدى الوطنية من القبض على أقطع سلاح فى اللحظة التى يرون فيها الوطن الذى يعتزون به مهاجما فى شرفه ، مهددا فى طمأنينته وسلامته .

ان فلاسفة من هذه الفصيلة يرون بلا شك أن الواجب يقضى عليهم باضطهاد التاريخ ونفيه من حظيرة العلم حتى لا تبقى إلا الجغرافية مجردة من معالم الحدود والتخوم ، ولكن مما لا نزاع فيه أنهم لن يصلوا الى غايتهم والأرض دائرة حول الشمس ، وستبقى مهمة المؤرخين قائمة على بذر البذور الوطنية وإن كانوا مؤرخين حريين حتى تستمر العادات القومية فى سبيل النماء ، عاملة على تكوين الخلق القومى تكرينا استقلاليا لا يتزعزع امام الكوارث ولا تؤسسه المدهلطات ، ولكن العادات الحربية ليست وحدها هى العادات التى تصلح مقوما للاستقلال ، بل هناك التعود على درس الفنون والآداب وتحصيل العلم باستمرار .

الفنون والآداب

الفنون والآداب جزء من التقاليد والعادات والذكريات، ولهذا الاعتبار يتحتم أن تكون الفنون والآداب من العوامل المنشئة للوطنية، ولكن الواجب يقضى علينا أن نفرق بين الفنون والفنانين، فالفنون هي الوطنية أما الفنانون فلا، وبعبارة أوضح، أن الفنون جانب من الوطنية أقوى مما عليه الفنانون أنفسهم، ألا ترى إلى الطفل عندما يبلغ السن التي يستطيع معها أن يكون الإنسان وطنياً لا يفكر في أن يستحق تقدير الوطن بالفنون ولا في أن يخدمه بها، وإنما يفكر في أن يخدم الوطن ويستحق تقديره بالانخراط في سلك الجندية أو الالتحاق بالسلك السياسي، يعكس فنان المستقبل فانه لا يفكر إلا في فئة الذي أصبح وطنه دون سواء من الأوطان، أما الفنانون الذين أتقنوا حرفة الفن فان فكرة الوطن لا تستفزهم إلى عمق بعيد، إذ لم تقم هذه الحرفة ولم ترصد على أن تكون مكان الوطنية.

إن هذا الرأي هو من الآراء التي يمكن أن نضيفها إلى حساب الأدباء أيضاً، فانهم تعلمون أن «فكتور هوجو» كان وطنياً متطرفاً. أما «لامارتين» فانه كان تارة يعرف الوطن على النحو الذي أبنا، وطوراً يقول: «ان الامم كلة نغمة ضخمة تجمل بها الأقوال، ويعبر بها الناس بدلا من كلة بربرية، ويقولونها تفاديان أن يصارحوا العالم بأن لا وطن إلا للانانية والحقد، فوطن الرجل هو البلد الذي يعيش فيه ذكاؤه، ومواطنه هو كل من يفكر مثله».

وهناك الشاعر «الفريد ده موسيه» ألا تراه يقول نهر الرين الالماني، وطوراً يقول: «تسألونني عما اذا كنت أحب وطني؟ نعم وأحب اسبانيا حباً قويا وتركيا أيضاً». ودعك من «هنري هين» و«نيشه» فانهما قد أعربا عن العداوة الشديدة المستمرة نحو بلادهما.

ويقول اميل فاجيه: «ان السبب في ذلك هو أن الفنان العظيم أو ذلك الذي يريد أن يكون فناناً عظيماً يشعر في الواقع بأنه جزء من عالم يمتد إلى ما وراء حدود بلاده، إنه يحس أن له وطناً يسمى المدنية، فان كان اسمه «لامارتين» مثلاً فهو لا يستطيع إلا في صعوبة منع نفسه من التفكير في أنه أقرب إلى «جوته» منه إلى «الصانع المحدود الفكر والذكاء الذي يقيم بجواره ويعجز عن أن يفهم «لامارتين» وفي أغلب الاحيان يكون هذا الفنان موضع تقدير في البلاد الأجنبية منه في بلاده

كما كان شأن « هنرى مين » ، و « نيتشه » ، وإذن فقد وجب عليه أن يكون متحلياً
بفضيلة خاصة حتى لا تتوتر علاقاته مع أهل وطنه إن لم تنقطع ،

ولكن مهما كانت فكرة هؤلاء العظماء من ناحية الوطن ، ومهما كانت
علاقاتهم به فانهم فى طليعة العاملين على تكوين الوطنية والوطن ، وصيانتهم
واستمرارهما وخلودهما ، فمن عظمة أعمالهم وعزتها يستمد الخلف عظمته وعزته .
ومن أعمالهم يمكن تلقيح الأجيال المستقبلية بحب البلاد وشحن هذا الحب
واضرار ناره .

نعم إن الفنانين والأدباء من العاملين على خلق الوطن . فلقد كانت أغلبية
شعراء إيطاليا وفنانها فى القرن الرابع عشر والخامس عشر بعيدين عن أن يفكروا
فى وحدة إيطاليا . ولكن إيطاليا كانت فى أعماقهم وحدة قوية . ولا مناص من
أن تأتى اللحظة التى يجب على الشعب أن يعرف فيها قيمته من الوجهة السياسية
مادام ان هذا الشعب قد وجد واشتهر فى العالم أنه شعب آداب وفنون ، ومن أقدم
الشعوب مدنية ومجداً ، وإذا كان عهد إحياء العلوم والفنون قد حمل فى أعماقه فكرة
بعث إيطاليا لأنها كانت ربة الفن والشعر . فان العهد المصرى الحاضر يحمل بين
جنباته بعث مصر على أنها كانت المدنية وكانت النور وكانت العلوم والفنون قبل
أن يعلم البشر شيئاً من كل ذلك .

العلم

أما العلم والعلماء فشأنها شأن الفن والأدب والفنانين والأدباء . وإذا أنت
استثيت مخترعى الآلات الحربية الجهنمية استطعت أن تقول بأن لا أثر لذلك
العالم الذى يتابع البحث ، ويتابع البحث وراء اكتشاف وهو يفكر فى الوطن ،
فالعالم فى هذا الموقف لا يفكر إلا فى اكتشافه أو اختراعه . فهو إذن لا يفكر
إلا فى العلم دائماً . وقد يفكر فى المجد قليلاً . وحبذا لو استمر الامر على ذلك .
لان من مصلحة الوطن ، ومن الواجب ، أن يكون البحث العلمى نزيهاً . وأن
يكون العالم ولو عابثاً . سامياً بعمله عن المنافع . فإذا توافر هذا الشرط يمكنه
أن يبحث عن كل شئ أو عن أى شئ . قل أو جل . بما يلوح أنه يدعو للبحث

في تشوق وتوقد حتى إذا ما أدركه أطفأ ظمأه اليه ، دون أن يبحث عن أشياء قريبة المنزل ، مدرة للارباح وفاق الآمال .

لقد تم الكشف عن نظرية الملاحظة قبل تطبيقها بألف سنة . وإذن يكون العلماء قد بحثوا عنها لذاتها لا لنتيجتها . لأن العالم يقول دائماً وهو يبحث : النتيجة تأتي فيما بعد علي الراجع جداً وقد لا تأتي أبداً . وهذا أمر لا نعبأ به مطلقاً لأن المعلومات جميلة بذاتها ،

فهما كان العالم وطنياً فانه لا يفكر أثناء اختباراتهِ في مصلحة بلاده ولا يعنيه وطنه الا قليلاً جداً . بل هذا نادر جداً كما كان شأن « باستور » ، ولكن على الرغم من ذلك فان العلماء كالنحاة والادباء والفنانين ، ممن يخلقون الوطن ، فاذا سمعت فرنسيا يقول أنا فرنسي كان تفكيره متجهاً ومنصرفاً الى أنه مواطن « برتيلو » و « باستور » بقدر ما هو منصرف الى أنه مواطن « فكتور هوجو » و « كورني » بل ربما يكون تفكيره منصرفاً الى العلماء أكثر من انصرافه الى الادباء ، لان العالم اذا لم تقض خطواته الى نتائج عملية بالتعيين فقد يحصل أن يدرك نتائج يذهل بها الناس ويثير عاطفة الاقرار بالجميل إثارة عميقة قد لا يحشد عمل أدبي جليل القدر .

لقد أذاعت احدى الصحف الفرنسية في القرن الماضي مسابقة عن العشرة الاول بين عظماء فرنسا في القرن التاسع عشر ، فكان « باستور » هو الاول بتفوق عظيم على الثاني أما « شاتوبريان » فانه جاء فيما بعد بمراحل .

ولقد أدهش ذلك الواقفين على أسرار الحياة الفرنسية في ذلك القرن ، ولكن الجمهور قد اعتمد على الذوق السليم عند ما حكم باستبعاد الشهاد اجتناباً للزاية بهم اذا ما أحلهم مرتبة قد لا تكون متفقة ومنزلتهم .

وإذن فها كان الأمر فان العلماء من العوامل التي لا تزال قوية فعالة في خلق الوطنية وتدعيمها ، فعظماء الفنانين وكبار العلماء يساعدون هذه المساعدة المنتجة الفعالة في عمل لا يتحمسون للتعليق به وقد لا يفكرون فيه أحياناً . ولمعرك أن هذا الموقف من جانب هؤلاء الفنانين والعلماء لمن أغرب النقط في علاقات الجمهور بخيار الرجال وأولى الرأي .

انا نرى بوجه عام ، ومع الاحتفظ الضرورى فى مثل هذا المقام ، أن أولى
الرأى وخلاصة الازدهان لا يشعرون بانفسهم وسط الجماهير ، على تقيض الناس ،
لانهم لا يرون جذوعهم ممتدة متغلغلة فى الجماهير ويحسبون أنهم بمعزل عنهم .
أما الجماهير فليس لهم فكرة واضحة عن النظام الارستوقراطى الذى تريد
الطبيعة أن يكون عليه النوع الانسانى ، فهم لا يقولون أن النوع الانسانى
يعيش من أجل البعض كما أنهم لا يتصورون أن العلماء هم الذين انتزعوا الانسانية
من بين أنياب الطيور الجارحة وعلوها كيف تتغذى بالخبز وامتدوها بالمساكن
الخ . ولا يقولون ان الفلاسفة هم الذين وهبوا الانسانية قواعد الحياة الصحيحة
العادلة ولا يدركون أن الفنانين هم الذين سلحوها باقوى عدة لمقاتلة أخطر
الكوارث وأشدّها فتكا . وهى كارثة الملل التى تصيبنا بين آونة وأخرى . ولا
يعلمون أن هذا هو النظام الارستوقراطى الطبيعى الذى لا مناص من وجوده ولا
بد من خلوده . وإذا ما حاولت الانسانية أن تتقذ نفسها منه كان لا معدى لها عن
أن تتردى فى هاوية عميقة القرار .

إن الجماهير لا يقولون كل ذلك ، ولا يعلمونه ، ولا يفهمونه ولا يدركونه ، ولكنهم
يحسونه بطريقة غامضة ، فهم يفتنون بالقوة ويجربون بها كأنها من عوامل السحر
التي تذهلهم وتغنيهم بقوتها عن عقولهم ، ونراهم يقدسون اخسنيين للانسانية وبخاصة
إذا كانوا من أبناء الأمة التى ينتسبون اليها ، ويميلون فى نوع من النشوة الى من
يرون أنهم منقذو البشرية ، وبخاصة اذا حلوا أسمائهم وعاشوا فوق أرضهم وتحت
سمائهم وتكلموا لغتهم ، ومثوا اليهم بعادات وأوهام واحساسات تكونت منها
أخلاقيهم

والخلاصة أن رابطة الفن والعلم قوية جداً . حتى لقد رأينا «جوته» ذات مرة
يقف أمام كاتدرائية ستراسبورج صائحا : ان هذا ليس هو الفن المعارى الغوطى ،
ألا إن هذه تسمية لامعنى لها ، ولكن هو الفن المعارى الالماني . الفن الذى اخترعه
الالماني ، ومن الواجب أن نسميه دائما : الفن المعارى الالماني فى هذا العمل
الفنى قد وجد أجدادنا خيرة الوطنية . والجماهير تحذو هذا الحذو ، ولذلك

فانهم يشعرون بان الاعمال الجميلة التى خلقها الآباء تراثا لهم ليست الا الرابطة المتينة التى تربطهم بالوطن فى غير انفصام .

على أنه اذا كانت العلوم والفنون والآداب جزء من العادات والذكريات التى تدعو العناية بها الى خلق وسط يحافظ على أنبل العادات المعتمدة من مقومات الاستقلال فان هناك عادات أخرى اذا عنى بها أدت إلى تربية تريد الخلق القومى نماء ورقيا، وبالتالي أدت الى أن تكون العادات من مقومات الاستقلال حقا . ونريد بها عادات الاعياد والذكريات القومية ذات الأثر العميق فى التربية الاستقلالية .

الاعياد العامة

والتربية الاستقلالية

إن الاعياد العامة من أسباب تربية النفوس على المبادئ المؤدية بالاخلاق الى أن تقوم على أسس قيمة خالدة مقدسة ، توحى للرجل ذلك الاحترام الدينى نحو الرجل وتلهمه الشعور بالواجب كفالة للرفاهية الاجتماعية ، وتعيذه من شر الفساد وتوجه التربية العامة فى سبيل يطبع الرجال بأجل السجاي وأفضل المناقب التى تتفق ونبل مقاصد الأمة ، وتلائم وشرف مبادئها ، وتنطبق وسمو المصير الذى ترمى الى تحقيقه .

إن الضرورة العامة تتطلب توجيه التربية فى هذه السبيل ، لان الغرض من التربية أن تكون شائعة بين الجميع حتى لايتكون أفراد وانما يكون وطنيون ان للوطن وحده الحق فى أن يربى أبنائه ، وهو لا يستطيع أن يعهد بهذه الوديعة الى الكبرياء العائلى . ولا لأوهام الخاصة . لان فى الكبرياء . وفى الاوهام الغذاء الضرورى لنماء الاستقرائية . كما فيها وسائل محدودة لتربية تبعية معينة وخضوع محدود . كلاهما يؤدى الى انكماش الروح وتضاؤل النفس بسبب العزلة ومن ثم الى انهدام المساواة مع أسس النظام الاجتماعى . ولدرء هذه الاخطار يجب أن نفكر فى اقامة الاعياد العامة ، لان نظام هذه الاعياد جزء جوهري من التربية العامة .

ان اجتماع الخلائق يقضى حتما الى اصلاح احوالهم . فالانسان قد جبل بطبيعته على أن يعمل كل ما يحتمل الناس على الاعجاب به، مهما كان دميما فظا . ولا يمكن أن يكون موضع اعجاب الا اذا هو فرض على الناس احترامه . فاذا أنت جعلت أسباب الاجتماع أدبية وسياسية استطاع حب الاعمال الشريفة أن ينفذ الى النفس . معتزنا بالغبطة والسرور والمرح . ولا جدال في أن كل هذا من مستلزمات الاجتماعات العامة

ان الانسان أعظم شيء في الوجود . وأبهى منظر من المناظر . فكيف بك إذا رأيت منظر شعب كبير ضخم ؟

لقد تكلموا في حماسة فياضة عن أعياد اليونان القومية . مع أن موضوعها لم يكن قط غير مباريات تسطع فيها قوة الاجسام . وتلمع فيها المهارة . واذا اتسع مجالها خطرت فيها عبقریات الشعراء . وترددت في جوانبها فصاحة الخطباء البلغاء غير أن فوق هذا وذاك كنت تجد في هذه الاعياد بلاد الاغريق نفسها . ولذلك كان المنظر أكبر من مناظر اللعب واللهو . فالنظارة كانوا يمثلون الشعب الذي غلب آسيا وظفر بطغاتها . بعد إذ رفعته الفضائل أحيانا فوق مستوى الانسانية بينما عظماء الرجال الذين أنقذوا الوطن فخلدهم الوطن كانوا كالشموس فوق هامات المجموع .

لقد كان الالباء في هذه الاعياد يوجهون أنظار أبنائهم الى « ميلتياد » و « أرستيد » و « ايامينونداس » و « تيمبليون » الذين كان حضورهم هناك درسا حيا في الوفاء للوطن . والولاء للكرامة ، والا كبار من الشهامة . والحرص على العدل . وإنصاف الوطنية .

فهل لا يسهل على الشعب مرح كالشعب المصرى أن يجعل الغاية من احتفالات كهذه أبعد وأسمى شأنا ؟ الا أن نظاما جديا لأعياد وطنية لما يوجد بلاربأماكن ادعى الى توثيق عرى الاخاء واستعادة النشاط وتجديد دم الشباب . ليسكن لنا أعياد عامة وأخرى خاصة . ولترم جميعها الى غرض واحد ، هو التوفيق بين المشاعر العامة التي هي في الحقيقة روعة الانسانية ، وزيتها وبهاؤها ، ومصدر حماسة الحريات الشعبية ، وواسطة حب الوطن ، واحترام القوانين .

ولتسكن ميادينها حلبات تنصب فيها اللعنة على ذكريات الظالمين ، ولتقم فيها باداء
جزية الشكر والاعتراف بالجميل لذكريات حماة الحرية النوادين عن الانسانية ،
ولتستمد هذه الاعياد قوتها من الحوادث الخالدة في تاريخنا ومن الشئون العامة
التي يقدسها القلب البشري ويعزها ، ولتمثل في هذه الاعياد جميع خصال الطبيعة
وفضائلها ، ولتفتحها بدعام المتعم الجبار أن يرفع الغشاوة عن الاعين ويهدي
الضالين الى السكراة وحقيقتها ، ومعنى الشرف وصحته .
فلنختار اذن من شئونها العامة أعياداً .

وانخاع على واحد منها اسم الحرية حتى يكون لنا منه اسمى وأجمل أعيادنا .
وهو عيد ابنة الطبيعة ومصدر السعادة والرفاهة والهناء ، تلك الابنة التي سادت
سيادة شرعية فانزاتها الجريمة عن عرشها ، وخلعتها ملكها ، وجردها العدو من
امبراطوريتها وملكها . ستشاطر بهذا العيد ذكرى ضحايا هي وزميلتها المساواة
المقدسة قسّمدان من هذه الذكرى قوة وقوة وشبابا

ولا يغرب عن البال أن الواجب يقضى بان يقوم الى جانب هذا العيد عيد
آخر نحتفل فيه بالانسانية ، الانسانية التي دنست ، وبالاقدام ديس . وسيكون
يوماً مذكوراً مشكوراً ذلك الذي نحي فيه عيد النوع الانساني . انه سيكون
الاحتفال الاخوي المقدس الذي يقام تمجيداً لانتصار الشعوب على أعداء الوجود
البشري . وتدعى اليه الاسرة العالمية كي تحتفل بيوم الدفاع عن الشرف والحقوق
التي لا تسقط بالتقادم .

ثم لنحتفل بذكرى العظام ، إلى أي شعب انتسبوا ، وفي أي عهد دظفروا .
ها دامت بطولتهم قد انحصرت في انقاذ أوطانهم من نير العتاة المستبدين ، واقصر
عدولهم على أن يقيم صرح الحرية بقوانينهم الحكيمة ، ولندكر في هذا العيد ضحايانا
الذين راحوا فداء الوطن ، نعم اتنا لن ننسى من جاهد في سبيل انقاذ الوطن ومن
يستطيع أن ينسى أبطال الوطن ؟ إن مصر مدينة لهم بيقظتها ، والشرق مدين لهم
بنهضته ، ولن يتأخر العالم الشرق عن أن يحتفل بذكراهم ، ويشيد بأرائهم التي
تتمتع اليوم بأثارها ، وننعم بشمراها ، فكم من وقائع بطولة اختلطت بسلسلة
الاعمال المجيدة التي تمت في سبيل الحرية والتحرير . كم من اسم جدير بأن يدون

في سجل التاريخ الذهبي قد بقي غارقاً في غيابات الجهل وظلمات النسيان، فيما أيتها
الأرواح المجهولة المقدسة، إذا عازتك الشهرة فلن يفوتك اقرارنا لك بالجميل في
حنو ورحمة .

فليروع الظالمون ، ولتزلزل أقدام اعداء الحرية ، إذا ما جاء ذلك اليوم الذي
يحج فيه المصريون إلى قبور شهدائهم الصادقين في استشهادهم ، وضحاياهم
المخلصين في تضحياتهم ، كي يقسموا يمين الطاعة لسيرتهم، والولاء لخطتهم . والبر بما
قطعوا على أنفسهم من عهود حالت المنية دون استكمالها ، أو وعود قضى الموت
بالتفرقة بينهم وبين انجازها .

ان التاريخ شاهد عدل على أن جميع الفضائل تتسابق إلى أن تزعم أعيادنا .
فليكن لمصر اذن عيد مجدها ، مجد الذين حرروا العالم أو أناروه أو عززوه .
وعذروه وعزوه ، لا مجد الذين اجتاحوه واضطهدوه وأذلوه ، مجد الذين كانوا
بعد الوطن موضع تقديس القلوب الطاهرة الكريمة والأرواح الزكية السامية .
ولكن علينا قبل أن نقيم جميع هذه الاعياد أن تحتفل بعيد أجل من كل هذه
الاعياد أثراً وأبعد منها وقعاً ، وأشد استغرازاً ، وأقوى استنهاضاً ، وهو عيد
المصائب والشدائد !

أن العبيد يعيدون الثروة والجاه والسلطان من دون الله ، أما نحن فانبأ نريد
أن نكرم المصيبة ، تلك القوة التي لا تستطيع الإنسانية أن تقصها عن حظيرتها
حتى لتراها تعزبها في احترام ووقير ، وتسليها في احتشام وتكبير .

فيامن جمعت فيما مضى ، ولا زالت تجمعين بين الابطال والحكام ، يا من
أحكمت فيما مضى ولا زالت تحكمن الصلة بين الأصدقاء ، ولم يعرف عنك الاشرار
الذين وثقت الجريمة صلاتهم إلا انك سراب خداع يؤثر بأكاذيبه ، وبغور
بسخره ، انك ستكونين موضع التكريم لتستردين في مضر عظمتك وسلطانك ،
فسلطان المصائب سر نهوض الشعوب ، وعظمة الكوارث معنى جلال الوجود .
بل وسنقيم لك هيكلًا في كل صدر ، ومنبحًا في كل نحر ، ومعبدًا في كل قلب ،
لتكوني إلى الروح أقرب ، وإلى مكن تردد الانفاس أد . وانجب .

ولماذا لا نكرم إلى جانب المصائب الحب الطاهر الكريم ، حب الاسرة .

وحب الوطن وحب الدستور ؟ إن عيداً كهذا هو عيد عظيم ، ففيه ترى المدافعين عن الوطن الذين امتازوا بجرأهم ، وقازوا بأسمه البطولة في جهادهم .

انه عيد سيضم الشيوخ الوقورين ، الذين ستطمئن قلوبهم للتمهيد لسعادة مستقبل أبنائهم واحفادهم ، وتتعزى بذلك نفوسهم عن طول حياة قضوها تحت نير الاستبداد داخل السجون الذهبية !

انه عيد سيشهده هؤلاء الابناء تلاميذ الوطن الناضجين الذين ستتموا مداركهم وتقتل سواعدهم وتتزعزع أجسادهم حتى يكوّنوا لمجد الوطن عدته ، واداة جنى ثماره !

وسيكون في هذا العيد سيداتنا اللواتي حمل ازواجهن وأبناؤهن أسلاب النصر على أكتافهم ، بقايا من الاغلال والاصفاد ، وركام من الذل والاستعباد .
فيا أيها السيدات المصريات أغرزن الحرية التي يشتريها أبنائكم وأزواجكم بثمن غال : جهود قوامها الأنافس والأموال والثمرات ، واستخدمن نفوذكن في تدعيم سلطان فضائل مصر الحرة المستقلة .

يا أيها المصريات ! انكن جديرات باحترام العالم وولائه وأماتته ، فأى شيء تنازعن فيه أهل اسبرطا وقد أنجبتن أبطالا شداداً جعلتن منهم خداما للوطن أشداء يربطهن به وثاق لا يقطع إلا أن يكونوا فداءه وفداء حريته واستقلاله ، فزدادن هذا الوثاق إحكاماً ونهاه

ألا إن الويل لمن يحاول اطفاء هذا الحماس السامى : أو اخماد غريزة الفضيلة التي تدفع إلى تحقيق أبيل الأعمال بيت النظريات المؤسدة ، والمبادئ الفاسدة الخذولة ، وما على الرجال إلا أن يعملوا لنصرة الفضائل والحقائق ، عليهم أن يسكتوا الأصوات التي ارتفعت في صخب عريدهم تشرد جاهل لنشر الظلام ، وتسويد أشأم خضوع على عزة الانام ، وأعلاء شأن الشر على مستوى الخير ، وإلا فإذا نسكون إذا لم نؤت الشجاعة الكافية لمجابهة الباطل وهدمه والنموض بالحق ورفع عليه . ان الأجيال المستقبلية لن تظن ان مخلصي اليوم كانوا موضع مقاومة صادقة ، أو سخيرية جديده ، أو تهم مشينة صحيحة . ولكنهم سيوقنون بان الباطل قد ران على قلب العصابات التي حالفت الزمن والفكرة على تشتيت

جند الوطن ، وإبادة وقتهم حتى جددت هذه العصابات تهم المخلصين بالاعتدال والجنون لأنهم ذكروا الناس بسر الخلود وحكمة البقاء في عالم الأحياء وعالم الأموات .

ان الخلف إذ ما اطلع على هذا السر ووثق به يستطيع أن يقضى بأننا لم نرجع بالعقل البشرى قروناً الى الوراء ، وانما سيعتقد اعتقاداً جازماً بأننا قطعنا به مراحل الى الامام ، وأشواطاً في مجال الرقى على نفى هؤلاء الجبابرة الذين جعلوا طوال حياتهم العقيمة يشحذون خناجرهم الدنسة ليغمدوها في صدور الضعف ، ثم للشرك بالوطن وما الشرك بالوطن الا من الشرك بالله .

ان جميع السقهاء قد جعلوا وسيجعلون كل من دافع عن حق بلاده في اخلاص ونبل هدفاً لسخطهم ومقتهم . فلا عجب اذن ولا دهش اذا تحالف جميع أعداء الوطنية علي أن يعدوا السم للخدام الابرار . ولكن الواجب يقضى على هؤلاء بانقاذ الوطن قبل أن يتجرعوا هذه الكأس . فالسفينة التي تقل حظ الامم لا يقوى الغرق على ابتلاعها ، انها تسير في رعاية الشعوب ولن يبلغ كبرياء العواصف منها الا أن يحنى الهام أمام مقدمها احتراماً للشعب . وتمجيداً لمجدوده

فليقف جميع الوطنيين اذن في موقف العدالة هادئين مطمئنين ، لا ترزع عنهم الحوادث ، ولا تقل قواهم هجمات السكوارث ، وليأثروا على اشغال نور التبصر وليدأوا علي ايقاظ شعلة الضمير العام ، وليزججروا فوق رؤوس المجرمين قاذفين صواعق الغضب علي جميع صنوف الاعداء المتراصين . وليدلوني بعدئذ على ذلك الذي يجرأ على أن يرفع صوته لينال من جلال الشعب الهضيم في أشخاص رجاله العاملين المخلصين بعد اذ تستحيل هذه العادات النبيلة خلقاً يحفز الشعب الى المعالي مواطن الشرف والكرامة .

واذا سار شعر في سبيل اخضاع النصر له فليعلم أن يطمر النقص في أكفان الفناء . لأن أعداءه ، انما هم فسددة الأخلاق ، ضعفاء النفوس . أما أصدقاء الوطن فهم الاتقياء الصالحون كرام النفوس الذين يقدرون الأخلاق الى الحد الذي تقف عنده المعاني الصحيحة لهذه الكلمات . فتحطيم هيكل الاستبداد ضئيل الأهمية اذا قيس بما يجب نحو حمل أعداء الوطن على احترام خلق الشعب . وعيشاً نحاول

اعلان العالم أننا نقدر الحرية ونجل الاستقلال، اذا استمرت الشهوات تمزق احشام الوطن . ولنحذر بنوع خاص نشوة النجاح الابتدائي . ولنكن صاعقة في أيام الشدائد والحن ، متواضعين ساعة النصر والظفر ، ولنبث دعائم السلام والرخاء فيما بيننا بالحكمة وتحكيم الضمير ، فهذا هو الغرض الصحيح من أعمالنا التي تتبعنا اتمامها وفاق الاسس التي وضعها شهداؤنا ، فكانت هي الرسالة القائمة على بطولتهم الصادقة التي اكتسبتها الصعاب من كل ناحية وأحدثت بها الأخطار من كل صوب اننا نستطيع أن نؤدى شيئاً من كل ذلك اذا اقتدينا بالشهداء الصالحين الانقياء فانهزم اذن أمرنا ولنسر على بركة الله ولنجعل من عيد ذكرياتهم عادة ترسخ في أعماقنا وتصبح مع الزمن خلقاً يهيئ لنا وسطاً محافظاً على الرقي ودوام استمرار شعلة الوطنية متقدة حتى تبقى العادة من مقومات الاستقلال

لقد رأينا أن الفنون والآداب والعلوم والذكريات من العادات التي تخلق وسطاً طيباً لنماء الخلق القومي ورفقه في اتجاه يحفظ الاستقلال والحرية من عبث أعداء الدولة بها، واذن فهذه العادات هي مما يحاربها أعداء الوطن حتى يتساقطوا عليه ويخضعوه ، ولذلك حق علينا أن نعرف مهمة عدو الوطن تأقمامها .

مهمة عدو الوطن

ان المستبد لا يجد أمامه من سبيل لاقلاع فكرة الوطن واستئصال جذوع الاستقلال من نفوس أية أمة الا أن يمحو علومها وآدابها وفنونها وتاريخها وذكرياتها وآثارها ومؤرخيها ان استطاع الى ذلك سبيلا ، حتى لا يبقى بعد ذلك من عناصر الوطن ومقومات الاستقلال الا الأرض التي لا يقوى علي إبادتها مهمة عتا وتجبر ، غير أن خطر الأرض وحدها لا يكون عظيماً لأنها لا تثير في النفوس غير الاحساس الوقتي الذي يلهمه الوطن الصغير ، احساس القرية أو الاقليم على الأكثر .

ان مهمة القضاء على الوطن والوطنية بإبادة جميع العناصر المكونة لها هي مهمة

شاقة ، ولكن المنفق عليه أن يكفي لحق الوطنية إبادة عامل واحد من تلك العوامل كعامل اللغة مثلا .

فلو أن عدو الوطن تمكن من اقناع الشعب بأن الأفضل ألا يكون المتعلمون إلا آلات حكومية ، وأن زيادة عدد المتعلمين يضر بالبلاد ضررا بليغا حيث يخرجه عن مصيرهم الطبيعي ويجعل منهم أداة اجرام وبغي ، ولو أنه تمكن من أن يقنع الشعب بأن التفوق العلمى مناقض للديموقراطية وخطر عليها ، أو لو أنه توصل على الخصوص لأن يقنع الشعب بأن الرجال الغابرين كانوا قد دهوروا احساسهم الدينى ، أو أنهم كانوا جميعا بلهاء سخفاء لا فن لهم ولا أدب عندهم إلا ما استعاروه من اللغات الأخرى دون أن يكون لهذه الآداب صلة بالوطن أو قوة تصاب بها عودها أو حياة تدفعها في سبيل النماء ، لتقطعت الصلة بيننا وبين الوطن ، ولا حمرت وجرحنا خجلا عند ذكر آبائنا عوضا عن أن نفاخر بهم وبالاتساع اليهم والعمل على احياء ذكراهم والعناية بآثارهم ، ولكننى ذلك لجعل الشعب أهلا لان يغزوه شعب آخر بدافع هذه المشاعر المنحطة التى تطفى العزومات وتثير الارادات ، وتسحق القوات ، اذا قدر ولم تتهب الشعوب ذلك الشعب المنحط وتوزعه أسلانا باردة فيما بينها .

وطنى رغم الصعاب

والشددائد

ان هذه الوطنية التى تتألف من الذكريات والتقاليد والرغبة فى أن تمر التقاليد منا الى من يلينا وبأقنى فى خطانا هى التى تمكن لحب الوطن فى الاعماق حتى وان كنا لا ننجبه . أقبل سمعت فى هذه الأيام ذلك المصرى الذى كان يفكر ويحس معا عندما قال : « انى لا أحب مصر ، وكيف أستطيع أن أحبها وهى تأبى العمل بأفكارى المتقدمة لها ، وتحقر كل ما لدى من مشاعر وتزدرى كل ذكرياتى المقدسة وذكراتها المقدسة ، وتسمى الى تاريخى المقدس الى تاريخها المقدس » . وتطفىء سطوع مجدى الابلج ، وسطوع مجدها الابلج ؟ كيف أستطيع أن أحبها وهى تمقتنى ؟ انى أرتد أن أسمو بهذيب ذكائى وتدريب عقلى بالعلوم والمعارف والكلم والجدة

في سبيل التخلق بخلق يرتفع عن المستوى العادى ، ولهذا السبب أراها تبغضنى، كأنها آلت على نفسها أن تزاول مهنة أخص خصائصها احتقار كل تفوق، وكل علو وكل سمو ، وأبرز ميولها كراهية كل من يرمى إلى أن يكون فوق المتوسط، وكيف أستطيع أن أحبها أيضا ، وهى لا تحب نفسها، وتتنازل عن وجودها وتهتم كيانها ، وتحطم هيكلها أو تتخلص من حياتها ، وتسحق كرامتها بأقدامها ، ولا تريد أن تتمسك بالبقاء كما يجب أن يكون بأن تحتفظ بالخلود الذى رسمته لها الطبيعة وأستنه لها أبنائها الاقدمون ، بل تريد أن تكون شيئا آخر غير مصر التى عرفها التاريخ وعرفتها التقاليد وعرفها الدين واللغة والفن والعلم ، إذ تريد أن تكون خارجة عن الانسانية وعلى الانسانية ؟

ان الوطنية يا أخى في بلد لا وطنية له، وحب الوطن الذى لا يشعر بأنه وطن ولا يريد أن يستمسك بأن يكون وطناً هو تناقض . ومع ذلك فاني أحب هذا الوطن وأرتبط به ارتباطاً وثيقاً ، وان نفسى لتحدثنى بأن أمزقها إذا هي حاولت أن تتجنس بجنسية غير الجنسية المصرية أو أرغمت على ذلك ، فلم هذا ؟ ذلك بأن مصر ، مصر القديمة المترامية الاطراف فى بطون التاريخ ، وفى جوف ما قبل التاريخ ، مصر هذه المتغلغلة فى الوجود بمدنيتها ومجدها وفتوحاتها وعزتها وشمسها وعبوديتها وذها واصفادها ، شأن كل أمة عريقة ، مصر هذه التى أنقر بها وأرفع الرأس عالياً اذا ما ذكر اسمها ، قد استقرت فى أعماق بقضها وقضيضها ونفيت فى انسجتي دمها ولحمها وروحها ، وربطت بها رباط الامومة والبشوة وجعلتني أحمل اسمها ، وأتكلم لغتها وأدوس أرضها فى احترام واكبار ، وأرفع فوق الرؤوس علمها رمز حضارتها ونبلها وخمسها وزرعها وسلامها وطمأنينتها. فاذا أنا استنكفت أن أكون مواطناً لزيد ، أو اشتمزت بنسى من أن أفب زميلاً لمعبد ، إلا أنى أشعر بالسعادة والراحة والهناء هو الاطمئنان الى أطيّب مصير إذا ما مر بخاطرى أننى مواطن شهدائها الإكرمين الاعزاء .

لهذا يكون الانسان وطنياً رغم العوائق التى تحول دون تحقيق أفكاره الصحيحة الصادقة ما جمع بينه وبين الوطن وحدة اللغة والدين والعادات ، مقومات الاستقلال بوعداثته .

أما وقد اتممتنا بحث اللغة والدين والعادات على اعتبارها عناصر الوطن والوطنية، وبالتالي من مقومات الاستقلال، فيجدر بنا أن ننتقل الى بحثها على انها من عناصر القومية حتى نجدها كذلك.

القومية

ليس المراد هنا بالقومية ذلك المبدأ القانوني المعروف باسم الجنسية. وإنما المراد هو كون المذهب ومحل الإقامة وعادات الحياة والعقليات الاجتماعية عامة مشتركة. وهذا ما وضعه منشيني، في صيغة صحيحة لأول مرة في محاضراته الشهيرة التي القاها في تورينو سنة ١٨٥٣.

لقد رأى منشيني، استاذ القانون الدولي سنة ١٨٥٣ ووزير الخارجية الإيطالية فيما بعد، وجوب تكوين الدولة على أساس طبيعي هو الأمة، أو القومية إذا أردنا أن نتحرى الدقة في التعبير، ومن المعلوم أن ما يمتاز به القومية هو توافق الدين واللغة والجنس، وما الجنس الا طبائع تألفت من عادات.

ان هذا التعبير ينطبق على إيطاليا تمام الانطباق، حيث اللغة والدين والجنس تتعاون تعاوناً عظيماً على تكوين الوحدة، ولكن كيف نعول على هذا المقياس الثلاثي لاحظنا أن بعض الدول من أوتوا ضميراً سياسياً عميقاً، واستقلالاً لا تشوبه شائبه بسراً مثلاً، قد تكونت دولة مع أن اختلاف الدين وتشعب اللغة وتباين الأجناس لم يحل دون هذا التكوين، بل دون هذه الوحدة الفعلية الصحيحة التي لا يتطرق اليها تفكك ولا انتساب اليها زعزعة؟

إذن يجب أن تذهب بعيداً بالمعنى الذي قصد اليه منشيني، فإذا كان هذا السياسي الفيلسوف قد رأى القومية حيث تكون وحدة اللغة والدين والجنس فذلك يرجع إلى أنه كان يعلم تمام العلم أن قيام هذه الوحدة الثلاثية لا يكون إذن اجتماعاً لذاته، ولذاته وحدها، وإنما هو اجتماع للتدليل الخارجي على اتحاد المشاعر.

لقد جامت نظرية القوميات في القرن التاسع عشر لتحل محل مبدأ الاعتماد على السيادة وهم كيان استقلال الدول تحت ضغط مطامع الأقوياء الذين

وضعوا نظرية التدخل

لقد خلع العصر الذى تلا سقوط نابليون على الدول العظمى صفة تقرير مصائر الدول الصغيرة والتدخل فى شئون غيرها من الدول ، وهذه فكرة قد شعرت الدول الصغيرة بثقلها ، حتى بعد أن عفت آثار نظرية المشروعية . ونعني بها فكرة جماعة الدول الأوروبية Le Concert Européen التى خلقتها نظرية القوميات

لاحظ د. ده مارتنس ، فى كتابه « القانون الدولى » ، أن « مدام ده ستال » هى التى وضعت صيغة نظرية القوميات لأول مرة ، إذ رأت أن من الواجب أن تنطوى كل دولة على شعب ولغة وعادات وعرف ، ولسكن حوادث سنة ١٨١٥ التى افتأنت فى كثير من الأحوال ، وبطرق عديدة ، على الأساس القومى عند كثير من الشعوب ، لم تقو على نحو فكرة القومية التى ولدت خلال الثورة الفرنسية . بل إن هذه الفكرة التى قامت الى جانب الجهود التى بذلت فى سبيل وضع الدساتير والاعتراف بسيادة الشعب ، كانت عاملاً من العوامل التى عاونت على هدم نظرية المشروعية فى أوروبا ، غير أن مبدأ القومية لم يحتل مكانة مبدأ المشروعية فى الميدان السياسى إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، رغمًا من نفوذه فى الحوادث السياسية التى وقعت فى النصف الأول من القرن المذكور ، فهذا المبدأ الذى وصل الى الذروة قد عرف أن يكون له السبق على كل المبادئ السياسية بفضل ما اكتسبه من حول وقوة وسلطان فى جميع أنحاء أوروبا عن طريق اضرام الحماسة فى نفوس الشعب جميعا ، حتى لقد رأينا نابليون الثالث باقى على عاتق نفسه رسالة خاصة بالتعاون فى سبيل نصرته هذا المبدأ وإعلانه كوكبا هادياً للسياسة الدولية ومرشداً تنقضى الأمم الحية خطاه .

لقد نجحت نظرية القومية فى اليونان وبلجيكا ، ثم أشعات البلقان ، ثم انضمت قذائف حروب القومية فى المجر وإيطاليا والمسانيا .

كان بناء أوروبا على قاعدة من مبدأ القومية غرضاً من الأغراض التى رمت اليها سياسة نابليون الثالث . وقد رأى أن تحقيق التوازن ، وبالتالى قيام سلام دائم لا يمكن أن يتم إلا إذا تحقق تناسق الدول وفاق مبدأ القومية . (راجع الفكرة النابوليونية من أعمال نابليون الثالث جزء أول طبعة سنة ١٨٥٩ ص ١٤٥ وغيرها)

بدأت فكرة القومية حياتها بالتحقيق في الفراغ ، ولكنها صارت في منتصف القرن التاسع عشر صدى الروح العام الذي ساد ذلك الحين ، ولقد مثل هذه الفكرة في فرنسا كل من « لامارتين » و « تيير » و « جيزو » ، ولقد بلغت هذه الفكرة الذروة في سنة ١٨٤٨ ، ولذلك فإن الفرصة سنحت لها كي تحتل مكانة مبدأ المشروعية .

ولكن مهما بالغ الناس في سحر الخطبة التي رسمت لقيام سلام دائم ، ووضع دستور عالمي عن طريق استظهار مبدأ القوميات ، فإن تحقيق هذا الحلم لم يكن بالأمر اليسير التحقيق في زمن قصير . لذلك فإن السلاح قد استخدم ضرورة لتعزيز هذه الفكرة . وهذا مادعا النقيض إلى بحث مشروعية الحرب التي تعلن في سبيل تحقيق أمان قومية من ناحية القانون الدولي . وتناهى بحث بعضهم إلى الرد سلباً ، كما هو الشأن فيما يتعلق بموضوع التوازن . ولكن « لوران » Laurent قد قرر من قبل ضمن كتابه « تاريخ القانون الدولي طبعه سنة ١٨٦٥ جزء ١٠ ص ٣٣ » : « القوميات مبدأ سلام ، فرد عليه البعض : « القوميات مبدأ حرب ،

على أن الموقف كان لابد من أن يتغير إذا استطاع الساسة أن يفهموا فكرة القومية بمعنى اسمي من ذلك الذي فهموه حتى اليوم ، فهم لم يكشفوا لنا في وضوح عن عناصر الأمة ولم يدلوا لنا بما انطوت عليه هذه العناصر بحال لا يأتيه التعويض من أية ناحية ، ولا هم أبانوا لنا أن تبدأ فكرة القومية ولا أين تنتهي ، ولا هم عرفوا لنا الأمة ، ولا قالوا لنا ماهي القومية ، ولقد كتبوا كثيراً في هذا الصدد ، ولكن التوفيق لم يكن رائدهم عند البحث والتطبيق ولا عند التعريف والشرح والتعليق .

ومع ذلك فلا بأس منا من أن نردد بعض أقوال المؤلفين الكبار بصدد من مبدأ القومية ، لقد قال « مارتنس » (في كتابه « حق الشعوب ، طبعه سنة ١٨٨٣ جزء أول ص ١٤٧) وهو يسخر من هذه الفكرة : « لقد شادوا بهذا المبدأ ومجدوه خلال القرن التاسع عشر على أنه القاعدة الأكثر انطباقاً على العقل فيما يتعلق بتسوية الخلافات المتوقعة بين الدول ، وإقامة نظام يكفل لكل شعب نموها ذاتاً ، وقضاري القول أنهم نظروا إليه كالدواء العالمي الشافي من جميع الأمراض الجذابة والروحية ، والأداة التي يؤدي استخدامها للقضاء على جميع الخلافات الدولية » .

ولقد أبانت (مارتنس) كيف فرق أنصار فكرة القومية بين الدولة القومية (L'Etat National) والدولة المكونة من شعوب مختلفة اتحدت تاريخياً، ثم قال هذا الفقيه: «رغمًا من كل تقديرنا الفكرة القومية، وعطفنا عليها، فإننا لانستطيع أن نفهم كيف يتسنى للشكل الخارجى القوى الذى يخضع على الدول أن يكون ضمانا للنظام والحق والقانون فى ميدان الشؤون الدولية. ولكن ليس فى الوسع أن ننكر أن قيام مبدأ القومية يؤدى الى تعديل أصلي فى الخريطة السياسية الأوروبية وفى الحروب التى تنشب بين الشعوب»

ويرى «لوران» ان الدولة هى «عادة مجموعة تألفت لجأة من الأفراد الذين جمعهم على الراجح القوة المتحكمة دون الارادة الاختيارية، ولقدسعت الانسانية فى أن تستعيز عن هذه الدول الذين جاموا نتيجة الاكراه أو التسويات الاكراهية بدول أخرى أساسها العنصر الطبعي المسمى بالقومية» ولكن فكرة «لوران» هى الأخرى استبدادية بطبيعتها، ولا أصل لها من الصحة إلا بالنسبة لبعض الدول، وإلا فإلى أى مصير كانت تؤدى ففكرة القومية لو أن الانسانية سلمت بها إن لم تؤد إلى عهد حروب دفاعا عن الاستقلال؟

ولكن فقهاء إيطاليا تناولوا مع ذلك هذه الفكرة بالبحث والتحيص، واتخذوا منها أساساً لبناء الدول الحديثة «فمنشئى» على الخصوص، قد أعلن كما تقدم أن القومية أساس القانون الدولى. وقد أعلن ذلك لا سيما فى كتابه الجليل الشأن الذى أسماه «فى القومية على أنها أساس القانون الدولى طبعته ١٨٥٢» وترى هذه النظرية أن رقى القانون الدولى يقوم على هذا الأساس، لأنها تعتبر الألية وحدة القانون الدولى دون الدولة، أما «بيراتشنى» فيرى أن مبدأ القومية ليس مبدأ القانون الدولى الحبيب، وإنما هو أيضاً الأساس الضرورى والشرط الذى لا مناص منه لتوزيع الشعوب فوق الارض توزيعاً سلبياً. (راجع تاريخ دراسة القانون الدولى ص ٢٧٧). ولكن «بولمرنك» Von Bulmering قد رد عليه بقوله: «إن من القوميات ما يعادى بعضه البعض فكما كان هناك حروب دينة فما مضى فمن الجائر أن تقوم حروب قومية

أشد تعصباً . إذ الدين ليس اليوم هو المبدأ الهادى كما كان الامر فى العهد الغابر
وانما القومية هى التى أصبحت هذا المرشد ، ولكنها مبدأ لا يهدى إلى السلم وإنما
إلى الحرب . ثم قال : « إن تكوين الوحدة الإيطالية لم يكن بحاجة مطلقاً إلى
تجويز القانون الدولى جميعاً واقامته على قاعدة من مبدأ القومية » (راجع ص ٦٤
من كتاب « فون بولرنك »)

ولقد قال الفقيه « رونكالى » Roncali فى مقدمة ترجمة كتاب « بيرانتونى » :
لقد أراد المؤلفون الايطاليون برفعهم مبدأ القومية الى مستوى مبدأ من مبادئ
القانون الدولى أن يدللوا على أن الجهود الذى بذله الايطاليون فى سبيل تكوين
وحدتهم كان مجهوداً قانونياً بذاته ، كأن أمراً كهذا بحاجة إلى التبدليل
على قانونيته .

ولكن « فون بولرنك » يرى أن فى الوسع أن نرفع نظرية القومية إلى
مستوى مبدأ قانونى إلى حد ما كما هو الحال فى النسبة لمبدأ التوازن ومبدأ المشروعية
الذين طبقا على العلاقات الدولية . ولكن مهما كان شأن مبدأ القومية فى ميدان
تطور القانون الدولى ، فانه مبدأ سياسى وسيقى كذلك وإن يجوز الاعتراف به
كبدأ من مبادئ القانون الدولى ، ولكنها لسنا الآن فى سنة ١٨٥٠ أو سنة ١٨٦٠
حيث كان المؤلفون الدوليون يرفعون عالياً أعلامهم وقد سطرت فوقها آية مبدأ
القومية ، إذ لدينا اليوم مبادئ جديدة قد اعتنقها العالم رغماً من القيمة العظيمة
التى اعترف بها للجهود القومية فى تفريم الاستقلال متى كان خلق الأمة قائماً
على عادات قومية متينة .

إن أعظم أمنية تجيش اليوم فى الصدور هى بلا شك إيلاء كل قومية حقوقها ،
ولقد انعقدت أخيراً مؤتمرات عديدة لتسوية مشاكل القوميات التى حظيت بعضها
بحلول عادلة ، ولكن أكثر هذه المشاكل لا يزال حيث كان من التعقيد ، بعيداً
عن الحل النهائى ، ولذلك فليس من الجائز أن نسلم بأن نظرية القومية من المبادئ
القانونية ، رغم أنها من أسباب استئلال الأمم .

ومع ذلك فمن الواجب أن نتساءل هنا عن ماهية الأمة .

لقد أجاب المسيو د ارنست رينان ، في كتابه ، خطب ومحاضرات علي هذا التساؤل بقوله : ليس الانسان ملصكا للغته أو جنسه ، ولكنه ملك نفسه ، ذلك بأنه كائن حر ، إنه كائن أدبي ، وحق الاهالي في تقرير مصيرهم هو الحل الوحيد الذي تعلم به الحكماء لحل المشاكل الراهنة ، فالامة في رأينا هي روح ، هي عقل ، هي أسرة روحية تجيء نتيجة ذكريات الماضي وتطلعاته ، وضروب مجده ، وتكون أحيانا نتيجة الأحزان والآلام المشتركة ، كما تجيء نتيجة الرغبة في الاستمرار في الحياة جماعة خلال الحاضر ، فما تتكون الامة منه ليس أن تتكلم نفس اللغة الواحدة ولا هو أن تتكون تابعة لفريق من جنس واحد ، ولكن ما تتكون منه الامة هو أن يكون مجموعها قد قام بعضا من الأمور في الماضي ، وتكونت فيه إرادة القيام بمثلها في المستقبل ، إن الامة مبدأ روحي يترتب علي ما في التاريخ من تعقيدات وأزمات واضطرابات . . فانت تلاحظ في هذا القول ان أساس الامة هو العادة .

ولقد كتب د رسلوب ، Redslab في كتابه السابق المذكور ص ٢٤٥ يقول كذلك : « إن ما يصنع الامة كتلة واحدة هو احساس الجماعة ، فعنصر الاتحاد هو الاعتقاد بان جماعة من الناس قد دعت لتعمل ، في ظل قانون واحد ، على تحقيق غرض اسمى واحد ، لمدينة واحدة . فالامة هي اتحاد واحد قائم على اختيار حر فهي لم ترتبط إذن بأسباب محسوسة ولذلك فان اللغة والجنس ليسا من العناصر المكونة للامة . لان الامة لا تتكون من جميع الصفات الطبيعية ، اذ في الوسع أن توجد دون هذه الصفات ، ولكن طبيعتها الجوهرية هي النفس ، فهي تنطوي إذن على شيء روحي — ولكنها تأخذ شكلا محسوسا بإرادة الحياة والعمل المشترك ، أما القومية فليست قرابة ، وانما هي ازدواج ، أنها ليست حالة واقعة وانما عمل ، ومادامت النفس هي الطبيعة الجوهرية لتكوين الامة والعادة أساس عياغة النفس في قالها ، فتكون العادة مقوم استقلال الامة

ثم دلال د رود سلوب ، علي أن سويسرا الخليط من اللغات هي اتم وأكمل طراز

للأمة لأن احساس الجماعة هو العنصر الوحيد المكون للاتحاد. ولكن مادام الاحساس هو العنصر الوحيد المكون للاتحاد أو ما دامت الأمة مبدأ روحيا يترتب على ما في التاريخ من تعقيدات وازمات واضطرابات فان توثق عناصر القومية أو عناصر الوطن والوطنية الماثلة في اللغة والدين والعادات يكون أدعى إلى تماسك الوحدة أو تماسك المبدأ الروحي ، وأبقى على الحرية والاستقلال .

الخلاصة

فالخلاصة هي أن اللغة والدين والعادات من مقومات الاستقلال ولذلك حقت العناية بها جميعا على الأوجه التي فصلناها للرق بالخلق الفردي حتى نرق بالخلق القومي الذي لا يتم الا بالرق باللغة والعادات والعناية بفضائل الدين على نمطية تلامم ومقتضيات العصر الحاضر .



ملخص رسالة

الركنور زكى مبارك

بدأ بحثه بتحليل لىكل ناحية من هذه النواحي الثلاث التى تناولها الموضوع وهى :

اللغة ، وهى مظهر من مظاهر الأناقة والدقة فى الإفصاح الدين ، وهو صورة العقيدة التى يحيا بها الناس والعادات ، وهى مظاهر لما تأصل فى النفس من كراتهم الشيم والخلال .

ويرى ه أن اللغة فى ذاتها شخصية استقلالية ، فالذى يعبر ببلغته يشعر بالقوة وتنطبع نفسه على حب الكرامة والاستقلال . ومن ثم كان ساطاننا فى العالم سلطانا ضعيفا ، فقد يحىء الأجنى إلى مصر ثم تمضى عليه الشهور والأعوام بدون أن تقهره الظروف على تعلم اللغة العربية ، ومن أمراض الشخصية الاستقلالية فى مصر ما نشهده فى المصالح والدواوين من كتابة أسماء الغرف والحجرات بلغة دخيلة تشعربنا دائما بأن لنا فى الوطن شركاء

واقترح وجوب اصطناع اللغة العربية وحدها فى التعليم فان هذا يخلق فىنا قوى جديدة ويعالج فقرنا فى الترجمة والتأليف . وإلا فكيف ندعى شرف الاستقلال وليس عندنا معجم واحد يسجل تطور اللغة فى العصر الحديث ، ولا مكتبة طبية أو علمية بلغتنا ، وليس عندنا كتاب فى القانون خلعت صفحة من صفحاته من سطرين أو ثلاثة بلغة أجنبية ، ولا يستطيع أى رجل من علمائنا أن يكتب فى أى بحث بالمصادر العربية ؟ كيف ندعى هذا الشرف ولغتنا منسية فى معاهدنا ومدارسنا ومكاتبنا ؟ ويقترح كذلك وجوب تقديم رسائل الدبلوم والدكتوراه باللغة القومية بعد أن تصبح أداة تفاهم بين مختلف الطبقات وإصلاح رسمها منعا للبس وأن تتم الحكومة بالتكوين الأدبى للجمهور بتكوين لجنة خاصة تختار من الكتب ما يجب أن يقتنيه الموظفون وتوزعه عليهم بالإلجار . وأن يحذف درس تاريخ الأدب فى المدارس الثانوية لأنه جهد ضائع ، ثم يقرب الثبان إلى فهم عصرهم بدراسة الحركة الوطنية وتطوراتها والأدب العصرى ورجاله ومشاكله .

وهكذا لن تكون اللغة من مقومات الاستقلال إلا حين تسود في وطنها سيادة
قاهرة فتسيطر على العقول والمشاعر والأذواق ويقوى أديها فيشغل الناس بدرس
قلوبهم وأهوائهم وأخلاقهم .

وتكلم عن الدين ففرق بين الدين المزيف الذي تحاربه الأمم الناهضة ، وبين الدين
الصحيح الذي يحمى من الزيغ والافك والبهتان والذي هو عماد من عمد الأمم
والسلام والفضيلة والاستقلال لأنه يصبح ضمير الفرد وبني الأمم .

والدين الذي يصون الاستقلال هو الدين الذي يوحى إليك بأن تكون عون
أخيك وتحمى عرضه وماله ، هو الدين السميع الكريم الذي تغنى به الرسل والأنبياء
والذي بحث على التضامن ويعصم من الشقاق ويحمي الأمة من فوضى اختلاف المذاهب
وتعدد الفرق الدينية ، ومن الحزم أن تسارع الحكومة إلى حراسة الأهلين من
انقسامات الصوفية فإن التصوف أصبح سببا من أسباب الشقاق فتخير دعاة الصوفية
من أهل النزاهة والاخلاص ، وكذلك يجب معرفة السبيل إلى المساجد حيث يتصافح
الناس عقب الصلاة ، فيجعل الأزهر ملتقى لأقطاب البلاد في أيام الأعياد مثلا
أو يجعل يوم التشريفات الملكية موسما أغر تلتقي فيه القلوب والاهواء ويتنادى فيه
الناس بأنهم الحق والدين ، ويستطيع الأزهر أن يضاعف جهده في خدمة اللغة والدين
بإذاعة مطبوعات دينية مختارة رخيصة ، ويفكر في استرجاع سلطانه الذي ضاع باتجاه
طلبه نحو المصالح والدواوين .

وانتقل إلى الحديث عن العادات التي تعد سمة شخصية لأنها تميز الأمم وتدل على
حيوية الشعوب ، وهي لن تكون من مقومات الاستقلال إلا إذا كانت صالحة ، والا
إذا تأصلت وأصبحت رعايتها قانونا قوميا يشعر الناس بحيويتهم الذاتية .

وهو يوصي بالرجعة إلى التحية الإسلامية وبدون تعارف ، وبالاتزان الأخوي
في أيام المواسم والأعياد لأن البطاقة الصماء لا قيمة لها ، وإقامة حفلات السمر في المنازل ،
والحرص على التقاليد يعد بابا من الحرص على التراث القوي لأن التقاليد الصالحة
ليست إلا ثمرات لجهود المصلحين في مختلف الأجيال وهي في الوقت نفسه سند
حيوي في صيانة المجتمع .

ويجب أن نجاهد في سبيل التقريب بين الجامعتين الأزهرية والمصرية بالدعوة إلى
سعة الصدور ومرونة العقل وحسم الخلاف بين هذين الجيلين اللذين يعيشان في بلد
واحد ويصوغان العادات والتقاليد صبغات مختلفات الألوان ويخلقان الشغب والتفلق
في كثير من الطبقات ويردان الأمة إلى جيشين يضطرعان .

مهد للبحث بمقدمة عن الجماعة والتعاون ، وأثر التجانس النسبي في حفظ استقلال الجماعات ، وانتقل إلى الحديث عن عوامل الوحدة والتماسك والتجانس وهي الدين ، واللغة والعادات .

وتناول في حديثه عن الدين العاطفة الدينية بالتحليل الواسع العميق ، وشرح مهمتها الاجتماعية في تقوية العواطف بالمشاركة ، وخلق الحماسة والشجاعة وحماية الفضيلة والأخلاق الصالحة .

واقترح ، لتقوية الروح الدينية ، الاهتمام بالتربية الدينية في المدرسة والمنزل والمجتمع ، بغرس الفضائل في نفوس الناشئين ، حيناً بالتلقين وحيناً بالإيحاء والقدوة، وتقريب المسائل الدينية إلى الأذهان بأساليب سهلة سائغة وتبصير الناس بحساسنها، وإحياء الذكريات التاريخية الرائعة ، وتقديس العادات الدينية السليمة، والافلال من حياة الترف والميل إلى البساطة .

وتحدث عن اللغة فقال إنها توقف الشعور القوى وتوجد الوحدة والتناسق في الأفكار والمشاعر ، وتربط بين الأفراد . ولغة وجود خاص وحقيقة قائمة بذاتها ، فهي موجودة قبل الفرد وباقية بعده، واقترح للنهوض باللغة العربية :

- ١ - تحسين طريقة التدريس بالعناية بالمطالعة والاكثار منها .
- ٢ - التدقيق على جميع المدرسين بعدم التكلم في دروسهم إلا بلغة عربية صحيحة .
- ٣ - التخفيف من وطأة اللغات الأجنبية .
- ٤ - ضبط جميع كتب الدراسة في جميع مراحل التعليم .
- ٥ - نشر الأدب القصصي وعمل مسابقات بين الكتاب .
- ٦ - إذاعة عبارات صحيحة للأخطاء الشائعة .
- ٧ - اهتمام الدواوين والمصالح باللغة العربية في أعمالها ومكاتبها .
- ٨ - الاهتمام بلغة التمثيل والسنيما ومحو العامية منها جهده المستطاع .
- ٩ - التخفيف من حدة الاندفاع في التقليد والتجديد الأدبي .
- ١٠ - إحياء كنوز الأدب القديم .

ورأى ان العادات تورث نوعا من الألفة بين القلوب بأحداث شيء من التشابه ونوع من التضاد بالقياس إلى الجماعات الغريبة . وفي هذا التضاد مناعة إضافية من الاندماج في الجماعات الغريبة .

وتحدث عن الفرق بين العادات (والاتيكيك) وعن غارة المدنية الغربية علينا وانصرفنا إليها .

ثم رأى أن كل عادة دخيلة أو أصلية لا تسمى إلى دين ولا تأباها الفضيلة ولا تشين الكرامة القومية ولا تعمل على محو ذاتية الأمة ، محمودة يجب الحرص عليها ومن الاثم هدمها بدافع الأهواء ، وأن محاربة العادات السيئة يكون باظهار مساوئها وجعلها موضع التهكم والسخرية ، وببشر التعليم والثقافة في البيت والشارع والمدرسة .

(7)

الموضوع الثالث

أثر الحافز الشخصي في تطور الإصلاح الاجتماعي
والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام

اجتمعت لجنة التحكيم في المباراة الصحفية الأدبية الخاصة بموضوع « أثر الحافز الشخصي في تطور الإصلاح الاجتماعي والوسائل العملية لتوجيهه للخير العام » في يوم ١٠ يونيه سنة ١٩٣٦ برئاسة معالي الاستاذ مكرم عبيد باشا وعضوية حضرات الأساتذة محمد صبرى أبو علم والدكتور على مصطفى مشرفة وعبد الوهاب عبد الرازق ، فنظرت في المحوث المقدمة اليها ، وقررت :

١ - منح الجائزة الأولى وقدرها مائة جنيهه للاستاذ عباس حافظ الموظف
بوزارة الداخلية .

٢ - منح الجائزة الثانية وقدرها خمسون جنيهًا للأديب جميل خانكي أفندي

٣ - » الثامنة زقدرها خمسة وعشرون جنينها للآنسة زينب الحكيم

٤ - » » الرابطة » » للأستاذ حسن مظهر

(١)

رسالة

الأستاذ عباس حافظ

تمهيد

وقفت ملياً حيال عنوان هذا الموضوع والتعبير الذى صب فيه، ولا أكتسكم الحق أننى ظلمت فى معناه حائراً، وليأت فى تأويل مراده مطيل التفكير، وهذه أول مرة أخافنى فيها موضوع من عنوانه، فاعترفت به، والمصارحة بالحق خير من كتمانته.

قام فى خاطرى أن أعدل عنه إلى سواء، فإن المباراة متعددة النواحي متنوعة الموضوعات، ولكنى وجدت العزة تراجعى وكبرياء الأدب تمسك بى، وقضاء فترة من الوقت فى معالجة فهم المراد منه، مؤلم أن يضيق هباء، ويذهب بين الحيرة والحياء.

لقد خلص لى من تفكيرى فى هذا الموضوع رأيان: أحدهما أن المراد هو مبلغ الحافز الذى يخلج فى صدر الشخص من تكوينه واستعداداته فيدفع به إلى فكرة أو صناعة أو سبيل معينة. وأثر هذه الحوافز المعتملة فى نفوس الأشخاص فى ترقية المجتمع وكيف نشجع هذه الدوافع وتعمدها بالتغذية والتزكية والتنمية، لى نتجه نحو المصلحة العامة وخير البلاد.

وأما رأى الثانى فى مراد هذا البحث ومعناه، فذلك هو مبلغ أثر الشخصيات القوية فى توجيه الإصلاحات الاجتماعية، فإن نجاح أى إصلاح هو على قدر الحافز المختلج فى نفس المصلح، والوسائل العملية لجعله يتجه نحو الخير ولا يعرج ناحية الشر، كشأن الطغاة والجبابرة والمستبدين.

وأنا متناول كلا الرأيين بالشرح والبيان . . .

(١) الحافز الشخصى - وتعريفه :

ينشأ كثير من الناس من المولد والصبا وهم يحسون فى أعماقهم نزوعاً خاصاً نحو جهة معينة من جهات هذه الحياة وكلما تقدمت أسنانهم، نما هذا الاحساس فيهم واشتد اختلاجه فى صدورهم، وبدأت مظاهره فى حركاتهم وسكناتهم، وراح يستولى على

أكثر مشاعرهم ، فهو عليهم غالب ، ومن طباعهم متمكن وفي مسلكتهم ظاهر ، بل إنه ليدو في علاقاتهم ببلادتهم وأصحابهم في مراتع اللعب ، ومستبق الحدائث ، وملعب الطفولة ، تتحدث عنه حياتهم المدرسية في نوع الكتب التي يختارون قراءتها ، ومواد العلوم التي يميلون إليها ، وأوراق الامتحانات التي يتفوقون فيها مع تقصيرهم في سواها ، وضروب الحصص التي يأتون لمحاضرتها ، مع كراهيتهم ونفورهم من حصص أخرى يكادون يفرون من حضورها فراراً .

وقد اصطلح الناس على تسمية هذه النوازع الناشئة من التكوين ، والمجانح البادئة من الحدائث وطراءة العمر ، وأول مطالع الشباب ، بالمسلكات والاستعدادات والميول الطبيعية ، وأحسب إطلاق كلمة « الحافز الشخصي » عليها تسمية أخرى تؤدي عين المراد ، واصطلاح على جاء به في التعبير « الاجتهاد » ؛ ولأن كان فيه بعض الغموض .

وقد شوهد في دور الحدائث أطفال أتوا حوافز شخصية حادة ، وأخرى هي فيهم برفق ، أو في حدود الاعتدال ، وافذاذ نوادر منهم برزت لديهم باكرة لاقبل الاوان بل بغير أوان ، حتى لتبدو فرديتهم قوية ساطعة الضياء وهم ولدان ، ويتفق استعدادهم الخاص بمجرد الاختبار والامتحان

الحافز الشخصي إذن هو هذه الفردية الممتازة البادية من النشأة ، المتحرقة على الظهور من الحدائث ، الدافعة بالطفل الى ناحية معينة من العلم أو الفن أو صناعة من الصناعات حتى ليتخذ أدواتها أو أشباه أدواتها من الصغر لعباً أو دميات ويجعل من ساعات لهوه ورياضته حصص تعليم وتمرين بغير معلم يهدي ولا مدرب يشرف غير «الالهام» المتمشى في صدر الطفل وهو لا يدري أنه (الالهام)

وفي تراجم النوابع الذين بلغوا أوج الشهرة في أجيالهم مشاهدات غرائب ، وبوادر في منتبهي العجب ، فمن نابغة كان في طفولته يعزف على المزاهر والعيان ولم يؤت يومئذ شيئاً من فنون الانغام والالحن ، ومن آخر بدأ يقول الشعر في العاشرة ، ونابغة من القواد العسكريين وكبار الابطال ، كان في الحى وهو طفل ينظم صحبه في الاطفال فرقا وجماعات لكر وفر وهجوم وكمين وغارات ، أو يصارع الولدان في المدرسة ويبارز الاقران

وفي سير المحترعين والعلماء والناهين الذين ملأوا سمع الدنيا دوايا شواهد كثيرة على بداية الحافز الشخصي عندهم من الحدائث ، حتى لقد اصطنع «فورد» وهو في المدرسة ، أو في تلك السن الغضة التي يلهو فيها أترابه الاطفال ويملاؤن منافس

المعهد والبيت والشارع صباحا ويترأ كضون فرحا وسداجة ومزاحا، لقد اصطنع فوردي تلك السن (مدرسا) صغيرا مثله لطحن الخنطة، ووقف يوما في سواد الريف بقاطرة عتيقة بالية يتطلع الى أجزائها في لهفة وعجب ثم اذا عاد الى البيت، ذهب يكب على قطع من الحديد، فما زال يعالجها حتى اصطنع منها قاطرة على مثال التي شاهدها في سفره، فكان ذلك هو بكور الحافر الذي قدر له أن يجعل من ذلك الصبي الصغير الصانع العظيم رب الملايين .

وقد رأى الناس أطفالا في الحداثة هم أكبر من أسنانهم، وأوهي رزانة ليست لامثالهم، وفي وقار وكراهية للعب امتازوا بهما عن رفقاتهم، وقوة ارادة لا تشي عما تطلب، وشخصية بين الاقران تقتضي منهم الطاعة وتستوجب، فحجبوا من أمرهم غاية العجب، حتى اذا شوا عن الطوق وأدركوا شأو الرجولة ظهر السر المحجب ووقعت الزعامة لهم في الناس والرياسة لهم في الجيل والقيادة في رأس الجماعات وحشود الأشياء والواقين بهم والمؤمنين .

وفي الغرب اليوم اهتمام كبير بدراسة الحوافز الشخصية في معايشة الاطفال، ومراقبة الملكات والاستعدادات في دور الحداثة، حتى ليخبر علماءهم والباحثون في الطباع البشرية والملكات النواذر والنباغات البادئة من البكور هذه المعالم الخلقية في الولدان، لمعرفة مختلف ألوانها فيهم وملاحظة أفاعيلها وعوارضها في نفوسهم ومبلغ نبوءاتها عن مصيرهم اذا ما عرجوا إلى الحياة العملية ونزلوا منها المعترك واحتواهم المستقب والمضمار والميدان .

وهم لذلك ينتخبون جماعات من الأولاد مختلفي مناحي الصفات والميول ومبالغ الزكاة والاجتهاد فيختبرونهم من حيث مسلك الفرد ازاء الجماع ليعرفوا أي الفريقين المتحكم وأيهما المطيع وأي البنين أنزع الى الرياسة والتسلط على الآخرين .

وقد ظهر في أحد هذه الاختبارات النفسية أن أفذاذا قلائل من الولدان في عدد عديد قد أتوا بالقطرة خواص ونزعات، وميولا وصفات، هي أدنى الأشياء إلى مزايا الزعامات، كالإيجابية وقوة الارادة والجنوح الى الديمقراطية وشدة الحيوية وروح الصداقة والمودة وبوادر الحماسة والحمة والاشتراك مع الغير في العاطفة والامانة واحترام الثقة والدأب والمثابرة، بينما غلبت على كثير من الاطفال نزعات الاستخفاف وقلة المبالاة والتهيب والانزواء والمرأة بالمودة واصطناع العاطفة والمداجاة، والاثرة والحاققة وسرعة المبادرة وكثرة التقلب والتردد والتحول

والاستضعاف أمام الظروف والمشاق والصعاب والافتئار الى الاعتداد بالذات ووهن الايمان وانعدام اليقين .

كيف يتولد الحافز الشخصي :

هذا هو السر الذى حاول العلم الشريف كشفه وأطال فى البحث عنه وتعرفه، فقال العلماء: هو منزع يولد مع الطفل ناشئاً بالوراثه من الآباء، وقال قوم من الخبراء بعلوم الحياة: بل هو أثر المحيط وفعل البيئة، وذهب غيرهم أخيراً الى أنه نشاط غير مألوف فى بعض الغدد، على حين قال الروحانيون: بل هو مواهب من السماء وتباين عند الافراد فى الفطر والطباع وعناصر التكوين .

وفسره بعض أصحاب المذاهب فيه بأنه شذوذ عن القاعدة يعود الى زيادة فى بعض القوى عن المقادير الاعتيادية لزاء نقص فى البعض الآخر حتى ليس بين العقبرية والجنون غير خطوة واحدة، كما رده آخرون الى فعل الظروف والفرص والسوانح والعوامل المهيئة والاما كن الصالحة، كفرق ما بين المدائن والحواضر وبين القرى وسواد الريف فى نسبة النوايع والممتازين والناهين .

وبسبيل تفاوت الحوافز الشخصية فى الافراد أشار العلماء الى مختلف المؤثرات فى لئارتهما ومنوع المنشطات لكونها ، وعديد المنبهات لايقاظها من هجتها ، فقالوا ان المحيط الراكذ والبيئة الهامدة ، والوسط الآسن الجامد لايساعد على ابراز هذا الحافز ولا يعين على ظهوره ، وقد تتنوع أسباب الركود وتختلف عوامله ، فيكون من أثر المناخ الضاغط المجد ، أو النظام السياسى المرهق القاتل للبلكات ، المحارب للنسوغ والاستعدادات أو الاحوان الاقتصادية التى تدفن المواهب وتند الكفايات .

اللمحظات الاخيرة ونقط الدوران :

وقد تأتى الحوافز الشخصية بالاكتساب، وتنشق فجأة فى النفوس انبثاق الشباب وتستوفى على المشاعر مفاجئة ، وتدب فى الأذهاب طارئة ، وتستحوذ على الأذهان وتستأثر بكلية الوجدان فى لحظات مباغته لم تكن فى الحسبان .

وكذلك ينبعث الحافز الشخصى فى ظروف معينة تعرض للافراد ، ونقط دوران فى حياتهم وسير أعمالهم ، تعطف بهم عما كانوا منطلقين اليه ، وتعذل هم إلى طريق جديد لم يكونوا مفكرين فيه ، وقد يقع هذا بسبب حادث خطير ،

ومصاب كبير ، أوخطب يسير أو سبب من أهون الأسباب ، فيكون ذلك بداية طور جديد في حياة الفرد أو منعطف عند نقطة دوران .

فقد حدثنا النوابغ فيما حدثونا به ان منهم من تغيرت حياته كل التغير لانه كان ماضياً في فرع ما من فروع الحياة ، فوقع في يده فجأة في يوم من الأيام كتاب لم يكن قرأه ، ومؤلف لم يكن يعلم من قبل به ، فلما أكب على قراءته ، استيقظ في نفسه دافع جديد آثارا أثرته ، واستحوذ على عقله ومخيلته ، وحفره إلى سبيل غير السبيل التي كان سائراً فيها ، وبعثه بعثاً جديداً لولاه لما كان النابغة الذي أجدى على الحياة ، والمصلح الذي ساق العصر إلى الاصلاح ، ومشى به إلى الرقي والتجاح ، وكان للانسانية عامة من المحسنين .

ولا ريب في ان ذلك الكتاب الذي أيقظ مشاعر ذلك الفرد قد وقع لمئات من الشباب قبله أو بعده . ثم لم يحدث في نفوسهم مع ذلك شيئاً مما أحدثت في نفسه ، ووجدانه ، واستولد من همته وانبعائه وبقينه وإيمانه ، وما ذلك الا لأن حياة أولئك الشباب لم تتصل بموضوع ذلك الكتاب ، لسبب من الأسباب ، ولم يكن في منازعها واتجاهها وأحاسيسها منبثت إليه أو مستجاب ، فعجز عن أن يحدث في نفوسهم ، ما أحدث في شعور ذلك الفرد الخافق الوثاب ، فنجح هو بهذا الهادى العجيب الذى التتى به على الطريق .

وقد كان في حياة « بوكر واشنطن » محرر الزواج ما يشبه هذا أو يماثله ، حتى لقد قال يحدثنا عن أثره في نفسه وفعله :

« أتذكر أنني وأنا شاب نازح إلى ولاية فرجينيا رأيت يوماً شاباً أسود وسط جمع من أمثاله يقرأ في صحيفة فاشتعل في الحال في أعماق نفسى لطيب الرغبة المتقدة في تعلم القراءة ، حتى لقد حسبت يومئذ أنني لم أشعر من قبل في حياتى بمثل ذلك السعير النفسى ضراماً واحتداماً » .

وليس من شك في ان هذا الظمأ كان هادئاً في نفسه وانه ما كان ليشتد هذا الاشتداد الذى وصفه لولم يقع بصره على ذلك القى وهو يقرأ تلك الصحيفة ، فان هذا الحادث الصغير كان كافياً لكي يحدث نقطة دوران في حياة شاب زنجى ويثير فيه الحافز الى العظمة والنبوغ وقيادة الجماهير

وقد يثير العطف أو الرفق أحياناً دافعا شخصياً في صدر الشاب يدفع به فيما بعد الى سلوك طريق معين ، أو اعتناق مبدأ من المبادئ ، يضفى على شخصيته

ويتملك شعوره وحاسته ، فقد حدثنا الرئيس «مازاريك» كيف انتبه في نفسه إحساس العطف والحنان وهو شاب في مئة الشباب على اليهود فكان حافزاً قويا في نفسه عند ما بلغ شأن الرجال الى تأييدهم والاخذ بنصرهم ، فقال كنا في ذات يوم في رحلة مدرسية الى بعض الجبال فلما حان وقت الظهيرة جلسنا حلقات نأكل واذا بنا نحس ان تليذا معنا من اليهود يدعى أرنولد في الغياب لا أثر له فنهضت افتقده وعدوت في البحث عنه حتى اهدت اليه فاذا هو في مخبأ جاث يصلّي لله ، ومن ذلك الحين ظل مازاريك يحذب على اليهود ويعطف على قضيتهم حتى كاد هذا العطف في السنين الاخيرة يكلفه الحياة .

وقد تولد في «مازيني» أحد أبطال الحرية في تاريخ ايطاليا الحافز الشخصي الذي جعل منه الزعيم المجاهد في سبيل الحرية والاستقلال بسبب حادث عارض وصفه فيما بعد فقال «كنت في حداقتي أسير في ذات يوم مع والدتي وصديق لنا في أحد شوارع جنوا فاذا برجل مديد القد أسود اللحية أشعث أغبر يدلف نحونا وفي عينه بريق يخطف ، وسعرة نفس تناظلي ، وعلى وجهه أثر حمية متقدة ان أنسى منظره آخر الحياة ، فبسط منديلا أمامنا وهو يقول في كبرياء «جودوا لاطاليا المعذبة» ، وفي تلك اللحظة انبعث في خاطري الشعور بأن هناك ظمأ في بلادى من الواجب محاربته ، وأن على أن أساهم بنصيب في مكافحته ، وانبعث ذلك الشعور في نفسى قويا حفازاً لم يغادرني من ذلك الحين» .

وكم من أفراد رسموا من الشباب لحياتهم خططاً ، واعتزموا مستقبلهم اعتزاماً معيناً ، ولكن ما لبثت عاطفة ما أن دبت إلى قلوبهم وتمشت في جوانحهم ، فحفزتهم إلى تغيير ما رسموه والعدول عما اعتزموه . وكذلك فعل الحب بالفتاة «مارى اسكلودوسكا» فقد كانت طالبة في الجامعة غفلاً خلية دؤوبا على دراستها ، ولكن عاطفة الحب يومئذ سرت في مشاعرها ، إذ التقت بالطالب «بيير كورى» وكان هذا يدرس الطبيعة والكيمياء ، متكئاً في الدرس ، متوفراً على العلم والتجربة يكره الاختلاط ، ولا يحب الضوضاء ، ولا يأنس إلى المجمع وصخب الندوات ، فتزوجا ، ولولا ذلك لمضت الفتاة في غمار المجتمع ، واحتوتها ليج المحيط الانساني الصاحب المتقاذف الانواء ، ولكنها بزواجها «بيير كورى» اندمجت فيه وأخذت عنه وتلاشت في عمله ، ولو لم يقع لها ذلك اللقاء به في رحاب الجامعة ، لما كانت «مدام كورى» كاشفة الراديو المذكرة في جموع الخالدين .

وقد تنفع أزمات تحدث تغييرا كليا في حياة الافراد، ولعل أبلغ مثال على أثر هذا العامل في احداث الدوافع الشخصية فاجعة الاعى «لويس براى» في الحول الثالث من عمره فقد كان الطفل يوما يلعب في مصنع أبيه فعثر على مخزف فعبث به ولكنه ففز من كفه فأصاب احدى عينيه فذهب في الحال بضياها وما لبث أن فقد عينه الاخرى بسبب انتقال الالتهاب اليها هي كذلك ، ولكن العمى السكى مع ذلك لم يتغلب عليه بل ألهمته المصيبة خراط لم يكن يحسها من قبل وأوحى اليه بأفكار لم تكن في حسبانته فراح يحصر عقله وتفكيره في ابتداع حروف تعين العميان على القراءة ، فما زال يجاهد ويدأب وينكسح في تجاربه حتى اخترع طريقة صالحة سميت من بعد باسمه (طريقة براى) فكانت الفاجعة حافزا شخصيا خلدت اسمه في صفحات المبكرين والمخترعين

وقد يعرض أحيانا لفرد يعيش في نعماء ويتقلب في سراء ، ويحيا في « حجر الآلهة » كما يقول الغريون ، ما يحفزه إلى قلب حياته ، وتغيير مجرى معيشته ، وقد برز هذا كل البروز في حياة الفيلسوف «تولستوى» إذ كان لا يزال بعد طالبا في الكلية ، وفيما هو عائد ذات ليلة من مرقص في صميم الشتاء ، والزهرير الشديد ، والقرأير الأبدان ، إذ رأى سائق مركبته - وكانت في انتظاره - قد جمد في مكانه من شدة البرد وقرته فتأثر غاية التأثر ، ومعنى وهو في المركبة عائدا إلى داره يسائل خاطره قائلا « لماذا ينعم هذا الذى ما أحسن يوما في شئ ولا عمل صالحا ، ولا أجدى على المجتمع ، بكل المناعم والمزايا التى هو بهامستمتع ، بينما هذا السائق وأمثاله من أبناء الشعب الذين يؤدون أشق الاعمال ويحملون المجتمع كله على ظهورهم : يعيشون جوعا تطحنهم الفاقة ويهرأهم الزهرير » وقد أولد هذا الحافز الجديد حافزا قويا في نفسه حمله على أن يتنازل عن فكرة الطلبات وخلق منه فيلسوفا جديدا ، ونصيرا للفلاحين ، ومتحدثا باسم الجماهير ، وذو ادأ عن حقوق الشعب في الحياة والوجود

وقد كان نبوغ المخترع العظيم «توماس أديسون» راجعا إلى تأثير حادث صغير عرض له وهو في دور الحداثة، فقد كان يشتغل ببيع الصحف في القطارات؛ ففي ذات مرة وهو يتخترق القضبان الحديدية؛ بصر بطفل يلهو عن كسب ، وقد أوشك أحد القطر أن يدهمه فألقى أديسون برزمة الصحف جانبا في مثل خطفة البرق وعدا

نحو الغلام فاحتمله قبيل أن تدممه القاطرة ومضى به الى أبيه، وكان هذا ناظر المحطة فأراد أن يحزبه أجر ما أحسن اليه فأذن له بالجلوس في كل يوم بضع ساعات بمكتب التلغراف ، ليتعلم هذا الفن على عماله، وكان ذلك الحادث هو الذى أولد في نفسه الحوافز القوي الثواب الذى جعل منه على الدهر أكبر مخترع فى العصر الحديث ، ويمتد بنا نفس البحث وتترامى حدود الكلام اذا نحن فصلنا الامثلة على تولد الحوافز تفصيلا ، فحسبنا أن نجتمع الى ما بيننا جملة من البواعث نعرضها فى غير تمثيل. فقد يكون المرض حافزا، وقد تكون الهزيمة الاولى فى مطالع الحياة العملية دافعة الى التغيير وتجديد القوى والعزمات، وقد تكون سرعة الملل من الحوافز التى تدفع بالانسان الى الاهتداء الى الامر الذى يرضيه أو الفن الذى يستريح اليه والصناعة التى يحسن فيها أعجب الاحسان .

وفى أحلام الشباب وتصورات الجدائى وأمانى الصبا أكبر الحوافز وأقوى الدوافع الى النبوغ وإتيان العظام والاجداء على الانسانية وإحداث أكبر الحسنات فى خدمة المجاميع .

أثر الحوافز الشخصية فى تطور الاصلاح الاجتماعى :

وقد بينا فيما أسلفنا من هذا البحث شواهد على تنوع الحوافز وهى ولداتها، فكانت هذه الشواهد ذاتها منظومة على نواحي ظهور آثار هذه الحوافز وميادينها كالاختراع والفلسفة والعلم ومختلف فروع الحياة كما هى فى المواهب النفسية التى ترتفع الى أمكنة الرياسات والزعامات وقيادة الشعوب ورسالات المعلمين والهداة والمصلحين ان النهضة العامة هى وليدة الحوافز وثمرتها هذه الدوافع التى تيجش فى صدور الأفراد ، بل قد تكون مجرد أخيلة فى بدايتها ثم تتحقق فى النهاية ، وقد تنشأ مترددة ثم تجد الشجاعة رويدا رويدا فتمشى بخطوات ثابتة الى الغاية التى تنشدها والعرض الذى جعلته هدفا والعمل على الحسن الذى تتوخاه لمصلحة المجموع

وقد كان للحوافز الشخصية أكبر الاثر فى ترقية مستوى الجماعات، بل ان بناء الامم هو من صنع هذه الحوافز وعملها ونشأة الحضارات عن وحيها وتوجيهها وفعالها، وأكثر القوانين وضروب الاصلاح ووجوه التحسين فى ميادين الصناعات والتجارة ومختلف المهن والحرف هى من نتاج الدوافع المتولدة فى الافراد غير الاعتياديين .

كل هذا الذى نشاهده فى حياتنا الحديثة كان مجرد أفكار وتصورات فى أدمغة الذين دأبوا وانكشوا وأكبوا على التجارب والبحوث والدراسات حتى اهتدوا إلى وسائل تنفيذها ، فتلقأها الناس يومئذ مبهوتين .

لقد قهرت هذه الحوافز قوى الطبيعة وكشفت أسرارها ، وأحدثت علوماً جديدة ومخترعات طرائف ، وأقامت مؤسسات عظيمة ، وأنشأت صروحاً عالية ودفعت بالجماعات الانسانية الى الامام ، وغيّرت وجه الحياة ، ونقلت الأمم من طور إلى طور وحال إلى حال ، وبنت فأحسنت البنيان .

ان الذين دفعت بهم الحوافز الشخصية إلى العمل والدأب والاجادة والافتنان هم الذين رفوا الجماعات فوق مستواها ، وهذبوا الحياة الاجتماعية أعجب التهذيب وان اكتشف الكهرباء والمغناطيسية ومستحدثات الكيمياء وعلوم الطب والرياضة والفلك والعمارة والهندسة والبناء ، وكبار أساتذة الموسيقى والغناء ، وكل ما تزرخ به الحياة الانسانية من آلات وأدوات ومخترعات وثقافات - كل أولئك للحافز الشخصى فيها أكبر الأثر وأعظم السلطان

ان الحياة قد أصبحت مطوقة من جميع جهاتها بمختلف الدوافع الفردية التى تيجش فى الصدور وتريد الاعلان عن ذاتها وقواها ، بما تحمده من اصلاح وما تؤديه من رسالات ، وما تخرجه من جهود وثمار مختلفة الألوان .

بل لقد تقدمت الحوافز الشخصية بأصحابها قدما فى طريقهم إلى الحياة العليا التى يبتغونها ؛ واستحدثت الأحداث الكبار التى كانوا يبتغونها وكثيرا ماتم لهم ذلك على حساب نفوسهم . فذهبوا ضحايا وفديات للأمم . وقرابين من أجل الخير العام .

ان فضيلة الحافز الشخصى هى فى الهامه الشجاعة . وقبوله البذل . ونسيانه الانانية وتلاشيه فى الفكرة واستغراقه فى سبيل الغاية والغرض المنشود

ومالنا نذهب الى التعميم ، وفى نهضتنا الحديثة على أفاعيل الحافز الشخصى وعوامله وآثاره ونتائجه أحسن الأمثال ، فى عشرين سنة أو قرابيتها ، استطعنا أن نحدث نهضة طيبة فى مجموعها ، وحركة اجتماعية مختلفة النواحي والضروب . يرجى مزيد الخير والتقدم لها اذا عرفنا كيف تتمتع هذه الحوافز ونزعى هذه الدوافع ونزبى هذه الملكات

فى عشرين سنة أو نحوها تقدمنا سياسيا ، بفضل الحافز الشخصى ، الذى

دفع بسعد زغلول إلى قيادة أمته إلى الجهاد الوطنى فى سبيل الحرية والاستقلال ، وهو الذى حفز صحبه والشباب النوايغ الاقوياء الذين تنفخوا حوله ، إلى السير معه والجهاد بجانبه ، والكفاح تحت رايته ، والدفاع عن حقوق الوطن وكرامته ، فأحدثوا حركة وطنية رائعة جليلة غمرت الجيل وشملت الملايين

ومنذ نشأت هذه النهضة الوطنية ، قامت بجانبها التضحية ، وبرز أثر الدافع الشخصى فى مختلف نواحي الحياة . فغادر قوم مراكرهم . وطرح آخرون مناصبهم . مستجيبين لهذه الحوافر الشخصية التى أولدها الروح الوطنى الذى سرى فى جميع أنحاء البلاد . واشتمل على أرواح المتعلمين وغير المتعلمين

ومنذ قامت الحركة الوطنية عندنا تنوعت الحوافر الشخصية المهمة للنفوس ، المذكية للحمية فى الصدور ، واختلقت الدوافع الذاتية وتكاثرت وتوزعت على جميع فروع الحياة ، فاذا بأفراد يبتدأون برؤوس أموال صغيرة فى ميدان التجارة ثم يدفعهم الحافز الشخصى تحت ظل الروح الوطنى المستكن فى النفوس ، الملهم الغيرة على الوطن ومجده ، وخدمة الوطن والاجداء عليه والبر به والاحسان اليه ، يدفعهم " هذا الحافز الجياش الوثاب فى صدورهم ، الى البروز وتنمية مواردهم ، فلم يلبثوا غير بضعة سنين حتى اشتهرت متاجرهم ونمت وازدهرت وكانوا النوايغ العصاميين .

لقد أولدت الحوافر الشخصية فى الواقع عصاميات كثيرة متعددة النواحي ، بارزة فى ميادين الاقتصاد والعلم والادارة والصناعة والسياسة ومختلف الاعمال وكمن أفكار وآراء ومشروعات كانت فى بدايتها مجرد أحلام وعلاطات ، ومحن امان وتصورات ، ثم احتشدت لها الحوافر الشخصية فى الصدور التى سرت فيها ، والجوانح التى تمشت فى نواحيها ، والعقول التى خطرت لها ، والأذهان التى حلت بها ، وتعهدها الحركة الوطنية المشرفة على كل شىء ، المشجعة لكل عمل صالح ، فاذا هى تخرج الى الوجود صغيرة فى بدايتها ، متواضعة فى نشأتها ، لتجد النجاح فى انتظارها ، واذا النجاح الباكركى الذى الحوافر الشخصية التى دفعت اليها ،

فهى تربو وتزكو ، وتوسط وتستمكن ويرتفع منها الصرح ويعلو بها البنيان . لقد ازدهرت الصناعة الوطنية بفضل هذه الدوافع ، ونمت المؤسسات الصناعية ، واطردت النقابات والجمعيات الزراعية فى سبيل النجاح والنماء وكثرت المؤسسات الخيرية ، وربت أعمال البر والخدمات الانسانية ، وأنشئت معاهد الفنون ،

وتعددت ألوان الثقافات ، وظهرت عجائب المواهب ونباعة النابغين
في مصر اليوم حياة جديدة من فضل هذه الحوافز وقواها ، ونهضة طيبة من
سقيهاها ، ورعاها ، ولم تكن لروح نامية ، وأسبر بخطوات أكيدة قوية ،
وتتقدم بشجاعة وجرأة عالية لولا قوة هذه الحوافز وما تثير في النفوس من وقدة
النشاط وسعير الحمية ، وما تلبه من روح العزم والتصميم وتكسبه من قوة الشجاعة
والإقدام والمثابرة والاصرار على المسير ، والثبات والإيمان بأن النجاح ميسور
والجهود حتما بالغة الغرض المنشود .

في عشرين سنة أو تزيد استطعنا أن نحدث هذه النهضة العامة ، بفضل الروح
الوطني الذي تعهده النافعون فيه وبثه في البلاد الزعماء السياسيون ، سعد وصحابته
وخليفته وانصار مبادئه والمؤمنون برسائله الوطنية وعقيدته . بل في هذه الفترة
القصيرة بالنسبة لمقتضيات بناء الأمم وتكوين الشعوب واحداث الحركات العامة ،
تيسر لنا أن نوجه هذه النهضة وإن اعترضتنا الصعاب الشداد ، وواجهتنا مختلف
القيود ، واعتورت طريقنا متنوع المشتطات والمغريات بالرجوع إذ وجدت هذه
النهضة خصوصا لها في كل ناحية ، واستهدفت لعوامل مقاومة سراً وعلانية ،
وظروف مضادة على الأيام متوالية ، وأعداء يكيدون لها كيدا ، ويذلون في سبيل
تعطيلها وتوقيها أموالا وجهدا ، ويحشدون للقضاء عليها وسائل متعددة ويحاولون
أخذ الطريق عليها بأية سبيل . . .

على رغم هذه العوامل المعاكسة استطعنا أن نقيم هذه النهضة العامة ، فإذا نحن
مستطيعون إذا لم تغش الميدان هذه العوامل ، ولم يبق لها من وجود ، بل ماذا
سيكون غدا من أمرنا ، وتولد الحوافز الشخصية في نفوس شبابنا إذا نحن عرفنا
كيف نتعهد هذه الحوافز بالعناية الواجبة لها ، ونرعى هذه الدوافع الذاتية حق
عنايتها ونيسر لها جميع الوسائل إلى غايتها ، ونحسن توجيهها إلى النجاح ونرتاد لها
مناجع التوفيق .

في ظل الاستقلال التام ، والحرية الكاملة ، تتكاثر الدوافع الملهمة ، وتربو
الحوافز الدافعة إلى الأمام ، وتستيق الملكات الرفيعة والمواهب الطبيعية إلى مختلف
الضامير والآفاق والميادين .

الوسائل العملية لتوجيه الحوافز نحو المصلحة العامة :

لقد رأينا مما عرضنا من صور الحوافز الشخصية ان نوعاً فظريا أو موهوبا

منها تظهر بوادره من الحداثة وتطل مقدماته من نوافذ الصبا ، ويبدو من الطفولة حتى في ملاعب الاطفال ومراتع الولدان ، فلهذا النوع من الحوافز ، وهو خيرها وأفضل صنوفها ، وأصلح ضروبها ، تنبغى العناية في البيت ، ويجب التعبد لها والعمل على تنميتها في دورها الباكر ، ومراحلها الأولى ومظاهرها المستبقة ، فلا يعترضها الآباء ولا يحولون دون ظهورها ، فقد رأينا كثيراً منهم يغلبون رغباتهم في سلوك أبنائهم في ناحية معينة في الصناعات أو الوظائف أو أساليب الرزق على استعدادات الاطفال أنفسهم ويحاربون هذه الحوافز من النشأة بقسوة أو يهملونها أشد الإهمال ، أو يعاقبون الاطفال عليها ، وينكلون بهم أعنف التنكيل فتأود هذه الاستعدادات من الصغر وكانت فارغة لو تركت ناضجة على الأيام .

ليترك الآباء التدخل في حوافز الاطفال وليعلموا أن تدخلهم لن يبلغ بأطفالهم الشأو الذي يحلمون به ، ولو بلغوه لما كانوا فيه النوايغ الصالحين ، لأن كل رجل في غير موضعه لا يأتي بخير ، وكل استعداد معين يخفق من الطفولة يفسد الفرد ، ويرد عليه أسوأ مرد ، في عهد الرجولة والحياة العملية ، وقد رأينا بالعكس آباء تركوا الحرية لبنيهم من النشأة وفق ملكاتهم وحسب استعدادهم ، ومسايرة لرغباتهم وحوافز خطباتهم ، فكان من أولادهم فيما بعد نوايغ صالحون ، وأرباب مواهب بلغت بهم قمة النجاح .

وقد شهد عطاء كثيرون ونوايغ عدة فيما تحدثوا به إلى الانسانية عن نشأتهم بفضل آباءهم عليهم ، ورعايتهم لحوافزهم الشخصية من حداثتهم ، حتى لقد قال عظيم أمريكي في بعض اعترافاته إذا كنت قد أحدثت شيئاً خليقاً بالذكر في هذه الحياة فاني مدين به لابي ، فقد كان هو ملهمي ورائدي ، ومرشدي والنافخ في حافزي النفسي حتى اهتديت إلى الطريق .

والذين تبعوا أو قرأوا سيرة «غلاستون» أدركوا بلا ريب الاثر الكبير الذي أحدثته والده في تكوين حياته ، وأعانتة على اكتشاف طريقه ، ومع أن الرجل لم يكن سوى تاجر أو من أصحاب الأعمال ، إلا أنه ترك لولده سراح الملدى وحرية النشأة ، ونوع الكتب التي يقرأ وصنوف الدراسة التي اختار لنفسه ، وراح يشجعه عليها تشجيعاً ويدفع به تنشيطاً ودفعاً إلى الأمام .

وقد اعترف الرئيس «ويلسون» بأن والده هو الذى هيا له السبيل الى ابراز مواهبه ، و اظهار استعدادده من الشباب .

ولسنا ننسى كذلك أثر الالمات فى تكوين ولدانهن وتنشيط حوافر أبنائهن ، وقد رأينا المخترع «أديسون» يعترف بأن أمه كان لها الفضل فى إيقاظ دوافعه وكوامن مواهبه ، كما شهدنا كثيراً من العظماء والنوابغ اعترفوا فى ذكريات صباهم بما كان لأمهاتهم عليهم من فضل فى هذه الناحية ، أمثال كارنيجى وفردريك فرويل مؤسس فكرة رياض الأطفال «الكسندر جارتن» بل يكفى أن نذكر ما كان لوالدة «واشنطن» محرر أمريكا الخالد ، من حسن الأثر فى إثارة حوافره وعظيم الفضل فى نبأغته ورباضته على الزعامة ، وحفز سائر المواهب الرفيعة فيه ، حتى بلغ أوج العظمة وذهب فى الخالدين .

وقد ينجلي الحافز الشخصى فى حركات الحدث ومخالبه ونوع دراسته وميله إلى كتب معينة وظهور نجاحته فى علوم بذاتها ، داخل فرق الدرس فى معهد التعليم ورحاب الكلية ، فلا يعود يتنفع بغير العلم الذى بدا ميله اليه وأقبل بكميته عليه ، ولا ريب فى أن من واجب المدرسة أن تتعمد هذه الحوافر بالعناية وترعاها بكل ما ينبغى لها من الاستبانت والازكاء والتربية ، وهذا يقتضى فيما يقتضى تنظيم التخصص والتوسع فى هذا التنظيم واستكمال أبوابه وسد وجوه النقص فيه والتفكير فى سائر الوسائل التى تترقى بها الكلمات الخاصة ، وتنمو بها قوة الحوافر الذاتية وتجدد الطريق معبداً أمامها إلى حيث ترى المجال الواسع والتدحة المترامية .

ولسنا نشك فى أن نظام البعثات العلمية إلى الخارج لم يؤد كل ما كان منتظرا أن يؤديه من الفائدة العامة بل لقد انفقت أموال طائلة على بعثات من أجل دراسات معينة ثم عاد الطلاب بعد اتمامها فلم يدفع اليهم بالعمل المتفق مع دراستهم المسائر لحوافرهم فاخترقت مواهبهم وضاعت المنفعة الاجتماعية التى كانت منشودة من إفادهم بل لقد جرى بسبيل ذلك ما يستحق العجب ويثير السخرية فان شبابا تلقوا العلوم العسكرية فى كلية «أساندهرست» أو أكاديمية «وولوتش» الحربية فى انكلترا فلما عادوا لم يعهد اليهم بما يبرز فضل هذه الدراسات العالمية بل أصبح منهم الكتبة والمشتغلون بأعمال هى أبعد ما تكون من حوافرهم ودراساتهم التى تخصصوا فيها وقضوا عدة السنين .

وفي خريجي البعثات العلمية من أمثال هذا الذى ذكرناه شواهد كثيرة تدل على أن هذه الناحية من الدراسة لم تؤد غايتها ولم تثمر ثمرتها ، ولم تتجه الحكومة بنتائجها نحو مقتضيات الصالح العام .

وقد رأينا بينما نوابغ موهوبين فى الصناعات ومختلف العلوم الطبيعية كما عرف عن شعبنا الذكاء وسعة الخيال ، وخصوصة التفكير ، ثم لم نخرج بعد مخترعاً واحداً . ولم يبرز بينما أحد من المبتدعين ولا نحسب ذلك راجعاً الى تقصير النبوغ المصرى فى هذه الناحية وإنما هو عائد الى قلة التشجيع بل الى انعدامه وفى المصانع الاهلية وغير الاهلية صناعات اذكياء متفتنون أو تواملكات وحوافز شاردة لا تجد لها دأى الذى يعطف بها الى الناحية المنتجة والسبيل للقيام والميادين المثمرة ولو وجدته لكان من نباغاتها وأفانينها ضروب من الخير وألوان من الاحسان .

التشجيع المادى هو الذى يأخذ بأيدى المواهب النادرة ويبرز كوامن الاستعدادات ، فلو أن الحكومة عنتت بقرير كبار الجوائز فى مختلف الصناعات وميادين الاعمال لاحتدت غورة صالحة فى حركة العلم ومجال النبوغ بل لا يكفى أن تتقدم الحكومة وحدها فى هذا السبيل وإنما ينبغي أن يشترك الشعب معها ويعنى بذلك كبار أغنيائه لتكون لدينا جوائز على نسق جوائز نوبل وغيرها مما حفلت الحياة فى الغرب به وساهمت طبقات الأغنياء وشركات الصحف ومختلفات المعاهد فيه فان ملكة التقدير لا تزال تنقصنا وأساليب التشجيع والاحتثا والازكاء لا تزال فى البداءة لم تستوف نصيبها من العناية والاهتمام .

وفى البلاد كفايات ومواهب كامنة ، وحوافز دفاعة صالحة ، ولكن كثيراً منها يذبل وشيكا لقلّة التعهد ، والافتقار الى الرعاية ، وظمئه الى الماء ، وحاجته الى الغذاء وإثثار العجزة والاعتيادين بسبب شيوع الاحتساب والأخذ بالوساطة والاستعاع الى الازدلاف وملق المالكين .

ولكن فى ظل الديمقراطية الصحيحة وتحكم الحكم النيابى المكتمل المزدهر ، وبمنعمة الاستقلال ، وبقوة الدستور ، يتيسر الارتفاع بالمواهب ، وتنشيط الحوافز الذاتية ، وإثارة هواجع الملكات ، وإحلال العامل الصحيح فى الموضع الصحيح ، وتقدير الكفايات بما تستحق ، فان الديمقراطية هى النظام الاوحد المصالح لشمية الملكات وتشجيع الكفايات والقضاء على عيوب النظام العتيق ولم تعرض فى مجشأ هذا للحوافز الشخصية الشريرة ، والنوازع الذاتية السوأى ،

لأن المفروض من عنوان هذا الموضوع أن الحوافز الطيبة الخيرة هي المرادة به المطلوب قصر الحديث عليها ، ولكن ليس من شك في أن الحوافز الشريرة التي تسوق بالافراد إلى الجريمة لا تزال قابلة للاصلاح ، وفي الامكان حملها على التوجه إلى الخير ، ورياضتها على الاستقامة في طريق الصالح العام ؛ فان العقاب الذي يوقعه المجتمع على الجناة ينبغي أن يكون المراد منه اصلاً ، لا انتقاماً ، وعلاجاً لا اهاجة للعرض ، وتمكيناً للعلة والداد .

ولقد توجهت عناية المصلحين الاجتماعيين أخيراً إلى دراسة أنظمة السجون حتى تعالج هذه الحوافز وتراض على الخير ، وقد رأينا أخيراً كيف فعل الحافز الشخصي بتصاب في السجن فقد خلق منه مثالا مجيداً تستحق دميته وتمثيله الظهور في المعرض العام .

هذا وجه من الكلام في هذا البحث الدقيق ؛ فلتقدم إلى وجه آخر منه ، فان الكلام يحفز الكلام .

حاجة العصر إلى الحوافز الشخصية :

في كل ناحية من الدنيا اليوم ترتفع الصيحات منادية أين الحوافز الشخصية ، وفي كل فرع من فروع الحياة العصرية ؛ كثر الطلب اليوم على العوامل المحركة ، والقوات الدافعة والعناصر المشرفة السامية ، والبواعث النفسية القوية ، التي تلهم الناس الطاعة وترد اليهم الايمان بأنفسهم بعد إذوهن وتوقد فيهم نار العزم بعد أن خبا وسكن ، وتسوقهم إلى الخير مطمئنين ، وتهديهم إلى المثل العليا فينطلقون إليها وكأنهم في موكب مهرجان غير منزوين من كثرة التكاليف ولا من ألم الحرمان ، ويسبرون على هدى هذا الحافز المائل لهم خفافاً هزائين بالصعاب ، يحدوهم اليقين بالنجاح والايمان ، ويشد من نفوسهم المجتهدة بسعة الحافز لهم وتشجيعه ، وصوته النفاذ في أرواحهم إلى القرار المكين .

كم من أفكار طيبة وآراء سديدة محبة وكفايات جميلة زاهية الالوان تتراحم على الجماعات وتتراقص أمام الاذهان وتبدو فائنة ساحرة البيان ، ثم لا يزال الناس يمثّلونها في سكرات الخيال ، وينظرون إليها نظراتهم إلى المحال ، ويحسبون تنفيذها ضرباً من ضروب الاحلام ، ويعدون لها من خالب الكلام أو من زخارف الأقوال ، فإذا ما ظهر الحافز الشخصي وراء فكرة منها مناديا إليها مستحثاً الجماعات على الاقدام عليها ، توثبت النفوس واستحشت المشاعر ، وتوقدت العزمات ، وبدأ المسير إليها ،

وأذن الرحيل وراح الناس ينطلقون نحوها وهم مؤمنون مقدما بأنهم بالغوها آخر الجهاد في سبيل النضال .

لقد أصبحنا نعيش في عصر الحوافز الشخصية، فان كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية تقتضيها وتبحث عنها وتلتبسها وتنتظر وصولها وترتقب ظهورها، وما ذلك إلا لأن الفرد قد أصبح يحيا ويتحرك ويعتمد في حياته على المجمود المشترك، ويوجد نفسه وسط مجاميع متعاونة وهيئات متأزرة، وما من ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية الا كان مجهود المجموع هو مظهرها الغالب وطابعها الظاهر وصفها العامة، بل تعدت هذه الظاهرة أيضا الى الناحية الفرحة الالهية من الحياة، فغمرت الأندية والمجامع الرياضية وفرق الالاب واللاعبين .

وكل انسان يلتحق بجماعة يشعر عند التحاقه بشيء من الدهشة والجفوة والنفور ، ويحس كأنه واغل عليها أو لا حاجة اليه، أو لا يرى أين محله من الصورة، وفي أى موضع منها يليق به أن يكون ، وهذا يقتضى مجهوداً خاصا من جانب فرد في الجماعة في سبيل حمل القادام اليها على نفى هذا الشعور والتغلب على هذا الاحساس ، وهذا المجهود في توحيد مشاعر الجماعة وتوثيق روابط أفرادها لا يتوانى الا بالدافع القوي والحافز الشخصي أو الفرد الذي يستطيع أن يتجه بها الى الغاية التي جمعها من بداية المسير ودور التكوين .

الحافز الشخصي هو اذن القوة المشرفة على الجماعة لتتعاون وتتآزر في سبيل تحقيق غاية معينة وتنفيذ غرض مشترك ، وهذه القوة المشرفة الموجهة الهادية هي الرعاية ، أو سلطان الزعماء على الجماعات في سبيل تحقيق الخير العام ، ووحدة المقاصد والأغراض ، أو هي تلك القوة النفسية المؤثرة في الروح ، الجامعة في يدها لكل قواها ، وموارد نشاطها ومستودعات مواهبها ، الدافعة بها نحو غرض واحد وغاية عامة ، العاملة على أن يؤمن كل فرد بأن مصلحة الجماعة ينبغي أن تتقدم على مصلحته، وأن المثل الأعلى يقتضى اختفاء الأثرة ورياضة النفوس على الغيرية ، والاستعداد للبذل والتضحية ، والفدييات والقرابين .

ان الجماعات انما تعمل ، وتتقدم وتزدهر بفضل اتحاد الجهود الفردية ، والارتفاع بالرغبة الصادقة المنبعثة من قلوب الآحاد الذين يؤلفونها ، واستخدام القوة الخفية المتولدة في نفوس الافراد الذين يكونونها ، وهذا يقتضى أن يكون للجماعة روح معنوي دافع ملهم يجمع جهودهم كلها لتحقيق الغاية العامة ، كما ينبغي

أن يكون الزعيم هو الذى يخلق فى الجماعة هذا الروح ، ويبلّثه ، ويشميه ، وبغير الزعامة الحائثة لا يمكن أن يكون للروح المعنوى وجود حقيقى .

ولإذا صح أن النهضة العامة فى أغلب الأحيان هى ظل رجل واحد ، وثمر زارع مقدر ، فلا ينبغي أن ننسى أن نجاحها وفوزها ، وتوفيق هذا الزارع الأكبر ، والغارس المثمر ، هو أيضاً فضل من حماسة الجماعة الطائعة له وغيره الجماهير المتأثرة به ، وصدق انبعاث الناس على هداه ، وحرارة المشاعر التى زكّاه فى النفوس ، والتى ناداه فوجدت فى البيئة والوسط ، جوّع المستجيبين والمذنبين . ان هذه الحماسة ليست فى الواقع وليدة الارشاد والتوجيه ، كما هى نتيجة دعوة عامة ، واستجماع لكل قوى الرغبة فى القيام بعمل صح الاعتقاد بخطره ، وتم الأيمان بنفعه ، وحاجة العصر اليه ، هى التى يغذيها الزعيم ، ويتعهدها ويسقيها ، ويرعاها ، فتنشأ من ثم هذه الحماسة المتوقدة التى تشمل الجماعة ، وتدفع بها إلى السير على حذاء الأيمان واليقين .

ان عمل الحافظ الشخصى أو مجهود الزعامة يحدفسيح ميادين ، ويشمل عديد وجوه ، فهو الذى يضع التصميمات ويرسم الخطط ويحدد السياسات ، ويعين المناحي والأساليب ، وهو الذى ينظم جهود الجماعات ، ويوزع التفوذ والمسؤوليات ، ويراقب البوادى والمقدمات والظواهرات ، ويشرف على الحركة الاجتماعية والتقدم العام ، كما هو يدرّب الذين يلتفون حوله على حمل الاعباء والاضطلاع بالتبعات ، بل هو أخيراً الذى يبعث قوى الافراد جميعاً ويحفز كافة المواهب الكامنة ، والنباعات الهاجعة والمزايا المستكنة ويشير الكفايات ، لتشارك فى الغرض العام ، ويغمرها روح واحد وانسجام ، لأن هذا الانسجام هو خلق جديد فى ذاته لقوات جديدة ، تكون بمثابة احتياطى ومدخر ومستودع زاخر لا ينفد منه المورد والمعين .

الحافظ الشخصى هو الذى يرفع القوى العاملة فى الجماعة إلى مستوى سامق ، وهو الذى يرد الموافقة السليمة وضى ايجابيا ، ويحيل النفور رغبة والسكون حركة ، والبرودة اشعاعاً ، والقنور حماسة ، وقلة المبالاة اقتناعاً وإيماناً ، والجمود عملاً ، والخصومة مودة ، والعداوة مقلّة الاظفار ، بل ان أثر الحافظ الشخصى هو أشبه شىء بفتح السيل الكهربائى الذى يحرك مختلف أجزاء الآلة الكمبربائية وأجهزتها الدقائق ومركباتها المتعددة ، فتؤدى كلها وظائفها وتبرز طاقتها وتحدث حدثها المطلوب .

وليس من شك في أن الأفراد في الجماعة إنما يتحركون بالدوافع الجنسية. ويندفعون
بالبواعث الروحية؛ فتنشأ من هذه الدوافع والبواعث قوة إضافية ومحركات جديدة،
وتتحشد قوات أخرى لم تكن في التقدير من قبل والحسبان .
ماهي الزعامة أو الحافز الشخصي :

في الرابع من شهر مارس سنة ١٩٢٣ عندما خطا فرانساكين ديبلانو روزفلت
إلى الميكروفون ليلقي خطبته الافتتاحية كرئيس للولايات المتحدة ، كان يواجه
بلدا غمرته الفوضى وهبطت روحه المعنوية ، وشاع الاضطراب في محيطه ، وفيما
كان صوته يرن واضحا وثيقا مطهئا الثبرات متزن النغم ، وهو يقول إن
أخوف شيء في هذه الحياة هو الخوف نفسه ، وبينما كان يشرح للشعب معالم
السياسة التي اعترمت تنفيذها ، والخطة التي ينتوي العمل بها ، كان قلب الشعب خافقا
وحاسته بالغة واستجابته سريعة وتلبته مؤاتية مبادر، حتى لكأن عاطفة أمة بأسرها
قد تغيرت خلفا جديدا في ليلة واحدة؛ وما ذلك إلا لأن الجماهير أدركت في تلك اللحظة
أن قد برز لها رجل قوى بهرناج عملي حسن اذا تنفذ، بمحمود النتائج إذ اتحقق، فلم يلبث
هذا الادراك أن أوجد شجاعة جديدة وإيمانا قويا طريقا يحفرها الى الاتجاه صوب
الطريق الذي أشار اليه والاندفاع نحو السبيل الذي رسمه لمسير الملايين .

لقد شعر الناس يومئذ أن زعيما جديدا قد جلس الى الدفة ليتجه بالسفينة شطر ساحل
الامان ، بل لقد أحسوا يومئذ أن حافزا قويا قد برز لهم يدفع بهم إلى التقدم في
شجاعة وثقة واطمئنان، فهاهي الزعامة إذن؛ أو ما هو الحافز الشخصي في التعريف والتعيين؟
الزعامة هي المقدرة على التأثير في الجماعة البشرية ، لحملها على التعاون والتناظر في
سبيل تحقيق غاية ، تدرك هذه الجماعات أنها أصلح شيء لها ، ووفق أمانها ، ورموز
آمالها ، وبمجموعة رغباتها ومطالبها في الحياة ، وقد يكون هذا التعريف جديدا ،
إذ قد شاهدت الدنيا قبل اليوم زعامات وحوافز شخصية ، من غير هذا الطراز ،
ولانزال نشاطه في بعض البلاد أمثلة لا تندمج تحت هذا التعيين ، زعامات أمرة
ناهية ، حاكمة طاغية ، حتى في الخير واليه ، وحتى بالعنف والحل عليه ، أي قد
خلت من الشرط الأول الذي تتم به الزعامة الهادية ، ويستكمل به الحافز الشخصي
القوم المستجاب له في غير اصطناع ، الملبي في خير غضاضة ولا كظيم ألم ، وهذا
الشرط هو أن يقابل هذا الحافز رضوان الجماعة ، ويتلاقى عندها مع الانبعاث
الصادق والطاعة، إذا أصبحت فكرة الزعامة ، أو الحافز الشخصي في النظام الديمقراطي

والحياة والنيابية ، متكررة في هذا المعنى بالذات ، قائمة على هاتين الدعامين المتقابلتين ،
رضوان المقودين وتوجيه القادة والموجهين .

كيف يتوافر الحافز الشخصي ، أو كيف تظهر الزعامة :

تقوم الزعامة عند حاجة الشعب اليها ، ويظهر الحافز الشخصي في الوقت الذي
يتألف الناس حولهم باحثين عنه ، ملتصقين بمعونه ، فقد رأينا روزفلت وكوليدج
يبرزان في موضع الزعامة في مواقف الخطر العام ، وساعات الفرع المنتشر ،
وبمسمى السرعة الواجبة لتلافيه والدافع الملح إلى معالجته ، لقد اقتضت الظروف
زعامة منشئة ، بانية مصلحة فوجد الناس في روزفلت مطالبها فارتضوه لها ،
وكان الزمن معه فظهر ، والظروف السوانح مؤاتية فظهر ، وكانت رغبة الشعب
بادية ، فتقدم ليملاً الفراغ ، ويحتل المسكان .

وفي حياة غاندى ، وسعد زغلول ومصطفى النحاس يتمثل عنصر الظرفية الزمنية
والمسكانية ، هذا العنصر المناسب للملائم لتكوين الزعامات تلبية لمقتضى العصر .
وحاجة الجيل ، ومطالب التوجيه ، والتبئية والأعداد ، بل كانت السفينة بحاجة
إلى الربان ، فاهتدت إلى القيطان .

وليس من ريب في أن هناك أمثلة لزعماء متعددى الصيغ والشكول والالوان ،
ولكن الواقع ان كل زعيم هو نتيجة اجتماع ظروف الزمن ومهيات الموضع ،
والمزايا النادرة فيه ، والخواص الرائعة التي تصطفية الجماهير من أجلها وتجتبيده ،
وليست واحدة من هذا كافية لقياءها ، ولا وجودها كفيلا باظهارها . وانما
لا بد من التلازم فيها جميعاً والاقتران .

وهذا من شأنه أن يجعل القائد خادماً للمقودين . والزعيم مولى للشعب وعلى
عهدهم الخريص الأمين ، أو هو المرشد الذي يهديهم إلى تأدية الغرض المطلوب ،
وتحقيق الفكرة المرسومة ، وبلوغ الهدف المقصود ، ولعل الزعيم الفرنسى الذى
رأى الجماعات التي تولى زعامتها وقيادتها تتخاذل وتهاون دون بلوغ غرضها ،
فقال ينبغي أن أتبعهم مادمت قائدهم ، كان على بعض الحق في منطق عنده ، وعذر
منطقه ، ولكن هناك بلارب مواقف ومواطن تعتبر فيها المضارحة بهذا الشعور
أو المكاشفة بهذا الاحساس من جانب الزعيم أو القائد خيانة لمبادئه السامية ،
وتخلياً عن مثله الأعلى ، واستخذاء أمام الصعاب ، ولكن يبقى مع ذلك الواقع

الذى لاشك فيه ، وهو أن تعويل الزعيم على المقودين فى سائر الأحوال التى يجدون فيها أنفسهم ، هو جانب من جوانب زعامته ، وناحية من نواحي قيادته ، فهو إذا كان حافزاً للجماهير ، فأنما الجماهير هى كذلك بالأخلاص ، والمتابعة ، والطاعة والولاء، خوفاً له، مهينة مشجعة على المسير والثبات .

والحافز الشخصى هو أول ما ينبعث فى الزعيم ليدفع به الى احتلال المكان الذى أعدته المقادير له ، فإنه ليحس فى أعماله دافعا الى الثوب والتقدم، ومتى اجتمعت قوة الشخصية فيه بقوة النفس الجياشة المتحفزة، المعلقة عن ذاتها بسحرها الحفى، وجلالها انباده ، مع توفر قوة العزم وصلابة التصميم على تأدية رسالة يؤمن بها كل الايمان، والمجاهدة فى سبيل مثل عال يعتنقه أصدق الاعتناق، فإنه فى الساعة المنتظرة وال لحظة الواجبة يقفز الى الموضع الخلق به، ويومئذ يعرف الناس فيه الزعيم المفطور على الزعامة أو العظيم « المولود هكذا » كما يقولون .

ولكن ينبغى أن تفصل هذا الطراز من الزعماء والقادة المفرغين فى قوالب البطولة النفسية من طراز النابوليونيين ، والغزاة ، والطغاة ، والعسقة ، والجبايرة ، أو معاشر الانانيين الذين استبدت الاثرة بكل شئ فيهم ، والذين أبرزوا نواحي كثيرة من نواحي الزعامة ولكنهم تراموا على النفوذ بالعدوان العسكرى ، والاستيلاء العرفى على السلطان ، واستضعاف الجماهير ، وانتهاز الفرص واقتناص السوانح ، ولكن أكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم انتهوا الى فشل ساحق وكانت خواتيمهم أسوأ الخواتيم .

ولقد يريد هؤلاء الخير فى بداية أمرهم ويتوخون الصالح العام ، ولكن شهوة السلطان وظلمهم الى الطاعة عند الجماهير وخافة ضياع الامر من أيديهم ينتهى بهم حتما الى الاثرة ذاتها التى دفعت بهم فيعطفون على الاحتفاظ بالسلطان مهما كلف ذلك من ثمن، وواقضى من ضرائب وتكاليف جسام، ولكن الجماهير لا تلبث فى النهاية أن تسائل نفسها هل نحن حقاً نستمد من هذا البطل القوة الدافعة والعزة السامية التى كنا ننتظرها ، وهل هو حقاً يخدم غرضنا ومصالحنا ولا يخدم أغراضه هو ومصالحه ويشبع شهوته ويرضى ذاته على حسابنا، وأكثر ما يكون الجواب العملى على هذه التجوى الخافضة السارية فى خباجات نفوس الجماهير هو قيامها على هذا الطاغية واسقاطه من أوج مكانته ، بعد زوال الحلم الجميل الذى رفعه مكانا عاليا .

ومهما تكن الخوافز التى تدفع الجماهير الى السير وراء هذا النوع من الزعامة الاثرة الغاشمة، فإن الحركات التى تنشأ منها وتبدو فى بعض الاحيان بظاهر من الخيب، وأغشية

من الاحسان ، ليست سوى هزات وقتية لا تلبث أن تزول وتستيقظ الجماهير من سكرتها على حقيقة مؤلمة، وتعاود سيرتها الاولى فلا تسلم زمامها إلا في حدوده شيئتها وبرضاها، ليكون الزعيم الذى ترصيه هو فى الواقع رمز أمانها ، والفرد الذى تجتمع فيه إرادة الجميع .

ومن ثم كان الزعيم الذى تنتخبه الجماعة بمحض إرادتها، وتضع فيه كل ثقتها أنزع الى النجاح وأقرب الى التوفيق فى مهمته التى ألقى اليها كل قلبه وادخر لها كل جهده وأقى فى سبيلها عصارة روحه، لأن أثره فى كل اصلاح بارز وحافره عند الجماعات المختصة الموالية الواثقة به شديد النفوذ قوى التوجيه بالغ السلطان .

وليس وسيلة عملية فى سبيل الرقابة على توجيهاته والاشرف على منازعه وحوافره أو ثقب أثره وأدق عملا وأنجح نفوذا من صيانة الروح الديموقراطية فى البيئة التى اختارته، والحرص على الهيكل النيابى المقدس الذى يؤدى كل فرد عنده فرضته، فإن الديموقراطية فى الواقع حامية نفسها وفيها وسائل وقاية ذاتها، وقد يبدو ضرب من الاصلاح زاهى اللون مغريا بالرضوان ملهما السكون اليه، ولكنه يقتضى الاصطدام بالروح النيابى وهو قدس الدولة وسر منعتها، أو الخروج على أحكام الدستور أو مجاوزة الاوضاع الديموقراطية، ففى هذه الحالة لا ينبغي الاستجابة اليه تضحية بهذا جميعا من أجله، فان بقاء الديموقراطية سليمة أسلم، وقيام السياج منيعا أوفى وأمنع، ولا يجدى إصلاح كهذا، اذا كان فى قيامه هضم ناحية من أقدس نواحى الحياة .

الاصلاح الاجتماعى أثر الحافز الشخصى فيه :

كل اصلاح ظهر فى الجماعة منذ أبعد حدود التاريخ انما قام وتولد بدافع قوى من حاجة العصر وقوة توجيه المصلح أو المفكر أو الزعيم الذى نادى به ودعا الناس اليه، وقد يختلف الناس فى أمر هذا الاصلاح لأن العهد به ويذهبون فى تقدير مدى نفعه مذاهب متباعدة، فلا غناء لزاء هذا الاختلاف والتشعب عن أثر المصلح فى اقتناع الجليل به وحماية فكرته من مقاومة العناصر الرجعية له وحمل المخالفين على الاقتناع بسداده وحكمته .

وكثيرا ما قام المصلحون بالدعوة الى ضروب من الاصلاح الاجتماعى، فغروبا فى جيلهم واصططلحت العوامل المناوئة على مقاومتهم ولكنهم بالحافز الشخصى والدافع النفسى القوى المهمل المقنع الآخذ بالنفوس، واستطاعوا فى النهاية أن يقيموا اصلاحهم على أمتن القواعد ويحرموه من الفشل والاختفاق، ويطبعوه بطابع شخصيتهم البادئة،

ومجهودهم الجبار وكفاحهم المستميت .
 ان التطور الطبيعي بطيء وثيد ، لانه لايجد الدافع القوى الذى يجعل به ، ولا
 يظهر بالحافز الشخصى الذى يسوقه سريعاً الى الظهور ، ولكن الاصلاح الاجتماعى
 تيسر فيه السرعة ويتوانى له العامل المذكر له ، والروح المتقد النافخ فيه ، والالهام
 المستمد من قوة الشخصية الفاتنة التى تتقدم الى الناس به .
 ولعل أقوى مثل على أثر الحافز الشخصى فى توجيه الاصلاح الاجتماعى وسرعة
 استكمالها ، ووشيك سريانه ، واستفاضة شموله ، هو ما رأيت الدنيا أخيراً ، وهى
 مبهوتة عاجبة ، من أمر مصطفى كمال فى تركيا الحديثة فكأنما قد خلقها خلقاً
 جديداً فى بضعة أعوام ، وغمرها بروحه الحافزة ، فاندفعت فى أثره لاتلوى على شيء
 وقد يكون فى اصلاح كهذا شيء كثير من العيوب ، وقد يكون فيه الفج والشاذ ،
 والعارض الوقتى والسطحى ، والحداع البراق ، ولكن الزمن وحده هو الكفيل
 بنخله وغربلته ونفى الشوائب عنه ، وتطهيره من العيوب ، وفى التنفيذ والتطبيق
 وسيلة الحكم على الصالح فيمكنك فى الأرض ، ومعرفة غير الصالح والزبد فيذهب
 جفاء ، ولو أراد صانعه أن يسور عليه أشقى الأسوار ، ويحميه من التلف
 والافتراض والوبار ، فان قانون الحياة يأبى إلا أن ينفذ سلطانه ، وهو أن كل
 شيء لاصلاح له ، محكوم عليه بالقضاء .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ جميل خانكي

عرف الحافز الشخصى بأنه فكرة فى قلب الانسان وعقله بلغت منه مبلغ الايمان
 والعقيدة تدفعه ، ان خيراً فخير وان شراً فشر ، إلى القيام بعمل من الأعمال يدر
 من ورائه - هو أو الجماعة - فائدة . وقد قدم لهذا التعريف بأن الافكار إذا
 اختمرت فى الرؤوس ونضجت وتملكت مشاعر القلب بعد العقل حتى أصبحت
 من المرء وحدة لا تتجزأ كانت هى الايمان الذى يدفعه إلى تأييد هذه الافكار
 والدفاع عنها ، ويختلف المرء فى هذه المهمة قوة وضعفاً ، فإذا كانت الفكرة
 عقيدة راسخة عنده أبغمت وجان قواها كان فى مناصرتة لها لايبالى بكبيرة أو صغيرة
 مضحياً فى سبيلها بكل عزيز لديه .

وأثر الحافظ يظهر في الفرد كما يظهر في الجماعة ، وفي تطور الإصلاح الاجتماعي ، يظهر في جميع مناحى الحياة : السياسية والمالية والتجارية والعلمية والأدبية والزراعية والخيرية .

وفي الشؤون المالية ، دفع الحافظ الشخصى جماعة من المصريين فأنشأوا (بنك مصر) في وسط ٢٠ بنكا أجنبيا ، برأس مال ٨٠٠٠٠ جنيه ، بينما البنوك الأخرى تزيد رؤوس أموالها على عشرات الملايين من الجنيهات ، وماهى الأفترة وجيزة من الزمان حتى أصبح رأس مال بنك مصر مليوناً ، وأصبحت الودائع والأمانات والحسابات الدائنة الخاصة بالأفراد والهيئات الحرة والرسمية الموجودة لديه تزيد على ١٢ مليوناً ، وأصبحت حساباته الجارية تزيد على ثمانية ملايين ، وتفرعت منه عدة شركات .

وفي الشؤون الزراعية دفع الحافظ الشخصى بعض المصريين إلى تأسيس الجمعية الزراعية الملكية في ابريل سنة ١٨٩٨ ، وهى الآن محط آمال الفلاحين والمزارعين . والنقابة الزراعية العامة أثر من الحافظ الشخصى ، ولقد خدمت الفلاحين والمزارعين أجل الخدمات .

وفي الشؤون العلمية والأدبية كانت انشاء الجامعة المصرية نواة صغيرة في سنة ١٩٠٨ ، ثم أخذت في التدرج سنة بعد سنة إلى أن صدر في ١١ مارس سنة ١٩٣٥ المرسوم الملكى بانشاء الجامعة المصرية مكونة من كليات أربع : كلية العلوم وكلية الآداب وكلية الحقوق وكلية الطب ، ثم زادت عليها كليات الهندسة والزراعة والتجارة ، وأصبح عدد طلبتها الآن ٦٤٠٥ بعد أن كان لا يزيد على بضعة عشرات .

ولم فرق الكشافة المصرية وليدة حافز الجماعة ، وهى تربي الناشئة تربية جسانية وأدبية بتعويدهم الاعتماد على أنفسهم وبث روح الاقدام والاستقلال الذاتى .

وفي الشؤون الخيرية كان الحافظ الدافع إلى انشاء المستشفيات والمؤسسات الخيرية . وكان مشروع القرش وليد فكرة الشباب المصرى . وكان من نتائج حافز الشباب انشاء مصنع الطرايش والصناعات الأخرى المتصلة بغزل الصوف .

وفي الشؤون السياسية دفع الحافز سعدا إلى المبادرة بحرية مصر واستقلالها ،
وكان سبباً في وجود الأحزاب السياسية التي تسعى كلها لغاية سامية هي خير مصر .
وفي الشؤون العمرانية كأن أثر الحافز تأسيس مدينة هليوبوليس ، وهي وليدة
فكرة شخصين : البارون امبان وباغوص نوبار باشا .

والوسائل العملية لتوجيه الحافز الشخصي للخير العام هي :

١ - أن تسود البلاد حرية الرأي بأن يكفلها دستور الامة وتحافظ عليها الحكومة
القائمة ولا يمسها قضاء المحاكم .

٢ - انتشار العلم في المدن والقرى ، والتعليم الإلزامي هو الطريقة الفعالة لتثقيف
صغار الناس .

٣ - تعويد الناس وتربيتهم تربية أخلاقية ، فالأخلاق قوام كل مجتمع ، وعماد
كل نظام متين .

٤ - توسيع سلطة كبار الموظفين واختصاصاتهم وبث روح الاستقلال
الذاتي فيهم .

٥ - إفساح صدر الحكومة للبشروعات الفردية والتشجيع والمعاونة على
القيام بها .

٦ - الدعاية ، وتكون بالخطابة في الأندية والمجتمعات ، وبالكتابة في
الصحف والمجلات ونشر الكتب ، وشرط نجاحها ضمان حرية الخطابة
والكتابة والاجتماع .

وتؤدي هذه الوسائل إلى إيجاد البيئة الصالحة التي ينبت فيها الحافز الشخصي
نباتاً طيباً ، ومتى تكونت هذه البيئة وجد الحافز أمامه طريقاً سهلاً للعمل نحو
الغاية المبتغاة .

(٣)

ملخص رسالة

حضرة الآنسة زينب الحكيم

استهلت بحثها بأن ضربت مثلاً للحافر الغريزي في النمل وما يدفعه إليه من العمل
على الحياة وأنشاء القرى الواقعة له من العوامل الطبيعية .

ثم أخذت بعد ذلك في تطبيق هذا المثل على الانسان وتكوين الحافز الشخصى فيه ليبلغ الدرجة المرجوة له من الرقى فى الحياة .

ثم نقلت عن السير برسيمفال العالم الانجليزى مقارنة بين الأجنة الدنيا للحيوان والأجنة للانسان وكيفية نشأة الغرائز فى الجنين البشرى وتدرجها من البسيط إلى المركب بواسطة التقليد لأبويه طفلا وارثاته فى ذلك بواسطة العلم والمعرفة .

وبعد أن وصفت غرائز من سميتهم الموهوبين أو العباقرة والشواذ، وحاجة كل صنف من هؤلاء الى العناية الخاصة بتربيتهم وتعليمهم وتوجيههم الى ما يدعوا اليه استعدادهم الفطرى والتهدئى - رأت أن الطريق الذى يفهم به الخير والشر انما هو العقل ، وبإدراك حقيقتيهما يستطيع الانسان أن يتبعد عن الشر وأن يبعده عن غيره ، وأن يتجه نحو الخير ويرشد غيره اليه ، ولهذا ترى أنها واجهت شيئين :
١ - توفير جزء من نشاطنا الذاتى على جلب الخير ودفع الشر .

٢ - إيجاد مجتمع صالح يقوى الحافز الشخصى ويفرق بين الخير والشر ، ومن ثم نصل إلى المثل الأعلى لتوجيه الحافز الشخصى للخير العام .

ثم أشارت الى أن قيمة الحافز الشخصى الذى يصل بصاحبه إلى درجة العبقرية هي قيمة عظيمة ، وذكرت بعض العباقرة الذين دفعهم الحافز الشخصى إلى أحداث انقلابات علمية واجتماعية وصناعية وإنسانية ، وإلى أداء رسالتهم على الرغم من تعسف الظروف أو انصافها .

وقالت ان تاريخ التطور الاجتماعى يثبت ان الحضارة فى أية أمة لم تكن وقفا على تفوقها فى بعض مواهب جماعة من أفرادها فقط كالفنانين أو الأدباء مثلا ، بل ان الامة التى بلغت أعلى الدرجات فى الأدبيات مثلا انحطت فى العلوم والفنون الأخرى ، والتى ارتقت فى الصناعات والرياضيات انحطت فى الأخلاق . . . وأن جهود الافراد الطيبة فى كل ناحية يظهر أثرها فى الحياة العامة ، آتية بدافع حافزهم الشخصى ، لامن ضغط الحكومة ، ولامن لوم لائهم أجنبى ، فتجب المحافظة على هذه الجهود ورقابتها حتى لاتزعزع صاحبها التقلبات السياسية ولا النزعات من أى نوع .

ثم انتقلت إلى الوسائل العملية لتوجيه الحافز الشخصى للخير العام ، فرأت :
١ - افساح المجال لإظهار مرامى الحافز الشخصى ، وتشجيع أصحابه للوصول اليه ، ومساعدتهم قدر الاستطاعة

٢ - انشاء معامل للتجارب مؤقتا ، ومنشآت صناعية واقتصادية ، ونوادى الالعب الرياضية .

٣ - اسناد الرياضة لمن يمكنه الاصلاح الفعال الاثر

٤ - العناية بتأسيس نواد كثيرة للهو البرى ، ومنشآت لحماية الناصر وضعيف الارادة والشواذ والفقراء من التشرد والتسول، وتنظيم حالات العال ، والاكثار من المؤسسات الصحية ، واصلاح حال الفلاح بتحسين القرية ونشر الثقافة والتعليم .

٥ - تنظيم شؤون المرأة ، بدرس استعداداتها وتوجيهها الى ماهى أكثر ميلا لجهته ، مع حفظ حقها فى الحياة الطبيعية الأخرى ، وانشاء مدارس خاصة بفن الأمومة وتسكين الأسرة للأهات والآباء على السواء ، والعناية فى برامج التعليم بفن التمريض ، وبث روح الشفقة فى النفوس ، ودراسة العلوم الحديثة الى جانب القديمة ، والدين والفقه ، وعلم النفس

٦ - ايجاد نظام للتخصص لانجاح تجارب دراسة الموهوبين والشواذ .

٧ - انشاء مكاتب للتعارف الدولى ، وتدير الرحلات العلمية والاجتماعية .

٨ - العناية بانشاء مدارس أو فصول عالية للترجمة من لغات العالم الى اللغة العربية ومن العربية الى تلك اللغات ، لتترب الآراء والفكر بصورة صحيحة .

٩ - قطع دار المحسوبة والرشوة والتراكل ، فيستقر العدل وتطمئن النفوس .

١٠ - ايجاد هيئة منظمة تشرف على تطور الاصلاح الاجتماعى ، وتراقب طغيان المدنيات ، وتحارب البدع والخرافات ، وتشير بما يجب أن يقام من المنشآت المختلفة .

وختمت بحثها بأنها قد استندت الى النقط الثلاث الآتية، كخطة منظمة للانتفاع بأثر الحافز الشخصى وتوجيهه للخير العام ، لأن المسألة تحتاج الى كثير من التحليل الشخصى ، ومطالب الروح والتجربة الشخصية والانتاج العملى والقوة الطيبة ، وهذه هى النقط :

١ - قبول فلسفة الحياة أو المعيشة

٢ - طرق تعليم هذه الفلسفة

٣ - طرق انفاذ خطة الحفظ أو التعليم

مهد لبحثه بتعريف الخوافز بأنه يتولد من صورة أو فكرة ، تؤثر في الرأس وتسلل الى النفس مستودع الحس ، فتبعث فيها وجدانا غايته الظفر بتحقيق الصورة أو الفكرة التي أطربت أو أثارت العقل ، فسهل عليها احداث هذا التأثير في الميل ، وجمع القوى الحسية وتسخيرها لغايتها ، فتندفع هذه القوى راضية أو غير واعية ، سالكة طريقها الذي رسم لها .

والناس جميعا يعملون بقوة الخوافز ، ويولدونها وهم لا يدركونها ، وهى تتجه بهم الى ما استهواهم وأهاجهم ، بل الى ما أرادوه لانفسهم ، فتصنعهم بدورها كما صنعوها ، وتخلق ذاتيتهم ومستقبلهم ، وقد ترفعهم وترقى بهم إذا كانت أسبابها رفيعة راقية ، وتموى بهم وتدمرهم إذا كانت حقيرة مؤذية ، ولا يقف أمرها عليهم وحدهم ، وانما يتناول المجتمع معهم ، لأن وحدة الامة في ذاتية كل منهم ، ونهوضها من نهوضهم ، وفسادها من فسادهم .

والخوافز الشخصية ميول ، أو انفعالات ثائرة ، أو شهوات عمياء أو مبصرة ، اذا سارت تسلحت بأجهزة الروح ، واستعانت بقوى العزم والثبات والشجاعة وتكون منها فائدة إذا اتجهت الى الاصلاح والخير ، وتؤدى الى كارثة إذا قصدت نحو الفساد والشر .

نشأت الخوافز مع الانسان ، اذ كونتها عقليته ورغباته ، فبدت في اندفاعه نحو حاجاته في الوسط الذى كان يعيش فيه ، ثم تطورت معه بتطور شخصيته العقلية والاخلاقية ، تبعاً للبيئة وتقدم نظام الحياة ، وهى الآن كامنة في أسرار تصرفاتنا ، وأثرها بارز في حضارتنا ومعالم حياتنا ، وما وصلنا اليه من تقدم وعظمة وحرية .

وان كثيراً من النوابع والعظماء كونتهم الخوافز المتولدة من الحب ، إذ تنبها بعقولهم إلى فكرة العمل والسعى ليصبحوا أهلاً لمن أحبوا وتولد الخوافز الشخصية من التخييلات والانفعالات ، فيمكن توجيهها الى

الخير والاصلاح يتحكم العقل والنفس فيها ، واذا كانت خارجة على الضمير والواجب حجزتها الارادة حتى لا تؤذى صاحبها وتؤذى غيره معه .

وتتعلق العاهات العضوية ، أو الامراض الوراثية ، أو النقص الخلقية - بسبب الوراثة أو عدم التعليم وسوء المصاحبة ومؤثرات الفاسدة - حوافر صالحة تبعث الشخص إلى معالجة النقص واخفائه أو تعويضه ، وقد تحدث هذه النقص حوافر شريرة في بعض النفوس التي يهيجها النقد ، فتندفع عمية للنار أو لاثبات القوة . وتولد الحوافر الشخصية في الجماعات ، بسبب التحمس للفكرة التي تنقلب إلى غاية ، وهي تكون على أشدها وفي أنضل مظاهرها اذا كانت أداء الواجب للوطن . والوسائل العملية لترجيح الحوافر الشخصية للخير العام :

١ - الاهتمام بتعليم العقل ، فالقول الجاهلة والضعيفة تستويها الخيالات ، والصور التافهة ، وتفتتها المظاهر الحقيرة وتؤثر فيها .

٢ - الاهتمام بالرياضة والفرق الكشفية لاصلاح الاجسام وللوقاية من العلل البدنية ، لتوليد روح الاخاء والنشاط والطاعة واحترام النظام والواجب ، وهي تضاد نزعات الشر .

٣ - مراعاة الوالدين للميول الطبيعية في أبنائهم ، وتعمد الحوافر التي تحفز الاطفال والصبيان من صغرهم إلى حرف أو أعمال خاصة حتى ينغموا فيها .

٤ - الاستمانة بفن المؤثرات لتربية النفس وضاءة الضمير وغرس الشعور بالواجب والعمل للخير

٥ - تشجيع الحركات الصناعية والتجارية وربحها ماديا وأديا .

٦ - تشجيع رجال العلم والفكر .

٧ - تشجيع أبطال الرياضية والطيران

٨ - وضع طريقة للتربية الدينية لنقل أحكام الدين العظيم من الرؤوس إلى النفوس ، فليس مثل الذين هاديا روحيا ، ووازعا عن الشرور والآثام ، وموطدا للحياة الاجتماعية وواقيا لها من الانحلال والقوضى .

٩ - الاهتمام بتشجيع الاطفال في رياض الاطفال بالجوائز والثناء اذا تفوقوا في الحرص على الفضائل كالصدق والامانة ونحوهما .

١٠ - الاهتمام بابعاد الاطفال عن مصاحبة الاشرار ، لتلاصيحهم العدوى بسرعة وهم صغار ، واشعارهم بالاستقلال حتى يجوه لانفسهم ولاغيرهم ،

والابتعاد عن اربابهم لئلا يشبوا على الخوف والخنوع .

١١ - التشجيع على الزواج ، بتفضيل المتزوجين في الاعمال ، حتى ينصرف الشبان عن اللهو واللذات ويندجو المجتمع من أخطار العزوبة على الشبان والاخلاق

١٢ - تشجيع الزراعة ، باقامة المعارض للتفويض بها وبالمزارعين

١٣ - تشجيع العمل الحر بتوسيع ميدانه ١٤ - تشجيع كل عمل خيرى .

وان الجماهير لتأثر بأفكار الزعماء والقادة ، وتنطبع في نفوسهم خطبهم وكلامهم ونصائحهم ، فإذا تطوعوا بمال لمساعدة مشروع انساني حفزوا الشعب إلى التطوع مثلهم ، وإذا ثبتوا في جهادهم تأثرت الامم بهم ، وثبتت وراءهم مشدودة العزير ، وإذا ضحوا أضرموا نار التضحية في شعوبهم وحفزوا إلى الاندفاع في التضحية التي هي أشرف معاني البطولة .

(٤)

الموضوع الرابع البطالة ووسائل علاجها والتعليم الأقليمي وأثره في علاج البطالة

حضرة صاحب العزة مدير إدارة المطبوعات
اجتمعت لجنة التحكيم في الموضوع الرابع « البطالة ووسائل علاجها ، والتعليم الأقليمي وأثره في علاج البطالة » من المباراة الصحفية الادبية التي أشرف برياستها .
وقد قررت - بعد بحث الموضوعات التي قدمت إليها على ضوء القواعد المبينة في المذكرة المرافقة لهذا - أن تمنح حضرات :-

- ١ - الاستاذ محمد زكي عبد القادر
 - جائزة مقدارها ٧٠
 - ٢ - الدكتور علي عبد الواحد وافي
 - ٥٠ » »
 - ٣ - كل من الاستاذين حسنى الشنتناوى وعبد الحميد يونس
 - ٣٠ » »
 - ٤ - كل من الاستاذين محمد أبو المعاطي القديم
والدكتور أحمد سويلم العمرى
 - ١٥ » »
 - ٥ - الاستاذ مصطفى فهمى
 - ١٠ » »
- وتفضلوا بقبول وافر الاحترام .

رئيس اللجنة

١٤ يولييه سنة ١٩٣٦

(احمد عبد الوهاب)

القواعد التي اتبعت في اختيار المواضيع

نظرنا في كل بحث من نواح ثلاث : الناحية النظرية والناحية العملية وناحية اللغة والأسلوب .

١ - قصدنا بالناحية النظرية الدراسة العلمية لأنهم المظاهر لمشكلة البطالة ورد هذه المظاهر إلى أسبابها ومتابعة نتائجها دون التقيد بطريقة مدرسية للبحث ، ولم نطلب في هذه الدراسة أكثر من صحة التقدير - بقدر المستطاع - للوقائع الراهنة وسعة الاطلاع وسلامة المنطق في البحث، وصواب التسلسل السببي لما أورده الباحث من دواعي البطالة أو لما ارتآه من أنواع علاجها .

ولما كانت هذه الناحية النظرية هي السبيل الذي يخلص منه الباحث إلى بيان أسباب البطالة، لم يكن بد من اعتبارها أساس الموضوع وتمييزها على غيرها من النواحي في ترتيب الأهمية؛ إذ أنه بقدر نجاح الباحث في تعرف أسباب البطالة تكون السهولة في وصف العلاج الذي يلائمها ويقضى عليها

كما أنه لما كان الغرض الأصلي من بحث مشكلة البطالة هو تنظيم فرض العمل التي يستطيع فريق من أبناء الدولة استغلال مواهبه فيها والحصول على نصيبه من النتائج الأهمى عن طريقها كانت الصفة الغالبة لهذا الموضوع هي الصفة الاقتصادية، وهي التي يجب أن يفيها الكاتب حقها من البحث قبل غيرها من النواحي الأخرى التي وإن كانت تمس الموضوع عن قرب أو عن بعد إلا أنها لاتعدو - من ناحية درس مشكلة البطالة - أن تكون ظروفًا ملائمة لتأثير العامل الاقتصادي أو تؤثر فيه . ومن ثم كان لزاماً على كل كاتب أن يلتزم حدود المبادئ الاقتصادية الأساسية فلا يتورط فيما يخرج به على تلك المبادئ عن استعراضه للوقائع أو فيما يأتي به من حلول .

٢ - أما من الناحية العملية فلم يغيب عنا تشعب نواحي الموضوع وكثرة ما يمكن أن يقال فيه ، ولكن العبرة ليست في كل ما يمكن أن يقال وإنما بما يجوز أن يقال في حدود نظام اجتماعي وسياسي مقرر للدولة وفي نطاق موارد للأفراد أو للحكومة مع عدم اغفال الظروف التقليدية المحيطة بالفرد أو بالجماعة أو الآثار التي يمكن أن تترتب على الحلول المقترحة في نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وفي هذا الصدد لايسعنا إلا ابداء الأسف على ما لاحظناه في معظم المواضيع

أن لم يكن كلها من غياب أى بحث مقارن لمشكلة البطالة أو مقارنة الاجراءات التى اتخذت فى البلاد الأخرى مع ما يمكن اتخاذه منها فى مصر واحتمال نجاحه فيها من عدمه، وفى مثل هذا الغياب ما نيم على قلة اطلاع أغلب المتقدهين فى المباراة على ما يجرى فى بلاد أخرى كانت أسبق من مصر شعوراً بوطأة البطالة وأكثر منها تجربة بوسائل مكافحتها ، وقد كان يكون لأغلب المتباينين فى هذه المقارنة هندوحة عن الاتيان بكثير من الاقتراحات التى اثبتت الحوادث فسادها أو التى أظهر البحث بعدها عن وقائع الحياة الاقتصادية السليمة .

٣ - ومن ناحية الأسلوب لم نطلب أكثر من سلاسة الأسلوب وصحته والبعد عن التعقيد والغموض وتحديد مرامى الكلام بما يلائم التدقيق العلى والتفكير الهادى الذى يزن الأمور وزنها الصحيح .

(١)

رسالة الأستاذ محمد زكى عبد الفادر

مقدمة وتقسيم:

تعتبر البطالة من أعقد مشاكل العصر الحديث ان لم تكن أعقدها جميعاً ، وهى اليوم تشغل المقام الأول فى تفكير الحكومات وعلماء الاقتصاد والاجتماع ، وهى كما يقول « بيفردج » لاتدع ناحية فى الحياة دون أن تتناولها بشورها ، فهى مشكلة اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية ، وقد أشار إلى ذلك صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية فى الاجتماع الأول يوم السبت ٤ ابريل سنة ١٩٣٦ للجنة المشكلة برياسته لهلجنة مشكلة المتعلمين العاطلين: فوصفها بأنها « ذات أثر بليغ فى رفاهية البلاد سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية » ، وأشار إلى عبق شورها وتأصل متاعبها، وطلب إلى حضرات أعضاء اللجنة أن يبحثوا عن سببها « وهل هو يرجع إلى عيب فى نظام التعليم أو فى برامج الدراسة أو فى كيفية توزيع الطلاب على شتى المهن أو فى اختيار موظفى الحكومة ومكافآتهم أو فى النظام الاجتماعى ذاته أو فى بعض أركانها » ، فالبطالة ليست مشكلة الصناعة وحدها ، وليست مسألة الاقتصاد وحده ، ولكنها مسألة الدولة الحديثة كلها .

قال مستر هارولد باتلر مدير مكتب العمل الدولي في جنيف « ان طمانينة الدولة في الوقت الحاضر أصبحت لا تعتمد فقط على تحصين حدودها بل على قدرتها على أن تتيح لكل طبقات مواطنيها وسائل كافية ومناسبة للعيش (١) » وقال مستر والتر ريمان الناشر الأمريكي المعروف « ان واجب الدولة في كفالة مستوى مناسب من المعيشة لشعبها جوهرى مثل واجبها في حماية الاستقلال الأهل (٢) » ولم يعد هذان الكاتبان الصواب فيما قالا ، فان واجبات الدولة الحديثة قد تطورت ، وهكذا لم تصبح البطالة مشكلة اقتصادية فحسب ولكنها أصبحت مشكلة سياسية . وقد شهدنا في السنوات الأخيرة مضاعفات عديدة لهذه الظاهرة فان الانقلاب الرومى تقف وراء البطالة . ويستطيع الباحث أن يجد بسهولة مثل هذه البطالة بالذات تقف وراء حركات التجديد في ألمانيا على يد هتلر . وفي إيطاليا على يد موسوليني .

وليست البطالة شراً جديداً في العالم بل لقد عرفت منذ أقدم العصور ، ولكنها كانت تتخذ صورة أخرى ترجع إلى طبيعة العصر وإيمان الناس وكيان الدولة نفسها حين تحمل الضائقة والحاجة وتحمل الأرض يأخذ الناس هذه الشرور على أنها إرادة الله ومشئته القدر وتلك قوى لا منجاة منها ولا دفع لها بغير التسليم والرضاء ، ومع ذلك فلم تكن البطالة بالصورة التي نعرفها اليوم موجودة في العصور الأولى حين كانت الزراعة هي المعتمد الأول وحين كانت الطبيعة سخية جوادة والسكان قلائل وميادين الاستغلال واسعة ، أما اليوم فان الناس لا يأخذون البطالة شراً مسلماً به ولكنهم يرونها اضطراباً يجب أن يزول وداء يجب أن يعالج ، واليوم تضيق بالناس الموارد ، فالأرض البكر قليلة ومصادر الثروة التي لم يستغل بعد ليست بالكثيرة التي كانت بها منذ قرنين أو ثلاثة قرون ، يضاف إلى ذلك تزايد الناس دون انقطاع أو توقف وتعقد الصناعة واعتماد المصانع على مستهلكين في أقاصى الأرض وتأثر الاستهلاك بشقى العوامل بين سياسية واجتماعية وقومية .

وحين كانت البطالة شراً غير منظور كانت النزعة الغالبة بين العلماء في القرون

(١) تقريره الأخير الذى رفعه في أواسط السنة الماضية لمؤتمر العمال الدولى .

(٢) The method of freedom سنة ١٩٣٤ ص ٣٥ .

الوسطى وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر نزعة طبيعية تقوم على حرية العمل *Laissez - faire* ، كان هذا مذهب الفيزيوقرات وهو المذهب الذى ساد أوروبا ثلاثة قرون كاملة ولبت مسيطراً عليها حتى انتصف القرن السابع عشر ولبت نزعة تمجيد الطبيعة والايمان بقدرتها على الملاءمة بين حاجات الناس المتباينة غالبية على كتابات آدم سميث مع تطور اقتضاه تحليل علم الاقتصاد من اخطاء الفيزيوقرات فهو يرى أن النظم الاقتصادية يجب أن تعمل وحدها دون تدخل الحكومة ، فحرية العمل وحرية المبادلة يجب أن تكفلا ، ومن رأيه أن السكان مثل البضائع سواء بسواء يتحددون بقانون العرض والطلب فحين يزيدون عن الحاجة تنخفض أجورهم وحينئذ يكفون عن الزواج والتناسل حتى تتم الموازنة بين العرض والطلب ، فشكلة البطالة عند آدم سميث مشكلة تحملها الطبيعة وهو يقول ان الفرد في سعيه وراء مصلحته الخاصة « تقوده يد خفية نحو فائدة المجموع ، وهكذا بينما يطيع هذه الرغبة التى غرسها الله في نفسه يحقق أغراض الله الخيرة (١) »

ولكن مalthus ، وهو من علماء المدرسة الكلاسيكية مثل آدم سميث ، ملح خطر تزايد السكان وعدم وفاء موارد الثروة بحاجتهم فدعا إلى الموازنة بينهما ، وهو يشبه السكان في تزايدهم بالارنب الذى يجرى مسرعا بينما ترحف الثروة في بطء كالسحفاة ، فيجب أن نغرى الارنب بالبطء قليلا إلى أن تلحقه السحفاة وإلا حلت الكارثة بالعالم

ونلح مثل ايمان آدم سميث بالطبيعة ومقدرتها على تجنب الكوارث وتوفير المعاش للناس في كتابات بعض العلماء الذين جاءوا بعده مثل كبرى Carey الامريكي وباستيا وجان بابتست ساي وسينيور

وكان منطقيا بالنسبة لهؤلاء العلماء ألا يفكروا كثيراً في البطالة فهم مؤمنون أن النظم الاقتصادية إذا تركت دون تدخل من الدولة قادرة على أن تحقق السعادة للناس جميعاً ، لذلك ذهبت صيحة مalthus غير مسموعة في وسط الرخاء الذى صاحب الانقلاب الصناعى وأخذ بعض الكتاب مثل كبرى يهزأون به ويقولون « هاهم السكان قد تزايدوا ولكن الثروة زادت أضعاف أضعاف عددهم » ونسوا أن نظرية مalthus قامت على فروض معينة لم تتحقق جميعها في الانقلاب الصناعى

(١) الجزء الاول من كتاب ثروة الامم ص ٢٤١

وانما أردت بها الاستطراد الضروري أن أشير إلى أن البطالة لم تكن شراً اجتماعياً ملموحاً حين كانت الصناعة في أولى مراتبها وأن الشرور المقاربة لها حين كانت تحمل بالأمم الزراعية في عصور مترامية في القدم على شكل الاحمال والمجاعة لم يكن ينظر اليها الا على أنها ارادة محتومة للقدر لاسبيل إلى دفعها ، وكان الايمان بالطبيعة قويا في هذه العصور ولبت على قوته إلى عهد آدم سميت الذي نادى بالحرية الكاملة في المنافسة والعمل .

ولكن كما تطورت فكرة الدولة تطورت فكرة الاقتصاد الحر ، وحل محله في هذا العصر الاقتصادى المرسوم ، وأخذ أصبح الدولة يبدو في شتى ظواهر الحياة ، واتسعت وظائفها اتساعاً كبيراً ، وبعد أن كان الايمان قويا بان النظم الاقتصادية قادرة دون أى تدخل على تحقيق السعادة للانسان أصبح الايمان اليوم بأن تدخل الدولة ضرورى لوقف شروخ الحضارة الصناعية ، ولإقامة التوازن الضرورى الذى فقد في المنافسة الحرة ، وأصبح من واجب الدولة كما قدمت ليس حماية الحدود السياسية والسهر على طمأنينة الدولة من الغزو الأجنبي فحسب ولكن يدخل في واجبها أيضا كفاية مستوى مناسب من المعيشة لينيها ، ولم تكن الدولة قادرة على أن تشمل نفسها داخل الحدود الضيقة التى رسمها فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر ازاء الصيحات المتكررة بدعوتها للتدخل وفى هذا يقول فلورب راجمان وزير التجارة والصناعة فى بولندا : « ان الناس يطلبون دائماً إلى الدولة أن تتدخل سواء بالتشريع أو بالتحكيم أو بمنح المعونة أو بتنظيم حرية الآخرين أو بتوفير العمل للعاطلين وإذا كان كل فرد فى الدولة يطلب اليها كل يوم مرتين على الأقل أن تتدخل لماذا اذن هذه الشكوى من التدخل ؟ لنقل بصراحة أنها ليست الحكومة ولكن الجماعة هى التى تميل إلى التدخل (١) » .

على أن الذى يؤكد واجب الحكومة فى التدخل هو أن الازمة الحاضرة لا ترجع إلى فعل الطبيعة ، ولكن ترجع إلى عجز الانسان عن توزيع خيراتهما على من يحتاجون اليها . وفيما معنى لم يكن فى استطاعة الناس أن يفعلوا شيئاً لئلا كوارث القحط والاحمال والأوبئة الا أن يوزعوا كميات الطعام الباقية . أما اليوم فشكة قلة الطعام قد حلت بفضل العلم والتوسع فى استثمار موارد العالم بل أن هناك من

(١) من خطبة ألقاها أمام اللجنة المالية بمجلس النواب فى ٢٣ يناير سنة ١٩٣٥ ، ويلاحظ أن هذا الوزير من أشد المعارضين لسياسة التدخل من جانب الدولة .

الطعام والمواد الخام أكثر بكثير مما ينتظر أن يحتاج اليه الاستهلاك . فالفلاح لا يحصل على ما يوازي عمله ومجوده ومع ذلك فهناك ملايين يتضورون جوعاً . وقد اعتزج هذا الاحساس بالتناقض في ضمير الجماهير حتى انقلبت إلى شبه يأس من النظام الاقتصادي . فن المعقول اذن أن نطالب الحكومات بأن تبذل تجربتها ونشاطها وذكاءها في سبيل كفالة الحاجات الاولى من الطعام واللباس والسكنى للشعوب كما تكفل صيانة حدود الدولة وتعمل على توزيع خدمات اللاسلكى والمواصلات الجوية (١) .

والواقع أن المشكلة اليوم ليست مشكلة القلة ولكنها مشكلة الكثرة فهناك الفقر الشديد وسط الثراء الواسع . ان الكارثة تجىء كما يقول جودوين من التوزيع وليس من الانتاج « ان العالم فيه من اثروة مايكفى كل ساكنيه ولكنها ليست موزعة عليهم جميعاً (٢) »

وقد جرى عرف الكتاب الغربيين حين الكلام عن البطالة على صرف معناها إلى بطالة العمال في الصناعة وقصرها على العمال الذين يتناولون أجوراً Wages أما غيرهم من ذوى المهن الحرة كالحمامين والاطباء أو الوظائف الكنتائية أو الوظائف الفنية التى يتناول أصحابها مرتبات شهرية فلا يدخلون في نطاق البطالة بمعناها المعروف . وهذا مأساثير اليه في القسم الاول من البحث الذى أرى ان أقصره على البطالة بهذا المعنى العام مشيراً الى أسبابها ووسائل علاجها ، وهى وان كانت بهذا النطاق الصناعى تغنى البلاد الصناعية العريضة الا أنها لا تخلو من فائدة بالنسبة لمصر وهى توشك أن تصبح هى الأخرى بلادا صناعية . ومع ذلك فسأتوخى ما استطعت البعد عن التفصيلات الفنية الدقيقة . وسأعالج في القسم الثانى من البحث البطالة في مصر وأسبابها ووسائل علاجها جاعلا لها نطاقا آخر غير نطاقها في البلاد الصناعية فتشمل التعطل عن العمل أيا كان المتعطل عاملا صناعيا أو زراعيا أو صاحب مهنة أو موظفا كتابيا محاولا ما استطعت بحث أسبابها ووسائل علاجها مفضلا العمل منها مراعيًا في ذلك حالة مصر من الوجهة الاقتصادية والاخلاقية والمالية ، وفي هذا القسم أتحدث عن أثر التعليم الاقليمى على البطالة

(١) تقرير مستر هارولد بتلر عن سنة ١٩٣٤ .

(٢) Political Justice لويليام جودوين سنة ١٧٩٣

القسم الاول

البطالة ووسائل علاجها في التعبير العام عند الأمم الصناعية :

التعير بالبطالة والمبتطلين يشمل مسائل عديدة ولا بد من تحديد المقصود بالمبتطلين أو العاطلين تحديدا دقيقا، فهم من غير ريب جزء من عدد كبير من العمال الذين لا يشتغلون في وقت من الاوقات وهؤلاء يشملون المرضى والمصابين بالعاهات والذين لم يصلوا بعد إلى سن العمل . وتلك فئات يجب استبعادها عندما نتكلم عن (العاطلين) كما يجب استبعاد المضررين والذين يرفضون العمل وهم قادرون عليه . فالبطالة تشمل فقط هذا الفريق من العمال الذي لا يعوقه عائق جسماني أو أخلاقي عن العمل ولا يجد مع ذلك العمل الذي يقيته ، كما أنها تقتصر فقط على العمال الذين يتناولون أجورا Wage - earning (١) .

أما أسباب البطالة فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام كبرى :

- ١ - أسباب ترجع إلى تنظيم الصناعة . Organisation of Industry
- ٢ - فشل اقرار العلاقات الصناعية .
- ٣ - أسباب شخصية .

وهذه الأسباب تتفاعل بعضها مع البعض الآخر ، فقد يكون سبب عطل عامل من العمال راجعا من جهة إلى تنظيم الصناعة ومن جهة أخرى إلى حالته الشخصية ومن جهة ثالثة إلى سلوكه في نزاع وقع بين صاحب العمل والعمال ، ويقول « ييفردج » ان تقسيم العمال بالنسبة إلى أسباب عطلهم هو في الواقع مطلب عسير وكل ما يمكن هو تقسيم أسباب البطالة ذاتها .

١ - الأسباب التي ترجع إلى تنظيم الصناعة :

١ - التخصص دون التعاون أو الاتحاد - ان النظام الصناعي يقوم على مبدأ تقسيم العمل أو التخصص ، فأنواع العمل المختلفة وهي الأرض والآلات والمواد الخام يرتبط بعضها بالآخر وكل منها إذا عزلت عن غيرها أصبحت قليلة النفع . فالمتخصصون في كل هذه الأقسام يجب أن يتعاونوا قبل أن يستطيعوا انتاج أى

(١) A. C. Pigou استاذ الاقتصاد السياسي بجامعة كامبردج في كتابه

« البطالة » ص ١٤ .

شئ ذى منفعة . وكلما كان التعاون ناقصاً أو ضعيفاً كانت أداة الصناعة كلها مرتبكة فأول سبب جوهرى للبطالة هو سوء التخصص فى الصناعة أو سوء تقسيم العمل . وفى الجماعات الأولى مثل عائلة ريفية تكفى نفسها بنفسها لا توجد البطالة إذا استثنينا البطالة الناتجة عن حالة الجوع ولكن ان يموتوا جوعاً لأنهم أنتجوا أكثر مما يجب كما يحصل الآن فى الصناعة فلا يقع، لأن تنظيم الانتاج والاستهلاك فى يدهم وتحت امرتهم . والسبب فى ذلك راجع إلى أن المنتج هو المستهلك والبائع والمشتري وصاحب العمل هو العامل . ولنفترض الآن أن قرية من القرى نمت واتسعت وزاد سكانها واشتغل أحدهم حداداً وبذلك لم يعد ينتج طعامه بنفسه ، وإنما أصبح يحصل عليه بالمبادلة ، مثل هذا الرجل قد يصبح فى يوم من الأيام عاطلاً متى أصبح الفلاحون فى غير حاجة إلى الحدوات التى يصنعها لهم ، وحينئذ كيف يتصرف ؟ قد يسلك أحد طريقين ، إما أن يرجع فلاحاً ينتج طعامه بنفسه ويصنع أدواته بيده وهذا معناه انحطاط فى مستوى المعيشة لأن الفلاحين سوف لا يجدون اختصاصياً يصنع لهم الأدوات التى يحتاجون إليها ولكنهم من الجانب الآخر سيتمتعون بحياة مطمئنة لا يهددها الفقر ، وأما أن يبقى حداداً ويصنع أشياء أخرى غير الحدوات يحتاج إليها الفلاحون ويعطونه الطعام بديلاً عنها ، ولكنه إذا استمر على هذه التحسينات والتجديدات والتوسع فسيجد نفسه فى يوم من الأيام صاحب مصنع كبير يمون ليس فقط القرية التى بدأ فيها والقرى التى حولها بل الاقليم كله ويصبح فى خطر من الحرب أو الثورة أو إفلاس البنوك أو غير ذلك من الطوارئ التى تفسد عمله وتخرّب مصنعه ، حقاً لقد تحسن مستوى معيشته ولكنه أصبح تحت رحمة الطوارئ والحوادث .

وهذه القصة البدائية عن هذا الحداد توضح لنا الحياة الصناعية الكبيرة التى يحياها العالم اليوم فاما أن نصل الى مستوى للبعيشة أرقى وأفضل على أن نكون حينئذ تحت رحمة الطوارئ والحوادث وخطر الاضمحلال والتدهور والجوع . وإما أن ننحدر إلى مستوى ضعيف منحط ولكننا نكون فيه أكثر أمناً وطمأنينة بـ سوء التقدير للطالب - أصبح تقسيم العمل والاختصاص فى الصناعة معقداً للغاية حتى ان انتاج أغلب البضائع لابد أن يبدأ فيه قبل اعدادها للاستهلاك بشهور وقد يكون من المفهوم أن تشتغل المصانع الفردية بناء على طلبات أو اتفاقات

ولكن المصانع الكبيرة التي تمون عشرات الاسواق والتي تحتاج البضائع التي تنتجها إلى شهور من العمل لا بد أن تدبر ما كيناتها على أساس ما ينتظر من الطلب لاعلى ماتحقق منه فعلا . وهنا يجيء الخطر لأن سوء التقدير للطلب المستظر يجبر الى كارثة

ج - التطور في بناء الصناعة - وهذا لا بد أن يحصل بل هو يحصل مراراً وربما في عام واحد . فقد تموت بعض الصناعات بينما تكون صناعة البلاد بصفة عامة آخذة في النمو والازدهار ، وقد تخترع آلات جديدة وتختزل عمليات كانت موجودة وكان يشتغل فيها عمال فيتعطلون ، وقد يستغنى بصنف من العمال عن آخر مثل الاستعاضة بالنساء والأطفال عن الرجال كما حدث في بريطانيا العظمى اذ حل النساء محل الرجال في صناعة الأحذية والفرش .

د - التغيرات الموسمية - وهذا السبب ظاهر الاثر ومعناه ان حرفة من الحرف أو صناعة من الصناعات تصل في بعض شهور السنة إلى حد مرتفع وتنحدر في وقت آخر من السنة ، وهذه التغيرات قد تكون أقل أثراً ووضوحاً في بعض السنوات عما هي في سنوات أخرى وهي على كل حال تنتج أثرها فاذا كان الطلب قليلا وجب أن يقل الانتاج ومتى قل الانتاج قل العمل ونشأت البطالة ، ومع ذلك فان البطالة التي تنشأ لهذا السبب لا تكون بالشدة التي قد تتبادر إلى الذهن لأول وهلة فان ضعف الطلب في بعض فصول السنة يعالج في كثير من الاحيان ليس بالاستغناء عن العمال ولكن بتشغيلهم ساعات أقل في اليوم وفي الأسبوع فضلا عن أن بعض العمال الذين يستغنى عنهم في صناعة من الصناعات يجدون عملا في صناعة أخرى وثالثا لان هذا الهبوط الموسمي معروف ومقدر فالاستعداد له مفروض والكارثة التي تجيء بعد الاستعداد لها تكون أقل وطأة من الكارثة التي تقع فجأة ودون سابق انذار .

هـ - البورة الصناعية أو ما يسمى Tradecycle - لوحظ أن فترات الرخاء والازمة تتتابع في مراحل منتظمة ، ففي بريطانيا العظمى مثلاً وقعت الضائقات الاقتصادية في سنوات : ١٨٢٥ و ١٨٣٧ و ١٨٤٧ و ١٨٥٧ و ١٨٦٦ وهكذا ، وقد قيل في تفسير هذه الظاهرة ، سواء في بريطانيا العظمى أو في غيرها من البلاد ، إن هناك دورة صناعية منتظمة تختلف مدتها من سنة إلى ١٥ سنة .

ويمكن تتبع مراحل هذه الدورة على النحو الآتى :-

١ - الرخاء ٢ - الانتكاس ٣ - الهبوط ٤ - الانتعاش .

ففى مرحلة الرخاء تزداد المقدرة على الشراء ويزداد العمل وتنعدم البطالة وترتفع الاسعار والاجور وتكثف الانتاج كما تسخو المصارف فى التسليف، وهى فى عبارة موجزة مرحلة من الانتاج الضخم والتفاؤل الشامل .

وفى المرحلة الثانية يضمحل النشاط السابق ، ويقل الشراء وتنشأ البطالة وتبدأ الاسعار فى الانحدار بأسرع مما ارتفعت ، ويكون الانحدار فى أسعار الجملة أولاً ثم تتلوها أسعار التجزئة وتنحط الاجور وان يكن انحطاطها لا يتم بمثل السرعة التى يتم بها انحطاط الاسعار وتنحط تكاليف الانتاج بسبب هبوط الاجور من جهة وبسبب التدابير التى يتخذها أصحاب الأعمال لزيادة مقدرة الآلات وكفاءتها وتحجم البنوك عن التسليف ويضمحل الانتاج بصفة عامة ويحل التشاؤم محل التفاؤل الذى كان سائداً فى المرحلة الأولى ، ويتبع التجار والصناع سياسة الشراء من اليد للقم فهم لا يحسرون على تخزين بضائع لا يلبحون فى الافق باردة أمل فى تصريفها قبل أن تنحط الاسعار انحطاطاً جديداً .

وتتكون المرحلة الثالثة وهى مرحلة الهبوط فترة عمل قليل هزيل تحف بها البطالة والخسائر الفادحة فى التجارة والصناعة وإشهار إفلاس كثير من المحال والشركات والبنوك . وتبدو الاسعار فى ميل للبقاء ثابتة أو الانحطاط انحطاطاً قليلاً . أما الاجور فتتهبط إلى أقل من المستوى الذى وصلت اليه ويحاول المنتجون تخفيض مصاريف الانتاج وان كان الانتاج ذاته يستمر ضعيفاً ويستمر ظاهر الحياة الاقتصادية داعياً للتشاؤم وان كانت تبدو فى بعض نواحيه بوارق أمل خفيفة فى الانتعاش .

ونصل إلى المرحلة الرابعة، وهى المرحلة التى يسودها الأمل وتمتاز بالانتعاش و بهبوط عدد العاطلين وتميل الاسعار للارتفاع قليلاً وتزيد البنوك فيما تقرضه، وتبدأ الاجور فى بعض الصناعات ترتفع ويبدأ التفاؤل يجد طريقه إلى رجال الصناعة الذين يكثر من الحديث عن الرخاء حتى يقتنصه كايتمول الامر يكون، ويصل بنا دور الانتعاش تدريجياً إلى الرخاء ومن ثم تبدأ دورة صناعية جديدة هذا ويجب ألا يغيب عن البال اننا حين نفرق بين هذه المراحل الأربع انما نفرق بينها من وجهة نظرية محض فلا يمكن أن نحدد بالدقة متى انتهت مرحلة

ومتى بدأت التي تليها ، وكل ما في الامر أننا حين نلقى نظرة على الماضي نستطيع أن نقول إن مرحلة ما بدأت حوالى هذا الوقت دون المرحلة التي تليها ، ومن أجل هذا لاستطيع أيضاً أن نحدد متوسط الوقت الذى تستغرقه كل مرحلة من هذه المراحل ، وقد قام مكتب الابحاث الاقتصادية فى الولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٣٦ بتجريات دقيقة استعرض فيها ١٦٦ دورة صناعية فى ١٧ دولة مختلفة فتبين له أن مرحلة الهبوط تستغرق سنة لكل ٠.٧ ر سنة تستغرقها فترة الرخاء وان أقل من ربع المدة التي تستغرقها الدورة تشغله فترة الانتعاش وفترة الانكسار .
وللدورة الاقتصادية ثلاث مميزات :

١ - هذه الدورة عامة ففى تؤثر على كل صناعة وان كانت صناعات الآلات تقامى أكثر من غيرها وفى بعض الاحيان تحل بها الازمة قبل سواها من الصناعات التي تنتج للاستهلاك المباشر كما أن الصناعات التي تنتج البضائع التي تستمر مدة طويلة تقامى أكثر من الصناعات التي تنتج البضائع التي تستهلك بالاستعمال مباشرة ، والصناعات التي تنتج البضائع للتصريف فى الخارج تقامى أكثر من الصناعات التي تعتمد على الأسواق المحلية . وعلى كل حال فانه من الوجهة العملية قلما تجو صناعة من الصناعات من التأثير بالازمة .

٢ - وهذه الدورة الصناعية تشمل كل البلاد التي تتبع الوسائل الحديثة فى الانتاج وتدخل فى ذلك البلاد الصناعية القديمة والبلاد الصناعية الحديثة وكذلك البلاد الزراعية والبلاد التي تصدر كثيراً من منتجاتها ، والبلاد التي تحاول أن تستقل بنفسها عن غيرها محل للتأثر بالدورة الصناعية إذا كانت تتبع الوسائل الحديثة فى الانتاج .

٣ - والدورة الصناعية ظاهرة غريبة تحمل فى طياتها التناقض لان هبوط الصناعة يقترن بوفرة البضائع . ومن المعقول ان قلة البضائع تؤدي إلى حدوث أزومات ولكن من الغريب أن يضار الناس من كثرة البضائع ومع ذلك فان هذا الذى لا يصدق يحصل فى بعض الأحيان وهكذا نجد الفقر فى وسط فيضان من الثروة .

ولاشك أن أثر الدورة الصناعية على البطالة غير منكور فعند ما يقل الطلب على البضائع يضطر أصحاب الأعمال إلى الاستغناء عن العمال الذين كانوا يصنعون هذه البضائع الزائدة ويقدر عدد العاطلين عن العمل فى الظروف

الاقتصادية الحسنة بنحو ٢ أو ٣ في المائة من طبقة العمال فإذا ساءت هذه الأحوال ارتفعت النسبة إلى ٧ أو ٨ أو ١٠ وفي بعض الأحيان إلى ٢٠ أو ٢٣ في المائة . وفيما يلي احصاء عن نسبة البطالة في إنجلترا منذ سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٣٢ :

١٨٨٢ - ٢٣ في المائة

» ١٨٨٦ - ١٠٢٢

» ١٨٨٩ - ٢١

» ١٨٩٣ - ٧٥

» ١٨٩٩ - ٢

» ١٩٠٤ - ٦

» ١٩٠٦ - ٣٦

» ١٩٠٨ - ٧٨

(زمن الحرب) » ١٩١٦ - ٤ و

» ١٩٢١ - ١٧

» ١٩٢٧ - ١٠

» ١٩٣٢ - ٢٣

وهذه الأرقام تدل دلالة واضحة على أثر الدورات الصناعية على العمال العاطلين، ففي فترات الانتعاش يوجد عاطل واحد في كل ٥٠ عاملا ، وفي فترات الكساد يوجد عاطل واحد في كل ١٥ أو عشرة وفي بعض الأحيان بين كل خمسة من العمال . وفي سنة ١٩١٦ كان يوجد عاطل واحد في كل مائتي عامل وفي بعض الشهور في سنة ١٩٣٢ كان يوجد عاطل بين كل أربعة يعملون ، ولا يفوتنا أن الأرقام المشار إليها تستند إلى احصائيات نقابات العمال ، على أن الاحصائيات الخاصة بكل صناعة أعظم دلالة ، ففي صناعة الحديد والصلب وبناء السفن وصناعة التعدين كان يوجد رجل واحد عاطل بين كل ١٠٠٠ عامل في سنة ١٩١٨ وفي بعض الشهور في سنة ١٩٢٧ وفي بعض الشهور في سنة ١٩٣٢ كان يوجد عاطل واحد في كل ثلاثة عمال .

وقد وضع الاقتصاديون نظريات عديدة تكاد تبلغ المائتين في تفسير الدورة الصناعية ، نقتصر هنا على ذكر واحدة أو اثنتين لأننا لا نحب أن ندخل في تفاصيل قد تعقد الموضوع .

يرى بعض الاقتصاديين أن سبب الدورة الصناعية يرجع إلى تغيرات المناخ . فالبلاد الصناعية تبني كمية كبيرة من منتجاتها إلى الامم الزراعية ، وقوة الشراء في هذه الامم تتوقف على جودة محاصيلها وجودة محاصيلها تتوقف هي الاخرى على الظروف الجوية .

وأحسن النظريات التي تستند إلى أسباب المناخ هي نظرية ستانلي جيفونز Stanly Gevons وقد حاول أن يوجد صلة بين ظهور البقع الدورية على وجه الشمس وبين الدورة الصناعية وانتهى إلى أن الدورة المناخية تحصل كل احدى عشرة سنة ونصف السنة ، ولكن التجربة دلت على ان متوسط الدورة الصناعية يتراوح بين سنة وخمس عشرة سنة .

ويرى بعضهم أن الدورة الصناعية ترجع إلى الاسراف في الانتاج اذ يحدث في كثير من الأحيان ان صناعة معينة أو مجموعة من الصناعات تنتج أكثر مما تستطيع أن تبني ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب خاصة مثل نشوب الحرب أو وقها، ولكننا حتى اذا غطينا النظر عن هذه الأسباب الخاصة فان زيادة الانتاج يجرى نتيجة محتمة لعدم التعاون والاتحاد بين المنتجين . فلا بد في الحياة الاقتصادية الجديدة من الموازنة بين العرض والطلب فاذا كان تقدير الطلب خاطئا فان الثمن الذي قام الانتاج على أساسه سوف لا يتحقق . وهذا الانتاج الزائد والبطالة المترتبة عليه في صناعة واحدة أو صناعيتين يحدث أزمة عامة ، لأن البطالة تؤدي إلى اضمحلال الطلب وعلى الأخص في بضائع المستهلكين بل إن أقل اضمحلال في طلب بضائع المستهلكين، مهما كان طفيفا، يحدث نتائج خطيرة في الانتاج .

ولكي نوضح هذه الظاهرة يجدر بنا أن نستعين بتليها بمثل ، ولنفرض ان عندنا صناعتا وتاجرا بالجملة وتاجرا بالقطاعي ولنسم الأول محمدا والثاني محمودا والثالث أحمد ، ولنفرض ان محمدا يمد محمودا الذي يمد أحمد بشعر وحدات من بضاعة معينة كل شهر ولنفرض أن أحمد يبيع الشعر الوحدات كلها. ولنفرض أيضا انه في شهر من الشهور لا ي سبب من الاسباب باع ٨ فقط وانه طلب إلى محمود أن يمده بست وحدات فقط وحيث يمد محمود نفسه في مركز سيء فتمده أربع وحدات زائدة وقد هبط الطلب إلى ست فقط فاذا يصنع ٩ لاشك أنه سيبلغ في تخفيض طلبه من محمد فيرجو إليه أن يصنع له وحدتين اثنتين فقط وماذا يصنع محمد وعنده عشر وحدات من البضائع موجودة دون مشتر والطلب قد نزل إلى

وحدثين اثنتين فقط الا أن يتوقف عن العمل .
وهكذا نجد أن النقص البسيط في الطلب يتضخم ويبالغ في تقديره مبالغة كبيرة
وهكذا لا يصبح لدى الصانع محمد إلا سبيل واحد هو أن يطرد عماله وليس هذا
فحسب بل وأن يكف عن شراء ما كينات جديدة وهذا معناه إيجاد البطالة في
صناعات أخرى .

وهذه البطالة الجديدة ستضعف هي الأخرى الطلب فيزداد ضعفاً على
ضعف وهكذا تستمر الاحوال تجري على هذا التسلسل حتى يعم الضيق .

ومن رأى مستر روبسون في كتابه « علم الاقتصاد والبطالة » أن الدورة
الاقتصادية هي نتيجة الاسراف في انتاج بضائع رأسمالية Capital.goods بالنسبة
إلى بضائع الاستهلاك فان جزءاً كبيراً من الدخل العام للناس يتقل إلى عدد أقل
من الموسرين وهؤلاء الموسرون يصرفون جانباً كبيراً من ثرواتهم في بضائع
رأسمالية : في اقامة المصانع وشراء الآلات الخ وهذه البضائع الرأسمالية الجديدة
يزيد في انتاج بضائع المستهلكين، ولكن مادام الجزء الأغلب من السكان فقراء
نسبياً فان البضائع الجديدة لا تجد سوقاً رابحة ، ومن ثم ننتهى إلى البطالة وهبوط
الأسعار وحلول الضيق الذى يقترن بخسارات كبيرة في الصناعة كما يقل المال
المدخر المستثمر فيها .

ولم تلق نظرية روبسون ارتياحاً من الاقتصاديين ، ويقول البروفسور ويزلى
متشئلاً لأنه مادامت النظرية تقرر أن الطلب من جانب المستهلكين يتبع كمية بضائع
الاستهلاك فان أسعار هذه البضائع يجب أن تهبط قبل أسعار المواد الخام وبضائع
المستهجين ولكن التجربة أثبتت عكس ذلك .

ويقول بعض العلماء إن الدورة الصناعية ترجع إلى أسباب نفسية ، ويقول
آخرون إنها ترجع إلى نظام النقد والائتمان ، ولا أحب أن أدخل في تفصيلات
دقيقة لهذه النظريات المتعددة فان واحدة منها لم تلق تأييداً من جمهرة العلماء ، وانما
تكاد تكون آراء شخصية لواحد أو أكثر من الكتاب .

٣ - فشل اقرار العلاقات بين العمال وأصحاب العمل :

وتحدث الآن عن أسباب البطالة التى ترجع إلى الخلافات بين العمال وأصحاب
العمل والفشل في اقرار العلاقات بينهما . ويجب أن نلاحظ أن العمال يتزايدون فلا
يمكن أن نأمن البطالة بينهم إذا لم يزد الانتاج ، وزيادة الانتاج غير ممكنة في أغلب

الأحوال فالأسباب التي تحمل على وقف الانتاج عند حد معين تؤثر بدورها في بطة العمال وهذه هي الحال في اضطرابات العمال . وتوقف المصانع والمغازل عن العمل يؤدي هو الآخر إلى زيادة البطالة . وقد يحدث أن يؤثر الاضراب في المغازل على عمال النسيج فيضطر أصحاب مصانع النسيج إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمال وقد يؤدي اضطراب عمال مناجم الفحم إلى توقف مصانع الغزل عن العمل ويبدو لنا هذا التأثير غير في المباشر قويا وأضحى إذا استمر الاضراب مدة طويلة كما حدث سنة ١٩٣٦ حين أضرب عمال مناجم الفحم في انجلترا ستة شهور كاملة .

ولا يقف أثر الاضطرابات والخلافات بين العمال وأصحاب العمل عند زيادة البطالة في البلاد بل يمتد الى الاسواق الخارجية ويضعف الثقة في مقدرة المصانع المحلية على الوفاء بالطلبات الخارجية فتقل أو تنعدم اعتمادا كليا ، ويضطر العملاء الاجانب الى البحث عن مصانع أخرى ليست مصابة بأفة الاضراب ويكون تسليم بضائعها في الوقت المناسب مؤكدا .

٣ - الأسباب الشخصية :

والقسم الثالث من أسباب البطالة هو الاسباب الشخصية وقد كانت هذه الأسباب فيما مضى أعظم خطرا مما هي الآن ، فقد كان المعروف أن العامل لا يتعطل عن العمل إلا اذا عجز عنه أو أسرف في الشراب والمقامرة واللهو فأفسد صحته ، وأصبح غير لائق . ولكن أثر العوامل الشخصية في البطالة اضمحل في العصر الحديث اضمحلالا كبيرا وأصبحت البطالة ترجع إلى أسباب اقتصادية وصناعية . نعم إن العوامل الشخصية لا يمكن نكران أثرها ولكنها أثر ضئيل اذا قيس بما كان لها في العصور السابقة

وتتلخص هذه الاسباب فيما يلي : (ا) كبر السن . (ب) التشوهات الجسمية . (ج) الاخلاق (د) التدريب الناقص

وكبر السن ليس في ذاته سبباً مهماً للبطالة فكثيرا ما يكون العمال المتقدمون في السن أكثر قدرة وفهما للعمل من العمال صغار السن ، ويحدث في بعض الأحيان أن يطرد الصغار بينما يحتفظ صاحب العمل بالمقدمين في السن . ولكن متى فقد العامل المتقدم في السن عمله ساءت حالته إلى حد كبير لأن أصحاب الاعمال الاخرى يترددون في استخدام عجوز لا يعرفونه ويفضلون عليه عاملا مائز ال المستقبل أمامه .

والتشوهات الجسمية أو العقلية تجيء نتيجة رداءة الصحة أو الحوادث ، ومن يصاب بها من العمال يصبح غير صالح للعمل بالمرة أو صالحاً له في أوقات معينة وغير صالح في أوقات أخرى ، وعلى كل حال فإنه يصبح على هامش الصناعة ويصبح متعرضاً للبطالة بل قد لا يجد من يستخدمه الا إذا قل العمال ، وهذا احتمال نادر .

وسوء الاخلاق يؤثر على مقدرة العمال وكفاءته ، فالسكير أو المقامر لا يمكن الاطمئنان اليه وهو في نظر أصحاب الاعمال رجل ناقص يفضلون عليه غيره من الذين لم يعتادوا الخمر والمقامرة ، ويوجد كثيرون من العمال العاطلين لم يتعطلوا لسبب إلا لسوء أخلاقهم

وعدم التدريب على العمل هو الآخر سبب من أسباب البطالة وان كان سبباً ضئيلاً الاثر (١) .

ويجب ألا يغيب عن البال أثر العامل النفسى في احداث البطالة . فقد يتشاءم أصحاب الاعمال ويلجئون في الافق أزمة قادمة فيتصرفون على هذه العقيدة تصرفات عديدة يكون من بعضها أن يخفصوا الانتاج ، وفي تخفيض الانتاج يتعطل فريق من العمال . وعلى العكس من ذلك اذا ساد الجو الصناعى روح التفاؤل أقبل أصحاب المصانع على استخدام العمال ، وهكذا يبدو العامل النفسى عظيم الاثر وهو مضافاً الى غيره من العوامل يخلق في الصناعة أعقد مشاكلاً وهى البطالة .

ويلاحظ أيضاً أن البطالة لا تؤثر فقط على العمال ولكنها تؤثر أيضاً على البناء الاقتصادى كله ، فالعمال الذين لا يجدون عملاً ولا يجدون مرتزقاً تضعف قدرتهم على الشراء فيقل الطلب ، وإذا قل الطلب هبطت الاسعار وقل الانتاج وتأثرت المصانع والمعامل وتأثر مع هؤلاء بل وقبلهم الزراع ومشكلة البطالة نواح أخرى اجتماعية عديدة ليس هنا مجال الافاضة فيها ولكنها بالاختصار تؤثر على الاخلاق وتزيد الجرائم وزيادة كبيرة وتفسد نفسية الجماهير إفساداً خطراً يخشى منه على الكيان الاساسى للجماعة

(١) البروفسور ت . هـ فريزر : مذكرات غير مطبوعة .

أهم الاقتراحات التي بحثها الاقتصاديون :

ولكن هذه المشكلة المعقدة المظلمة ألا يوجد لها حل ؟ هذه المشكلة التي تكاد تقرب الحياة الاجتماعية قلبا عنيفا ، هل عجز عنها العلماء الاقتصاديون كل العجز وتركوها تفعل فعلها وتحكم بالبؤس والشفاء على طائفة كبيرة في الامم الصناعية ؟ كلا ... من الانصاف أن نشير هنا الى الجهود الكبيرة التي بذلها الاقتصاديون وإلى البحوث المستفيضة الدقيقة التي عالجوا فيها هذه المشكلة الخطيرة وإلى الحلول التي اقترحوها لها وإذا كانت لاتزال رغم هذا كله كابوسا ثقيلا يجثم على صدر العالم فليس الذنب ذنبهم وليسوا هم ازالها مقصرين ، ولكن العيب في النظام كله ، النظام السياسي والاداري والاجتماعي ونظام التعليم ، العيب في هذه الصيغة الشديدة لفرض القيود على التجارة والصناعة وتقسيم العالم إلى وحدات اقتصادية متبادية وتحرك المطامع السياسية في النفوس ، العيب في فقدان التعاون الدولي الصحيح ، فليست البطالة مشكلة أمة بذاتها ولكنها مشكلة العالم كله ، ولم يعد العالم يعيش منفصلا بعضه عن البعض الآخر وإنما هو يكاد يكون أمة واحدة تتجاوب في أنحائها الاصداء بأسرع مما يتصور الانسان وقد تؤدي سياسة اقتصادية معينة اتبعت في الهند والصين إلى تبطل العمال في إنجلترا وقد تؤدي سياسة تتبعها أديركا إلى ضيق اقتصادي في مصر وهكذا

والبطالة رغم أنها مشكلة لها آثار اجتماعية شديدة فهي في أصلها ومانشئها مشكلة من مشاكل الصناعة فيجب أن نلتبس علاجها باعادة التنظيم في ميادين الصناعة المختلفة حتى تقل التقلبات في حياة العمال ، والموضوع طويل والحلول المقترحة كثيرة ، غير أننا سنجتهد في حصرها والاكتفاء بالاقتراحات الهامة دون الدخول في التفاصيل :

١ - وأول هذه الاقتراحات تنظيم مكتب أو ادارة تكفل حماية العمال شر تقلبات الصناعة ، فقد أشرت آنفا الى أن بعض الصناعات لها مواسم يكثر فيها إنتاجها ومواسم يقل فيها الإنتاج . ومن الطبيعي أن مواسم ضعف الإنتاج تؤدي الى الاستغناء عن بعض العمال . فهمة المكتب أو الادارة المقترحة أن تسهل انتقال العمال من الصناعات القليلة الإنتاج الى الصناعات الوفيرة الإنتاج ،

وقد دلت التجربة على أنه حين تكون صناعة من الصناعات هزيلة الانتاج تكون صناعة أخرى دسمة الانتاج فيمكن أن يجد العمال الذين يشغلون من الصناعة الاولى عملا في الصناعة الثانية بواسطة هذا المكتب أو هذه الادارة التي تنشر بيانات وافية دقيقة بين العمال العاطلين

٢ - تنظيم سوق العمال - وذلك يكون بادخال نظام التبادل Labour exchange - وهذا التبادل يخدم أغراضا عديدة أشرنا الى بعضها فيما يختص بالتقليل من أثر التغيرات الموسمية في الصناعات

٣ - هجرة العمال - ولكن هذا الاقتراح الذى عرض قبل الازمة الاقتصادية وكان مأمول النفع والفائدة أصبح منذ نشبت هذه الازمة لافائدة فيه وعدل عنه

٤ - واقترح لعلاج تغيرات الدورات الصناعية Cyclical Fluctuations تعميم نظام التأمين والاستعانة بمايسميه الامريكيون بارومتر العمل Business Barometer لمعرفة مايمكن أن يكون عليه الطلب في السنوات المقبلة ، ووسيلتهم لهذا هى أن يجمعوا احصاءات كافية عن الانتاج في السنوات الماضية ويقارنوها بأرقام الطلب ، وهكذا ينتهون من المقارنة إلى استنتاج مايمكن أن يكون عليه في المستقبل، غير أن بارومتر العمل يكاد يكون فكرة خيالية فقد فشل فشلا تاما في بلاد مولده وأغنى بها الولايات المتحدة الامريكية

٥ - العلاجات الخاصة بنظام العملة والنقد - اقترح بعضهم أن يقدم منح التسهيلات العديدة في قروض الائتمان حتى يمكن مجابة اخطار المضاربة وتضخم النقود وفي الوقت ذاته يمكن تشجيع الصناعات في أوقات الأزمات وبهذه الطريقة يمكن التقليل من اخطار ارتفاع الائتمان ويمكن تفادى اخطار الازمات بمحاولة الارتفاع بمستوى الاسعار .

٦ - تنظيم استخدام العمال - وهذا له شقان أحدهما خاص بتنظيم المصنع في ذاته والآخر خاص بتنظيم الصناعة ككل ، ففما يختص بالمصنع اقترح أن يدرب العمال على أعمال متعددة فإذا اضطر أحد أقسام المصنع إلى تخفيض انتاجه انتقل العمال الزائدون إلى الاقسام الاخرى التي ستزيد نشاطها ، وان تتبع إدارة المصنع كل الوسائل الممكنة لحل الزبائن على التوصية على بضائعهم قبل حاجتهم اليها بمدة ، وفي أوقات اضمحلال الطلب يجب ألا يقلل المصنع من انتاجه بل يخزن

الاتاج الزائد الى وقت الحاجة
وهذه الوسائل وان كانت نافعة وفي مصلحة العمال الا أنها عمليا صعبة التنفيذ
وقلنا يعتمد مصنع من المصانع الى الاستثمار على الاتاج الكبير في أوقات الطلب
القليل على أن يبيع المخزون متى انتعش الطلب
أما فيما يختص بالصناعة كلها فقد اقترح أن توجّل طلبات بعض الصناعات الكبيرة
مثل انشاء السكك الحديدية أو بناء الكبارى الى أوقات الازمة . وهى بذلك،
فضلا عن أنها تخفض من حدة الازمة، تكسب مزايا الرخص في الأسعار
٧- التعجيل بالاعمال العامة الكبيرة - على أن أهم وسيلة لانعاش الحالة ومكافحة
الازمة هى التعجيل بوضع برنامج المنشآت العامة موضع التنفيذ لسنوات كثيرة
قادمة ، وقد دافع عن هذه السياسة في بريطانيا البروفسور باولى وهو اخصائى
بارع واقترحها على لجنة قانون الفقراء في سنة ١٩٠٩ وقال البروفسور باولى في
تفسير فكرته انه لو عمدت الحكومة الى تأجيل ثلاثة أو أربعة في المائة من أعمالها العامة
الى وقت نزول الأسعار فانها بذلك تعطى أكبر مساعدة لمكافحة وبيلات الدورة
الصناعية .

ومنذ وضعت الحرب أوزارها حظيت هذه السياسة بتأييد كبير من مكتب
العمال الدولى وهى لاريب تؤدى الى كثير من النفع ففى: أ- تساعد على استخدام
عمال كثيرين يلزمون لانتاج المواد الخام للاعمال الحكومية. ب- العمال الذين
يشغلون في هذه الاعمال سيحبضون أجور تزيد في مقدرتهم على الشراء فترتفع الاسعار
غير أننا لا يجب أن نبالغ في تقدير أثر هذا العامل فهو وإن كان مؤكداً للنفع الا
أن هناك عقبات عملية تحول دون الاعتماد عليه كل الاعتماد ، أو على الأقل تحد
كثيرا من نتائجه الحسنة ، فابست أعمال الحكومة بما يمكن أن توجّل جميعا ولا
بما يمكن أن يوضع لها برنامج محدود . فهناك أعمال تنشأ دون سبق تدبير أو تقرير،
وهناك أعمال يضرها التأخير ، وفضلا عن ذلك فان العامل المالى عظيم الاهمية
فقد يكون لدى الحكومة عشرات الاعمال الهامة التى يمكن أن تستخدم مئات
وآلاف العمال ولكنها لاتجد المال اللازم لها فتضطر الى إرجائها أو العدول عنها
هذه هى أهم الاقتراحات الرئيسية التى بحثها الاقتصاديون ويتفرع عنها عشرات
الفروع لاجد المجال بما يسمح بالافاضة فيها ، انما أردنا أن نضع صورة موجزة
صحيحة بقدر الامكان لهذه المشكلة التى قلبت النظم في بعض الحكومات الاوربية
وما تزال داء عضالا يحز في أجسام الدول الأخرى

القسم الثانى

مشكلة البطالة من وجهة النظر المصرية :

انتهت من الكلام على البطالة من وجهة نظر الأمم الصناعية ووضعت خطوطها البارزة في العمل والعلاج . ولا شك أن القارىء يلمح فيما كتبت جميعاً تعبيرات غريبة عن الحياة المصرية فلم تبلغ الصناعة عندنا بعد المبلغ الذى وصلت اليه في البلاد الأوروبية . ومع ذلك فأنى أرى أن دراسة ما كتب عن البطالة في الأمم الصناعية لا يخلو من فائدة بالنسبة لمصر وهي توشك أن تواجه نفس المشاكل وتجتاز نفس المآزق فمن الخير أن نتنفع بتجارب غيرها ، وأن تواجه الشر في منتصف الطريق .

وليست مصر خالية من بطالة بين طبقات العمال الذين يتناولون أجوراً Wage-earning ولكن متاعبها من هذا السبيل مازال محدودة ، إنما هي تعاني أشد المعاناة من نوع آخر من البطالة أشد خطراً وأشد حاجة إلى العلاج السريع هو بطالة المتعلمين .

وتمت خط أسود يبدو بعيداً في الافق يحمل معه مشكلة بطالة أخرى هي البطالة بين العمال الزراعيين فإن الآلات تغزو الحقول اليوم ، والمأساة التي نتجت منها حين دخلت الصناعة لأول مرة توشك أن تنتج منها وهي تدخل الزراعة ، والآلة تطرد العامل ، والعامل المطحود يصبح عاطلاً . وقد أخذت الآلات تعرف طريقها إلى الحقول المصرية ، وهي اليوم تقتصر على الزراعات الواسعة ، ولكن الزمن كفىل يتعمقها بين أصحاب الممتلكات الصغيرة

أحب اذن أن أعالج البطالة من وجهة النظر المصرية على أنها تعبير يشمل :
أولاً : المتخرجين في المدارس العالية وكليات الجامعة دون أن يوفقوا إلى عمل سواء كان هذا العمل في الحكومة أو في الشركات الحرة أو بمزاولة مهنة من المهن التي تؤهلهم لها اجازاتهم ، ويلحق هؤلاء المتخرجون في الجامعة الأزهرية .
ثانياً : هذا الفريق من الشبان الذين حصلوا على تعليم متوسط غير فنى ، أعنى حصلوا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثانى أو قسم أول ولم تمكنهم ظروفهم الخاصة من متابعة تعليمهم العالى ولم يوفقوا كذلك للحصول على عمل ، ويلحق هؤلاء الحاصلون على شهادات الأزهر المتوسطة (الابتدائية والثانوية) .

ثالثاً : المتخرجين فى المدارس الفنية المتوسطة (التجارة والصناعة والزراعة) ولم يحصلوا بعد على عمل .

رابعاً : المتطلين من العمال الصناعيين .

خامساً : المتطلين من العمال الزراعيين (الفلاحين) .

أسباب البطالة فى مصر :

وقبل عشرين سنة أو ثلاثين لم يكن أحد فى مصر يشكو بطالة لابين المتعلمين ولا بين العمال؛ أما اليوم فأنك لتجد الشكوى مرة ترفع من شتى النواحي . ويلوح لى أن البطالة التى تعانيها مصر هى بطالة ظاهرية تختلف فى أسبابها وجوهرها عن البطالة فى الأمم الصناعية . فمن الغريب مثلاً أن يوجد آلاف المتعلمين ونسبة التعليم فى مصر لم تزد بعد عن ١٠ أو ١٥ فى المائة ، وأن يوجد عمال متعلمون والصناعة عندنا تخطو أولى خطواتها وهى سائرة فى طريق الازدهار ، وليس فى طريق الاضمحلال . وإذا فهم أن تشكو بريطانيا البطالة لأن صناعتها وصلت إلى الأوج ثم عادت إلى الانحدار فأدت هذه الظاهرة إلى الاستغناء عن عدد كبير من العمال فيجب أن نرفض رفضاً باتاً شكوى مصر من البطالة بين العمال الصناعيين وهى بعد فى مهد الصناعة . وإذا فهم أن تشكو ألمانيا البطالة وليس فيها أمى واحد فلا يصح أن تشكو مصر البطالة ونسبة التعليم فيها عشر ما هى عليه فى ألمانيا . وإذا فهم أن تشكو إيطاليا البطالة ولم يصح فى رقعة بلادها شهر من الأرض دون استغلال (١) فلا يصح أن تشكو مصر البطالة وما يزال جزء كبير من أرضها لم يستغل الاستغلال الكافى ، بل وما تزال قوى عديدة فى جوها ومياه نهرها وتربة أرضها كامنة لم يفكر أحد بمد فى ايقاظها .

هى بطالة ظاهرية فيها أعتقد . ولست أقصد بقولى ظاهرية أنها غير موجودة ، بل هى موجودة ملبوسة . ولكن أقصد أنها بطالة كاذبة قد ترجع الى فساد فى نظام التعليم أو فى نظم الاقتصاد أو فى صميم الحياة الاجتماعية أو الى تطور جديد يتجاوز مصر أو الى أى الى اضطراب فى أى منحنى من مناحى الحياة المصرية أو نفسية المصريين ذاتها . أما أنها ترجع الى اكتظاظ الأرض المصرية بالسكان وقصور

(١) البروفسور برشيانى تيرونى : مذكرات غير مطبوعة .

خيراتها عن الوفاء بحاجاتهم ، أو ترجع الى تضخم الصناعة وقلة رؤوس الأموال وندرة ميادين العمل فذلك مايجب رفضه رفضاً باتاً .

وإذا كان بعض العلماء في أوروبا يقول اليرم «ان نظرية مalthus عن السكان تبرز الى الوجود مرة أخرى وأنه يجدر بنا أن نغزى الارنب «زيادة السكان» بالنوم قليلا ريثما تلحقه السلحفاة « موارد العيش» فان هذا الكلام يجب أن يكون بعيدا عن أذهاننا على الاقل في الوقت الحاضر فان مصر تتجاذر طوراً من الحياة اجتازته أوروبا منذ قرنين حين بدأ الانقلاب الصناعى وأخذت ميادين الاستغلال والعمل تتفتح على مصراعها فصاحبت زيادة السكان السريعة زيادة أسرع منها في كيات الثروة .

ولم تجتز أوروبا هذا الطور من التحول عن الزراعة الى الصناعة دون أن تقترن به مأس عديدة من البطالة والفقر والبؤس وضغط أصحاب رؤوس الأموال بقوتهم على العمال ومن ثم كانت صيحة سيسموندى وغيره من الكتاب الاجتماعيين بتحقيق هذه الحضارة التى تقترن بالفقر والشقاء وتجمع بين الثراء الواسع والعدم المطلق .

ان السنوات العشرين الأخيرة قد حملت الى مصر تطوراً عميقاً ، تطوراً شمل حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وكل تطور تصاحبه حتماً هزات اضطراب وتقلل ، ولكنه لا يقف بل يصل الى غايته ، ومتى استقر فى النهاية وخلا الجو من زوابع الانقلاب اطمأن كل شئ فى موضعه وبأن ان ما حسبه البعض شراً محضاً لم يكن الا شراً يقود الى خير أو شراً هو بنفسه سبيل الخير .

وقد لبثت مصر سنوات عديدة ، لا بل قروناً عديدة ، أمة زراعية مؤمنة بأن الطبيعة قد أرادت لها على ذلك البيئة الزراعية تخلق فى النفس طائفة من الاحساسات والمشاعر والأخلاق تلائمها ، تخلق فى النفس التواكل والاستكانة والصبر والجزع من المجازفة والخوف من اقتحام ميادين العمل المتأرجح بين النجاح والافاق والقناعة بعصفور واحد فى اليد بدل الجرى وراء عشرة يحومون فى الافق القسيح . ومن هنا كان ايمان المصريين بأن المال لا يستثمر الا فى شراء الارض ، والثروة لا تقاس الا بعدد الفدادين المملوكة ، كان الواحد منهم يحزع ان يقامر بماله فى ميدان آخر غير ميدان الزراعة .

١ - التحول من الزراعة إلى الصناعة :

واليوم تدخل مصر في طور جديد توشك أن تنزل الزراعة فيه عن عرشها العظيم وتتحول رؤوس الأموال شيئاً فشيئاً عن الزراعة إلى الصناعة والتجارة؛ والتحول عن شيء اكتسب في نفوس المصريين على مر الأجيال مكان القداسة ليس شيئاً . ومن المحتم أن تصاحبه اضطرابات اقتصادية . ولست أزعم أن رؤوس الأموال كلها ستترك الزراعة إلى الصناعة وإنما اعتقد أنها ستتوزع توزيعاً عادلاً بين الميادين بحيث تكون فائدة رأس المال المستثمر في كل منها متساوية أو متقاربة ، وهذا هو الوضع الاقتصادي الصحيح ولا بد أن يكون في يوم من الأيام . بل نحن قد بدأنا بالفعل نسلك الطريق إليه .

وقد ترتب على هروب بعض رؤوس الأموال من الزراعة إلى الصناعة أن انحطت قيمة الأراضى الزراعية وأن أخذ الناس ينصرفون عن إيمانهم القديم بأن الزراعة أحسن مهنة مربحة بعد أن رأوا مقدار ما جرته على أهلها من الفقر والبؤس خلال السنوات الأخيرة واستتبع ذلك هجر كثيرين من الفلاحين للزراعة ونزوحهم إلى المدن يبتغون في رحابها مرتزقاً جديداً ومزاولة بعضهم فعلاً لبعض المهن الصغيرة كالخدمة في البيوت وحراسة الأبواب والاشتغال في المعامل ودكاكين التجارة .

والإنسان كما يقول آدم سميث باعتباره عاملاً من العوامل الاقتصادية تتوحد مصلحته الذاتية ورؤوس الأموال باعتبارها هي الأخرى بعض هذه العوامل تبحث أبداً عن أحسن الميادين لاستغلالها .

وما ضاعف أزمة العمال الزراعيين في مصر تغير أساليب الزراعة وتحولها من الوسائل البدائية القديمة إلى وسائل جديدة تلعب فيها الآلات دوراً كبيراً . فالطنبور والتابوت أو الساقية والمحراث والمدراة والنورج أخذت تطردها جميعاً آلات بخارية لا تستلزم إدارتها غير ربع العمال الذين كانت الوسائل القديمة تستلزمهم، وبذلك زاد عدد العمال الزراعيين وقل الطلب عليهم ومن ثم انحطت أجورهم انحطاطاً كبيراً لم يعد وافياً بحاجات معاشهم رغم ضآلتها فانصرفوا أو انصرف بعضهم عن القرية لفقرها وبؤسها إلى المدينة يحدهم الأمل الواسع أن يجدوا فيها عملاً يهيئ لهم مستوى أفضل من المعيشة .

ب - تأثير عمال المدن:

والظواهر الاقتصادية يتصل بعضها ببعض الآخر اتصالاً وثيقاً ويتفاعل أحدها مع الآخر تفاعلاً بعيد المدى . وهكذا فإن هجرة الفلاحين إلى المدن الصناعية وغيرها أثر تأثيراً سلبياً على العمال الصناعيين فانحطت أجورهم لأن ميادين الصناعة لم تصل بعد في مصر إلى الحد الذي يسمح لها بأن تستخدم كل هذا العدد من العمال الراغبين في العمل . ولم يقتصر أثر الفلاحين النازحين من القرية عند تخفيض أجور عمال الصناعة وتبطل عدد منهم بل أدى إلى تضييق فرص الكسب أمام طوائف العمال الأخرى كخدم البيوت والكناسين ومستخدمى المحال التجارية والمطاعم وفراشى المكاتب والشركات الخ .

وهذه الظاهرة بالذات حدثت في إنجلترا خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر وفي مستهل القرن التاسع عشر إذ أخذ الناس يهجرون القرية إلى البيئات الصناعية الآخذة في الازدهار حينئذ .

ونذكر هنا أن ما أصاب الزراعة المصرية من الاضمحلال والتدهور لم يكن قاصراً عليها إنما كانت تتبع فيه العوامل الدولية وتأخذ بنصيبها من الضائقة التي لم تترك بلاداً دون أن تلتفحها بسمومها وقد أشار صاحب السعادة عبد الوهاب باشا في محاضراته التي ألقاها في مساء ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ بنادى خريجي كلية فيكتوريا باسكندرية إلى أثر الازمة في الزراع الأمريكيين فقال « بينما بلغ الهبوط في الأسعار التي يتقاضاها فريق الزراع في الفترة ما بين فبراير سنة ١٩٢٩ وفبراير سنة ١٩٣٣ - ٦٤ في المائة لم يتجاوز الهبوط في الأسعار التي يدفعونها ٣٤ في المائة، وبينما كان الانخفاض في الانتاج الزراعى لا يتعدى ٦ ٪ في المائة بلغ النقص في التصريف ٧٠ ٪ في المائة كما زادت المتكدسات من المواد الغذائية والأولية بمقدار ٦١ ٪ في المائة »

ج - البطالة بين المتعلمين :

وإذا كان التحول من القرية إلى المدينة وتسرب بعض نشاط الانتاج من الزراعة إلى الصناعة قد اصطحب بظاهر من البطالة بين عمال الزراعة وعمال الصناعة فإن البطالة بين حملة الشهادات العليا تمثل هى الأخرى جانباً من جوانب التطور في الحياة المصرية ؛ هذا التطور الذى لم يقتصر على الاقتصاد والاجتماع والسياسة بل شمل جوانب النفس المصرية جميعاً

وفي عهد محمد علي كان يساق التلاميذ الى المدارس سوفاً، أما اليوم فهم يدفعون عن أبوابها دفعا ، وفي الفترة التي فصلت بين عهد الاحتلال والعهد الحاضر جرت سياسة التعليم على تخريج موظفين للحكومة وكانت المصالح الحكومية تتلقفهم بمجرد تخرجهم فكان طبيعياً أن يقر في ذهن التلميذ وهو يضع رجله في أول مراتب التعليم أن مصيره الى وظائف الحكومة .

والعادة تحتل في النفس مكانا يشبه القداسة ، وفي أمة ماتزال في أول مراتب الحضارة كما كانت مصر في فجر هذا القرن ، كان لموظفي الحكومة سلطان وجاه ومراتب مغرية ، وكان التعليم في مدارس الحكومة هو السبيل الى هذا الفردوس المرموق ، وانحدرت هذه الرغبات من جيل الى جيل واقتربت بالرغبة في التقدم والاستزادة من التعليم والاقبال عليه حتى كانت السنوات التي تلت الحرب فاذا المدارس تضيق بالتلاميذ واذا مئات ممن يتخرجون منها لا يجدون ما كان يجد زملاؤهم من وظائف ومراتب وجاه وسلطان

وقد حاولت الحكومات المتتابعة أن تغير برامج التعليم بما يتفق مع الحالة الجديدة واعداد جيل لا يعتمد على الحكومة ووظائف الحكومة ولكن كل ما أدخل عليها من تعديل لم يخف طابعها القديم ولم يند في النفوس المصرية حب الوظائف ، والواقع انه لم يكن مستطاعاً أن تند شعورا تأكيداً بالعادة وانحدروا الى أعماق النفس المصرية وزكته ظروف اجتماعية خاصة مرت بها مصر طوال نصف قرن من الزمان ، وانما على الايام وحدها وعلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية أن تعد المصريين اعداداً صالحاً للحياة الجديدة .

وليس معنى هذا أن نسكت وندع الزمن وحده يعمل وانما علينا أن نعمل معه فنصل مسرعين الى مانب من تنمية نفس الشباب المصري مما انحدروا اليها بالعادة والتقليد وحكم الحياة الاجتماعية وهذا ما أشر اليه حين الكلام على العلاج . وكل ما أحب أن أسجله هنا هو أن التعليم المصري يختلف أنواعه وسياسة التعليم في مصر يختلف وسائلها بقيت على ما كانت عليه حين كانت المدارس المصرية مجرد معاهد لتخريج موظفين للحكومة ولا يغض من قيمة هذا الكلام ما أدخل عليها من تعديل فانه تعديل لم يتناول الأساس ، ولم ينتج في الحياة المصرية الا آثارا محدودة .

ومن الانصاف أن نذكر بالخير جهود وزارة المعارف ورجالها وجهود الوزراء

الذين تعاقبوا عليها منذ سنة ١٩١٩ حتى الآن؛ فقد حاولوا جهدهم أن يخلصوا بالتعليم من تقاليد القديعة وأن يتجهوا به إلى غايته الوحيدة التي تلائم العصر الجديد وهي انتاج شاب مثقف مزود بالقوة في النفس والعقل قادر على طرق شتى للمبادرين وكسب عيشه بآية وميلة شريفة غير منتظر فتات الوظائف ولا يائس حين يفوته هذا الفتات ، واذا كانت جهودهم لم تثمر كل الثمرة الموجودة فالامر في ذلك يرجع كما قدمت الى تراث قديم انحدر اليانا من قرون مظلمة ، ولإى أنه من المستحيل تحويل مجرى أمة بأكملها عما انطبعت عليه واحداث انقلاب خطير فى أسس التعليم دون التريث والأخذ بالتدريج .

يضاف الى ذلك أن التقلبات السياسية العديدة لم تمكن من الاستمرار على سياسة تعليمية واحدة لكثرة التجارب وتعدد البرامج . وفى الكثرة والتعدد لا يكون الاستقرار وإنما يكون الاضطراب وتكون الفوضى

د - ارتفاع مستوى المعيشة :

ومع ازدياد المتعلمين عن حاجة الوظائف وحيرة بعضهم وترددهم واستيلاء اليأس على نفوسهم تعددت مطالب الحياة وارتفع مستوى المعيشة فى مصر بصفة عامة عما كان عليه فى القرن الماضى أو أوائل هذا القرن ولم تنفرد مصر بهذه الظاهرة بل أخذت فى الواقع نصيبها من ظاهرة عامة شملت العالم ، ومع ازدياد نفقات المعيشة وتوسع الحصول على الوظائف أنبثت فى نفوس الناس تيارات من السخط المكتوم هى مانرجو أن يعالجها المسؤولون وتعالجها الحكومة بما يحفظ لبناء مصر الاجتماعى استقراره الصحيح القائم على مشاركة الجميع فى خيرات هذه البلاد العظيمة .

هـ - بعض آثار هذا السخط :

وكان من آثار هذا السخط أن تنهت الأذهان الى الثروة المصرية ومستقرها من الايدى فاخذ المصريون يتحدثون عن الامتيازات الاجنبية ويدعون دعوة خاصة حارة إلى طرق ميادين الصناعة والتجارة وتفضيل كل ما هو مصرى وتعددت مظاهر هذا النشاط الاقتصادى تعدداً سريعاً ولم يكن هناك مقر من هذا . فقبل عشرين أو ثلاثين سنة كانت الارض تستغرق نشاط الإنتاج المصرى . وكانت الزراعة معتمد القنوع لدى المصريين فلم يكونوا يشعرون بحاجتهم إلى الصناعة والتجارة : هذين الميدانين العظيمين اللذين اختص بهما الاجانب إختصاصا يكاد

يكون شاملا، فلما كثر المتعلمون العاطلون واضطربت أثمان المحاصيل الزراعية كان طبيعيا أن تتجه أنظار المصريين إلى بلادهم ، إلى مدنهم الأنيقة وما ينبثق في جوانبها من مناجر ومضانع تدخر الخبز والثروة على أصحابها وهم غير أبناء البلاد . كان طبيعيا أن يفكروا في أنهم أحق بهذه الموارد من الثروة ، ومن هنا نشأت القومية الاقتصادية ونشأ الاقتصاد الاهلي .

ونستطيع أن نجد مظاهر هذا التحول فيما يلي :

١ - سياسة الحكومة الاقتصادية : قبل انشاء مصلحة التجارة والصناعة ، أعنى منذ عشرين سنة كانت سياسة الحكومة المصرية زراعية بحتة . وكان الايمان الغالب على النفوس أن مصر محتوم أن تبقى بلادا زراعية وأن كل محاولة لها في سبيل الصناعة مقضى عليها بالفشل ، أما اليوم فقد تبدل هذا الاعتقاد تبدلا تاما واتجهت سياسة الحكومة نحو تشجيع الصناعة وتفضيل المنتجات الصناعية المصرية وتقديم شتى المساعدات الممكنة لها ، وقد عبر صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية عن هذه السياسة أحسن تعبير في الاجتماع السنوى الاخير لجمعية اتحاد الصناعات ، ومن حقه علينا ، ونحن نتحدث عن سياسة الحكومة لإزاء الاقتصاد الاهلي والصناعات الوطنية، أن نشيد بمجهوداته المتواصلة نحو هذه الغاية القومية وقد منحه الله إلى حماس الشباب رزانه الشيوخ ورحابة الفكر والقدرة على تصريف الامور في غير زهو ولا من ولا رغبة في الاعلان . وقد وجه تقرير بنك مصر الاخير إلى سعادته تحية يستحقها وعرفانا بالجميل هو أهل له .

٢ - انشاء بنك مصر : وجاء انشاء بنك مصر في سنة ١٩٢٠ ظاهرة تعبر عن التحول الجديد في أفكار مصر الحديثة . وكان من توفيق الله لرجال هذا البنك أن فتحوا شتى الميادين ، وغزوا في جرة ناجحة جمود مصر القديمة فاذا هي توشك أن تستحيل على أيديهم إلى بلاد صناعية وقد أحاطتهم الأمة : حكومة وشعبا ، بتأييدها . وكان هذا طبيعيا فلم يكن البنك وليد رغبة عند فريق من أصحاب رؤوس الأموال لاستثمارها فحسب ، ولكنه كان صدق حاجة اجتماعية واقتصادية وتعبيرا ناجحا عن تطور عميق أخذ يهز الأسس القديمة ويحل بدلها أسسا جديدة

٣ - الشعور العام : وكما وقف الشعور العام في صف بنك مصر وشركاته ، أخذ يؤيد كل المنتجات المصرية وينساق وراء الدعايات الوطنية لانشاء الاقتصاد

الاهلى وصيانة الثروة المصرية . ومن هنا كانت عشرات الجمعيات والهيات وعشرات المشروعات وكلها تصدر عن نبع واحد ورغبة واحدة هى خلق مصر الصناعية . وليس هنا مجال تعداد هذه المشروعات والجمعيات فكنا نعرفها وكنا نستطيع أن يضع أصبعه عليها . وكلنا يأمل أن تزداد وتقوى على مر الأيام . وقد أفادت مصر من هذه النهضة الصناعية المباركة عشرات المشروعات وهى بعد لم تصل إلى غايتها بل مازال رحاب المستقبل سبعة أمامها .

ومن الحق علينا أن ننوه بما كان لنشاط الأجانب النازلين بيننا من حسن الأثر في توجيه الصناعة المصرية . وإذا كان الشعور المصرى تطير به الحماسة إلى أن يكون أبناء مصر هم بناء مصر الصناعية فإن في أعماق أعماقه لعرفانا بالجميل لهؤلاء الفضلاء من الأجانب الذين مهدوا له السبيل وضرىوا بعزمهم أولى الضربات ولبت هذا الوادى الجميل ميداناً لنشاطهم أكثر من نصف قرن من الزمان .

وان من بينهم من يحبون المصريين ويرجون لهم الخير والتقدم كالحجون ويرجون لبنى وطنهم الأصل . ويحوظون نهضةهم بخالص تأييدهم ومناصرتهم . ويكون جحوداً غير لائق إلا نذكر في هذه المناسبة جناب محافظ البنك الأهلى سىر ادوارد كوك وأن نذكر خطبته في عيد بنك مصر بمرور ١٥ سنة على تأسيسه وأن نذكر أيضاً مع الشكر العميق والعرفان الخالص صاحب العزة هنرى نوس بك مدير شركة السكر الذى أقام في مصر حقبة طويلة شارك فيها بكل مامنته الله من عزم وذكاء ومقدرة في بناء الصناعة المصرية وان ننوه أيضاً بما كان لاتحاد الصناعات المصرية وحضرات أعضائه من عظيم الأثر في نهضة البلاد ولسنا في ذلك نحاول أن نختص أحداً بالذكر ولكننا نضرب أمثله لما نعتقد أن سواد الأجانب عليه من الانطواء على حب مصر وتمنى الخير والتقدم لا هلهما .

نستطيع إذن أن نلخص ما يبدو من ظاهر البطالة في مصر فيما يلى :

١ - يتجمع المتعلمون على وظائف الحكومة ، وهى بعد قد تجمت فلا تستطيع أن تستخدم جديداً .

٢ - لم تعد الأراضى الزراعية في مصر في حاجة إلى كل الأيدي العاملة التى كانت تستخدمها فيما مضى بسبب التحول عن وسائل الزراعة القديمة إلى الوسائل الجديدة .

٣ - زيادة السكان زيادة كبيرة في السنوات الأخيرة دون أن تزداد موارد

الثروة بنفس النسبة .

٤ - تأصل حب الوظائف في نفوس المصريين وخوفهم من اقتحام ميادين جديدة .

٥ - عدم النشاط في توسيع أفق الثروة المصرية واستغلال الأراضي المصرية لضعف موارد الحكومة بسبب الامتيازات الأجنبية والحد من سلطاتها في فرض الضرائب وبسبب خوف أصحاب رؤوس الأموال المصرية أو بعضهم على الأقل من استثمارها في ميادين جديدة .

وسائل العلاج :

قبل أن نتحدث عن وسائل العلاج للبطالة في مصر يجب أن نقرر مسألتين :
أولاهما : أن موارد الثروة في مصر ، ما استغل منها وما يمكن استغلاله ، تكفي سكانها وتطوع لهم مستوى مناسب من المعيشة .

ثانيهما : أن المطلوب هو تنظيم الأيدي العاملة في مصر وتوزيعها على شتى ميادين الانتاج توزيعاً يتفق مع الحالة الجديدة الطارئة .

وإذا انتهينا إلى الإيمان بهاتين الحقيقتين استطعنا أن ندور في كل ما نقترح من وسائل العلاج بينهما ، واستطعنا أن نطمئن مقدماً إلى أننا لن نضل سواء السبيل .

١ - تشجيع الصناعة الأهلية

وإذا كانت الحكومة المصرية قد اختطت في السنوات الأخيرة سبيل التشجيع التام للصناعات المحلية وسبيل الأخذ بيدها بكل ما تستطيع من وسائل المعاونة والتفضيل فإن واجبها أن تتابع هذه السياسة والا تدخر أى مجهود أو تضن بأى مال في الوصول بالصناعة المصرية إلى أعظم حد ممكن من الاتقان والازدهار .

والصناعة ميدان فسيح جدير أن يستخدم جانباً كبيراً من نشاط المتعلمين عاطلين . وأما ما بذك مصر يعطينا أحسن مثل . فقد بلغ عدد موظفيه في السنة الماضية ٦٧٤ موظفاً (١) ويبلغ موظفو الشركات التابعة له والعمال الذين تستخدمهم نحو عشرة آلاف . وهؤلاء وهؤلاء كان حتماً أن يبقوا عاطلين أو أن يرحلوا في ميادين انتاج أخرى ليست في حاجة إليهم فيضاعفوا من وطأة البطالة .

ولم تقتصر فائدة بنك مصر وشركاته على استخدام هذا العدد العظيم من الأيدي العاملة بل أثبت بنجاحه ونجاح شركاته مقدرة المصريين على الاشتغال بالاعمال

(١) تقرير مجلس إدارة البنك عن سنة ١٩٣٥ .

المالية والتجارية ونجاحهم فيها كما نوه بذلك سير ادوارد كوك محافظ البنك
الأهلى (١) .

ولست أراى فى حاجة إلى الإشارة بالتفصيل إلى وسائل هذا التشجيع فان
الحكومة قد برهنت خلال السنوات الأخيرة على دقة فهمها لمقتضيات هذه السياسة
وقدمت كل ما استطاعت من تسهيل ومعونة فى حدود ولايتها العامة على شؤون
الدولة للنشآت الاهلية . ومن حسن الحظ أن يكون صاحب السعادة أحمد عبيد
الوهاب باشا وزيراً للمالية فى هذا الظرف من حياة مصر الاقتصادية ومن حسن
الحظ أيضاً أن تعرف له الحكومات المصرية المتعاقبة كفايته ومقدرته فقتبته
فى مناصبه فانه خير من يعين النهضة الصناعية . وهو فى ذلك يعمل بعقيدته وينفذ
سياسة يؤمن أنها فى خير بلاده .

ومن الحتم أن أشير هنا إلى أن تقدم الصناعة فى مصر لابد أن يتم بالتعاون بين
الاجانب والمصريين وما أخال فضلاء الاجانب وكبراءهم فى هذه البلاد الاعارفين
هذه الحقيقة تمام المعرفة . فلا يعنى استيقاظ مصر صناعيا الاستغناء عن خدماتهم
وانما يعنى تضافر الجهود فى سبيل بلوغ هذه الغاية . وانا لنعتمد أعظم الاعتماد
على خبرتهم ومراهم وحسن مقاصدهم ويجب أن نعدهم من أعظم العوامل التى
تبشر بالخير والنجاح لمصر الصناعية فى المستقبل كما كانوا كذلك فى الماضى .

٢ - الغاء الامتيازات الأجنبية :

وأحسب أنهم يشعرون معنا أن الامتيازات الأجنبية حمل ثقل يشل من مقدرة
مصر على متابعة التطور الجديد والاستجابة الى حاجات سكانها المتزايدة ، لذلك
لست أرتاب لحظة فى أنهم يعاونون على الغاء هذا النظام الضار بهم وبنا والذي
يجعل بيننا وبينهم برغم ما فى نفوسنا جمعا من حب التعاون والود والصفاء فارقا
يرجع إلى طبيعة الأشياء ويرجع الى ما يجب أن يكون بين طبقتين احدهما تمتاز
عن الأخرى

واعتمد أن الغاء الامتيازات سيفيد فائدة كبرى فى تقوية قدم الصناعة المصرية
وقفتح ميادين جديدة للعمل وزيادة إيراد الدولة ومن ثم زيادة مقدرتها
على القيام بمشاريع جديدة لاستغلال مواد الثروة الباقية فى مصر من غير استغلال
ومنى انطلقت يد مصر من غل الامتيازات الاجنبية فقد استطاعت حكومتها أن

(١) خطبة جنابه فى عيد بنك مصر فى ٧ مايو سنة ١٩٣٥ .

توزع الضرائب على قدم المساواة واستطاعت ان تعيد تنظيم الشركات وتضع لها من القيود ما تراه كافلا لمصلحة البلاد ومصلحة بنيتها

٣- استخدام المصريين في الشركات الأجنبية :

ومن العدل أن يكون لأبناء مصر نصيب في الشركات التي تستغل موارد بلادهم وتزاول نشاطها وتستثمر رؤوس أموالها على ضفاف نيلهم وهذا مطلب طبيعي عادل وحق استطاعت مصر أن توفق اليه فانها تستطيع حينئذ أن تحول جزءا كبيرا من نشاط شبابها المتعلم الى هذه الشركات يعمل فيها ويكسب خبرة ومرونة وقد فكر صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا في العام الماضي في هذا الموضوع فوجه كتابا دوريا الى المنشآت الحرة بين مصرية وأجنبية ناشدها فيه ان تعنى باستخدام الشباب المصريين ومما نذكره بالشكر ان أغلب المنشآت الاجنبية قد أبدت صادق استعدادها لبذل هذه المعاونة ولم يكن في استطاعة سعادة عبد الوهاب باشا أن يجبرها على أن تقبل هؤلاء الشباب في عداد موظفيها فان تشريعاً بهذا لم يصدر ويحول دون صدوره قيد الامتيازات

٤ - رؤوس الأموال المقررة :

ويتصل بتشجيع الصناعة وفتح موارد جديدة للاستغلال واجب الحكومة في تشجيع رؤوس الأموال المصرية واستحثاث الاغنياء على التقدم بها والمشاركة في المنابر الاقتصادية ومحاولة ابتكار ميادين جديدة للعمل والاستغلال ويجب أن أسارع هنا فأشير الى واجب الافراد في هذا فليس من العدل أن نلنّي العبء كله على الحكومة وإنما العدل أن يشارك الافراد بنشاطهم وجهدهم وتضحياتهم في سبيل الوصول الى الغاية المنشودة ، وكل الدلائل تدل على أن تنبيه الشعور في مصر لتشجيع المصنوعات والمنتجات الاهلية هو تنبه صحيح سيستمر ان شاء الله ، على أننا نحب أن ينبيه أيضا أصحاب رؤوس الاموال المخزونة من غير استثمار أو المودعة في البنوك إلى أن العصر الحديث يرفض الركود وان ميادين النشاط للبال لم تعد في خزائن البنوك وانما هي في ميادين الاعمال والاستغلال ومن حسن الحظ أن توجد بوادر طيبة تدل على هذا التنبيه فان كثيرين من اغنياء المصريين اليوم يعنون باستغلال أموالهم في مشاريع صناعية ومالية وتجارية .

٥ - الموازنة بين مكافآت العمل :

وإذا كنا نرجو ان نصرف شبابنا حقاً عن التعلق بالوظائف والاتجاه الى ميادين

العمل الحر فان علينا ان نوجد التوازن بين مكافآت العمل *Reward of Labour* في شتى الميادين . وما دام هذا التوازن مفقودا بين وظائف الحكومة والعمل الحر فان علينا أن ننظر طويلا حتى نقنع شبابنا بالانصراف عن الوظائف بل ان تشك كثيرا في امكان اقتناعهم بذلك .

إن مستوى المكافآت التي يحصل عليها الموظف تزيد كثيرا عن مستوى المكافآت التي يحصل عليها العامل في الميادين الحرة مع تساوى الاثنين في الثقافة والكفاية العلمية والجسمية والخلقية ، لذلك أعتقد ان من وسائل معالجة البطالة وتنظيم قوى الانتاج المصرية وحسن توزيعها على ميادين العمل المختلفة ان يكون التوازن قائما بين الميزات التي يحصل عليها الموظف والتي يحصل عليها من يختار العمل الحر . وان يشمل التوازن ليس فقط المكافآت المادية بل والمكافآت الادبية وهي ما تزال عظيمة القدر في بلاد كصر تطغى الموظف من الاحترام اكثر مما تعطى العامل الحر .

ولست أرا في حاجة الى تفصيل الوسائل المؤدية الى ايجاد هذا التوازن فان الحكومة قادرة عليه ، ووسائله معروفة ويمكن تلخيصها في أنها النزول بمستوى الوظائف من حيث المراتب والمكافآت والمعاشات وما يتصل بها من امتيازات كبدل السفر ومدة الاجازات وساعات العمل الخ . .

ويكفى أن أشير هنا الى ان مستوى نفقات المعيشة قد انحط من ١٥١ في سنة ١٩٢٩ الى ١٢٥ في سنة ١٩٣٣ (١) ومع ذلك فان مرتبات موظفي الحكومة لم يطرأ عليها في هذه المدة أى تخفيض فيما عدا استقطاع رسم الدمغة وهو تخفيض تافه جدا ، هذا اذا سلمنا أن مستوى مرتباتهم في سنة ١٩٢٩ كان مناسباً .

وما نحسب وطنية حضرات موظفي الحكومة تمنعهم من قبول المساواة بينهم وبين باقى مواطنيهم عن طيب خاطر بل ان هذه المساواة في مصلحتهم أنفسهم كما هي في مصلحة البناء الاجتماعي للدولة كلها فان الاستمرار على هذا الاضطراب في التوازن كقيل أن يخلق في البلاد طبقات اجتماعية متباينة بل ومتعادية وفي هذا خطر ما أخاله يخفى على أحد .

٦ - بعض ميادين الاستقلال :

١ - وقد أشرت خلال هذا البحث أكثر من مرة إلى أن التربة المصرية والثروة

(١) الاحصاء السنوى العام ١٩٣٣ - ١٩٣٣ ص ٤٥١ .

المصرية لم تستغلا بعد كل الاستغلال . فإن هناك ملايين الأفدنة من الأرض يمكن استصلاحها للزراعة يقع بعضها في شمال الدلتا وبعضها الآخر في غرب مديرية البحيرة وبعضها الثالث في مديرية الشرقية كما أن الحكومة تملك مساحات عديدة من الأراضي البور لاحتياج في استصلاحها إلى مجهودات كبيرة . كل هذه الثروة المنسية يجب أن يتجه إليها تفكير الحكومة . والسكان يتزايدون والأيدى العاملة في الأرض الزراعية تزيد عن رقعة الأرض فيجب أن نعمل على استغلال هذه القوى في زيادة الثروة المصرية لنواجه بها زيادة السكان والاحل بنا اضطراب اجتماعى شديد .

وأذكر هنا أن الحكومة فكرت في توزيع الأراضي البور على الفلاحين وإن وزارة الزراعة فكرت في منح بعض أجزاء منها لخريجي مدارس الزراعة غير أن كل هذه المجهودات المنتظمة المتباعد أحدها عن الآخر لم توت بعد ثمرات تذكر .

ب - ومن ميادين الاستغلال الممكنة استصلاح أراضي الصحراء الغربية التي تحف بمرسى مطروح ويدل الاستقراء التاريخي على أن هذه الأراضي كانت فيما مضى مزرعة وتوجد في الصحراء المحيطة بمرسى مطروح آثار معاصر الإنبيذ الرومانية القديمة . وهي تدل على أن هذه المنطقة كانت مشهورة بزراعة العنب وكل ما ينقصها الآن حتى تصبح أراض زراعية تدر الخير الكثير هو الماء . وفي اعتقادي أن الحكومة إذا قامت بأبحاث جيولوجية لتعرف طبيعة هذه الأراضي وقامت بأبحاث تاريخية لاستقراء ماضيها ومعرفه وسائل استغلالها في العصور القديمة لانتهمت إلى نتائج طيبة ولوجدت في غرب مصر ميدانا فسيحا للثروة قد يستغرق جزء صغير منه جميع الأيدى العاطلة أو التي تبدو كذلك في مصر .

وفي ضواحي مرسى مطروح توجد آبار تسمى بالآبار الرومانية تم كشفها منذ خمس سنوت وتستخرج منها اليوم كميات كبيرة من المياه . ومن يدرى لعل في هذه الصحراء آبارا قديمة أخرى يمكن مع البحث وبذل المجهود كشفها أو كشف مواضعها ومن ثم إحياءها .

وعلى كل حال فإن الصحراء الغربية ميدان يجب ألا تغمض عنه عين الحكومة

ج - قوى خزان اسوان :

وثبت قوى خزان اسوان لاستنباط السكر باء وخلق منطقة صناعية كبيرة حوله ولا أرى حاجة للدخول في تفاصيل هذا الباب من أبواب الاستغلال فقد درس

دراسة كافية ولم يبق التنفيذ، وتنفيذه على الوجه الذى يكفل الاستفادة منه أعظم فائدة ممكنة . وتدرس وزارة المالية الآن مشروعاً ضخماً لاستنباط السكرباء وانشاء مصنع للسجاد ولا شك أنه مشروع سيستغرق جانباً كبيراً من الأيدي العاملة المصرية .

ولست أذكر هذه الأنواع الجديدة من الاستغلال على أنها كل المبادىء الممكنة، إنما هى أمثلة قليلة من أفق واسع رحيب يمكن أن تنسرب إليه قوى النشاط المصرى الحديث وبذلك تختفى هذه البطالة الكاذبة .

٧ - تغيير أساس التربية :

ويتفق مع اعداد المصريين اعدادا حسنا للحياة الجديدة أن بتغيير نظام التعليم تغيرا تاماً، فيصبح أساسه خلق جيل قادر على العمل فى أى ميدان ، جيل مثقف واسع المعارف ، متين الأخلاق ، وأكرر هنا أن يكون متين الأخلاق ؛ فان مصيبة مصر ليست فى قلة المتعلمين ولكنها فى قلة ذوى الأخلاق القوية ؛ ذوى النفوس الوثابة الطامحة ، فلم تعد عدة الرجل للنجاح بضعة معارف يكتظ بها ذهنه ولكنها أصبحت عدة صالحة من الأخلاق ، من الإيمان بقوة النفس .

وأحب أن تتجه عناية القائمين على التعليم فى مصر إلى تعديل أسس التربية المصرية كلها فلا تكون المدارس المصرية معاهد لتخريج موظفين وإنما تكون معاهد لتخريج رجال ، ولأبأس من الاستعانة على ذلك بنظم التربية الانجليزية والالمانية فهى فى نظرى أصلح أنواع التربية لأنها تقوم على العناية بالأخلاق والايحاء النفسى بالقوة .

وقد فصل (ادمون ديمولان) فى كتابه « سر تقدم الانكايز السكسونيين » طرفاً من أسس هذه التربية العظيمة التى طوعت للانجليز سيادة العالم .

ويجدر بي أن أشير هنا إلى الفارق بين التعليم والتربية ؛ فان التربية هى الأعظم والأخطر فى بناء الرجل ، وهى بكل أسف لا تحظى فى مدارسنا بعناية تذكر . فكثير من العلماء لا ينجحون فى الحياة اذ تعوزهم الأخلاق القوية ؛ ولكن قلباً يحقق رجل على خلق عظيم .

قال سير هارولد ويلمان : ان النجاح فى الحياة لا يتوقف على شئ أكثر مما يتوقف على العمل والدأب والمثابرة ، فالذكاء ليس عنصراً ضرورياً وفقدانه لا يعنى أن النجاح مستحيل ، ويكفى أن يكون الانسان متوسط الذكاء وأن يضيف إلى ذلك

الاستقامة والخلق الفاضل والجد والمثابرة: فإذا كل شيء ميسر امامه ، وإذا كل المصاعب مدللة (١) .

وفي إنجلترا نجد أروع الأمثلة على مقدار ما تفعل التربية الصحيحة من معجزات ، فعشرات من الإنجليز ارتفعوا من القاع إلى القمة وأصبحوا بمن تجرى الألسن بذكركم ، وذاعت أسماؤهم ليس في حدود إنجلترا أو الامبراطورية البريطانية فحسب ولكن جاوزت هذه الحدود إلى ما هو أبعد منها .

ولست أختص بالذكر إنجلترا لانه لا يوجد في غيرها أمثال هؤلاء الناجحين ، وإنما اختصتها بالذكر لأنها بلد الناجحين ولأن استقامة الخلق الانجليزي وقوة الخلق الانجليزي كفيلتان أن ترفع أبناء الانجليز حيث هم اليوم بناء امبراطورية ضخمة عاشت مئات السنين وهي تزدد على الدهر قوة ودواماً لا يعرف الهرم ولا تعرف الشيخوخة اليها سبيلاً .

هي الأخلاق إذن التي يجب أن يتجه اليها التعليم المصري ، ويجب أن تتجه اليها المدرسة المصرية والجامعة المصرية ، وهذا بطبيعة الحال مع العناية بأنواع التعليم الصناعي والتجاري والزراعي والاكثار منه لمقابلة الحاجات الجديدة .

وليس في مقدوري: ولا بما يتسع له المجال في هذا البحث، أن أضع برنامجاً للتعليم في مصر، ولكنني أعبر عن الاتجاه الذي أرجو أن يسير فيه ، وأرسم الخط البارز الذي يجب أن يتبعه ، أما الوسيلة أو الوسائل فمن اختصاص رجال التعليم والتربية، وعندنا منهم بحمد الله كثيرون .

٨ - تحويل النفسية المصرية :

ويتصل بالتعليم والتربية تحويل النفسية المصرية تحويلاً تاماً ، فإذا كانت هذه النفسية صالحة لبنة زراعية ولأمة قانعة تشمل نفسها داخل حدود ضيقة ، فإنها لا تصلح مطلقاً لأمة طامحة ترجو أن تعيش على قدم المساواة مع الأمم المتحضرة ، ومن الظواهر التي نجدتها في نفسية المصريين الخمول والتواكل والخوف والقناعة وفقدان الطموح وحب الوظائف والترف والانصراف عن كل مجهود ، وفقدان الشجاعة الأدبية ، والعجز عن وضع مقاييس صحيحة للحسن والقبيح والمقبول وغير المقبول . وقد انحدرت إلينا بعض هذه الصفات من أجيال بعيدة وكسبنا

(١) في كتابه « بعد المدرسة » سنة ١٩٣٦ .

بعضها الآخر من البيئة الزراعية ، فمن واجبتنا أن ننضو عن نفوسنا هذا التراث المنحط وأن ننشئ لنا مجدأ جديداً ، وهذه غاية أخرى يجب أن تكون من غايات التربية المصرية (ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - قرآن كريم) . وقد أشار صاحب السعادة أحمد عبد الوهاب باشا وزير المالية في مذكرته التي رفعها إلى مجلس الوزراء واقترح فيها تأليف لجنة لدرس مسألة المتعلمين العاطلين ، إلى أن كثيرين من هؤلاء المتعلمين يرفضون أن يعملوا بمراتب صغيرة ويأبون إلا أن يبدأوا بمراتب مناسبة ، وهذه ظاهرة نفسية لا تجددها عند شباب الأمم الصناعية الراقية ، هذه الظاهرة وأمثالها هي التي نريد أن نحاربها وأن نقضى عليها بوضع أسس جديدة للتربية المصرية .

ان سير هارولد ييلمان في كتابه « بعد المدرسة » الذي أشرت اليه آنفاً يفخر أنه بدأ حياته في القاع ، ويسارع إلى القول بأن في القاع يجد الانسان دائماً متسعاً . فعلى هؤلاء الذين يخشون أن يجر فهم التيار فيقذف بهم إلى الخارج ، على هؤلاء الذين يخافون زحمة الدنيا أن يبدأوا حياتهم من أولى المراتب : في أحطها وأدنتها ، ولن يقدح في كرامتهم أنهم فعلوا ذلك انما النجاح للشرقاء العاملين ، ضع قدمك أولاً فاذا بك تجد السلم سهل المرتقى ، ولا يهم أن تضعها على أول السلم مادمت طامحاً إلى آخره ، إن الانسان يتعلم في المدرسة لاليدأ حياته رجلاً كبيراً ، ولكنه يتعلم ليتكون له العقل الراجح المدرك ولا يضيره بعد أن يبدأ صغيراً ، بل لعل من خبره أن يفعل كذلك . فالذي يتقدم بخطوات وثيدة خير من يقفز : الأول يكون نجاحه قوياً دائماً موطد الأساس ، والآخر يكون نجاحه كاذباً منهار الأساس .

ويعرض سير هارولد ييلمان إلى مسألة أخرى هي الاخفاق والنجاح ومقدار كل منهما ، ويدلى برأى حسن ، ذلك ان النجاح لا يثير الاهتمام دائماً وقد يثير الفشل اهتماماً أعظم من النجاح ، ويشير إلى هزيمة نابليون في واترلو ، وعنده أن نابليون لو انتصر في هذه الموقعة لقلت المؤلفات التي كتبت عنه إلى النصف .

ثم يقول : إن الشباب بذاته مملوء بالطموح وقلبا تجد شاباً الا وتراه طامحاً إلى شيء عظيم ، وهذا الاعتزاز بالنفس حسن وهو ضروري للنجاح ، ولكنه إذا كان ضرورياً في مراتب التقدم الأولى فانه يصاب فيما بعد بما يشبه رد الفعل الذي ينتج من تقدم العقل واتساع أفق الفكر والاصطدام بالعقبات ، ولكنه رد فعل

حسن هو الآخر لأنه لا يصرف الإنسان عن التقدم ولكنه يحفز به إلى العمل ويحفزه إلى الاحتياط والحذر فهو يشجذ الهمم ويصهر النفس وينقيها من الغرور ويجعل الخطوات أكثر اتزاناً .

ولعلمنى استطردت فى عرض أراء سير هارولد بيلبان استطراداً طويلاً، ولكننى أردت بذلك أن أشير إلى طراز الأُخلاق والتصور والتفكير الذى نريد أن ينشأ فى بيئتنا، وهذا هو واجب التربية المصرية فى هذا العصر .

٤ - التأمين ضد البطالة :

يقول «يفردج» إنه حتى إذا نجحنا فى معالجة البطالة وأمنا شروطها فإنه تبقى عندنا البطالة العادية ، يبقى عندنا الفقر والبؤس والشقاء والذى يصاحب بطالة العمال بسبب تقدم السن أو العجز عن العمل لعاهة أو مرض أو تشوه جسمى أو لأمى سبب آخر من الأسباب العادية ، لهؤلاء المساكين يجب أن يكون عندنا نظام يقيمهم شر الحاجة ويقي أولادهم شر التشريد ، وبكفل للجماعة ألا تدفع أنظارها على الفقر الشنيع والبؤس المزرى بالكرامة الإنسانية. لهؤلاء يجب أن يوجد نظام التأمين والإعانة ، فليس هذا النظام ضرورياً فقط ليحفظ العمال فى وقت البطالة الناتجة عن الضيق الاقتصادى بل هو ضرورى أيضاً ليحفظهم عند تبطلهم عن العمل بسبب المرض أو تقدم السن .

ويقول مستر هارولد بتل فى تقريره عن سنة ١٩٣٤ « أن نظام الإعانة والتأمين من جانب الدولة هو من غير ريب تدخل فى عمل القوى الاقتصادية، ولكن التجربة دلت على أنه تدخل لا تدعو إليه حاجة اجتماعية لحسب بل وتدعو إليه منفعة اقتصادية »

وأرى أن من الأفضل ادخال هذا النظام فى مصر منذ الآن والاستعانة فى تنظيمه بما يجرى عليه العمل فى إنجلترا بلاد مولده . ويمكن الاستفادة بالنظام الذى اقترح فى امريكا، ويتضمن انشاء صندوق للإعانة ضد البطالة يتغذى بضريبة مئوية تفرض على الأجور ويوضع تحت اشراف الحكومة، وقد أدخل نظام التأمين ضد البطالة فى كندا وجنوب افريقيا والسويد .

ويرى مستر بتل ان التوسع فى نظام التأمين ضد البطالة وادخاله فى كثير من البلاد واعتباره كواجب قومى يدل على تزايد الاحساس بضرورة التأمين الاجتماعى وأحسب ان ادخال هذا النظام فى مصر يؤدى الى تحسين مستوى العمال ورفاهيتهم

شر الحاجة الطارئة ويحمي حياتهم من التقليل ويضفي عليها الطمأنينة بقدر الامكان .
وأذكر هنا أن التأمين الاجتماعى ليس فى الواقع علاجاً لأسباب البطالة وإنما هو
تقليل لشرورها .

وقد وضع مستر رونالد دافيسون فى سنة ١٩٢٩ كتاباً قيماً جعل عنوانه «العاطلون:
السياسة القديمة والجديدة» استعرض فيه بدقة وافضة التدابير التى اتخذت فى
بريطانيا العظمى لمعاونة العاطلين منذ سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٢٩، وأعتقد ان
الاستعانة بهذا المؤلف القيم مجدية عند التفكير فى وضع أساس نظام مشابه فى مصر
١٠ - التعجيل بالأعمال العامة :

وهذا سبيل آخر يمكن أن تلجأ اليه الحكومة لمكافحة البطالة ، وأرى أن تطبيقه فى
مصر ممكن ، ولا يصطدم بالعقبات العديدة التى يصطدم بها فى البلدان الأخرى ، فالميزانية
المصرية متوازنة وعندنا احتياطي كبير والبلاد فى حاجة الى مشاريع عمرانية عديدة ،
فى الرى والصحة وتجميل المدن وتحسين حالة القرى . ومتى وفقت الحكومة الى
الغاء الامتيازات الأجنبية واستطاعت ان تفرض الضرائب على الاجانب زادت
مواردها زيادة تمكنها من القيام بهذه المشروعات

١١ - اشتراك النساء فى أعمال الرجال :

ولا أرى بدا من الإشارة فى ايجاز الى مسألة مشاركة النساء فى أعمال الرجال فهى
وان كانت مازال محدودة فى مصر الا أنها آخذة فى التزايد ، ومن الخير أن
يقتصر عمل المرأة على وظائفها الطبيعية على أن تتناول من الاعمال العامة ما هو
من خصائصها وما تصلح لأدائه خيراً من الرجل أما اشتغالها بمن الرجل ومزاحمتها
اياه فى ميادين العمل والوظائف فأرى أن ظروف مصر الاقتصادية وتقاليدها
لا تسمحان به ، إن تعليم المرأة واجب ، ولكن يجب أن يكون الهدف من
تعليمها اعدادها لتكون زوجاً صالحة وأماً رشيدة ، ويتصل بهذه الغاية تشجيع
الزواج والتمكين للعائلة ، وهى مسائل يتداخل بعضها فى بعض وأرى فى انشاء
المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية اتجاهاً طيباً نحو العناية بهذه المسائل التى تبدو
اجتماعية محضة وهى فى الواقع عظيمة الأثر فى الشؤون الاقتصادية .

ولا بأس أن أشير هنا إلى ماقاله رئيس الوزارة الانجليزية فى مجلس العموم
البريطانى يوم ٦ ابريل الجارى « ان فى البلاد (يقصد إنجلترا) شعوراً بأن كثرة
عدد الرجال المتعطلين عن العمل ناتجة عن كثرة النساء اللواتى دخلن دوائر

ولا أريد من هذا المقارنة بين مصر وإنجلترا، فإن اشتراك المرأة في أعمال الرجل عندنا ما يزال ضئيلاً جداً، ولكنني أذكره لأدل على أن ترك المرأة تشارك الرجل في أعماله يؤدي مع مرور الزمن إلى تعقيد مشكلة البطالة ، وفي الوقت ذاته يهدد كيان الأسرة ، ويقضى على العائلة بالخراب .

التعليم الاقليمي وعلاج البطالة :

إن التعليم الاقليمي يكون عظيم الفائدة ، في حالة الاستقرار ، كؤثر فعال في علاج البطالة . فن المستحسن أن يكون في كل اقليم العمال الصالحون للصناعات التي اختص بها ، ومن المتفق عليه أن السلالات تكتسب خبرة ومرونة ومهارة طبيعية . ففي المناطق التي اشتهرت بصناعة النسيج مثلاً يكتسب أبناءها خفة ودقة وسرعة وذوقاً صناعياً في هذا الفرع لا يتوفر لغيرهم من أبناء منطقة اشتهرت بصناعة الآلات البخارية مثلاً . ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن بناء الصناعة يتطور دائماً وأن الصناعة المزدهرة اليوم قد يصيبها الكساد والخلول غداً ، وأن العمليات الصناعية التي تبدو ضرورية في إنتاج مادة من المواد قد ينسحب عليها ظل الاختراع فإذا هي عدم وإذا آلة جديدة تؤدي عملاً كان يؤديه عشرات العمال ومئاتهم .

وقد جاء في مقال نشرته التيمس في ملاحقها التجارية سنة ١٩٣٤ ونقلته صحيفة التجارة والصناعة في عدد شهر يناير سنة ١٩٣٥ أنه «لا سبيل للشباب والبنات إلى مواصلة أية مهنة في مناطقهم الخاصة دون أن يحصلوا على نصيب من هذا التعليم، فإذا كان عدد هذه المهن محدوداً كما هي الحالة في المناطق التي تتركز فيها الصناعات كانت المهن التي يستطيع الشبان موازلتها قليلة التنوع ، ويترتب على ذلك أنهم يفضلون الاشتغال في تلك الصناعات التي يعمل فيها آباؤهم أو أقاربهم أو أصدقاءهم ، كذلك روى أنه من الواجب أن يعطى الاحداث نصيباً وافراً من التمرين على مختلف الصناعات فهذا أفضل من تمرينهم على مواصلة مهنة معينة » .

وأرى أن هذه الوسيلة أعظم فائدة في معالجة البطالة ومواجهة شروها المتقلبة ، وعلى الأخص في عصر كثرت فيه الاختراعات وكثرت تقلبات الصناعة وتقلبات الاسواق ، فضلاً عن أن تمرن الحدث على مختلف الصناعات يجعله قادراً على التحول من صناعة إلى صناعة والهجرة من منطقة إلى منطقة تبعاً لضرورة العمل وضرورة هجرة الصناعة ذاتها .

وقد أنشئت في إنجلترا مراكز تدريبية يتلقى فيها الأحداث ، عقب تخرجهم من المدارس الأولية والالزامية ، معلومات ضرورية للتدريب على مختلف الصناعات ، والفكرية في إنشاء هذه المراكز لحماية الأحداث من التدهور الاخلاقي وصياتهم في تلك الفترة التي تفصل بين انقضاء تعليمهم الاجبارى وحصولهم على عمل أو مرتزق .

ولاشك أن البطالة تكون أشد أثراً وأعظم مساوئ بالنسبة للأحداث الذين يصدون بها وهم بعد في سن غضة ، فإن العامل الناضج السن الذى سبق له أن اشتغل ثم تبطل يستطيع أن يجاهد ويضاعف بحثه وسعيه وقد يوفق الى إعادة بناء حياته من جديد ، أما هذا الذى يخف آماله قبل أن تزدهر أو يحرم من تعلم حرفة أو مهنة تساعد على العيش فلا يمكن أن يصبح رجلاً نافعا للجماعة التي ينتمى اليها .

وقد استرعت هذه المشكلة انتباه هيئة العمل الدولية في جنيف فأولتها عنايتها ، والرأى السائد بين المشتغلين بمسائل البطالة أن مما يخفف من أثرها اطالة السن التي يسمح فيها باستخدام الأحداث وتيسير السبل أمامهم للتدريب على المهنة أو الحرفة التي يختص بها الاقليم الذى يعيشون فيه أو تدريبهم ، وهذا أفضل ، على مختلف الصناعات ، وقد رفعت هذه السن إلى ١٥ سنة وأحياناً إلى ١٦ سنة في الترويج واوراجواى واتحاد روسيا السوفيتية وفي أغلب الولايات المتحدة وفي بعض أقاليم سويسرا وفي مناطق قليلة في بريطانيا العظمى

وقد أنشأت بعض هذه البلاد مراكز اقليمية لتدريب هؤلاء الأحداث وارشادهم إلى الصناعات التي يتعلمونها وتعهد أجسامهم وعقولهم بالتربية خلال الفترة القصيرة التي تفصل بين خروجهم من مدارس التعليم الالزامى وبلوغ السن التي يباح فيها استخدامهم في المصانع .

على أنى أرى أن التعليم الاقليمى بالنسبة لمصر يفيد فائدة كبيرة وعلى الاخص اذا اقترن بارشاد الآباء إلى المهن والصناعات التي يصح أن يتعلمها أبناؤهم طبقاً لحاجة البلاد وحاجة الاقليم الذى يعيشون فيه

خاتمة :

وأود في ختام هذا البحث أن أشير إلى مايقوله البعض حينما يسأل عن رأيه

فى البطالة وهو « علموهم وكفى » وهذا رأى خطر جداً فان التعليم أيا كان كالطعام الذى لا تراعى فيه صحة البدن ولا حاجته قد يقتل صاحبه أو يورثه الأمراض ، مع أن تحويلاً خفياً فى أنواع الطعام ومقداره ووقت تناوله يكفل إنقاذ البدن ويكفل له الحياة الطيبة الطويلة .

وقد يظن البعض أن مشكلة العمال العاطلين أعظم خطراً من مشكلة المتعلمين المتعطلين وأنه مادامت مصر بمنجاة من مشكلة خطيرة للعمال العاطلين فان بناءها الاجتماعى سليم من جميع النواحي ، وهذا وهم خاطئ ، فاذا كانت مشكلة العمال العاطلين خطيرة الأثر على حياة البلاد فان مشكلة المتعلمين العاطلين أعظم خطراً ، سواء من الوجهة الاقتصادية أو الوجهة الاجتماعية ، وتركها دون علاج يعرض لمضاعفات عديدة

وقد بدأت هذه المشكلة ، أعنى مشكلة المتعلمين العاطلين ، تشغل أذهان العلماء والباحثين فى أوروبا ، أذكر انى قرأت لسكاتب أوروبى منذ شهرين أو ثلاثة شهور مقالا جاء فيه : « إن الذى يراقب حالة الجماعة البشرية يلمح الآثار البادية لظاهرة جديدة فى عالم الحضارة الغربية حيث تنتشر على ضوء التعليم ظلال البطالة واليوم يوجد مئات الآلاف من الشباب فى أوروبا وآسيا وأمريكا قد أتجوا مراحل التعليم جميعها وأعدوا أنفسهم لحياة أنكرتها عليهم النظم الاجتماعية فهم يستطيعون أن يقدموا خدمات لا تطلبها منهم الجماعة وهذه الظاهرة مخوفة بمخاطر جسيمة وانى لا تساءل ماذا ينهى المستقبل (١) »

ليست مصر اذن تعاني الكارثة وحدها ، ولكننى أعتقد أن مصر تستطيع وحدها أن تعالج هذه المشكلة دون أن تصاب حياتها العامة بأى اضطراب ، لابل ان الاستقرار الصحيح للعوامل الاقتصادية فى مصر هو بذاته علاج مشكلة المتعلمين العاطلين فى أوروبا وغيرها من البلاد التى وصل فيها الاستغلال إلى حده الأخير وارتفعت الصناعة إلى الأوج ثم أخذت تتحدر عنه قد يكون العلاج شيئا آخر وقد يكون هو تحديد النسل والعودة إلى نظرية مالنس .

ويرى بعض الكتاب أن الآلات الضخمة كارثة الحضارة وأنها هى سبب البطالة لانها تطرد العمال وتحل محلهم ، ولكن أصحاب هذا الرأى ينظرون إلى المشكلة

(١) رينولد شيرر فى مجلة «الديكتاتور» الانجليزية

من زاوية واحدة، والصحيح ان الاختراعات في ذاتها مفيدة لأنها تساعد على الانتاج وتدخل المجهود البشرى ، ولكن الخطأ يجرى منا ومن النظام الاقتصادى الذى نتبعه، فعلينا أن نبحث عن علاج للبطالة فى أى ميدان آخر غير الغض من نشاط الذهن الانسانى ومحاربة الاختراعات التى يرجع اليها الفضل فى كل ما نمنع به ونتمتع من خيرات ومباهج، والصحيح أن الآلات بتوفيرها المجهود الانسانى يجب أن تطوع للناس وقتاً أطول للفراغ والمتاع النفسى والعناية بمطالب الروح والعقل والفكر، ولعل «جودوين» كان يتنبأ بهذا حين قال فى كتابه Political Justice سنة ١٧٩٣ « من يدرى ؟ فقد نحصل فى وقت من الاوقات على نفس الانتاج الذى نحصل عليه الآن دون أن يعمل أحدنا كل يوم أكثر من نصف ساعة، وحينئذ يتسع وقت الفراغ لدينا وهو الثروة الحقيقية »

الى هذه الغاية يجب أن تتجه الحضارة فيما أعتقد . أما أن تؤدى الاختراعات والآلات الى الشقاء والبؤس فشئ غريب ، وهو شئ غير طبيعى .
وأخيراً . . .

أحب أن أعبر عن أمئيق فى أن تتضمن مصر قريباً الى هيئة العمل الدولية فى جنيف، وبذلك تقوم بنصيبها فى العمل المشترك لتقليل مساوىء البطالة وتحسين حالة العمال وتؤدى رسالتها المحتومة ، كوارثة أقدم الحضارات فى تنقية حضارة اليوم من أسوأ شروها .

ملحق

احصاء هيئة العمل الدولية فى جنيف عن البطالة فى العالم

يؤخذ من الاحصاء الذى أذاعه مكتب العمل الدولى عن الثلاثة الشهور الأولى من العام الماضى لحالة البطالة فى العالم أنها آخذة فى التحسن فى أغلب البلاد اذا قورنت بالاحصائية الخاصة بمثل هذه المدة فى العام الذى قبله ، وقد دلت هذه الاحصائية، كما دلت الاحصائيات التى سبقتها، على زيادة البطالة فى بلجيكا وفرنسا وايرلندا الحرة وبولندا وهولندا، كما دلت على زيادة طفيفة فى الأرقام الخاصة بحالة البطالة فى بلغاريا وأسبانيا ويوجوسلافيا .

واذا قورنت هذه الأرقام بأرقام الاحصائية السابقة عليها، أعنى الخاصة بالثلاثة الشهور الأخيرة فى سنة ١٩٣٤، لوحظت بعض الزيادة فى أرقام البطالة، غير أن

هذا لا يجب أن يؤخذ اشارة سيئة؛ فهو راجع على الأخص الى التغيرات الموسمية وإلى نقص استخدام بعض الصناعات للعمال بسبب قلة عملها في هذا الموسم أو توقفها بالمرّة عن العمل .

وتجدر الاشارة إلى أنه قد تزيد أرقام البطالة في بلد من البلاد وتزيد في الوقت ذاته أرقام العمال المشتغلين ولا يجب أن يدفع هذا إلى الأذهان أن في الأمر تناقضا فهذا يرجع إلى ازدياد عدد المقيمين في البلد بسبب الهجرة أو بسبب زيادة السكان .

ويعتمد مكتب العمل الدولي في جمع احصائياته عن العمال العاطلين والمشتغلين على مصادر عديدة مثل جمعيات التأمين الاختياري أو احصائيات النقابات أو احصائيات تبادل العمال الخ .

ولا تعطى الارقام التي ينشرها مكتب العمل نتيجة وثيقة بعدد المشتغلين والمشتغلين؛ ولكنها تفيد في معرفة الاتجاه العام لهذه المشكلة الخطيرة هل هو للازدياد والتفاقم أو للتقص والتحسن

ونشر فيما يلي الارقام التي جاءت في هذا الاحصاء عن أهم الدول :

احصاء مشاريع التأمين الاجباري

النمسا : عدد العاطلين ٦٥٨.٩٣٤ بنسبة ٣٢.١ في المائة ، وكانت في مارس

سنة ١٩٣٤ ، ٣٢.١ في المائة

المانيا : عدد العاطلين ٦٧٦.٢٧٤ بنسبة ١٤.٩ في المائة ، وكانت في مارس

سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨.٧ في المائة

بريطانيا العظمى وشمال ايرلندا : عدد العاطلين ٢٧٢.١٠٧ بنسبة ١٧.٥ في المائة،

وكانت في مارس سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٨.١ في المائة

احصائية مشاريع التأمين الاختياري :

بلجيكا : عدد العاطلين ٢٢٣.٠٠ بنسبة ٢٣.٦ في المائة ، وكانت في فبراير سنة

١٩٣٥ بنسبة ١٨ في المائة، ويلاحظ أن البطالة زادت فيها .

تشيكوسلوفاكيا : عدد العاطلين ٣٠٣.٥٣ بنسبة ٢١ في المائة، وكانت في فبراير

سنة ١٩٣٥ بنسبة ١٥.٥ في المائة «البطالة زادت» .

دانمارك : عدد العاطلين ١٠٨.٦٩ بنسبة ٢٨.٠٨ في المائة ، وكانت في فبراير

سنة ١٩٣٥ بنسبة ٣١٨ في المائة «نقصت البطالة»
 هولندا - عدد العاطلين ٣١٢٤٢٢ بنسبة ٢٨ في المائة وكانت في فبراير سنة
 ١٩٣٥ بنسبة ٣١٨ في المائة «نقصت البطالة» .
 سويسرا - عدد العاطلين ١٠٤٨٤٨ بنسبة ١٦٩٣ في المائة ، وكانت في يناير
 سنة ١٩٣٥ بنسبة ٢٩٩ في المائة «نقصت البطالة» .

احصاء نقابات العمال :

النمسا - عدد العاطلين ٨٠٠٩٧ بنسبة ١٨٨ في المائة في ديسمبر سنة ١٩٣٤ ،
 وكانت في ديسمبر سنة ١٩٣٣ بنسبة ٣٣ في المائة «نقصت البطالة» .
 كندا - عدد العاطلين ٢٩٣٢٠ بنسبة ١٨١ في المائة في فبراير سنة ١٩٣٥ ،
 وكانت في فبراير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٢١٩ في المائة «نقصت البطالة» .
 النرويج - عدد العاطلين ١٧٧٩٢ بنسبة ٣٢٨ في المائة في يناير سنة ١٩٣٥ ،
 وكانت في يناير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٣٩٢ في المائة «نقصت البطالة» .
 السويد - عدد العاطلين ١٠٠٨٣٩ بنسبة ٢١٧ في المائة في فبراير سنة ١٩٣٥ ،
 وكانت في فبراير سنة ١٩٣٤ بنسبة ٢٤٥ في المائة «نقصت البطالة» .

احصائيات تعتمد على المصادر الأخرى :

النمسا - عدد العاطلين ٤٢٤٤٨٧ في فبراير سنة ١٩٣٥ ، وكانت في فبراير سنة
 ١٩٣٤ - ٤٤٠٤٩ «نقصت البطالة» .
 فرنسا - ٥٤٤٥٦٧ عدد العاطلين في مارس سنة ١٩٣٥ وكان عددهم في مارس
 سنة ١٩٣٤ - ٣٨٢٨٧٨ «زيادة كبيرة» .
 ألمانيا - عدد العاطلين ٢٧٦٤٦٧٦ في مارس سنة ١٩٣٥ وكانت عددهم
 ٣٣٧٢٦١١ في مارس سنة ١٩٣٤ «نقص كبير» .
 بريطانيا العظمى - عدد العاطلين ٢٢٨٥٤٦٣ في مارس سنة ١٩٣٥ وكان عددهم
 ٢٣١٧٩٠٩ في مارس سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .
 هنغاريا - عدد العاطلين ٥٤٣٦٨ في فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ٥٦٤٧٨ في
 فبراير سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .
 إيطاليا - عدد العاطلين ١١١٧١١ في فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ١١٠٨١٤٨
 في فبراير الذي قبله «نقص بسيط» .

اليابان - عدد العاطلين ٣٦٥٥٩٦ فى اكتوبر سنة ١٩٣٤ وكان عددهم فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ - ٤٠٠١١٨ «نقص بسيط» .
 رومانيا - عدد العاطلين ٢٠٦٦٩ فى فبراير سنة ١٩٣٥ وكان عددهم ٢٨٣٢٣ فى فبراير سنة ١٩٣٤ «نقص بسيط» .
 وكانت النسبة المئوية للعمال المشتغلين إلى العاطلين فى فبراير سنة ١٩٣٥ كالى:
 كندا ٧٩٤ ايطاليا ٧٧ وامريكا ٧٥ والسويد ٩٢ وسويسرا ٧١ وبولندا ٦٣
 وبلاغ عدد العمال المشتغلين فى النمسا فى يناير سنة ١٩٣٥ - ٩٥٩٨٧ وفى ألمانيا
 فى شهر فبراير سنة ١٩٣٥ - ١٤٤٠٩٠٠٠ وفى بريطانيا العظمى ١٠٨٨٣٠٠
 فى فبراير سنة ١٩٣٥ وفى هنغاريا ٨٧٣٤١٦ ويوجوسلافيا ٥٤٧٥١٦ فى يناير
 سنة ١٩٣٥ .

(٢)

ملخص رسالة

الدكتور على عبد الواحد وافي

مهد لبحثه بأن البطالة من أغرب الظواهر الاجتماعية وأشدّها شذوذاً ، إذ
 يتمثل فيها التقيض ونقيضه ، فإن المجتمع يرغب عن عمل ينتج يقدم اليه ، فيدل
 على انه ليس فى حاجة إلى انتاج ، ولا يعقل أن تنقطع حاجته إلى الانتاج ، إلا
 إذا توافر لدى جميع أفراد ضروريات الحياة وكالياتها ، وان الشخص العاطل
 من بين أفراد هذا المجتمع ويعوزه الضرورى ولا يتوافر لديه الكفاف من العيش .
 ثم قسم البطالة إلى ثلاثة أنواع ، وهى :

أولاً - بطالة طالبي التوظيف من المتخرجين فى مختلف معاهد التعليم .

ثانياً - بطالة الفلاح ، أو البطالة فى الزراعة .

ثالثاً - بطالة العمال ، أو البطالة فى الصناعة .

وتحدث عن بطالة طالبي التوظيف ، وأهم أسبابها وما يراه من علاج وهو :

١ - عدم مراعاة التناسب بين الوظائف ومن نعدم معاهد التعليم للقيام بها ،
 فان أولياء الأمور ساروا على سياسة معقولة فيما يتعلق بدرستى البوليس والحربية
 فلا يقبلها تين المدرستين أكثر من العدد اللازم لشؤون الأمن والجيش ، ولكنهم
 لم يلتزموا السير على هذا السنن فيما يتعلق بدار العلوم ومعهد التربية ومدارس
 المعلمين الأولية وكليات الجامعة المصرية والأزهر وأقسام تخصصه ومدرسة

الفنون والصناعات ، فنجم عن ذلك أن أخذت هذه المدارس والمعاهد تمد كل عام جيش العاطلين بكتائب جديدة تزيد من كوارثه ، ولقد بلغ في بعض السنين عدد العاطلين من خريجي مدارس المعلمين الأولية وحدها ما يقرب من عشرة آلاف ، ومن وسائل علاج هذه الحالة أن تضيّق أبواب الالتحاق بهذا النوع من المدارس ويحدد طلبة كل منها تحديداً دقيقاً يتناسب مع المطلوب لوظائفها .

٢ - توجيه العناية في التعليم الثانوى إلى مجرد الاعداد للتعليم العالى واغفال ما عدا ذلك ، فنجم عن هذا العيب أن المتخرجين في المدارس الثانوية ينظمها الحاضرة لا يصلحون لشيء الا لتكملة دراستهم بكليات الجامعة أو بالمدارس العالية ، وتوصد في وجوههم معظم الأعمال الحكومية والحرّة وتكون النتيجة أن ينضم جيش عاطل من خريجي المدارس الثانوية إلى جيش المتعطلين من خريجي المدارس العالية ، ولا سبيل للتخلص من هذا العيب الا اذا منح التعليم الثانوى بعض الاستقلال عن التعليم العالى وعمل على تشكيله بالشكل الذى يتمم مع جميع الأغراض الآجلة التى تقصد منه ، فلا يعد طلبته للالتحاق بمعاهد التعليم العالى فقط ، بل يعدهم كذلك ليكونوا صالحين لمختلف الأعمال اذا اقتصروا على هذا القدر من التعليم ، ولتحقيق هذه الغايات يجب تخليص التربية الثانوية من الصيغة النظرية البحتة التى تسود مناهجها وتعديل هذه المناهج تعديلا جوهريا يجعلها وثيقة الصلة بالحياة العملية وشؤونها .

٣ - ضعف المتخرجين في مختلف المدارس المصرية في اللغات الأجنبية ، وهذا يحول بينهم وبين مزاولة الأعمال الحرّة ووظائف الشركات التى تتطلب اجادة لغتين أو لغة أجنبية ، وقد رأى :

١ - عدم انقطاع تعليم اللغات بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية ، ووجوب امتداده إلى نهاية مرحلة التعليم العالى ، وأن تشمل خطة الدراسة في كل كلية بالجامعة وفي كل مدرسة عالية على عدد كاف من الحصص في اللغات الأجنبية وعلى بعض مواد تدرس باللغات الأجنبية .

ب - حذف اللغات من منهج التعليم الابتدائى وتوزيع حصصها على المواد الأخرى وبخاصة اللغة العربية ، فإن ما يتعلمه الطفل من لغات أجنبية في هذا الدور يزاحم المعلومات الأولية التى يتلقاها عن لغة بلاده فيعوق أساغته لتواعدها ويحول دون تشربه لروحها ، ويطلب منه بذل مجهود جبار لم تقو بعد مواهبه الجسمية

والعقلية على يذل مثله ، فيتعطل نموه الجسمي والفكرى .

ج - منح اللغات الأجنبية في التعليم الثانوى الزمن الكافى لاجادتها ، فيزاد الوقت المخصص لها زيادة تعوض الغاءها في التعليم الابتدائى ، ورأى أنه لا يصح أن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الأساسية في جميع المدارس الثانوية وجميع التلاميذ ، لان في هذا تحكماً لا مبرر له وتضييقاً لدائرة الثقافة اللغوية بمصر وإصاذاً لأبواب طائفة من الأعمال الحرة وممارسة لحاجات التعليم العالى فان بعض فروعها يتوقف على الفرنسية ويحتاج بعض شعبه الى الالمانية ، واقترح تقسيم الشعب اللغوية في التعليم الثانوى الى ثلاثة أقسام ١ - شعبة اللغة الانجليزية وفيها تكون الانجليزية أساسية والفرنسية أو الالمانية اضافية ٢ - شعبة اللغة الفرنسية ، وفيها تكون الفرنسية أساسية والالمانية أو الانجليزية اضافية ٣ - شعبة اللغة الالمانية ، وفيها تكون الالمانية أساسية والانجليزية أو الفرنسية اضافية .

د - ارجاء تدريس اللغة الاوربية الثانية الى ما بعد السنة الثانية بالمدارس الثانوية ، حيث يكون الطالب قد أدرك مقداراً صالحاً مستقراً متميزاً من اللغة الاولى ينتجيه من الجيرة والخلط بين اللغتين ويساعد على قبول الثانية واساعة قواعدها .

٤ - اهمال ناحية المهارة اليدوية في مدارس التعليم الثانوى ، فنجم عن ذلك كراهة المتخرجين في المدارس الثانوية للصناعات اليدوية وترفعهم عنها لجهلهم بها ، ولا علاج لهذا النقص الا بادخال طائفة من الصناعات اليدوية في مناهج الدراسة الثانوية كاطباعة والكتابة على الآلة الكاتبة وتجليد الكتب والتصوير الشمسى والعزف على الآلات الموسيقية والغزل والنسيج ومبادئ التجارة والعمارة والطلاء وصنع الادوات الخرفية والذى وعمل السلال والكراشى واصلاح الساعات والصناعات الزراعية بمختلف فروعها وأن يتبع في تعليم هذه المواد نظام « المجموعات المتجانسة » فيتألف في كل مدرسة فرق صناعية يتجانس تلاميذ كل منها في مقدار مهارتهم وصناعاتهم بتقطع النظر عن سنينهم الدراسية ، ويشجع المشفوقون في هذا المضمار بشتى وسائل التشجيع ، وألا يجرى امتحان في هذه المواد بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، وان كان لا بد من اجراء امتحانات فيها فلا يصح أن يكون لنتائجها أثر في انتقال التلاميذ .

٥ - عدم السير على نظام « التعليم الاقليمي » في مرحلة الدراسة الثانوية ، واتباع نظام التجانس الطقيم الذى وحد أساليب التربية والتعليم ومناهجها وخططها في

جميع المدارس الثانوية حتى استحالَت صورة متكررة متشابهة وانعدم بذلك الطابع الشخصى الذى ينبغى أن تستطيع به كل مدرسة فى حدود يَشتملها الخاصة ، ونشأ عن ذلك أن المتخرجين فى هذه المدارس قد استحالوا الى نماذج مشابِهة لا يصلحون الا لنوع واحد من الأعمال فيضطرون الى التزاحم فى حيز ضيق لا يتسع لعشر معشارهم وتحيط بهم البطالة من جميع الجهات ، ولو اتبع فى تربيتهم نظام « التعليم الاقليمى » لخلف كثير من حدة تكالِبهم على الوظائف الحكومية ، ووجهت أنظارهم الى نواح جديدة للعمل وخلق ميادين واسعة للارتزاق والسكسب ، وقويت صلتهم ببيئاتهم ، وتوعدت سبل حياتهم ، وتعددت اتجاهاتهم ، اذ أن المصريين لا يلقون عن غيرهم اختلافا فى البيئة ومظاهر النشاط الاقتصادى وحاجاتهم الاساسية ، فيثابتهم الجغرافية متعددة ، فمن البلاد المصرية ما يتاخم المناطق الحارة ، ومنها ما يقع فى المناطق المعتدلة ، ومن المصريين من يقطنون الصحارى ومنهم من يقطنون السواحل ومنهم من يقطنون البطاح ، وبعض بلاد القطر زراعى والبعض صناعى النزعة من قديم والعرض قد أخذ يتجه وجهة صناعية والبعض يسود أهله أنواع أخرى من مظاهر النشاط الاقتصادى كالتجارة والملاحة والصيد وهذا لا يتلاءم مع توحيد نظام التربية والتعليم فى أية مرحلة من مراحلها ، فمن الخطأ أن تكون مواد الدراسة وخططها فى مدرسة ثانوية تكتنفها بيئة زراعية مثلاً ويفد تلاميذها من طبقة المشتغلين بالزراعة متحدة فى كل شئ مع مواد الدراسة وخططها فى مدرسة منشأة فى اقليم صناعى أو تجارى ، فلكل اقليم مظاهر نشاط تميزه عن غيره وتقضى على المربين أن يربطوا بها كل مواد تربيتهم وتعليمهم وأن تكون عنايتهم بالأُمور المتصلة بها أكثر من عنايتهم بما عداها

٦- قصير الحكومة والشركات المصرية حيال المتخرجين فى المدارس الصناعية والفنية ومدارس التجارة والزراعة ، فهذه المدارس تعد تلاميذها أولاً وبالذات لمزاولة الأعمال الحرة ، ومعظم هذه الاعمال لا يتوقف على المجهود الجسمى والعقل فقط بل يتوقف كذلك على رأس المال ، والمتخرجون فى هذه المدارس تعوزهم رؤوس الاموال ، فيجب أن تمد الحكومة والمصارف أفراد هذه الطائفة برؤوس الأموال اللازمة للقيام بمختلف المشروعات الحرة : تجارية أو صناعية أو زراعية ، وان تحمى الحكومة مشروعاتهم الناشئة ضد المنافسات القوية وتقرر إعانة سنوية تكافئ بها بعض مظاهر نشاطهم الانتاجى وتشجعهم

على الاجادة والاستمرار وتسهل لهم تصريف مستجاتهم فى مختلف الاسواق
الداخلية والخارجية وتلتزم تفضيلها على غيرها فى كل ماتحتاج اليه مصالحها من
مشتريات .

٧ - تساهل الحكومة مع الشركات الأجنبية بصدد الموظفين ، فان معظم هذه
الشركات لا يوظف الا الاجانب رغبة فى نفع بنى جنسهم من جهة وبمحجة ضعف
الشبان المصريين فى شؤون الشركات وفى اللغات الاجنبية من جهة أخرى ، ويلجأ بعضها
الى توظيف المصريين فى الوظائف الحقيرة التى يستكف الاجانب عن القيام
بها ، ولا علاج لهذه الحالة الشاذة الا اذا نصت الحكومة فى عقود الامتياز
التى تمنح من الآن فصاعدا لكل شركة تنشأ على أن يكون معظم موظفيها على
الاقل من المصريين ، ومراقبة تنفيذ ذلك ، وأن تعيد الحكومة النظر فى حالة
الشركات القديمة من جديد على ضوء ماوصلت اليه البلاد من رقى وحضارة وماوصل
اليه المتخرجون فى معاهدها العلمية من بؤس وشقاء .

٨ - شغل وظائف ينبغي وقفها على المتعلمين لاحتياجها الى درجة من الثقافة بأفراد
من غير المتعلمين كوظائف عساكر البوليس ، وقد عمل (دولة) على ماهر باشا
على علاج هذه الناحية فأعد مشروعا جليلا يقضى بانشاء قسم بمدرسة البوليس
لتخريج عساكر البوليس على أن يلتحق به أكبر عدد ممكن من المتعلمين ، ولكن
لا يزال فى الميدان مدسع للاصلاح ولفتح أبواب للتعليم المتعطلين لأن الامر
ليس مقصورا على عساكر البوليس .

٩ - عدم وجود مكاتب منظمة للتوظيف والتوجيه ، فينبغى انشاء مكاتب
للتوظيف فى أشهر مدن القطر ويكون بالقاهرة مكتب رئيسى يمثل فيه مصالح الحكومة
ودور التعليم الاميريه والاهلية والاجنبية والشركات وسائر الهيئات الحرة الشهيرة ،
وتنشأ مكاتب للتوجيه يعهد اليها بتحديد العمل الذى يصلح للاضطلاع به كل طالب
توظيف وتوجيهه الى الناحية التى تتلاءم مع تكوينه العلمى وميوله القطرية
والمكتسبة .

ثم تحدث عن البطالة فى الزراعة فقال انه لم تظاهر بعد علامة مزعجة من علامات
هذا النوع من البطالة ، ولكن اذا لم نأخذ فى أسباب الوقاية من هذا النوع ،
فسيكون شر ما تصاب به الحياة الاقتصادية ، ورأى أن عوامل هذه البطالة
ترجع إلى :

(١) نمو عدد السكان وعدم كفاية الأراضى المنزرعة الآن لتشغيل جميع الأيدي العاملة بالمناطق الزراعية فى المستقبل

ويمكن دفع هذا الخطر باتخاذ الوسائل الآتية :

١ - العمل على زيادة القوة الانتاجية للأرض المنزرعة الآن .

ب - العمل على زيادة مساحة الأرض الصالحة للزراعة .

ج - العمل على زيادة القوة الانتاجية لساكنى المناطق الزراعية أنفسهم بدون الخروج بهم عن بيئتهم ، أو بعبارة أخرى ، العمل على تزويدهم بما يزيد من قدرتهم على استغلال بيئاتهم ويضعف من حذقهم ومهارتهم فى تدليل موارد الثروة فى أقاليمهم .

د - العمل على تشغيل الزائدين عن حاجة الأرض من سكان المناطق الزراعية فى أمور انتاجية أخرى لآتمت إلى بيئاتهم بصلة .

٢ - استخدام الآلات الحديثة فى الزراعة ، فإن استخدام آلة زراعية فى قطعة ما من الأرض يؤدى إلى الاستغناء عن بعض الأعمال اليدوية ، أى توفير بعض الفلاحين الذين يشتغلون فيها ، وليس من الخير العمل على محاربة استخدام الآلات الحديثة لأنه ملائم للرق الزراعى وعنصر هام من عناصره ، وكل ما يمكن عمله فى هذا السبيل هو تشجيع الملكيات الصغيرة بشق الوسائل المشروعة ، لعدم احتمال ثروة اصحابها المبالغة فى استخدام الآلات الحديثة

وتكلم عن البطالة فى الصناعة ، فقال : كان طبيعيا ، بعد أن خطت مصر هذه الخطوات الحثيثة فى ميدان الصناعة ، أن يهددها الخطر الذى يهدد عادة كل بلد صناعى ، وهو خطر البطالة ، وقد أخذت بوادر هذا الخطر تظهر فعلا فى السنين الاخيرة ، فاستغنت مصانع عن طائفة من عمالها ، وأنشئت جمعيات لمعاونة المتعطلين وأخذت طوائف العمال المتعطلين تضايق الأغنياء فى منازلهم وعلى أبواب النوادى وقاعات المحاضرات والطرفقات العامة .

وترجع أهم عوامل البطالة فى الصناعة الى ما يلى :

١ - زيادة المنتجات الصناعية عن المطلوب للاسواق ، فينجم عن هذه الزيادة انخفاض الائتمان ، وانخفاض الائتمان ينجم عنه التقليل فى الانتاج ، والتقليل فى الانتاج يستلزم الاستغناء عن اليد العاملة .

وآخر وسيلة للوقاية من هذا الخطر أن تخضع مصانع كل فرع من فروع الانتاج لجهة رئيسية تقدر كمية المطلوب للأسواق من هذا الفرع .

٣ - اختراع الآلات الحديثة في الصناعة أو التحسين في الآلات القديمة .

وهذا العامل لا يمكن الوقوف في سبيله لأنه ملازم للرقى الصناعى ، ونتيجة لارتقاء الفكر الانسانى

٣ - منافسة الصناعات الاجنبية القوية للصناعات المحلية الناشئة الضعيفة ، وهذه المنافسة تنتهى بانهمزام المصانع المحلية

وآخر علاج لذلك هو رفع الرسوم الجمركية على المنتجات الاجنبية .

٤ - تشغيل النساء والاطفال في المصانع ، وهذا يحدث البطالة في صفوف العمال من الرجال ، ويؤدى إلى أخطار صحية واجتماعية ، وقد وضع المكتب الدولى للعمل الملحق بجامعة الأمم قوانين تقيد تشغيل الاطفال والنساء .

٥ - تشغيل الأجانب .

٦ - كثرة ساعات العمل وهى تستلزم توفير العمال .

واتقاء لهذا يتبع نظام « اليوم الانجيزى في العمل » ، وهو ألا يشتغل العامل أكثر من ثمانى ساعات في اليوم ، ونظام « الأسبوع الانجيزى » وهو ألا يشتغل العامل أكثر من خمسة أيام ونصف يوم كل أسبوع .

وقد تحدث عن التعليم الاقليمى - أثناء التكلم عن البطالة في الزراعة - فأشار بجعله عنصراً أساسياً من عناصر التعليم الالزامى ، بين سكان المناطق الزراعية ، لأن أبناء الفلاحين لا يتجاوزون غالباً هذه المرحلة من التعليم ، فيجب تزويد التلاميذ بما يقفهم على شؤون أقاليمهم الخاصة ، ففي الاقاليم الشهيية بانتاج الفاكهة مثلاً ينبغى أن يؤخذ التلاميذ بطرق استنبات الفاكهة وتحسين درجاتها وتخزينها والمحافظة عليها عند تصديرها إلى الخارج وعمل المرباط والفواكه المسكرة وصناعة استخراج عسل النحل باستعمال المناخل الحديثة وزراعة الزهور ووسائل تقطيرها وصناعة الروائح العطرية وفى الجهات التى يكثر فيها النخيل كالواحات وجنوب الجزيرة يعنى بالصناعات المتعلقة بمنتجات النخيل من ثمر وليف وخصوص وجريد وفى المناطق الشهيية بزراعة القطن يعنى فيها بتعليم استخراج الزيت وعمل الصابون وغير ذلك علاوة على درس كل ما يتعلق بزراعة القطن وأمراضه ومراتبه

وطالب بالعناية بتلقين تلاميذ كل اقليم المواد التي تنفق مع شؤون الانتاج الخاصة به ، كالماشية والاغنام والطيور والدواجن وبدوقة القر والكتان والحبوب والخضروات .

وفي الجهات الساحلية يعنى بتدريب التلاميذ على الصناعات المتعلقة بصيد الاسماك وتليحها وحفظها . . . وزراعة الملح وتعده وقطعه وتجهيزه ووضعها داخل أكياس .

والجهات الرملية التي يساعد معدن تربتها على صناعة الزجاج والبلاط والاسمنت يدرس التلاميذ كل ما يتعلق بهذه الصناعات وموادها .

والبلاد الرملية التي تصلح لزراعة الاغراس والغابات ؛ يتلقى التلاميذ كيفية غرسها وتعديها وطرائق قطعها وتجفيفها ؛ والصناعات المتصلة بالأخشاب كالكبريت والاثاث والفحم .

وأشار بإنشاء مدارس فنية أولية بالأقاليم الزراعية تكون مناهجها مكاملة لما يتلقاه تلاميذ المدارس الالزامية من مواد التعليم الاقليمي ، وتتسع مناهج هذه المدارس وتتقدم موادها بتقديم سن الطلاب ، حتى تخرج زراعاً مهرة يعملون بأيديهم في الحقول ، وصناعاً حاذقين لصناعاتهم يعملون بأيديهم في المصانع ، ويجب أن يكون منهج هذه المدارس يسيراً بسيطاً متصلاً أشد الاتصال بحاجات الناس في حياتهم اليومية ، لا يشعر الطالب فيه أنه شذ عن بيئته أو نقل من بيئة إلى بيئة أرقى منها .

(٣)

ملف راسل

الأستاذ حسنى الششتناوى

مهد لبعثته بتعريف الاقتصاديين للبطالة بأنها « عدم توفر العمل لشخص راغب فيه وقادر عليه في مهنة تتفق مع استعدادة نظراً لحالة السوق » ، وقال انه تعريف حسن ، ولكنه ينطبق على الدول التي اكتملت نموها الصناعى اكثر منه على الدول الناشئة التي اشتركت في نموها عناصر وبواعث غريبة عنها كعصر ، فعلاج البطالة يجب أن يكون مرناً يتفق مع أحوال البلاد المحلية .
وقد تحدثت عن البطالة في العالم وأورد احصائيات عن العمال العاطلين وملاحظات

مكتب العمل الدولى .

ثم قدم البطالة الى نوعين : (١) البطالة بين عمال الصناعة (٢) البطالة بين العمال غير الصناعيين « غير اليدويين » .

وبنى أسباب البطالة بين عمال الصناعة فى مصر على ما يلى :

١ - الازمة الاقتصادية .

٢ - تحول كثير من الصناعات اليدوية إلى صناعات ميكانيكية .

٣ - زيادة عدد السكان

٤ - الهجرة من الريف الى المدن

٥ - منافسة الأجانب

٦ - عدم الخبرة الفنية التى تجعل العامل ملتئماً مع عصره وتولد عنده مواهب الابتكار والتنقل بين الصناعات .

٧ - تدهور بعض الصناعات القديمة ، مثل صناعة المناديل (الاسطامبولى) وبعض الصناعات الدقيقة القديمة .

٨ - عدم استكمال التشريع الاجتماعى الذى ينظم ساعات العمل وغير ذلك من الوسائل التى توزع العمل على أكبر عدد من العمال .

٩ - انعدام فكرة الادخار لدى العمال المصريين وجهلهم بمعانى التأمين وفوائده

١٠ - وجود أبواب أثرية للارتزاق فى مصر لانهلث أن تزول من عالم الوجود

أو تصادر بقوانين بعدم اعتبارها عملاً من الأعمال وذلك مثل مروضى القردة

وصيدية العوالم وخدام الزار وبعض أتباع المآتم والأفراح وغير ذلك مما يتلاشى

مع عمر الزمن .

١١ - تدهور بعض العادات والشعائر القديمة مثل أرباب الطرق وأصحاب العهود

١٢ - عدم وجود بورصات منظمة للعمل (مكاتب تخديم)

١٣ - منافسة الحكومة للأفراد فى الصناعة ، كما هو الشأن فى مصالحة السجون .

١٤ - عدم وجود نظام خاص للعطاءات الحكومية يكون من شأنه توفير العمل

لأكبر عدد ممكن من العمال فى المصانع الأهلية طول العام .

ثم رأى أن وسائل العلاج ، أهمها ما يأتى :

١ - المشروعات العامة ، وهى أن توجد الحكومة ادارة هيئة خاصة تشرف

على تنفيذ المشروعات العامة كشق الطرق ويسمى الفائض من جانيها للجمهور

بعد تصقيعه ؛ وغير ذلك من الأعمال التي يستخدم فيها العمال العاطلون القادرون على العمل .

٣ - بورصات العمل العامة ، لتسهيل الاتصال بين أرباب العمل والعمال العاطلين وأن تكون تابعة للدولة مباشرة ؛ وموزعة على الأقاليم ومتصلة بهيئات التأمين الاجتماعي .

٣ - التأمين الاجتماعي ضد مرض العامل والاصابات التي يسببها العمل وضد البطالة والشيخوخة وعند الوفاة .

٤ - القضاء على المنافسة الحكومية للأفراد والمصانع ، وذلك كمنافسة مصلحة السجون والترسانة الاميرية ومصلحة السكك الحديدية وغيرها ، ويوجد نوع من العمال الأحداث في الترسانة والغابري يسمى «بالاشراقات» ويقوم هؤلاء الغلبان في كثير من الأحيان بعمل الكبار ، وهذا منافسة للعمال أرباب العائلات .

٥ - المبادرة الى إيقاف الهجرة من الريف الى المدن وذلك بزيادة المحصولات المربحة التي تتطلب زيادة في الأيدي العاملة مثل الخضار والفواكه ، واصلاح الأراضي البور ، وتجفيف بحيرات شمال الدلتا ، وتشجيع الصناعات المحلية بالريف ، وتجميل القرى .

٦ - الترفق في تنفيذ القانون رقم ٣ لسنة ١٩٣٣ ، الخاص بالمتشردين والمشتبه فيهم ، فان الحكم على العامل العاطل الذي يجد في البحث عن العمل - بتهمة التشرد - فيه تعقيد لشؤوننا الاجتماعية بدلا من اصلاحها ، وينبغي ايجاد معاهد صناعة تحول العاطلين من صناعتهم العاطلة الى صناعات أخرى رابحة ، وتنظيم الملاهي .

٧ - وهناك وسائل أخرى ، كتحريم أو تحديد هجرة الأجانب ، ونظام توزيع الأراضي ، ونظام العمل الاجباري ، وتحديد ساعات العمل ، ونظام الاعانات والامدادات العينية (امداد العاطلين بالغذاء) ، وتحريم العمل على النساء . ثم تساءل : هل في مصر أزمة للبطالة بين العمال ، وأجاب على هذا بأن الأزمة على وجه عام أدنى الى المتوسط اذا قورنت بالدول الاخرى ، لأن مصر بلاد زراعية أولا وصناعية ثانيا ، ولكن في مصر مشكلة لبطالة المتعلمين .

وتحدث عن البطالة بين العمال غير الصناعيين (غير البدوين) فأورد مقترحات لجنة مكافحة البطالة التي ألفت بقرار من مجلس الوزراء في فبراير سنة ١٩٣٦ واقترحات المرحوم احمد عبيد الوهاب باشا ، ورأى ان هؤلاء المتعلمين

ينقسمون الى قسمين :

- ١ - الشبان المتعلمين من خريجي المدارس
- ب - العمال غير الصناعيين وهم أرباب الحرف الحرة مثل الرسامين والموسيقيين والمحاسبين والمعلمين وغيرهم .
- وعلى أسباب بطالة خريجي المدارس بما يأتى :
- ١ - الاقبال على التعليم النظرى ، مما جعل عدد الحائزين للشهادات والاجازات العلمية أكثر من حاجة البلاد .
- ٢ - عدم وجود هيئات تتولى توزيع طلاب العلم على فروعها وفقاً لحاجات البلاد واستعداد الطلبة أنفسهم .
- ٣ - عدم توفر المرونة فى البرامج مما يسمح للطلاب بالتنقل بين المهن .
- ٤ - المنافسة الأجنبية .
- ٥ - الهجرة .
- وأما بطالة العمال غير اليدويين ، فأهم أسبابها :
- ١ - الأزمة العالمية .
- ٢ - الاختراعات الحديثة مثل الراديو والسينما الناطقة والآلات الكاتبة والحاسبة وغيرها .
- ٣ - عدم توفر الجماعات الطائفية ، لتتولى حماية الأفراد والبحث لهم عن العمل عند البطالة .
- ٤ - عدم الأخذ بأنظمة التأمين الاجتماعى .
- ٥ - اشتداد المنافسة بعد زيادة عدد المتخرجين من المعاهد العلمية .
- ثم أورد إحصاء عن المتعطلين من خريجي المدارس والجامعات والعمال غير اليدويين بمصر ، ووسائل العلاج فى الدول الأجنبية ، والوسائل التى يراها علاجاً للبطالة ، وهى :
- ١ - العمل على سن تشريع جديد يحتم نسبة معينة من الموظفين المصريين فى الشركات الأجنبية التى أسست قبل سنة ١٩٣٧
- ٢ - إنشاء معاهد جديدة لا تزيد فيها الدراسة عن ستة أشهر لتحويل الشبان عاطلين من عمال غير يدويين إلى عمال يدويين ، وتوزيع الدراسة على الصناعات والفنون

- ٣ - انشاء معاهد لتحويل الشبان من المهن التى تخصصوا لها فى دراستهم إلى مهن أخرى ، لتوزيع الطلب توزيعا حسنا يتفق مع العرض .
 - ٤ - العناية باللغات الأجنبية وفن الاختزال واستعمال الآلة الكاتبة ، وجعل اللغة العربية لغة التقاضى والتعامل فى جميع المرافق المصرية .
 - ٥ - اصدار بيانات دورية من وزارة التجارة والصناعة عن حالة المهن والفنون والصناعة ، ليسترشد بها الشبان فى اختيار دراستهم .
 - ٦ - سن قوانين للمهن تقصر الاشتغال بها على ذوى المؤهلات فيها
 - ٧ - الترغيب على العمل فى البلاد الشرقية التى ترتبط حضارتها بمصر .
 - ٨ - وضع تشريع للإشراف على فصل المستخدمين وتعطيل العمل أو وقفه بالشركات والمصانع
 - ٩ - تأليف هيئة من وزاى التجارة والصناعة والزراعة وبعض الخبراء لوضع برنامج شامل للصناعات الجديدة .
 - ١٠ - تسهيل التسليف الصناعى وعدم قصر الضمان على العقار
 - ١١ - تفضيل المصريين على غيرهم فى المناقصات الحكومية ، ولاسيما ما كان متعلقا بالأعمال الداخلية .
 - ١٢ - الاهتمام باصلاح الأراضى البور وتوزيعها .
 - ١٣ - مراجعة أنظمة التعليم وبرامجه ، ووضعها وضعاً اقليمياً عملياً .
- ويرى أن يكون التعليم الإقليمى متنوع البرامج ، فلكل مديرية حاجات وبيئة خاصة ، ولكل تربة ميزات ومنافع ، فتعنى البرامج فى مدارس الريف بحراثة الأرض والعناية بالبساتين وتربية الدواجن والمواشى وصناعة الالبان والسماد ، وفى المناطق الساحلية يعنى بدراسة حيوان البحار وصناعة السردين . . . الخ وأن توجه العناية إلى تنسيق القرية وتجميلها وانشاء مكتبة ريفية فى كل قرية تتناسب مع حالتها ، ويتسم القطر الى وحدات ادارية للتعليم تكون كل وحدة تحت اشراف هيئة مزمة بحاجيات المنطقة وطبائع أهلها ومواردها الطبيعية

(٣) م

ملخص رسالة

الأستاذ عبد الحميد يونس

استهل بحثه بأن الآثار الفعالة للتطورات الحديثة التي مرت ، ولا تزال تمر ، بمصر نية الحكومة والمفكرين إلى دراسة هذه التطورات وتوجيه الصالح منها إلى الخير العام ، وإن أظهر هذه التطورات ما كان منها متصلاً بالمناحي الاجتماعية والاقتصادية بوجه عام ، وبناحية العمل والبطالة بوجه خاص . ثم أشار إلى أنه اعتمد في بحثه على الإحصائيات والتقارير الرسمية ودراساتها ، مع عدم اغفال المشاهدات الخاصة ، واستفاد بقدر معقول من تجارب الأمم الأخرى .

ثم أورد جدولين أحدهما عن نسبة نمو السكان بمصر مدة عشر سنوات ونسبة النمو في كثير من دول أوروبا ، والثاني عما يخص الكيلو المتر المربع الواحد من عدد السكان في مصر وفي غيرها ، واستخلص من الجدولين أن عدد السكان في مصر يتزايد ، وأنه يجب التفكير جدياً في أحداث التوازن بين تزايد السكان وتزاحمهم وبين تزايد وسائل العمل ، حتى لا تستهدف الجماعة المصرية لخطر البطالة وما يتبعها من تفشي عنصرى الفقر والجريمة ، وخطأ الاقتصاديين الذين يعالجون البطالة الصناعية وحدها ، لأن مصر لا تزال بلداً زراعياً الطابع ، ولأن البطالة الزراعية في ذاتها أهم وأخطر ، ومنشأ البطالة الصناعية نفسها الريف ، وقد دلت الإحصائيات على زيادة سكان الحضر زيادة هائلة بالنسبة لسكان الريف ، وسبب ذلك هجرة السكان من الريف إلى المدن ، وهذه الهجرة تدل على وجود البطالة الزراعية أولاً ، والبطالة الصناعية ثانياً ، لأن سوق العمل الصناعى لا تهمضم المجموع التي يقذف بها الريف إلى المدن .

ثم ذكر أن نسبة الأراضي المنزرعة تقل كثيراً عن نسبة نمو السكان ، ونسبة زيادة الطبقة الزراعية بوجه خاص ، وأورد جدولين عن نسبة زيادة السكان والطبقة الزراعية والمساحات المنزرعة والأراضي البور في الفترة بين عامي ١٩٠٧ و ١٩٢٧ ، أحدهما للوجه البحرى والثانى للوجه القبلى ، وعلل تفوق زيادة السكان على الأراضي الزراعية بالهجرة من الريف ، ورأى أن أول علاج للبطالة الزراعية

أو للهجرة من الريف إلى المدن ، هو العمل على فتح أبواب الرزق للفلاحين في بيئتهم الزراعية . والاسراع في اصلاح الاراضى البور بتأمين وصول مياه الري وتحسين وسائل الصرف ، والانتفاع من تقوية خزان اسوان وتعليق مود الترع وتدعيم القناطر لتحويل رى الحياض في الوجه القبلى إلى رى صيفى ، فان هذا أهم منفذ لزيادة السكان المطردة ، ثم اشترط في توزيع الاراضى البور بعد استصلاحها أن يكون مقصورا على صغار المزارعين أو أصحاب المملكات الصغيرة على أن يدفعوا ثمنها على آجال طويلة من غير فوائد .

ورأى أن تنشط الحكومة في تجميل الحياة الريفية والعناية بالقرية المصرية وانشاء القرى النموذجية التى تتنوع فيها وسائل العمل والامور والتشقيف ، حتى تصبح القرية جذابة لاتدعو الحياة فيها إلى سأم الفلاحين عامة والأغنياء وأشباه المترفين منهم خاصة .

ثم طالب بتحسين الانتاج الزراعى ، والعمل على تنوع المحاصيل ، وترقية نسل الحيوان من الدواجن والمواشى ، وتعليم الفلاحين الوسائل الحديثة في تربية النحل ودودة القز ، وتخفيف ضرائب الأطنان التى لم تعد تتكافأ وغلّة الأرض ، وتمصير البورصة ، وتبسيط الطرائق التجارية كى يستطيع المزارع تصريف محصولاته من غير الوسطاء والسامسة .

وذكر أن سوق العمل الصناعى بحالته الراهنة - مع ما فيها من سمات النهوض والحيوية والنشاط - لاتمضم الجوع التى يلفظها الريف ، ومع أن بعض الصناعات تنشأ في المناطق التى تنتج فيها المواد الأولية التى تحتاج اليها ، إلا أن الأغلب الأعم في الصناعات ينشأ في المدن الكبيرة ، ولما كانت الصناعات المصرية في جملتها على اتصال وثيق بالزراعة ، فيجب الحد من تركيز الصناعات في المدن الكبيرة ، والعمل على انشائها في الأقاليم التى فيها المواد الأولية التى تحتاج اليها ، وليس من الخير ترك الحركة الصناعية تسير على غير هدى ، فالحاجة تقضى بوضع برنامج صناعى معين ، ولادة معينة ، ثم يعاد النظر على ضوء البحوث والاحصائيات والتجارب .

وطالب باشتراك الحكومة اشتراكا فعليا في انشاء صناعات ، على صورة شركات مساهمة ، لأن التوسع الصناعى هو الحل الوحيد لدرء خطر البطالة . وأشار إلى أن مضاعفة الحكومة نشاطها في المشروعات العامة - كالاكثار من

المدارس والمستشفيات وإصلاح الطرق الزراعية والبناء وتخطيط المدن وتنظيمها وتحسين وسائل الري والصرف - وسيلة من أنجع الوسائل في مكافحة البطالة ، فإن النشاط في حركة التعمير يتطلب استخدام الكثيرين فيها ويخلق مجال العمل للألوف ، ويوسع سوق العمل الصناعى بحيث تشمل الزيادة الكبيرة في عدد السكان ، على أن هذا لا يمنع من دراسة سوق العمل والدعوة إلى تنظيمه لأن علاج البطالة ، ليس معناه تهية وسائل العمل الجديد لطائفة من السكان إنما يدخل في معناه المحافظة للذين يعملون على أعمالهم ، وأول مايعنى به في هذا السبيل « عقد العمل » الذى يقصده به إيجاد علاقة عادلة بين العامل وصاحب العمل تنظم حقوق كل من الطرفين .

ثم تحدث عن صلة الأحداث بسوق العمل ومزاحمتهم الرجال إلى حد ما ، وطلب تحديد السن الذى يبدأ فيه الأطفال العمل ، حتى يخف ضغطهم ويفسح المجال لمن هم أكبر منهم وأحق ، وتعطى لهم فرصة النمو البدنى والعقلى ، ويحموا من الأرهاق والاستغلال ، وذكر أن ضغط المرأة على سوق العمل لا يزال ضعيفا ، ولكن هذا لا يمنع من الاحتياط وتوق ما يترتب على تعليم المرأة ومزاحمتها للرجل من النتائج الاقتصادية ، وقال ان هذا يدعو إلى البحث في مسألة « الزواج » لصلتها من بعض نواحيها بموضوع البطالة ، لأن أزمة الزواج تشير إلى أن عددا من الفتيات لا تتحقق لهن مهتهن الطبيعية ، وطالب بأن تعين الحكومة الحد الأعلى للهور وتحتم الزواج على من يزاوون أعمالا حكومية ، وتفرض ضريبة على الأعراب القادر . وتحدث عن ساعات العمل وطلب تخفيضها ، حتى يحافظ على حالة العامل النفسية والبدنية وتضعف حدة البطالة ويزيد عدد العمال في كل صناعة ، كما طلب النص فى التشريع المصرى على الحد الأدنى للأجور وملاحظة طريقة العمل الفنى وغير الفنى ، وكذلك طالب بالاعتراف القانونى للهيئات العمالية ، حتى تنظم النقابات وتستطيع مساعدة الحكومة على القيام بمهتها في علاج البطالة ، وأمل أن تشترك مصر فى مكتب العمل الدولى كى تساهم فى الجهود الدولية فى تنظيم المشكلات العمالية وأهمها مشكلة البطالة .

ثم انتقل إلى بطالة المتعلمين ، فذكر أن نسبة الزيادة فيها تطرد عاما بعد عام بتغلغل (روح الوظيفة) فى المجتمع المصرى ، ولصوق المتعلم بوظائف الحكومة وهى محدودة ، وزيادة العمل فيها لا تكافأ مع عدد المتخرجين من المدارس المختلفة

وأشار بحماية سوق العمل عند المتعلمين من المنافسة الخارجية ، بتقييد النازحين الى مصر من الأجانب ، وأجبار الشركات الأجنبية الكبرى على استخدام المصريين المتعلمين ، وبمهد لهذا بفرض اللغة العربية فرضا على جميع الشركات وبيوت التجارة والصناعة في معاملاتهم مع الأفراد والهيئات داخل القطر المصرى ، كما فعلت الحكومة التركية بالقانون رقم ٢٠٠٧ لسنة ١٩٣٣ ، ووجوب قصر بعض المن على الذين لهم كفايات علمية خاصة تؤهلهم لآحترافها

وتحدث عن نقائص النظام المركزى فى التعليم كالجود والمحافظة ، مع أن البلاد تهم بتطورات اجتماعية واقتصادية يجب أن يكون لها صدى فى التعليم ، ونتج عن الجود والمحافظة أن تخلف التعليم عن مسايرة التطورات وأصبح مشكلة من المشاكل بدلا من أن يكون حلا لهذه المشاكل ، ثم طالب بوضع قواعد التعليم ونظمه ويرايجه وفق الدراسات الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ، وأن يشارك فى وضع هذه البرامج الاختصاصيون فى العلوم الاقتصادية والاجتماعية .

وانتقد التعليم الازامى والأولى ، لمساعدته على هجرة الريفين إلى المدن ، وطالب بأن تكون مدارس عملية أولية يتعلم فيها الأحداث أوليات الفلاحة والمواسم الزراعية والفرس والحصاد مع العناية بالحالة الإقليمية والتدريب وعدم اغفال أبجدية الصناعة كى تتربى فى الطفل ملكة العمل ، وأن يث فيه - إلى جانب تعليم القراءة والكتابة وبسائط الحساب وقواعد الدين - حب الريف المصرى والتعصب له ، وان تكون المدارس جزءا من الحقل .

وتحدث عن نظام الحلقات المتداخلة فى التعليم ، بمعنى أن الصبى الذى يحوز امتحان المدرسة الصناعية الابتدائية له الحق فى دخول المدرسة الصناعية المتوسطة ومنها إلى كلية الهندسة . . . فقال إن تداخل الحلقات يؤدى إلى الهجرة المنظمة ويزيد فى عدد المتعلمين العاطلين ، وطالب أن تتمتع المدارس الفنية والصناعية بشئ من الاستقلال ، وألا يسمح لكل من جاز امتحان هذه المدرسة أو تلك بأن يدخل مدرسة أعلى منها ، وللمحافظة على ظاهرة النبوغ وتنميتها يسمح للأوائل بدخول مدرسة أعلى من مدرستهم بامتحان مسابقة تعقد المدرسة الجديدة .

وحبذ مآرأته لجنة تقيع برامج التعليم الفنى والصناعى من تقرير الخطة الإقليمية فى التعليم الصناعى ومراعاة حاجات كل مديرية أو محافظة أو اقليم .

ورأى أن تقدم المساعدات المالية من السلف وغيرها لخريجي المدرس الزراعية

أسوة بما اتبع مع خريجي المدارس الصناعية - كى يساهموا من جانبهم فى شراء الآلات الزراعية وفلاحة الأرض وفقا للطرائق الحديثة ، وكى يستطيعوا إيجار الأرض والعمل على زيادة خصوبتها وتنوع المحاصيل فيها .

ويجب الإقلال من المدارس الابتدائية والثانوية العادية التى كان الغرض القديم منها تخريج الموظفين ، والاستعاضة عنها بالمدارس الصناعية والتجارية بوجه عام ، والاقتصاد فى استخدام الأجانب الفنيين ، ويكون استخدامهم لتعليم المصريين ، وفى المصانع النموذجية والأهلية فى أول عهدها ، حتى اذا استقامت استغنى عنهم وحل المصريون محلهم .

كما يجب الإقلال من الدراسات النظرية والكلاسيكية فى التعليم العالى ، وفى كلية الهندسة مثلاً يجب العناية بالمناحي العملية والتوسع فى الهندسة المعارية والميكانيكية والكهربائية والكيمياء الصناعية .

ودعا إلى إنشاء معهد فى الجامعة المصرية للدراسات الاجتماعية على الأسس العلمية الصحيحة .

وحتم رسالة بوجود تحرر التعاليم من المركزية القديمة وان ينحونحنى إقليمي تراعى فيه حاجات كل إقليم والسير على خطة مستقبلية فى وضع برامجها وجعلها مرنة صالحة للتطور بتطور الأمة .

(٤)

ملخص رسالة

الأستاذ محمد أبو المعاطى عبدالله القديم

تحدث عن البطالة بأنها لازمت العالم منذ فجر النهضة الصناعية ، ولها أثر على أخلاق العاطلين وتكوينهم الجسماني يدعو إلى انتشار الاجرام وضعف السلامة الاجتماعية ، بل لها تأثير غير مباشر على التجارة والصناعة ، وفئة أصحاب العقارات لقلّة ريع ممتلكاتهم ، وأورد احصاء عن البطالة بمصر سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٤ ونسبتها إلى بعض المالك الاوربية .

وقد قسم البطالة إلى ثلاثة أنواع :

- ١- بطالة صناعية - (ب) بطالة زراعية - (ج) بطالة المتعلمين .
- ورأى أن أسبابها تعود إلى :

زيادة عدد السكان وعدم كفاية الموارد الزراعية - التساهل في تحديد سن الزواج
بثاني عشرة سنة - اضطراب صاحب الملكية الصغيرة لشراء بدوره لأجل بأهبط
الاثمان وبيع محصوله بأقل الاثمان فيقع في الدين وتنتهي الحال ببيع أرضه وانقلابه
الى أجير - احلال الآلات محل العمال - كثرة خريجي المدارس الذين لا يطمحون
إلى أكثر من وظائف الحكومة - قلة المشروعات العامة - عدم عدالة توزيع
الضرائب على السكان جميعاً مصريين وأجانب لوجود الامتيازات الأجنبية -
المساواة في نظام الضريبة بين الزارع الكبير والزارع الفقير - انخفاض مستوى
معيشة السواد الأعظم من الشعب - تأثير الأزمة العالمية على الأعمال الصناعية
والتجارية - هبوط أسعار المنتجات الزراعية - منافسة القطن الأمريكي للقطن
المصري - منافسة المدارس الصناعية الحكومية ومصلحة السجون للمصانع الخاصة -
مزاحمة النساء والغلمان للرجال - مهاجرة الاجانب إلى مصر - مزاحمة موظفي
الحكومة بالعمل في المجال الصناعية والتجارية في أوقات فراغهم - كثرة الاراضى
البور والبرارى - اتساع صدر الحكومة لآبناء الرجاء والكبرياء الاثرياء وتعيينهم
في وظائف قد يقل مرتبها عن سد حاجاتهم .

أما العلاج فقد اُشار بما يأتي :

رفع سن الزواج وتعيين الحد الأدنى لدخول من يريد الزواج واشترائط تقديم
شهادة بصلاحية من يريد الزواج وشهادة بدخله ، حتى يمنع أصحاب الدخل
الضئيلة من إيجاد نسل لأرأس مال له ولا أمل في عمل له وغير قوى وسليم .
زيادة عدد الجيش ، فهو ميدان فسيح للشباب العاطل ، وجيوش الامم الاوربية
تبلغ في المتوسط ٣ في المائة من عدد سكانها

تقييد هجرة الاجانب الذين يراحمون أبناء البلاد ويختطفون القوت من أفواههم .
تشجيع الهجرة إلى البلاد الأخرى ، وإن الولايات المتحدة تصرح لخمس عشرة
مصرياً بالنزوح إليها سنوياً ، والبلاد الشرقية تطالب عمالاً زراعيين .

التفريق بين الزارع الكبير والزارع الصغير في نظام فرض الضرائب ، فإن كثيراً
من صغار المزارعين باع أرضه سداداً للضريبة وأندمج في سلك العمال .

تنظيم نقابات العمال تنظيماً دقيقاً لا يسمح لها بالاهتمام بغير طبقة الصناع والصناعات ،
وإيجاد مراقبة صادقة مخلصه ، فقد تنصرف هذه الهيئات في كثير من الاحيان الى الأمور
السياسية والاجتماعية ولا تعمل للغرض الذى أنشئت له وهو خدمة العامل والدفاع
عن مصالحه .

النشاء بورصات العمل في المدن الصناعية الكبرى لانتكون مهمتها مقصورة على مساعدة العمال في الحصول على عمل بل تكون للحكومة عوناً على معرفة حالة البطالة في البلاد .

تشجيع الحكومة لاتساع نطاق المحصولات الزراعية وتحسين أنواعها فان الاعتماد على القطن في الثروة الزراعية خطر عظيم وقد نجحت المنافسة ضده إلى حد كبير انشاء صناعات جديدة وحماية الصناعات القائمة ؛ فالدولة في بدء نهضةها الصناعية تحتاج إلى سلاح من الحماية الجمركية ، ومامن صناعة نشأت ونجحت في ظل الحرية ؛ بل ان مذهب حرية التجارة أصبح مذهبا خياليا وأفلتت عنه كل الدول منع المدارس الصناعية الحكومية ومصلحة السجون من منافسة المصانع الخاصة منح البلديات والمجالس المحلية المال اللازم للقيام بالأعمال العامة كالانارة والمياه والمجارى .

فرض وجوب استخدام العمال المصريين والموظفين من حملة الشهادات المصرية بالشركات الاجنبية .

تسهيل عمليات التسليف الصناعى ؛ وتفضيل الصناعات المصرية في مصالح الحكومة ؛ وتجزئة كميات التوريدات حتى يتمكن أصحاب المصانع الصغيرة من التتمد إلى المناقصات .

وضع تشريع بتحديد أجور العمال حتى لا يتركوا فريسة في أيدي أرباب الصناعة والأعمال .

تحديد ساعات العمل وإيجاد يوم للراحة الأسبوعية ؛ ورفع سن الأحداث عند مباشرة الأعمال إلى ١٥ سنة حتى يستطيع كل منهم تعلم حرفة تنفعه في رجولته ، ويفسح المجال لأصحاب العائلات .

توسيع اختصاصات البعثات الفنية في الخارج وإيفاد بعثات للقيام بدراسات طويلة في مختلف دور الأعمال بأوروبا .

انقاص عدد المهن التي يسمح للأجانب بمزاومتها ؛ واشتراط حصول الأجانب على تذاكر شخصية للأقامة ؛ حتى يخلو الجو لعدد وفير من العمال الوطنيين .

منع موظفي الحكومة من العمل في المحال الصناعية أو التجارية في أوقات فراغهم العناية باصلاح الاراضى البور والبرارى ؛ وانشاء جمعيات تعاونية لشراء هذه

الأراضى ، اما بشمن قليل أو بدون مقابل ، والاتفاق مع بنك التسليف الزراعى
لمد الجمعيات بالمال اللازم لاصلاح الارض واستغلالها ، ووضع نظام لرهن هذه
الأراضى ضماناً لوفاء قروض البنك ويكون له الاشراف الفعلى على الطرق التى
تتبعها الجمعيات فى تقسيم الاراضى .

تسهيل المواصلات للجهات المتطرفة وتنظيم طرق الري بحفر الترع والمصارف
ومنح امتيازات خاصة لهذه الأراضى كصرف البذور حتى تستطيع الجمعيات تحقيق
أغراضها ، ولعل فى نجاح شركتى كوم أمبو وأبى قير أكبر برهان على تحقيق هذه
الفكرة ، وان ما تنفقه الحكومة فى هذا السبيل يساعد على تخفيف حدة البطالة
ويعمل على وقف الهجرة من الريف ، ويزيد دخل الحكومة من ضرائب الأراضى
الجديدة .

تشجيع الحكومة لانشاء الجمعيات التعاونية بمختلف أنواعها ، والعمل على انشاء
بنك تعاونى مركزى تساهم فيه الحكومة دون أن تتناول ربحاً أو تفرضه
بدون فائدة لأجل غير مسمى ، فان تحسین الحالة الاقتصادية للمزارع الصغير
بواسطة جمعياته التعاونية يمكنه من استخدام عدد أكبر من الأيدي العاملة ،
وان الحركة التعاونية قد عملت كثيراً ، ولا تزال تعمل ، على احياء بعض الصناعات
القديمة فى الأرياف كعمل الأقمشة الصوفية التى تنسج بالول اليدوى .
تكوين النقابات الزراعية التى تضم شمل العمال الزراعيين ، وتعمل على عدم منافسة
النساء لهم بسبب انخفاض أجورهن ، وفى هذا رفع لمستوى الصحة والاخلاق .
معاقبة المالك الذى يهمل استثمار كل القوى الانتاجية فى أراضيه ، بفرض ضرائب
أعلى على الاراضى المهملة والقليلة الانتاج

تشجيع زراعة الخضروات والزهرو والعمل على تصديرها إلى البلاد الأوربية .
العناية بزراعة الأشجار على طول الارض الزراعية حتى تحمى من الرمال التى
ترحف عليها من الصحراء فتتلف محاصيلها وتضعف تربتها .
تحريم إسناد أية وظيفة ذات مرتب بمصالح الحكومة أو المصالح الأهلية
الخاضعة للحكومة لأحد أرباب المعاشات .

الكف عن نذب الموظفين لأعمال ذات مرتبات بجانب عملهم الرسمى .
وضع سياسة جديدة للتعليم يكون الغرض منها تخريج رجال عاملين ذوى عزيمة
واقدام يمكنهم الدخول فى ميدان العمل الحر مزودين بكل سلاح لازم

للراحة في الحياة .

توجيه تلاميذ التعليم الصناعي إلى حرف تتفق مع استعدادهم الجسمي والعقلي ،
لأبناء على رغبتهم ، فتتولى لجنة فنية خاصة فرزهم وتخصيصهم لمناصبهم . وتعديل
سنى الدراسة بالزيادة أو النقصان تبعا لمتطلبات الصناعات المختلفة .
العناية بالتعليم التجارى وجعله متشبا مع الحاجات التجارية ، واتصال ادارة
هذا التعليم بالهيئات التجارية والاستعانة بأرائها في وضع برامج التعليم .
قصر الوظائف بقدر الامكان على من انعدمت لديهم الوسيلة من الشبان المتعلمين
ومن ليس عندهم مال يساعد على مواولة العمل الحر ، وتخفيف ضغط هراحة
أبناء الأثرياء في الوظائف وتوجيههم إلى المشروعات الاقتصادية التي يمكنهم استثمار
أموالهم فيها .

اجبار الشركات على استعمال لغة البلاد في المعاملات التجارية .

انشاء مكتب بوزارة المعارف لجمع الاحصائيات عن عدد المتخرجين في كل نوع
من أنواع الدراسات وعدد الوظائف الحالية بالمصالح الحكومية والحرية ، حتى
يساعد على تنسيق التوزيع بين مختلف الدراسات بما يتفق مع عرض العمل وطلبه
وتحدث عن التعليم الاقلى فأشار بأن تكون برامج هذا التعليم محبة الاعمال
اليديوية والحياة الريفية للنشء ومحتوية على مواد رئيسية وأخرى فرعية حتى يسهل
التحويل إذا زادت الايدى العاملة في مهنة عن الحاجة اليها ، وأن تتفق هذه
البرامج مع بيئة وطبيعة كل منطقة من القطر ، وضرب مثلا بأسوان التي تعد عاصمة
الجرانيت في العالم ويمكن استخدام ٣٠٠٠ عامل للقطع فقط وعدد كبير من العمال
في صقل الجرانيت والحفر والزخرفة وعمل التماثيل .

(٤) م

ملخص رسالة

الدكتور أحمد سويلم العمرى

هدد لبحته بالتحدث عن البطالة في اوربا ، وبعد أن ألم بشؤونها تحدث عن مصر ،
ومن رأيه ان البطالة فيها محصورة في دائرة محدودة ، لقلة ذبوع الصناعات بالبلاد
وطبيعتها الزراعية ، والبطالة الزراعية هي أهون أنواع البطالة ، ولكن الذى يلفت
النظر انما هو بطالة الشبان المتعلمين . وأسباب البطالة :

فقر السواد الأعظم من الأمة وانحطاط مستوى معيشتهم - زيادة عدد السكان بينما الأراضى الزراعية ، التى هى عماد البلاد ، لم تزد الا قليلا ، وعدم تناسب الثروة لزيادة السكان - هبوط دخل الفلاح وكساد الأعمال وانحطاط الأسعار بفعل الأزمة العالمية - عدم ملائمة ثقافة المتخرجين فى المدارس وما تتطلبه الأعمال التجارية والصناعية - عدم العناية باللغات السائدة فى عالم التجارة والصناعة - قصر جهود المتعلمين على طلب الوظائف الحكومية

أما العلاج ، فأهمه :

رفع مستوى الفلاح الذى يمثل السواد الأعظم من السكان ، وتيسير سبل الحصول على ما يعوزهم من حاجياته الضرورية - الاسراع فى اصلاح الأراضى البور - توجيه الجهود الى النهوض بالصناعة والتجارة - انشاء مكتب للاهتمام بشؤون المتعلمين المتعطلين وارشاد أولياء أمور الطلبة الى المدارس العالية التى يقل ازدحام حملة شهادتها - تخفيض سن التقاعد الى ٥٥ سنة وعدم استخدام من بلغ هذا السن من الموظفين - تحريم اسناد أعمال أو وظائف اضافية للموظفين - تحريم التدريس الخاص على أساتذة المدارس - وضع تشريع يحتم على الشركات والمصارف شغل وظائف بنسبة مرتفعة من المصريين - تحريم هجرة الأجانب الى مصر - الاشراف على أعمال البناء والمقاولات وضرورة حيازة المشرفين عليها لشهادات فنية - النصح لأصحاب رؤوس الأموال والضياع من المصريين بتفضيل استخدام حملة الاجازات العلمية على غيرهم - تعميم انشاء المصنوعات الوطنية واتباعها لوزارة التجارة ومدها بالآلات الحديثة وتدريب من أتم تعليمه الابتدائى وكذلك الشبان المتعلمين المتعطلين فيها للامام بصناعات - التشدد فى الامتحانات والاقفال من الملاحق وفصل من يرسب مرات متوالية - العناية بتتبع الشبان ثقافة عملية للامام بالتطور الصناعى والتجارى والزراعى - تعميم المدارس الثانوية الفنية التى تعد الطلاب للحياة العملية فى الزراعة أو الصناعة - العناية باللغات الأجنبية لاسيما الفرنسية - تنظيم محاضرات ليلية فى اللغات الأجنبية والصناعة والتجارة - تعميم التسليف الصناعى بربح زهيد - تشجيع خريجي المدارس الزراعية على الحياة بالريف باصلاح الاراضى البور وبيعها لهم بأقساط على آجال طويلة مع عدم أخذ الاقساط فى الثلاث السنوات الاولى وتمهيد سبل الحصول على البذور والاسمدة والآلات والمواشى - لإنشاء صندوق تعاون للشبان المتعطلين - منح اعانات شهرية للشبان المثقفين المتعطلين وتدريبهم على العمل انتظارا لخلق محل يلقى

مؤهلاتهم في المصالح الحكومية أو الشركات أو الدوائر الصناعية والتجارية - منح مكافآت للشبان المتعلمين المتعطلين الذين يظهرون استعدادا للبحث ويقدمون ثمرة جهودهم من مؤلفات .. تذليل العقبات في سبيل المهاجرة الى السودان

(٥)

ملخص رسالة

الأستاذ مصطفى فهمي

بدأ بحثه بالمقارنة بين مشكلة البطالة في مصر ومشاكلها في أوروبا وأمريكا، ثم ذكر أن مصر لازالت تحتاز دور الصناعة ، بينما الأمم الأخرى قد وصلت إلى الدور الصناعي ، ومن العسير معالجة مشكلة البطالة بمصر على ضوء الحلول التي اتخذها الغرب فانها لا تؤدي إلى نتيجة عملية ، ويجب مراعاة الاعتبارات القومية والمحلية . أما البطالة بين العمال في مصر فمحدودة لأن طبقات العمال لم تكون بعد بالمعنى المفهوم ، والنشاط الصناعي قاصر على مصانع ومعامل محدود عددها وعمالها .

وفي عام ١٩٢٧ قامت بمصر حركة قوية لتشجيع الصناعة فنالت الاعجاب والتقدير ، واتجهت الأذهان إلى التفكير في مستقبل مصر الصناعي ، ولكن لم تلبث هذه الحركة - لأنها لم تخرج بعد عن دائرة التفكير - أن اتجهت إلى ميدان التجارة ، وكانت هذه الناحية قاصرة على طبقة لامل لديهم ولا علم ، لأن الرأسماليين لم يتقدموا إلى هذا الميدان لعدم درايتهم به ، فانتزح الأجانب فرصة خلو الميدان من أكفاء المصريين وتقدموا برؤوس أموالهم وسيطروا عليه ونالوا ثقة المصريين الذين لم يلبثوا أن انتبهوا من غفلتهم وتقدموا إلى هذا الميدان وشجعهم الحكومة من ناحيتها وعدلت التعريفة الجمركية لحماية الصناعات القومية الناشئة .

ثم ذكر أن الذين تخرجوا في المدارس الفنية والصناعية في منأى عن شبح البطالة بفضل السلفيات الصناعية التي تقدم لهم كرؤوس أموال .

أما البطالة الزراعية فضائلة ، لأن سكان الريف يجدون من الاعمال ما يملأ فراغهم ويكفيهم ، ولكن الذين ينزحون منهم إلى المدن هم أكثر عامل على نشر البطالة ، فيجب تحديد هجرتهم وتنظيمها .

وتحدث عن البطالة بين المتعلمين ، فقال انها ملبوسة وفي حاجة إلى التأمل والتفكير ، وهي ليست معقدة ولكنها عرضة للتفاقم في المستقبل ، فيجب تتبع

تطورها واتجاهها يمكن اتخاذ التدابير الكافية لمكافحتها مستقبلا ، ويرى أنها لا ترجع إلى كثرة عدد المتخرجين في المدارس ، فنسبة التعليم في مصر ضئيلة جدا ، ولكنها تعود إلى أن الطالب يتلقى علومه لأجل الوظيفة لا لكي يجابه الحياة العملية ، وأشار بأن واجب الحكومة بحث حالة كل متعلم وفحص ظروفه وتقديم كل المساعدات له ووضع التشريع اللازم لاستخدام المتعلمين في دوائر الأعمال الحرة وتعديل القواعد المالية في استخدام المتعلمين وترقيتهم ، والعمل على التخلص من العناصر السلبية التي تزدحم بها الدواوين رغم ما بها من نقائص صحية وذهنية وعلمية .

وتكلم عن التعليم الإقليمي . فقال إن ازدحام القاهرة وحدها بمعاهد التعليم جعل أكثر الأسر الراغبة في تعليم أبنائها تنزح إلى القاهرة فتترك الزراعة ، ويؤثر أبنائها البقاء في القاهرة معطلين ، وعلاج هذه الحالة هو نشر التعليم الإقليمي وفتح المدارس في صميم الريف بما يناسب كل بيئة ، حتى يوجد التوازن ويخف الضغط عن معاهد القاهرة ويرفع المستوى الفكري والاجتماعي في الريف ، ويشجع النشاط الاقتصادي في جميع البثبات المصرية وفق استعدادها وطبيعتها .

وختم بحثه بنظرة عامة في مشكلة البطالة بين الحاضر والمستقبل ، وقال إن مشكلة البطالة في مصر تسودها صفة البساطة ، لأن البلاد مطبوعة بالطابع الزراعي ، والزراعة لا تزال تمد السكان بحاجاتهم الاقتصادية ، ولكن إذا زادت تكاليف الانتاج عن الربح حيث يتحكم قانون تناقص الغلة فإن الزراعة لا تقوم بحاجة السكان ، أما الصناعة فيمكن أن تنمو ويتسع مجال الانتاج أمامها كلما تقدمت المخترعات وتحسنت الآلات ، والانتقال من دور الزراعة إلى دور الصناعة يتأتى من ازدحام السكان إلى درجة تمجزعها الأرض عن انتاج كفايتهم ، وإن أمام البلاد مشروعات اقتصادية هامة يجب أن تتوفر على استغلالها وتنفيذها ، مثل مشروع منخفض القطارة بصحراء ليبيا لتوليد الكهرباء لأنارة الوجه البحري ، ومشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان واستغلال تياره الكهربائي في صنع السماد ، ومشروع تنظيم مصائد الأسماك على شواطئ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والبحيرات الداخلية ، واستخراج المعادن ، واستغلال جيولوجية مصر ، فلو وجهت العناية إلى دراسة هذه المشروعات دراسة منظمة لمساعدت على كشف ثروة طبيعية هائلة ، وفتحت أبواب العمل والرزق أمام المتعلمين من

العمال والمتعلمين . وذكر أن موقع مصر الجغرافي لم يستغل من الناحية التجارية ؛ فأمامها ثلاثة منافذ تجارية دولية على جانب كبير من الأهمية ؛ ولكنها اقتضرت على استغلال منفذ واحد وهو التعامل مع أوروبا وأهملت الجنوبي وهو التعامل مع السودان وكذلك الشرق الخاص بأقطار الشرق العربي ؛ فيجب أن تنظم تجارتها الدولية في هاتين الناحيتين ؛ ومصر تتمتع بمركز أدبي رفيع ومكانة اجتماعية ممتازة وثيقة اقتصادية وطيدة .

(٥)

الموضوع الخامس

التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الأمة

حاضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

أتشرف بأن أرفع لدولتكم تقرير اللجنة المؤلفة من الأساتذة الدكتور طه بك حسين وأحمد أمين وإبراهيم عبد الهادي وأحمد حسن الزيات ومنى عن المباراة الأدبية في الموضوع الخامس : التربية الوطنية الاستقلالية وأثرها في بناء الأمة .

تقدم للجنة خمسة وأربعون بحثاً ، وعقدنا جلسيتين بعد قراءة كل عضو الموضوعات كلها وتكوين رأى فيها ، ووصلت في بحثها وتبادل الرأى فيها وفي قيمتها الى الاجماع على أن أحداً من الباحثين لم يصل الى درجة الكمال أو ما يقرب منها ولم يستوف الكلام في الموضوع من جميع نواحيه في شكل يبعث على الطمأنينة والارتياح . ومن أجل هذا رأت اللجنة ألا ينال أحد الجائزة الأولى ولا الثانية .

كما رأت أن أربعة من المتقدمين تقاربوا فيما بينهم ، ولكل منهم جهات نقص وجهات اجادة ، وأن كلا منهم يصح أن ينال الجائزة الأخيرة . فهى لذلك تقترح أن تضم الجائزة الثانية الى الثالثة والرابعة وتوزع بينهم بالتساوى . وهؤلاء الأربعة هم :

١ - محمود مسعود أفندي

٢ - محمد جلال أفندي

٣ - محمد عبد الباري أفندي

٤ - الأنسة ايريس حبيب المصرى

واللجنة اذ تقرر هذا تشعر مع الأسف أنهم لم يحققوا أمنيتهم كاملة ،
وأنهم في بعض مجتهم اتجهوا اتجاهها لاتقرهم اللجنة عليه كما ترى أنت
بعض الذين تقدموا قد قربوا من هؤلاء الأربعة وان لم يبلغوا مبلغهم .
ونحن مغتبطون حقاً بالمساهمة في هذا العمل الأدبي ، فقد أتاح لنا
فرصة سعيدة للاطلاع على ناحية من نواحي الثقافة الامامة في الأمة .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الشكر وجزيل الاحترام

رئيس اللجنة

٢٤ أبريل سنة ١٩٣٦

(محمود فسرهمى النفراسى)

(١)

رسالة الأستاذ محمود مسعود

لاشك أن من بواعث الغبطة النفسية أن يوفق المرء في شق سبيله في الحياة مسدد
الخطو بالغاً ما ينشد من أهداف وآمال . وأبعث من هذا على الغبطة أن يقرن
الانسان إلى سعيه لبناء مجد نفسه سعياً آخر حثيثاً يساهم به في تنقيذ صروح هذا
الوطن الذى أنجبه وحباه من النعم ما يقتضيه الوفاء له أن يرد الجليل مضاعفاً فمما
عزت التضحية وغلا البذل . ولاغرو أن تكون هذه الرسالة المزدوجة غاية الحياة
تقصر دونها كل غاية ، وتقاس بها أقدار الناس وآثارهم فيما يشرعون من أعمال .
فاذا استرخنا إلى تقرير هذه النتيجة فانه يتعين علينا أن نتخذها قاعدة للبحث
تفرع عليها سائر المسائل وتشعب عنها شتى الأغراض . ولن يصيب الباحث حقاً
ما ينشد من عوامل الاصلاح حتى يرجع بحثه إلى تلك الخلية التى يتكون من
مجموعها جسم الأمة ويرصد لها جماع ما يملك من عزم وتفكير : هذه الخلية الغنية

بمتمومات الحياة والمفحمة بشقى الغرائز والمسلكات فى حالة أولية قابلة للتكيف والتشكيل هى (الطفل) الذى تناط به الآمال ، وعليه وحده ، إذا أحسن توجيهه ، يقع العبء فى تسلم مقاليد الحياة ، يصرف أمرها بحساب ويسير بسفينها إلى بر السلامة والنجاة .

هذه الخلية التى أسلفنا غضة شديدة الحس تتأثر أبلغ التأثير بعوامل البيئة التى تترعرع فى أكنافها وتستخلص فى سرعة ويسر ما يطبع محيطها من أسباب الخير والشر جميعا . وهى ان استمرأت مرعى بعينه ودرجت فى مرابعه سرت فى أنسجتها مادته مسرى الدماء فى العروق ، فيجب اذن ، لكى نوفر لها أسباب الحياة الصالحة ، أن نبهى هذا المحيط التهيئة الواجبة وأن نمدد بكل ما يعين على تفتحها وازدهارها . البيت هو التربة التى تزكو فيها هذه الخلية وتستمد منها ملاك حياتها ، والآنم هى البستانى الذى يتعهدا بضروب الرعاية حتى تستوى على عودها وتفتح أكلماها ، فان استقرت هذه الحقيقة فى أذهاننا فيجب أن نحوط هذا الحرم المقدس بكل ما يتسع له الذرع من أسباب الاصلاح وأن ندرأ عنه ما يهدده من شوائب الفساد .

ليت الأم المصرية تدرك عن جد واخلاص أن فى عنقها لهذا البلد ديننا لافكاك لها من أدائه ، وأن على هذا الاداء يتوقف خلاص هذا البلد العانى من أسباب التعثر والخلو ، لا بل لقد آن الاوان لكى نفرغ فى أذهان نساتنا هذه الحقيقة وأن نستبجزهن مقتضياتها لقيتا فى هذا الصدد من الحرج والاعناء . نعم يجب أن تدرك المرأة أن مهمتها الحقبة ليست فى توفير اسباب السعادة لافراد بيتها ، وانما السعادة كل السعادة ، والنعيم أبلغ النعيم هو فى تربية الأبناء تربية حقبة واعدهم للحياة مزودين بكل ما يفتقرون اليه من أسباب الكفاح .

قد ينبغى للمرأة المصرية أن ترفع عقيرتها مطالبة مساواتها بالرجل فيما يمارس من الحقوق العامة وما يضطلع به من الشؤون والتكاليف . لكننا نخلق بها قبل أن نشرع فى هذه الظفرة أن نرسم لنا برنامجا مفصلا تبين فيه ، بحكم اختصاصها ، كيف تعد الأبناء اعدادا صحيحا صالحا يتمشى مع مقتضيات العصر وروح الزمان ، وكيف (تمون) البلد بالشباب الكامل الذى يعرف كيف يصمد للحياة ويشق طريقه فى غمارها معتمدا على نفسه ومستمدا من عناصر خلقه ما يعصمه من التعثر فى مفازها . وبالوطنى الصميم الذى يدرك حق الادراك أن لوطنه عليه واجبا فى أدائه عزه

ورففته وفي الشكر لولعه ذله وحطته فان فعلت ، وهو أدنى إلى التمشي مع سنن الطبيعة وأوثق اتصالا بطروفتنا ، فانها تسدى إلى الأبناء والوطن يدا تسجل في تاريخ نهضتنا بما هي أهلها ، وتمهد السبيل للقضاء على ما يشوب نظام التربية البيتية من فوضى معيبة ونقص كبير

لسنا نزعج أننا أعرق من ألمانيا في الحضارة العصرية ولا أشد أخذاً منها بأساليب التمدن والعمران ، وهام الألمان مع ذلك قد حتموا على المرأة الرجوع إلى نواميس الطبيعة ، فخرموا عليها ولاية المناصب ، وانتصدى للشؤون العامة إلا ما اتصل منها بطبيعة أنوثتها ، وفرضوا عليها قبل كل شيء أن توفر جهودها على الدائرة المنزلية ، ففي محيطها تنبدى عبقريتها ، وعلى قدر ما تبذل من العزم الصادق في تربية الأبناء يعمر البيت ويسعد الوطن .

ولنتقل الآن من التعميم إلى التخصيص ، ولنبدأ بهذا الطفل أو (الخلية) كما قدما ، نحاول أن نرقى به في مدارج النمو والاكتمال ، والواقع أنها مهمة شاقة طويلة تحتاج إلى ذخيرة وافرة من الصبر وعدم الكلال ، لكن الإرادة المشمرة وتوقع الظفر بالغاية كفيلا أن تهوين المشقة وشحن العزيمة ، ولا شك أن الدور الأول من هذه المرحلة يقع على عاتق المرأة وحدها ، فهي التي تقوم بالإشراف المباشر على نمو الطفل الجسدي وملاحظته بالرعاية المطردة حتى يستقيم عوده ويستوى غلاما قوى البنية سليم الأعضاء . اننى أناشد الأمهات من أعماق قلوبى أن يركزن جهودهن في هذه المرحلة الانشائية ويبدلن في سبيل إتمامها بنجاح فضل ما أوتين من صدق وإخلاص . ان الجسم الصحيح وحده هو الذى تثمر فيه التربية التى ننشدها ، ويستطيع أن يقوى على مغالبة الحياة وخدمة وطنه الخدمة المنشودة ، فأما الهيكل المحطم والبنية المتداعية فان ما بها من ضعف وانحلال لا يكاد يذر فيها من الهمة والتماسك ما يدفعها إلى التطاع حتى إلى الحياة فلننظر إذن بنظام التغذية والنظافة ، ولنمكن أطفالنا من الرياضة الخلوية في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس الساطعة ، فان ما يكسبه الجسم الغض من هذه العناصر مجتمعة يغدو قوة كامنة تزود الجسم دوماً بأسباب الحياة .

ولا يتبادر إلى الذهن أن ضعف الأسباب في الأوساط الفقيرة يحول دون بلوغ هذه الغاية ، فان ضيق ذات اليد لا يعوقنا بقدر ما تعوقنا قلة الإرشاد والافتقار إلى أسباب التوجيه الصحيح ، نعم ينبغي أن نوجه عناية فائقة إلى تنوير الأم

الفقيرة وافهامها أن واجبات البر بالطفل وعاطفة الأمومة الصحيحة نحوه تحتم عليها ألا تدخر وسعا في العناية الصحيحة به لاسيما في المراحل الأولى من نموه ، وأنه لا يمكن أن يستوى رجلا قادرا على الاعتماد على نفسه والانفاق على شخصه وذويه إلا اذا خلا جسمه من شوائب الضعف والامراض ومن لهذه المهمة التوجيهية غير (الجمعيات النسائية) وأفرادها أخلق الناس برعاية هذا الواجب الإنساني الوطني وأصلحهم قياما به على خير الوجوه لتكن هذه الرسالة يابسيدي في طليعة المسائل التي تعالجها في جماعاتكن المختلفة ، فان ما فيها من الاثار لهذه الطبقات المغمورة بالمعاونة الصحيحة والارشاد المستج ، وما سوف يتولد عنها من الآثار البالغة في كيان الامة التي تستمد حياتها من حياتهم وقوتها من مقتول سواعدهم وشديد بأسهم ، هو حجر الاساس الذي تقمن عليه نهضتكن المدعمة شائخة البنين لا يتطرق اليها فساد .

وليس يسع الباحث في هذا الصدد أن يغفل ما (لمراكز رعاية الطفل) من بالغ الأثر في هذا التوجيه فانها في الواقع الشطر العملي والتطبيقي المكمل لهذا الارشاد الذي ندعو اليه . ولحق أن انبعاث الامهات اللاتي يترددن على هذه المراكز الى احتذاء الأساليب التي يلقيها في تربية الأبناء وتطبيقها بشغف ونجاح مما نشاهد أثره في هذه المباريات التي تعدد لانتقاء أصح الاطفال والتي أسفر عن نتائج طيبة تدعو الى الرضا والارتياح ، لا يجعلنا نتردد في القول بأن تعميم هذا النظام ورصد الجهود المضاعفة لبث المبادئ القويمة التي يتضمنها بين الطبقات الفقيرة هو العمل الانشائي العمراني الذي تقتضينا الوطنية الحققة أن نهض به في غير هوادة ولا احجام .

ما أجل أن نرى الطفل وقد نما جسمه واتسق بناؤه يتوائب من حولنا في صحة ونشاط حتى ليكاد لفرط ما يترقق في اهابه من الحيوية ، أن يفيض منها على ما يحوطه من الناس والأشياء . . . ان قطع هذه المرحلة الأولية الأساسية بنجاح يغرينا من غير شك على مواجهة المرحلة التالية - مرحلة الانشاء الخلقى والعقلي - ونحن أشد ثقة بالفوز والتوفيق . وسوف يشد من عزمنا أن هذا الطفل الغض هو كتلة مرنة قابلة للتكييف كما قدمنا في صدر هذا الكلام ، لن تحتاج منا إلا إلى مرونة مثلها في معرفة أى المداخل أحب إلى نفسه وأقرب تأثيرا في ادراكه المتفتح الويد ، وعلينا ألا نعتسف التلقين اعتسافا أو نكرهه اكراها على ما نروم ،

فإن الطفل على فرط لدونته ينطوى على عناد غريزى قد ينقلب ، مع محاولة الاكراه ، إلى التماذى فى المخالفة والولوع بالتمرد والعصيان ، وإنما ينبغى أن نرسله على سمجته يرحم ويلعب وأن نتحين الفرص المناسبة للولوج إلى نفسه بما نريد .

على أن ثمة حقيقة جوهرية لا ينبغى أن تعزب عن البال ، ذلك أن فى مقدمة غرائز انطلق فى طور الفتح غريزة التقليد أو المحاكاة ، وولوع الأطفال بتقليد ذويهم فيما يصدر عنهم من الأفعال والأقوال أمر مقرر لا يدع لنا ذرة من الشك فى أن من أوجب الواجبات علينا نحو هذا النشء المتطلع إلينا فى كل شئ أن نرمم له من أقوالنا وأفعالنا أحسن صورة تنطبع فى ذهنه وتخالط تفكيره فى المستقبل القريب ، وأن نقتصص هذه المنحة التى وهبها الطبيعة هؤلاء الصغار فى صوغهم بمقتضاها على النحو الذى نشاء . وليفهم الآباء والأمهات أن ضرب الأمثال السيئة للصغار والترخص أمامهم فيما لا يستحب والاستباح اتيانه على مرأى من أعينهم جدير بأن يشيع فى نفوسهم مبادئ التحلل الخلقى والاستهانة بالفضائل والآداب . وكما بأسف المرء حين يقرر أن هذا المبدأ الهدام ، مبدأ الترخص الخلقى والقدوة السيئة ، فاش فشوا مؤلماً فى كثير من أوساطنا التى يصطاح على نعتها بالرقى والأخذ بأسباب التجديد . اننى أتهم الآباء والأمهات الذين يسلكون هذا المسلك بتحريض أبنائهم عن طوعية وتدبر للتحرر من واجبات التحصن الخلقى واحتذاء مثالهم فى أنفسهم وأولادهم من بعد ، وإشاعة الفوضى الخلقية فى المجتمع المصرى ان مساك الإصلاح الاجتماعى وقوام النهضة الوطنية هو الخلق الفاضل والمبدأ القويم ، فليشككنا جميعاً على العمل بحزم وعزم لاحاطة خلافتنا بسياح من الاخلاق القوية المهدبة ، ولنبداً بأنفسنا ، فانما نحن قبله نتجه إليها أبصار صغارنا تستلهم منها الوحي وتنشد لديها القدوة .

على أنه يخلق بنا ونحن فى طور التربية الخلقية أن نعرض إلى موضوع وثيق الصلة بهذا الصدد ، فإن ما نلبسه فى الدين ، فوق التهذيب الروحى ، من دعوة إلى التخلل بالخلال الحميدة ، وما يبسطه لنا الدين من القوانين الخلقية التى تقرب بين الانسان وخالقه وتربطه بأنداده فى المجتمع برابطة وثيقة لانفصام لها ما استمسك الانسان بأسبابها - كل أولئك جدير بأن يفتح أعيننا على ناحية ما كنا لتجاهلها لوقام فينا من يحض عليها ويجمع القلوب حولها . لاتقولوا هذا رجعى من أنصار القديم يبغي تخذيلنا عن ماشاة الحضارة ومسايرة الزمن فان الدين أساس الفضائل

وتاج الأخلاق القويمة فوق أنه منظم لشعائر العبادة . ولئن كانت الحضارة هي أداة السعادة المادية فإن الدين هو قوام الحياة الروحية : وحضارة بغير دين هي بلا ريب جسم من غير روح . فإن أذكركم بهذا العامل الجوهرى من عوامل التربية الحقيقية فإننا أدلكم على مغنم كبير هو فى الواقع مصدر لكثير من الخير ودعمامة من أمئن دعائم العمران .

وخليق بنا - وقد استوى الطفل صبيا سليم البنية وأخذنا بالتدريج فى غرس مبادئ الخلق القويم فى نفسه على نحو ما قدمنا - خليق بنا أن نقرن إلى هذه الخطوة خطوة أخرى تلازمها وتسايرها : أعنى تنمية القوى العقلية وموازنتها بأسباب الرعاية حتى نضوغ منها عقلا مفكرا وذهنا متوقدا . ان الطبيعة قد حبتنا فى غريزة (حب الاستطلاع) مفتاحا نفذ به إلى دخائل هذه القوى الكامنة لقدمها ولإنمائها واستغلالها . ان الطغل أبدا مشوق للاستطلاع والتشقيب ؛ تراه يدس أنفه فى كل ما يقع تحت يده ارواء لهذه الغريزة الغامضة التى تعمل فى نفسه ولا يستطيع عقله الضئيل . أن يفتن لها . وكل يجب للصغار علينا فى هذا الدور التكوينى أن نساعدهم بكل ما نملك من فطنة ولباقة على اذكاء هذه الجذوة العقلية الأولية التى ان استديم ضرامها عدت شعلة تنوهج وأنارت لنا من سناء ضيائها . . . وفى مقدور الآباء والأهملات أن يفتنوا إلى بوارق الذكاء الفطرى التى تتفتق عنها عقول أبنائهم وأن يوالوها بما يشحذها ويساعد على إنمائها . ويسير لمن يداوم هذه الرعاية أن يسوى منها فى المستقبل ذهنا ثانيا ذا بصير بالأمور وتفكيرها سليما مستجبا .

وبين حب الاستطلاع والخافز على التجربة صلة ملحوظة ينبغى أن نستغلها فى تمرين الصغار على أن يمارسوا بأيديهم بعض الشؤون العملية الأولية ، وفى كثير من اللعب التى يعبت بها الاطفال ما يثير فضولهم إلى الوقوف على كنهها والالام بما تضم بين جوانبها ، فان استطاع الطفل أن يفصل أجزاءها ثم يعيدها سيرتها الأولى فإنه يشعر بسرور يدفعه إلى موالاة أمثال هذه التجربة كلما مكنته ظروفه من ذلك . وما لاشك فيه أن تطور هذه النزعة هو الذى يفضى فى المستقبل إلى تربية الروح العملى والاعتماد على النفس والانبعاث إلى الابتكار .

قد يبدو للوهلة الأولى أننا قد تبسطنا فى سرد هاته المسائل المبدئية تبسطا كان يمكن تفاديه بالالام بها الماما عرضيا ؛ لكن من نعم نظره قليلا سيقنع من غير شك

بأن الافاضة في شرح أطوار هذا الدور الانشائي والحث على مراعاة جزئياته ضرورة لازمة لمن أراد الاصلاح المؤسس على قواعد ثابتة لا تقوضها عواذى الحداث ، اذ كيف يفسى لمن كان واهى العود أو منحل الخلق أو متبلد الذهن أن ينهرى لجل هذه الرسالة المزدوجة التي أسلفنا، فيشيق لنفسه طريقا في الحياة ويؤدى لوطنه ما عليه من حقوق دون أن ينوء بها في أول الطريق ؟ . . . بل كيف يتأق لنا ان نخلق الشخصية العامة بحب الوطن المنبعثة بوحى نفسها لطبع أثرها في الحياة ان لم نعن عناية بالغة بتكوينها على أسس مدعمة من سلامة الخلق والخلق ؟ . .

ان البذرة الصالحة لا تذكو وتؤتى طيب الثمر حتى تستنبت في التربة الخصبة الغنية بعناصر الحياة . وكذلك ينبغي لنا، كي نعد ابتداء الاعداد الصحيح للحياة، أن نتولاها من المنشأ بالعناية الصادقة القائمة على أنماط مقرررة يفضى الأخذ بها الى الغاية المرجوة ، حتى لا يكون عملنا مستندا الى مجرد المصادفة المحضنة التي تؤدي الى غير وجهة معينة .

في وسعنا إذن ، وقد جزنا مراحل التكوين الجسماني والخلقي والعقلي للنشء بنجاح ، أن نشرف على طور التركيز والتخصيص في ثقة المظمئن الى أنه ملاق صدى قويا واستجابة تامة لما ينشط اليه .

ان الصبي العامر الخلق بحب ذويه، والمتعلق بهذا البيت الذي درج تحت سقفه، لن يأنس مشقة في الفهم ولا غرابة في الادراك ان هذا البيت ان هو إلا صورة مصغرة لوطنه الأكبر الذي تظله سماؤه وتغذيه خيراته ، وأن الأهل والأقارب هم حلقة صغيرة في مجموع هذه السلسلة الضخمة التي ندعوها بالمواطنين ، ولئن كان قلبه يخفق بحب البيت والأهل و هو الوحدة الصغرى التي نجم منها ، فما أجدره أن يرصد حبه لوطنه الأكبر وأن يصدق منه على هؤلاء الذين تجمعهم واباهم هذه الوشيجة الكبرى

وكذلك ينبثق لجزر الوطنية في هذه النفوس الصغيرة المنتهجة للحياة ، وكذلك يتحتم علينا أن نضرب على هذا الوتر الحساس حتى يستحيل ذلك الفجر البازغ ضحى مشرقا يغمر أفق دتهم بضيائه ويوجههم الى أحسن الغايات . ولعله من أفضل العوامل في اذكاء هذا الروح الوطني ما ينهجه القوم في بعض الأقطار الضاربة في هذا الميدان بسهم وافر حين يعمدون الى صور الأبطال الوطنيين ورسوم العظماء القوميين فيجعلونها في متناول الصغار وتحت أبصارهم ، فان وجودها ولاريب سيعت

روح الطلعة في نفوس النشء ويدفعه الى التساؤل عن كنهها وعن أقدار أصحابها، وليس كهنه فرصة فريدة لاستغلال هذا الشوق في سرد البذ والمقاصيص الوطنية التي تثير في نفوسهم عاطفة الاعجاب بأولئك الأبطال وتمجيد ذكراهم، وتبعث في وجدانهم اخيلة غامضة لمحاولة الاقتداء بهم والسير على آثارهم. أجل ما أحرانا أن ننهج هذا النهج في تربية أبنائنا في البيوت تربية وطنية أولية فانه يحقق الأثر في غرس الروح الوطني وتأصيله حتى ليلازمهم كلما ترعرعوا ويطبع أعمالهم بطابع قوى ما أنسوا الظروف المواتية التي تعين على دوام اذكائه وتيقظه. ولن يشق علينا أن نلتزم نشوة الاعجاب والانهار التي تسيطر على مشاعرهم وهم يلون بأطراف من هذه السير الوطنية، فتتحدث اليهم عن أنفسهم كأعضاء عاملة في هذه الحياة سوف تستقبل حتماً دور الرجولة وتساهم بتصويبها في خدمة الوطن والعمل على رفع مناره. سوف نقول لهم ونكرر القول، كلما شبوا وترعرعوا، أن الوفاء الحق للوطن أن ننقش اسمه على صفحات قلوبنا وأن نذكره في جميع الظروف والأدوار وألا نغفل عن واجبنا نحوه ونركن إلى التواكل والتراخي. وما هذا الواجب في الحق الا أن يقوم كل فرد من أفرادنا بتأدية رسالته في الحياة بالأمانة والصدق متعاوناً مع بني وطنه ضاماً جهده إلى جهودهم، فمن مجموع هذه الجهود المتراصة المتناسقة يشاد صرح المجد الوطني وتدعم النهضة القومية بأقوى الدعائم والامس. فان ألم بهذا الوطن العزيز خطر يهدد كيانه ويعدو على استقلاله خففنا سراعاً لنجدته ونسجننا من قلوبنا وسواعدنا درعاً حصيناً يقيه غوائل الشر الجائع، مسترخيين التضحية بالنفس والنفيس ان وجبت، متنافسين في الغد ومغتبطين إذ نجود بالمهيج ليحيى الوطن. فاذا ظفرنا بمغالبة الخطر وانقاذ كيان الوطن، ومحال ألا نظفر ما تناسينا أشخاصنا وتواصينا بالصبر والجلد، فما أنبلها غاية وأمتعها سعادة أن أديننا بعض ماندين به لمعقد الرجاء ومناطق الأمل - والا فالمرت كرام النفوس خير من العيش الخانع في حضض الذل ومهاوى الاستعباد، بل ما جدوى هذه الحياة إذا شب الإنسان في وطن جرد من أبسط الحقوق الطبيعية وأمس ضرورات الوجود: ألا وهو الحرية التامة في أن يقرر الناس مصائرهم بأنفسهم وأن يعيشوا مطالبين من كل قيد الا ماقتضاه داعي النظام وواجب القانون وهل خلق الانسان اذن لكي يأكل ويشرب كما تأكل السائمة وتشرب دون أن يلتقى بالا إلى ماعداً ذلك من ضرورات الوجود ؟ فيم اذن كرم الانسان على

سائر الخلق ، وما قيمة هذه الحياة التي لا تحفل الا بأشباع دنيا الضرورات . . . ؟
كلا . . . ان النفوس الكريمة لا تسعى غاية ، وأبعد مطلباً من التهاافت على هذه
العروض الضئيلة ، ولا عناصر من التشمير عن ساعد الجد والتفاني في استرداد هذه
الحرية المغتصبة التي لا يعدها شيء في الأرض جميعاً ، فان في استخلاصها تكرباً
للنفس ، ورفعا لقدرها أن تستقيم لحسف ينزل بها ، وان في الفوز بها الحافز لا يجدونا
إلى مزيد التشبث بها والتصميم الجازم على رعايتها واحاطتها بسياج منيع من
القداسة حتى لا تنسلل اليها يد تبغي العبث بها والانتقاص من تقيئنا ظلالها .

حب الوطن اذن والتعلق بحريته ، وبغض الذل والتفاني في التحرر من نيره ،
وأداء المراء واجبه مخلصاً فيه متعاوناً مع أبناء قومه - كل أولئك عناصر التربية
الأساسية التي يخلق بنا أن نروض أبناءنا عليها وقد فرغنا من إعدادهم لإعدادنا
أولياً يهيئهم لتلقى هذه الرسالة ويمكنهم من الاضطلاع بأعبائها ، ما استسقت الظروف
المقبلة ولم يتم من الأسباب ما يعوق سيرها صوب الهدف المنشود . فهل هذه
الظروف من الاتساق حقاً بحيث تعين على بلوغ الغاية ؟

الحق أنها من التناظر بما يعكس القصد مما تسعى إليه ويضعف الأمل في أن نجني
من ورائها خيراً إن لم نسارع إلى تعديلها تعديلاً يتماشى مع خططنا وينزع منها
عوامل العرقلة والتخذييل . فهذه أطوار الدراسة جميعاً فيها عدا بعض أقسامها
العليا ، هل تتضمن ما ينمي الروح الوطني ويعين على إذكائه حتى لا يفادرها الشاب
الا وقد فضجت قوميته وأصبح الوطني المستنير الذي يدرك عن بيئة وعقيدة أن
واجبه الأول في الحياة العملية التي يوشك أن يخوض غمارها أن يلبي نداء وطنه
وأن يمنحه قسطاً وافراً من تفكيره وسعيه حتى ينهض من كبوته ويتبوأ مكانه
الخليق به تحت الشمس بين الأمم الحرة العاملة . . ؟ وأى البرامج فيما ندرس
في مدارسنا ومعاهدنا يعمد إلى تكوين الشخصية المستقلة وغرس روح الاعتماد
على النفس والانبعاث إلى الحياة بعامل الدافع الشخصي للقبض على ناصيتها وتوجيه
أزمته إلى الغاية التي تتكون في عقيدة الشاب - أو على الأقل مجابهة الدنيا وحيداً
متماسكاً مزوداً بما يدفع عنه خطر الزيف والهوى العاجل في تيارها ، ان لم يستطع
أن يؤثر فيها ويضيف إلى تراثها . . ؟ إن مما يحز في النفس حقاً ويدمى القلب
ألما ان أنظمة التربية في مدارسنا قد حفلت بكل شيء الا هذين العاملين الجوهريين
ذوي الأثر البالغ في تكوين الشباب التكوين الأمثل : أعنى تغذية الروح الوطني

وخاف الشخصية المستتلة إن هذا الشباب المعاصر الذى تتملكه الحيرة وتشرف نظراته عن فرط العجز والتصور ، وتكر الأعوام وهو مستسلم للأمر الواقع لا يحاول أن يحزم أمراً وإن حاول خائته نفسه قبل أن تخونه العوامل المحيطة به - هذا الشباب هو ضحية التعليم وافتقار التربية المدرسية إلى العناصر التى أسلفنا وما يتصل بها عن قرب أو بعد ، وسلوكنا فى الإصلاح سيلا لن تقضى إلا إلى استفحال الداء مادامنا نتغاضى عن جوهر العلاج ونفرق من مواجهة المعضلة بالصراحة الثامة والشجاعة الواجبة والتضحية الضرورية .

لقد طالما تصاعدت أصوات العقلاء بالشكاية المرة من عقم نظم التربية المدرسية وقتلها أسباب الابتكار والانتاج فى نفوس الناشئة ، وقصرها روح المثل الأعلى على دائرة ضيقة محدودة لا تتجاوزها ، هى دائرة الوظيفة ، وإهمالها معالجة المطالب الوطنية بما يدفع الشباب إلى رعايتها رعاية حققة تثمر أثرها فى السعى الجاد إلى تحقيقها - ومن الأنصاف أن نقرر أن جهودنا متفاوتة بذلت لمحاولة الإصلاح ووضع حد لقد الناقدين وشكاية الشاكين ، لكن الحق الذى لا مرأى فيه أن جل هذه المحاولات لم يكن ليشرع فيها حتى يتبين جليا قصورها ويعددها بعدا شاسعا عن تحقيق ما يناط بها . ذلك لأن طبيعة الإصلاح الآنف مافتئت تنصب على موضوع البراج فتتناولها بالتبسيط فى منحائها تارة وبالاقتضاب والحذف تارة أخرى . فأما الروح الذى يملئ والغاية التى يقصد إليها من وراء مختلف التعديلات فبإقايان عل حالهما لم توجه إليهما العناية الخلقية بمقصد حيوى ، كإنشاء جيل جديد من الشباب ذى طموح إلى التحرر من مخلفات الماضى والسير على قدم المساواة مع الأمم الحرة الناهضة التى لا يشوب حاضرها تعثر ولا فتور .

إن سيلنا إلى الإصلاح المنتج هو مواجهة الحقائق عارية عن التجميل ، وإن بدت فى تجردها مؤذية شائكة الملمس ، ومعالجتها بروح الصراحة الثامة التى لا تعرف المداجاة ولا تخشى توخى أنهى السبل لبلوغ الغاية المنشودة . فإلى الذى نرمى إليه أذن نريد تحرير بلادنا من القوى الدخيلة المحتلة التى تعمل على فئائنا فيها وملاشاة قوميتنا فى مهاب الرياح ، ونريد أن يتقلد أبناءنا زمام المرافق الحيوية التى يستأثر بها قوم لا يمتون إلينا بأقل سبب ويحرمونا أوليات حقوق المالك الحر التصرف فيما يقتضى . فكيف السبيل إلى تحقيق ما نريد

فأما عن الشطر الأول ، فإن أول ما ينبغى أن نعمل إليه فى معاهد التربية والتعليم

هو تغيير الطريقة الراحنة في دراسة التاريخ ، تلك التي تعنى وتسرف في العناية باستقصاء سير الأمم ماغير منها وما قرب العهد به وبسط أحوالها بسطا وافيا لا يترك شاردة ولا واردة الا أحصاها ومحصها تمحيصا حتى اذا ما جاء دور مصر على الخصوص ، وتعين الالمام بنهضتها الحديثة ، على الأخص ، وتعرف الدوافع التي أدت اليها وما قام ويقوم من العراقيل في طريق استكمال أسبابها ، فهناك الالماع الخاطف الذي لا يتق غلة ولا يهدى الى رأى شاف أو التجاهل المطبق للحقائق الصارخة التي لا تجدى فيها المكابرة والاختفاء ، أو التشويه المغرض الذي يفسد جمال الوقائع ويحرف حقيقة الدوافع تحريفًا ملموسا . لقد آن الأوان لتبديل هذه الطرائق الملتوية والاستعاضة عنها بأخرى تفسح المجال للعناية الصحيحة بتدريس التاريخ المصري ، قديمه وحديثه ، وتدريسه مفصلاً قائماً على النزاهة العلمية التي ترد الوقائع الى أسبابها الحقيقية ، مع العناية البالغة بتزويد الشباب بسياق مفصل للنهضات القومية في تاريخنا ومقارنتها بمثيلاتها في سير الأمم الأخرى ، الأثر الذي يضرم في النفوس روح الاعتزاز بالقومية ويعبثها على ترسم آثار السلف ، وينير السبيل للاستفادة من اخطاء الماضي وعيوبه في توقي أسباب الفشل وتوخى اصلاح المستقبل اصلاحا لا يعتوره عوج ولا شذوذ لقد حق علينا أن نمكن المدرس من الوقوف بين الناشئة شارحاهم هذه الحالة الشاذة التي تسود حياتنا الراحنة وتوجهها وجهة لا ندرى أيان متنهاها ، مينا سبيل الخلاص منها خلاصانها بما لا يعرف انصاف الحلول لم هذا الاحتلال الذي يبسط سلطانه علينا قهرا وينزلنا منازل الخسف والهوان ، ونحن أمة عريقة في القدم لنا من تليد ماضينا وتحفز حاضرا وشرعية حقوقنا ما يشفع لنا في الحرية وما يوجب علينا أن نسعى جاهدين لتحطيم هذه القيود التي تغلنا ، ونفض هذا الذل الذي يخثق أنفاسنا ان التصميم الراسخ على المناضلة وتوطين النفس على التضحية هو العلاج الأوفى ، ذلك لأنه يولد في الشعور حالة متحفزة تدفع الانسان الى العمل والمناضلة ولا يبالي بما يلقى ، فان ظفر فيها ، والافند أدى واجبه ومضى كريم النفس لا يأسف على ماضى ، ثم ان الغاصب ميسبق من غير شك حين يجابه هذا العزم القاطع على المناضلة أن يستهدف لمقاومة عنيفة شاملة قد لا يخرج منها فائزا كما يشتهي ، وقد تثير عليه ضمير العالم المتمدين لما تكشف عن جشعه ومظالمه ، فيفضل أن يركن الى المسالمة والوفاق والتسليم بما لا بد منه ، لا دراكة أننا قد صرنا الى حالة من الغليان النفسى

يستحيل فهمها أو كتبها .

ويتفرع عن هذا الروح روح آخر جدير بالمربي اليقظ أن يدعوا اليه بكل ما يملك من قوة الحججة والتأثير . ذلك هو روح التعاون بين أفراد المجتمع المصري وتنسيق الجهود المبعثرة حتى لا يذهب أثرها بددا . فان تفرق الكلمة وتشتت السعى يقدم للغاصب سلاحا ماضيا لمواجهة الحركات الفردية وضرب بعضها ببعض والقضاء عليها دون أن يستهدف سلطانه للتلاشي والذوال . ألم تر إلى المحتلين يواجهونا قلبا واحداً ولسانا واحداً وهم على تمام التفاهم والوافق مع أن ما يدعون غصب واقتسار لا يستند إلى ظل من الحق ولا مشروع من القوانين . . . فكيف بنا ونحن أصحاب الحق الابلج والسلطان الواضح المرسوم الحدود . . . أولى لنا اذن أن نحذوا حذوهم في لم الشمل وجمع الكلمة والا يسفه بعضنا بعضاً أو يخذل سعيه أو ينتقص من جهده . وما أوجب أن يوجه هذا الكلام الى من لا يباليون مشيئة الأمة ولا يحفلون برأى الاجماع ، فان الخارجين عليهما يخطئون خطأ جسيماً في حق الوطن ويدلون للغاصب عن طوعية على مواطن الضعف في صفوف الأمة يفوق اليها سهاما لا تطيش .

وما أحرانا ، ونحن في هذا الصدد ، أن نغنى بشكوين (الرأي العام) ، فانه القوة المحركة لكل الاعمالية الانسانية والحكم الفصل في صلاحية أو فساد ما يشرع من النظم الشاملة والسياسات التي تتناول كيان الأمة في الصميم . ان هذا الرأي العام . أو (رجل الشارع) كما يسمونه في بعض البلاد الغربية ، هو الذي يملئ في عصرنا الحاضر سياسة الحكومات المختلفة ويفرض رقابة دقيقة على أعمال الوزراء إما في التمثيل النيابي أو على لسان الصحافة ، فان آانس في تصرفاتهم إفراطاً أو تفريطاً ألزهمهم التخلي عن مناصبهم ورفع مكانهم من هم أولى وأقدر على تلبية رغائبه . ان علينا اذن أن نربي في معاهدنا روح النقد البريء في نفوس الشباب ومحاولة الحكم الصائب المجرد من نزع الهوى ، فان هذا يدعهم إلى المساهمة الفعلية في الشؤون الحيوية ومتابعة تطوراتها المختلفة دون أن يقفوا بمعزل عنها كأنها لا تمت اليهم بسبب وثيق .

إن متابعة المسائل الرئيسية التي تمس كيان الأمة هو الذي يبقى الشعور الوطني متيقظاً متحزراً ، فلا تعرض حاجة الا سارت النفوس إلى تلبيةها ، وانأى الواقع ، رغم افتقارنا إلى بث روح الاهتمام الفعلي بالمسائل العامة ، بمعناه الواسع مدينون

إلى الصحافة المصرية بخلق رأى العام بحالته الراهنة ومطالعة بما يصل بينه وبين مختلف مناحى النشاط فى حياتنا . فعلىنا إذن أن نجعل هذه الصحف، ولاسيما تلك التى تعنى بمعالجة المسائل الوطنية، فى مقدمة العوامل التى تتوسل بها إلى بعث الروح الوطنى . ولنحارب الأمية ما استطعنا حتى لا نحول دون الانتفاع بهذه الوسيلة الزهيدة الثمن البالغة الأثر فى إيجاد رأى عام منظم يشارك مشاركة فعالة منتجة فى الحياة .

ذلك فيما يتصل بالشطر الأول الخاص بالاعداد الوطنى ، وتلك هى أبرز العناصر التى يتعين علينا أن نضمها أى منهج قويم لتنمية الشعور القومى وتوجيهه إلى العمل على تحرير الوطن من قيود الذل والاستعباد . فأما فيما يختص بالشطر الآخر وهو السعى لتكوين انشباب تكويننا استقلاليا فإن سبيله المجدى هو تعديل نظر الشباب إلى الحياة المستقبلية تعديلا يخرج به عن الدائرة الضيقة التى لا تتجاوز نطاقها يهيئ لها أسباب السعى الحر فى آفاق أرحب مدى وأعود بالنفع والفائدة ، والعمل على خلق الشخصية القوية الزاخرة بأسباب الانتاج والابتكار ، وتغيير مناهج التعليم بحيث تعين على بلوغ الغرض الذى نتوخاه وتعمل بأسباب الإصلاح .

فاذا نظرنا إلى العامل الأول، فسوف يروى أن المثل الأعلى للشباب المصرى هو الفوز بوظيفة من وظائف الحكومة يعنى فيها زهرة العمر ويقع فى زواياها بالغة ما بلغت المشقة التى يتجشمها فى هذا السبيل . ومن الظلم حقا أن نحاول القاء التبعة فى اعتناق هذا المبدأ المتواضع على الشباب وحده ، فإن الظروف الاجتماعية والسياسية وطريقة التلقين المدرسى هى التى ترغمه على ركوب هذا المركب الوعر، وعلىنا أن نروض الشاب على أن يفتح عينيه على ميادين العمل المتشعبة ومناحى النشاط التى يستأثر بها الأجانب، وأن يوطن نفسه على خوض غمارها ومنافسة أصحابها بما يتسع له ذرعه ، واضعا نصب عينيه أبدا أنه هو صاحب البلد الحقيقى فهو أولى بالارتفاق بتلك المرافق الحيوية ، وغيره أخرى أن يلزم حدوداً معينة لا يعدها، أو ليس من الأدال المهين أن تعكس الآية فىثرى الدخيل حتى الانتفاخ ويميل الاصيل حتى لتلصق يده بالتراب ؟ . لا كانت الحياة إذن ولا كان هذا الوجود الدليل . . . وإن السكوت على هذه الحال وإغراض العين على مساوئها هو تسجيل للضعف وتسليم بالعجز والقصور

اليأس إذن هو الخطوة الأولى في صدد التمرد على هذا النظام المحتل ورفع مستوى النظر الى الأفق المنشود . لكن التمرد وحده لا يكفي ؛ ولا مناص من إعادة النظر في الظروف الأخرى حتى تطابق الحالة الجديدة التي نتطلع اليها . فكيف نوفق الى خلق الشخصية العامة بأسباب النشاط حتى تقوى على مجابهة الحالة الجديدة والتفوذ بشجاعة الى الميدان الجديد لا بد لذلك من تعديل نظم الدراسة تعديلا يختزل على الأقل نصف البرامج الحالية وتراعى فيه القواعد التالية : — (أولا) افهام الطلاب أن المناهج الدراسية إن هي الا وسيلة يراد بها التثقيف وافساح مدى النظر والتفكير وأنها سبيل الاعداد الى الحياة العملية وليست غاية يقف المرء قريبا من العين إن ظفر باجازتها .

(ثانيا) محاربة نزعات الحفظ والاستظهار محاربة لاهوادة فيها فهمي التي تقتل روح الابتكار والاستنباط وتفتي الشخصية بما ينزع كل أمل في بعثها على الانتاج . (ثالثا) تنمية روح الاعتماد على النفس والاعتزاز بالشخصية . وأقرب سبيلهما هو العناية بالرياضة البدنية عناية تصوى وان استخلصت ثلث المناهج ؛ وتنمية الحياة الكشفية الصحيحة بما تتضمن من رحلات ومسائل عملية أخرى ؛ وانشاء الفرق العلمية العملية التي تتيح للشباب فرص الممارسة العملية لعدد الشؤون ، حتى إذا اندمج في ميدان الحياة لم يجد نفسه غريبا عنها ولا قاصرا عن المساهمة فيها .

(رابعا) حث الشباب على نبذ أسباب الطراوة والنوم ورياضتهم على التجلبد والصبر والمثابرة ، وعدم الاستسلام لعامل اليأس إن طالهم نذير الفشل ، والتعاون مع أندادهم تعاوناً يضاعف الأمل في النجاح ويعين على تذليل المصاعب ؛ (خامسا) إعادة تنظيم الطرائق المتبعة في تعليم اللغات بحيث تمكن الشباب عند مغادرة المدرسة من اتقانها تخاطبا وكتابة حتى يستطيع أن يمارس الأعمال الاقتصادية التي يدير الأجانب دفتها بما لا يدع لهم مجالاً للطعن في مقدرته على الامام بها . واني أدعو القائمين على اصلاح التعليم من كل قلبي أن يسبغوا نصيبا وافرا من عنايتهم على هذه الوسيلة التي تمتد بحق مفتاح الحياة العملية . فان ما يبعث على الأمل حقا أن الغالبية الساحقة من شبابنا تفنى السنين الطوال في تعلم اللغات حتى إذا ظفرت بالشهادات المدرسية التي كان يتحتم أن تعتبر مقياسا لمرائهم عليها

راعلك منها تعثر اللسان والعجز الفاحش عن الابانة بعبارة سليمة عن أى مقصد من المقاصد . ومن العسف أن نحملهم كل اللوم على هذا القصور ، فإن طرق التعليم تظهر من ذلك بتسط كبير .

(سادسا) التزير جهد الاستطاعة بين فروع الحياة العملية وما يمكن اقتباسه منها في معاهد التعليم ولاسيا في الشؤون الاقتصادية . حتى إذا اندمج الشباب في الحياة لم يجد تنافرا بين ما كان يدرس وما هو مقدم عليه .

(سابعا) تعميم التعليم الصناعى فانه الوسيلة الناجعة لغرس الروح العمل في نفوس الشبان ودفعهم إلى ارتداد ميادين الصناعة والانصراف تدريجيا عن التهلك على وظائف الحكومة وتخفيف وطأة الضغط عليها .

وأحسبني في هذه الاقتراحات الجملة قد قدمت صورة لنواحي العلاج التي يمكن طرقها والتوسل بأشياهما إلى تكوين الشباب تكوينا خاصا يحتاج منه شخصية مستقلة قائمة بذاتها تستطيع إذا أشرفت على ميادين الحياة الحرة أن تندمج فيها وتفيد منها ، فهل في ذلك ما يكفي - إذا أحسن تطبيقه ونفذ على الوجه الأوفى - لبلوغ الغاية وفتح مغلق الابواب في وجوه الشبان ، أو أن هنالك من العقبات ما لا بد من مواجهته والسعي الحثيث لتذليله

الحق أن إعداد الشبان وحده لا يكفي . ومهما يكن الشباب مزودا بكافة المؤهلات التي تتيح له ممارسة العمل الحر والاعتماد على نفسه في الحياة فلن يقوى وحده على مغالبة قوى ضخمة وعوامل متآزرة تعمل جاهدة على قتل روح النبوغ في صدور الشباب المصرى وحرمانه من طرق هذه الابواب . وإلا فقل لى بربك كيف يستطيع الشاب أن يصمد لنظام الامتيازات الأجنبية الذي يجعل كفة الرجوح في صف الأجانب محتكرى أغلب نواحي النشاط الاقتصادي والصناعى ، وكيف يقوى على صد شعور الكره والعداء الذى ينصب عليه انصبابا من ناحيتهم حتى ليوقن أنه لم أن تدخل الحكومة لتجديده فهو مغرق ولا شك في هذا الخضم الذى اصطلحت جميع عناصره على ابتلاعه وتغيبه في طواياها ؟ .

لست ألقى القول على عواهنه ، فإن المشاهد الذى يستطيع كل انسان أن يلمسه يديه لمسا أن أغلب البيوت المالية الأجنبية تفضل أن تضم إليها كل من لفظته بلده من الجنسيات غير المصرية على أن تلتحق بها المصرى الصميم ، وأن هى اضطرت إلى استخدامه لسبب ما فإن ما يلقاه فيها من الاهانة الصامتة لينزع من نفسه أسباب

الحلم والتأسك . فإذا استقل الشاب بالعمل واعتمد على شخصه فهو إما أن يقع بالكفاف أو يستهدف لمنافسة منظمة قاتلة لاتعرف هواة ولا رحمة .

فهل بعد هذان يتردد في القول بوجود تقدم الحكومة لنجدة الشبان وشوهم بالحماية القوية حتى يستطيعوا أن يتفوا على أقدامهم ويصمدوا في الميدان . . . وهل من يشك لحظة في نوع العلاج الحاسم البات الذي يستأصل الداء من منبئه؛ ويتعين على أولى الشأن أن ينهضوا بهمها اقتضاهم من تضجعة واعنات . ان هذه الامتيازات الجائرة هي علة الجمود والتقهقر اللذين يضربان في نهضتنا الوطنية والاقتصادية بمعول شديد الهدم ذريع التدمير . بل هي سبة في جبين القومية المصرية لن تبرأ من وصمتها حتى تنور عليها ثورة جائحة تقبر ظلها البغيض في أعماق زوايا العدم والغناء . لتقدم الحكومة على ضربها الضربة القاضية والشعب من ورائها يشد أزرها ويمدها بسلاح العزم المكين ، فما يعرف العالم نظاما نخر اجائرا كهذا النظام الذي ينشئ دويلة بل دويلات في داخل الدولة المصرية ويندق على أصحابه من المنح والحقوق مالا يظفر بعشر معشاره أصحاب البلد الحقيقيين .

فان قامت دون هذا الالغاء العاجل عقبات تستند الى عوامل السياسة فان في ميدان التشريع ما يحمل الممولين الاجانب على أن يخفصوا من غلوائهم ويتعاونوا مع المصريين تعاوننا خلصا فيه خير كثير للفريقين ورجوع الى قواميس العدل والانصاف . حتى اذا آذنت ظروف الأحوال بالقضاء نهائيا على هذا النظام - وسوف تؤذن ما في ذلك ظل من الريب - حتى علينا أن نعيد النظر في نظامنا الاقتصادي بما يزيل الغبن الواقع علينا ويملي لنا في أسباب اللحاق بمن سبقونا في هذا الميدان .

لئن كنا قد أفضنا في رسم السبيل التي يحمل بنا سلوكها لتربية أبنائنا تربية وطنية استقلالية، واستعرضنا أطوارها بادئين بالطفل غضا حتى ينفع ويستقبل دور الرجولة، فذلك لأن هذا الشباب سوف ينبت في ميادين الحياة العامة ويضطلع بكثير من الأعباء الجسام التي تقوم على قواعدها نهضة الوطن ورفعته . فمن الحق إذن ألا ندخر وسعا في صدد تربيته حتى ينشأ نشأة جديدة بهذا المطلب الجليل .

لكن من الحق كذلك ألا نهمل هذه الملايين العدة من أبناء الفلاحين والعمال الذين يكونون السواد الأعظم من سكان القطر، وأن نضع سياسة عامة لتربيتهم تربية تطابق مانسعى اليه . وإن أول حجر نضعه في أساس هذه التربية هو محاربة

الامة المتفشية بين تلك الطبقات فانها تحول بينهم وبين التطلع الى غير ما هم منه بسبيل . يجب أن نرسم سياسة شاملة لتعليمهم وأولادهم القراءة والكتابة ومبادئ الصحة وأن نرصد لها المال اللازم منها تضخم وعظمت أرقامه ، فان الفوائد التي تجنيها الامة في مجموعها من انتشار التعليم والأخذ بأسباب الصحة بين هذه الطبقات لانقاس بها كثرة النفقات . وينبغي أن تصاحب هذه الخطوة خطوة أخرى لا تقل عنها شأوا : تلك هي تحسين الأحوال المادية والمعاشية لهذه العناصر المنتجة ومعاونتها على مواجهة الظروف الاقتصادية الشديدة الوطأة عليها معاونة تمكنها من دفع شبح البؤس والفاقة الذي يلازمها وترتيب لها عيشا ميسرا الى حد ما . إن الفقر لا يترك لصاحبه من الفراغ والاقبال ما يستطيع معه أن يعالج شيئا من ضروريات الحياة غير الكدح المتصل ، فاذا نشأ الفلاحون والعمال في أحوال مادية معقولة فلايس عسيراً علينا أن نوجه عنايتهم الى الواجبات الوطنية وأن نتوسم منهم أن يلبوا نداء الوطن كلما دعاهم داعيه .

إن خير تربية وطنية نستطيع أن نتمهدها في أوساط الزراع والعمال هي التي تحب البهيم الأرض التي يفلحون والمهنة التي يمارسون وتساعدهم مساعدة فعالة على ترقيتها والافادة منها الى أقصى الحدود . ذلك لأن استغلالها الاستغلال المنتج لا يعدو أثره عليهم وحدهم فحسب وإنما سيعم طبقات الشعب بأسره ويتجلى في زيادة أسباب اليسر والرخاء وما يتلو ذلك من ترقية الروح المعنوية في الامة واطراد سيرها نحو الكمال . وما من شك في أن تعميم الأنظمة التعاونية والتقاوية في أرجاء القطر ، ريفه وحضره ، وتزويدها بالوسائل الفعالة لأرشاد الزارع والصناع إرشادا عملياً منظماً وتوجيه جهودهم وجهة تتفق ومقتمنيات العصر الحاضر في الانتاج - ما من شك في أن ذلك كله سيحدث أثره في حياة الجيل المعاصر بين طبقات الزراع والصناع وسيؤثر آثاراً بعيدة الغور في نفوس أبنائهم ممن يشبون في هذه البيئة الانتقالية الآخذة بأسباب التجديد في مرافقها الحيوية ، حتى إذا أشرف هؤلاء الأبناء على ميدان الحياة انعملية كانوا أقدر من آباءهم على الانتاج الوافر وتسمية موارد الثروة في البلاد .

أما بعد فان هذا الشباب الذي صاحبه من أول مراحل العمر وعيننا بتزويده بكافة الأسلحة الضرورية لمن يرغب رغبة صادقة في خدمة وطنه ونفسه، حتى اشتد ساعده وانبرى لمواجهة الحياة - هذا الشباب الذي أسلفنا استبدل من غير شك مقاييس

نظرة الى الدنيا فيصبح أكثر جداً وأشدّ اعتزازاً بالحياة وفهما لها ، وأقدر على غزوها بعد ما تلاشت من نفسه عوامل الاحجام التي كانت تغله عن السير . فهذا الوطن الذي لم يكن يظفر من تفكيره وعنايته بحظ مذكور سيحل من نفسه المحل الأرفع وبيعته على المساهمة مساهمة فعالة في تحريره ، متأزراً مع أثرابه من جنود العهد الجديد مضحياً بها يملك - حتى بالروح وهي أعز شيء في الوجود - ليصبح هذا الوطن طليق السراح متقيماً ظلال الحرية آخذاً بأسباب الرقي والتجديد .

وهذه الخدمة العسكرية التي ينفر الشباب في وقتنا الحاضر من الالتحاق بها ، ويندلون كل جهد في سبيل الخلاص منها بدفع البذل العسكري أو بغيره من الوسائل التي يقتنون في استنباطها - حتى ليشعر من يرغم على الانخراط في سلكها بغضاضة ترجع الى عجزه المادى وما ينجم عن هذا من إضعاف الروح المعنوى في صفوف الجنديّة - هذه الخدمة العسكرية ستصبح من غير شك قبلة أنظار الجيل الجديد ، لأنها مصدر قوة الوطن ومنعته وأداة الذود عن كرامته واستقلاله ، على أن يسعى أولو الأمر سعيّاً جدياً لتقصير فترتها والعناية بكرامة الجندي عناية تضاعف من اعتزازه بها ، والعمل على تسهيل استئناف الشبان ما كانوا يشروعون قبل الالتحاق بها .

فأما فيما يختص بنفسه فلن تصبح الوظائف الحكومية غاية التي لا يفكر في سواها ، وإنما سينبثق لطرق أبواب العمل الحر ومناقسة هؤلاء الأجانب الذين يستأثرون دونه بخيرات البلد ، واستخلاص هذه المرافق الحيوية من أيديهم ، مدفوعاً بتلك النزعات الحافزة التي غنى باذكائها في نفسه ، متوسلاً بكل ما يملك من سعة الخيلة وقوة الاستنباط لتنمية موارد الثروة البكر التي تكتظ بها البلاد من أقصاها الى أقصاها ، موزعاً نشاطه في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة ليفيد منها قومه أضعاف ما يفيدون الآن منها ، حتى يستقلوا بكيانهم الاقتصادى إلى الحد الذي لا يصبحون معه عالة على غيرهم من أمم العالم .

هنالك يتقلص عنا هذا الجود الذي يطبع حياتنا الراهنة بطابع كئيف ، وتبعث مصر الحديثة بعثاً جديداً يصل بين حاضرها المفعم بأسباب الحياة والنشاط ، وبين ماضيها التليد ، وتتضافر مع الأمم الحية على الرقي البشرية إلى أقصى ما يتفتح عنه الذهن الانساني .

بدأ الموضوع بمقدمة موجزة عن اتجاه التربية في أشهر الأمم ، فقد اهتمت اليونان بالسياسة في مختلف مظاهرها ، وحرص نابليون على إعداد الشبان إعداداً عسكرياً في مدارس مثالية تمتد فرنسا بجيوش من الشبان الأشداء المثقفين ، واتجهت ألمانيا إلى إرهاب الطلبة بالعلم والتحصيل مما يدعو إلى اختلال الأعصاب وفقدان النفوس في سبيل الاكتثار من العباقرة والتابعين ؛ أما الولايات المتحدة فتؤمن بحاجة الإنسان إلى العلم كحاجته إلى الغذاء . وللانجليز اهتمام بالاعتماد على النفس واحترام الشخصية .

ثم تساءل عن اتجاهنا في مصر ، هل نعلم النشء أخلاق الحياة العملية التي تصددها بأن الغلبة للقوة ، وأن السلامة تستند أحياناً إلى الخداع والملاينة ، أو نعلمهم التفاف والخنوع والخضوع والملك ، يعيشوا خداماً لأصحاب النفوذ والسيطرة ، ويبلغوا مأربهم بالوشاية والتجسس والذهيمة ، أو نعلمهم الأخلاق المثالية النظرية ، ليكونوا نماذج للمثل العليا وإن جر ذلك عليهم الفقر والعزلة ؟ وهو يفضل بأن نبه أطفالنا - حين نغرس الفضائل في نفوسهم - إلى طبائع البشر وإلى أن الفضائل مصطلحات نشأت وتفتأ على حسب مقتضيات الحياة الاجتماعية ، وإرشادهم إلى الفرق بين وحي العقل ووحى الغرائز ، والعمل على تنمية ميولهم الطيبة بالإيحاء والقذوة الحسنة ، وبث روح الإعتماد على النفس ، والاندماج في البيئة التي يعيشون فيها .

ومن رأيه أن التهذيب المدرسي ليس عظيم الجدوى ، وأن ما يكتسبه الطفل من البيت ، حسناً كان أو سيئاً ، يترك أثراً كالندبة قلباً تمحوه الأيام ، فلا بد من العناية بتعليم البنات وإعداد الأمهات الصالحات قبل إعداد الأبناء .

أما العلوم فيرجع تحديدها إلى وجهة نظر أولى الأمر ، مع تقدير النبوغ واحترام الكفاءة وتشجيع المجدين الممتازين ، وإلصاف المعلمين الشاكرين المظلومين ، وتهيئة المدرسين لعلاج المشكلات النفسية والعقلية والأزمات العصبية التي يصاب بها كثيرون ، مع الاهتمام بالرياضة البدنية وبث الذوق الفني وتقدير الجمال في نفوس

النساء ، وعلى الزعماء أن يكونوا قدوة صالحة للشباب ، وأن يكونوا فعالين
لا قولين .

(٣)

ملخص رسالة

الأستاذ محمد عبد الباري

بدأ الموضوع باستعراض الوقائع الحاضرة حتى يستخرج الحقائق ، فذكر بعض
المواقف التاريخية التي كان للتربية أثر في نشأتها وتكوينها ، ونوه باهتمام الانجليز
بالتربية الاستقلالية وتكوين الشخصية والاعتماد على النفس ، وهذا هو سر عظمتهم
وشجاعتهم ، حيث استطاع الأفراد أن يرضوا وجودهم على الحكماء ، وعرف الحكماء
كيف يحترمون الشعب ويعيشون معه في سلام .

ثم تحدث عن اعتزاز العرب بحريتهم واستقلالهم ، وحرصهم على المشورة
والتعاون والمساواة .

وسبل التربية الاستقلالية يكون برعايتها منذ النشأة الأولى ، فيربي الأطفال
تربية قوية استقلالية ، ويعودون على الاعتماد على أنفسهم والشعور بوجودهم ، ثم
نتعهد هذا الغرس الأول بالرعاية والتقوية في المدارس والمصانع والمعامل وكل
مرافق الحياة ، فتحترم حرية الرأي احتراماً فعلياً ، وتقام العلاقة بين الشعب
والحكام على أساس متين من الاحترام والعطف والتقدير ، وضمان تحقيق الغاية
من الحياة البرلمانية ، وقيام كل سلطة وكل هيئة وكل فرد بواجبه خير قيام .

ومن الواجب أن تقترن التربية الوطنية بالتربية الاستقلالية منذ الحداثة الأولى ،
فحب الوطن وإن كان غريزة طبيعية إلا أنه في حاجة إلى التقوية والتمكين والحماية
من المؤثرات الصناعية .

لا عزة في وطن ذليل ، ولا قيمة للجاء الفردى في جماعة تخضع لارادة خارجية ،
والاستقلال الفردى لا يثمر في أرض تسخر فيها إرادة الأفراد لغير مصلحة
بلادهم .

يجب أن تلقن الأطفال مبادئ الوطنية والاستقلال في قصص الأبطال ،
وفي الكتب والصحف ، وفي الاحتفال بالأعياد القومية وتمجيد أعمال البر
بالوطن والتضحية في سبيله ، حتى ينشأوا قادرين على النهوض بمجد الأمة وعظمتها .

ملخص رسالة

الآنسة إيريس حبيب المصرى

حملت الآنسة على عدم المباهاة والتفاخر بالأصل والشرف ، فالمصريون قد نسوا أصلهم طويلا وتركوا المباهاة به حتى عهد قريب ، فكان هذا من أسباب ضعفهم ، والأوروبيون يلقنون أطفالهم سير الأبطال وتمجيد الوطن وينفقون فيهم روح الاعتزاز بالوطن ومجد الوطن وتاريخ الوطن - وحتى أمريكا ، التي استغنت عن الألقاب والأحساب ، نجد من بينها التعطش الى الزهو بالجدود

فيجب أن يدرس تاريخنا المجيد كوسيلة لذكاء روح الحماسة والاقدام والتضحية في سبيل الوطن ، ولسكى يتصل حاضرتنا بماضيها فيرى الأجداد أن من العار عليهم أن يجنبوا حيث أقدم الأجداد . يجب أن يدرس التاريخ القومى عمليا ، وأن يعرف التلاميذ كل شيء عن آثار أجدادهم وآبائهم ، وتقام تماثيل في الميادين والحدائق العامة ، تماثيل للأبطال المجاهدين ليسأل الطفل عنهم فيجب ، مع توجيه نظر الطفل إلى ما في بلاده من جمال طبيعى وصناعى ، على أن يترك القائمين بأمر المدارس الحرية الكافية في اختيار نظمها ووضع لوائحها ، حتى يكون هناك مجال لظهور الشخصيات وتعددها .

ويخفف عبء البراج المحشوة المرهقة عن الطلبة ، ليتجهوا إلى الاطلاع الشخصى والتحصيل الذاتى - ويعنى بالتعليم الاحترافى وتشجيع الصناعة والزراعة ، لأن تعليم الفقراء تعليما نظريا لا يثمر إلا السخط والتبرم وخنق روح الميل إلى العمل . ويجب أن توجه النشء إلى الانتصار للضعفاء وإلى الكرم والرفق والتعاون ، وأقوى الوسائل لذلك الرياضة البدنية والشعر والأدب والموسيقى والتأملات ، وعلينا أن نعودهم احترام النفس لأنها عاصم من الخطأ ، ونحنهم على تشجيع المنتجات المصرية والعمال المصريين

وترى الآنسة أن هذا كله يتحقق إذا عنيينا باختيار القائمين بالتربية ، واحترمتنا النشء ، وقدرنا وجودهم وتفاهمنا معهم ، حتى يكونوا النسل المجيد للفرسانة الأجداد .

الموضوع السادس

عدة النجاح لرجل القرن العشرين

حضرة صاحب العزة مدير ادارة المطبوعات

اجتمعت اللجنة التي أشرف برياستها والمؤلفة من حضرات محمد محمود خليل بك و خليل مطران بك والدكتور محمد حسين هيكل (بك) والأستاذ مصطفى عبد الرازق ، للحكم في المباراة الأدبية في موضوع : عدة النجاح لرجل القرن العشرين ، وقد عقدت اللجنة عدة جلسات تغيب في الأخيرتين منها حضرة صاحب العزة محمد محمود خليل بك لسفـره خارج القطر . وقد قررت اللجنة في آخر جلسة باجماع الآراء ما يأتي :-

أولاً - أن تمنح الجوائز لأصحاب الموضوعات التي تستحق في نظرها هذه الجوائز ، فإذالم يكن من بين هذه الموضوعات ما يستحق جائزة منها فلا تقترح اللجنة منحها .

ثانياً - منح الجائزة الأولى وقدرها ١٠٠ جنيه إلى حضرة محمد افندي ثابت الفندي عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس ، مع الإشارة الى دقة بحثه وتفوق هذا الموضوع تفوقاً واضحاً على كل ما تقدم .

ثالثاً - عدم وجود موضوع يستحق الجائزة الثانية .

رابعاً - منح مقدار الجائزة الثالثة لكل من حضرتي حسين افندي

مؤنس وفهيم افندي حبشي

وتشير اللجنة الى أن عدم تحديد موضوع المسابقة تحديد أدق ، وقصر الوقت المعين للمسابقة ، قد كان من أثرهما أن خرج كثير من الباحثين عن الغاية من الموضوع ، كما اقتصر كثيرون على تناوله تناولاً غير جدير بالدخول في مسابقة ما .

رئيس اللجنة

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(حافظ عفيفي)

القاهرة في ٨ يوليو سنة ١٩٣٦

رسالة الأستاذ محمد ثابت العنبدى

١ - فلسفة الغايات :

لا نريد أن نسلك الى هذا الموضوع الطريق «الذائق» فتحدث عما يجب أن يكون عليه رجل القرن العشرين فى نظرنآ ، فقد نفرض من الواجبات ونصنع من المثل العليا مالو أخذ به واحد من الناس لقطع كل صلة بينه وبين العصر ، وإنما طريقنا الىه الطريق العلمى الذى يحل الحياة العصرية الى عناصرها الأولى ، ويميط اللثام عن أسباب النجاس والاختفاق فيها ، ومدار بحثنا «علم النفس» : ذلك العلم الفقى الذى تساق نتائجه نحو الاستفادة من الحياة لصالح الفرد بقدر المستطاع ، لذلك سيبدو للقارئ ، إذا فرغ من تصفح هذا الموضوع ، أنه انتقل الى عالم غير مطروق فى مثل هذا الطرف . وإن يكن هو العالم الذى يجب أن نبحت فيه عن أسباب ما نحن بصدده .

ما أخرج شرقنا الحاضر الى فلسفة فى الحياة لا الى فلسفة فى الكتب . «أحوجه الى برامج للبشر العليا ، وإلى دساتير ترسم له غاياته ومطالبه فى الحياة . فإن الفرق بيننا نحن أبناء الشرق - وبين أبناء الغرب أننا نعيش لغير «غاية» وبغير دستور ولا فلسفة ، فإن أصبنا نجاحا فى يوم من الأيام كان ذلك وليد الصدفة المحضة والقدر اللأعب ، لأفضل لنا فيه ولا شأن لنا عليه - ورحم الله كربلاء الطيب الفرنسى الذى أراد أن يعرف آكل الحشيش بما يميزه عن الإنسان الطبيعى فقال انه «الفاقد لمعنى الغائية» . وكأنى به قد حدد بذلك الفارق الجوهرى بين الشرقى الأنم عن كل غاية فى الحياة ، والغربى اليمقظ المتنبه لغايات مثلى يسعى اليها جهده .

الغايات والمقاصد فى أى لون من ألوانها هى البواعث الأولى التى تحفز الفرد أو الجماعة الى التفكير فالعمل ، وقديما قالوا : أول الفكر آخر العمل ، يشيرون بذلك الى أن الغاية تطرأ أولا ثم ينتهى اليها العمل آخرآ ، وتاريخ الاختراع فى القرون الثلاثة الأخيرة يدلنا على أن الاختراعات كلها انما نشأت أولا كغايات ثم مازالت تستحث تلك الغايات أصحاب الكفاية حتى وصلوا الى تحقيقها بطرق طبيعية ميسورة لكل سالك فى هذا الطريق ، ولم يكن للصدفة أو الحظ أو الذكاء أو العبقرية - بما يفسر به الاختراع فى بلادنا - أى نصيب أو دخل فى حركة الاختراع ، فوجود الغايات إذن هو أول ما يصادفه فى قرارة نفس الأوربى ، وهو أول ما يفتقنا فى خيانتنا الراهنة . والكثرة المطلقة منا تعيش بغير غاية ولا غرض ،

وتؤدي أفعالها كما تؤدي الآلة الميكانيكية أى عمل هيئت له : فلا ترتفع عن المستوى الآلى إلى أفق الغايات الانسانية ولا تحس بحاجات جديدة تعدل بها من شأنها فى الحياة . من هذه الزاوية وحدها نستطيع أن نلقى النظرة الاولى على ما يتخذ رجل القرن العشرين من عدة للنجاح . فأول عدة له هى أن يكون ذا مطامح وغايات تبعث الى خوض الحياة وهو يجددها بغيرها كلما نال منها مأربه ، فان لم يفعل لم يبرح موضعه ، كالذئبة تموت حيث تولد وحيث تنمو وتوالد .

ثم لا يمكن بعد هذا أن تكون الغاية فيكون الخير ، وانما يجب أن تتحدد وتعين وتفتتح فى النفس حتى تتملك المشاعر ويتجه العقل إلى سبيل تحقيقها . وهذا فارق آخر بين الشرق المثقف والأوربي على وجه العموم : فقد تكون للأول غايات ومطامح ولكنه لا يعرف كيف يحددها ويجردها عن الاحساس الغامض الذى يكتنفها والشعور المبهم الذى يحيط بها حتى تصير معقولة واضحة . هذا ما يراه كاتب فرنسى فى أمر انتشار العلم الحديث بين أهل بلاد الأنام ، فقد التبس عليهم الغرض منه فأساءوا - على رأيه - استعماله وفهمه . وبمثل هذا يفسر التناحر الحزبي فى مصر ، فقد غشيت الغاية الأولى (الاستقلال) أهواء وأغراض فغمضت حتى كادت تنسى . وبمثل هذا أيضا يتنبأ كاتب فرنسى بقيام « الامبراطورية الثالثة » فى فرنسا لأن الفكرة التى قامت من أجلها الجمهورية لم تعد واضحة فى ذهن القائمين بالأمر . وكاتب هذه السطور يذكر تماما أن أحد أعضاء مجلس النواب المصرى الأخير اقترح ذات مرة إلغاء كلية الآداب لأن خريجها عاطلون ، وطبيعى أنه لم يقترح هذا إلا لأن الغاية من انشاء هذا المعهد لم تكن واضحة فى ذهنه . والخلاصة أن الغاية اذا لم تتحدد وتوضح فى النفس فان الانسان لا يستطيع أن يتجه الاتجاه الصحيح المستج . وعلينا اذا شأننا أن نجارى روح العصر ، أن تكون أغراضنا واضحة جليلة معينة معقولة .

الغايات الفردية كثيرة لاسبيل الى حصرها ، ولكل فرد أن يرسم ما شاء من الغايات . ولكن هناك قدر مشترك منها يجب توفره عند الرجل العصرى الذى يحلم بالنجاح والظفر . وقبل أن نفصل القول فى هذا القدر المشترك نريد أن ننبه الأذهان الى أننا سنجنب بقدر الامكان الكلام عن الصفات الخلقية البحتة التى قد يتبادر الى الذهن أنها وحدها عدة النجاح فى هذا العصر . فان الأخلاق - كما شاهدنا فى أوروبا وفى عاصمة من أكبر عواصم الحضارة التى لها وحدها أن تتحدث

عن القرن العشرين وعدة النجاح فيه - لم تعد من طبائع النفس وعاداتها وتقاليدها، وإنما هي تصرف حسن أو سيء يملئه العقل المحض في كل ظرف .

في هذا القرن حل علم النفس محل الأخلاق ؛ أو قل حل العلم الموضوعي محل النصائح والأقوال الخلقية ؛ فحل بذلك العقل محل الضمير . ولأسنا نعلم إلى أى حد سيكون انتصار العقل ، وإنما الذى ندره حتى الآن هو أن هذا العقل الذى سيطر به الأوروبى على المادة أصبح كذلك معياره فى الأخلاق . والأوروبى العصرى لا يعبأ بالتقاليد الخلقية ولا يتمسك بها كما تتمسك عن عقيدة وإيمان لأشأن للعقل فيهما ، وإنما يتمسك بها نزولاً عند حكم العقل ، وقد يتمسك العقل بها لفائدتها أو لاتصالها بحدوث تاريخي يهيمه ذكره ، أو حتى للسخرية بها في كثير من الأحيان .

ولإذن فالغايات المشتركة التى تقدم ذكرها لأشأن لها بالأخلاق من حيث هي كذلك ، وإنما هي من النوع النفسى البحت الذى لعلم النفس وحده أن يحدثنا عنه . وفى رأينا يمكن حصر الغايات الكبرى التى يجب توفرها فى الرجل الحديث فيما يأتى :-

- ١ - محو العقلية الغيبية وابدالها بالعقلية العلمية .
- ٢ - النظر الى الأشياء بمنظار العدد والقياس والاحصاء والكم .
- ٣ - تقوية الشخصية الفردية لتؤدى وظيفتى الاقتناع والتكيف .
- ٤ - الأخلاق العملية .

٢ - العقلية الغيبية والعقلية والعلمية :

العقل الغيبى هو ذلك النوع من التفكير الذى يرد المسببات الى غير أسبابها كأن يرد رياح السموم الى انفتاح « طاقة من جهنم » ، والنجاح والفشل الى الحظ والنحس ، والزواج والطلاق والصحة والمرض الى تيممة أو رقية أو بخور أو كلام يتلوه مشعوذ . هذه العقلية فقدت تماماً معنى « العقلية » وانخرفت عن الطريق القويم للتفكير فأصبحت غير صالحة لمسيرة الحياة ومساقفة الطبيعة ، توجد عند الشعوب المتأخرة فى أزياء مختلفة كالسحر والشعائر الدينية الوثنية . وتوجد عند الشعوب المتمدينة أيضاً الى حد محدود . بل قد توجد الى جنب العقلية العلمية والى جوار أكبر النظريات الحديثة فى رؤوس بعض العلماء الأوروبيين . والخلاص من هذه العقلية عسير وسيله الوحيد فهم روح العلم الحديث .

أما العقلية العلمية فلنسأ نقصد بها أن يكون الانسان عالما واقفا على قوانين الوجود وسنته، وإنما نقصد بها أن يتخذ الفرد العلاج الى النجاح طريقة العالم في فهم الأشياء وأسلوبه في تعليمها وتفسيرها، أى يبحث دائما عن الاسباب الحقيقية الموضوعية لكل أمر .

وإذا أردت تعرف الفرق بين العقليتين فسل من شئت من عامة الناس : لماذا يطير الطائر؟ فسيكون جوابه حتما : لأن له أجنحة . وهو بذلك يجعل وظيفة الطيران نتيجة للعضو ، والعلم يرى عكس ذلك، أى يرى أن الوظيفة، وتقدمة وقد نتج عنها العضو .

وصفوة القول أن الرجل العصري يجب أن يبنى العقلية العلمية ويطاردها في كل مكان، حتى تستوى له عقلية علمية من هذا الطراز الذى نشاهده في معامل العلماء . يتصل بالعقلية الغيبية كذلك هذا الاعتقاد الشرقى بأن العالم مسير لاقدرة لنا فيه، وأن القوة المسيرة تتدخل في تسابح أحداثه فتدم وتؤخر وتحي وتميت بغير حساب، ويجوز أن تعدل عما سبق أن كتبه من آجال . وقد تسرب هذا الاعتقاد الى فلسفاتهم، دينية كانت أو عقلية، فقد بحث متكلمو المسلمين في هل يستطيع الله تعالى أن يقدم الآجال أو يؤخرها عن ساعتها، فذهب بعضهم الى إمكان ذلك . وهم لعمري لم يفهموا بذلك قدرة الله تعالى فان (النظام) المطرد في العالم وتسلسل العلل ومعلولاتها أدل على هذه القدرة اللامتناهية من ذلك التصور الركيك الذى يجعل من قدرته تعالى وسيلة لتغير النظام الذى فطرته وابدعته . وكافى بأولئك المتكلمين ومن لف لفهم يتصورون هذا « النظام » على أنه ليس في طبيعة الأشياء نفسها ولكنه فرض فرض تلميها من خارجها يمكن تعديله أو العدول عنه في كل لحظة . لهذا استسلم أهل الشرق الى ما أسموه حيناً « بالقدر » وحيناً « بالقسمة » أو « النصيب » أو « البخت » أو « الحظ » الخ . . . ولغاتهم جميعا مليئة بالألفاظ التى تعبر عن هذا المبنى القدرى مما يندر وجوده في لغات الغرب . ولسنا فى حاجة الى بيان أثر هذا التصور الخاطيء فيما انتشر بيننا من توالى واستسلام ودعة وسكون ورضاء ليس بعده رضاء، هذا ما يأخذه علينا الأوربيون وينسبونه الى الدين الخفيف وهو مته براء . ونشكره نحن عليهم فى مساجلاتنا . وكان الأولى بنا أن نتشجع فنعترف به . ثم نعمل على علاجه وخصوصا بين تلك الطبقات الفقيرة الجاهلة التى تكون غالبية سكان مصر .

هذا في الشرق؛ أما في الغرب فإن المذهب القدرى يطارىء في كل مكان . والعلم الغربى إنما يقوم على أساس محو هذه الفكرة ، لأن « الأصل الموضوع » الذى يبدأ منه العلم الحديث هو أن العالم يسوده « نظام » باطنى كامن فيه لا سبيل إلى تحويله ، ووظيفة العلم الحديث الأحاطة بنواميس هذا النظام والنسب بين هذه النواميس حتى يمكن استغلالها لمصلحة الانسان والسيطرة بها على الأشياء، ومن ثم جاء نبد الغربى للاتكال والاستسلام ونزوعه إلى السيطرة والقوة والنشاط والعمل، واتساع مجال الأمل والعمل أمامه .

وليس معنى هذا أن العقلية القدرية لا توجد في الغرب ، فالطبقات التى لم يتسرب إليها نور العلم، في أصوله لا في مظاهره، لم تدرك بعد معنى هذا النظام الكامن ، ولا زالت تعتقد بالقدر . ومع ذلك فالجامعات ومرافق الحياة كلها تتآزر على محو هذه الفكرة ، ورجل القرن العشرين - كما هو مشاهد - حريص كل الحرص على استبعادها واحلال فكرة «النظام» والقانون محلها .

وتتجلى العقلية العلمية الأوربية في صورة أخرى لم نتعرض لها بعد هي الصورة (الجمالية)؛ فقد أصبح الغريون يقدرون الأشياء بل الحقائق العملية وغير العملية بما تنتجه من فوائد عملية وما تحدته من فرق في حياة الانسان ، فلا المنطق ولا العقل ولا العمل وحده بكاف لإثبات حقيقة من الحقائق إنما المحك الأخير هو النفع العملى ، حتى لقد أصبحت للحقائق في نظرهم درجات متفاوتة بتفاوت الفوائد التى تجنى منها . فطبيعيات نيوتن حقيقة ، ولكن طبيعيات أنشتين أكثر حقيقة منها لأن عدد المسائل والمشاكل التى تحلها يربو على ماتحله طبيعيات نيوتن، والأدبان حقيقة لأنه تترتب عليها فوائد لا يمكن أن تبني من الاتحاد . . . الخ

وقد بشر هربرت سبنسر بين مغيب القرن الماضى وبزوغ الحاضر بوجهة نظر القرن العشرين العملية التى حولت النظر من المبادئ والأصول إلى الفوائد والنتائج . وسرعان ما انتشرت هذه النظرة فاذا عها ولیم جيمس في أميركا ، وبرجسن في فرنسا ، وأويكن في ألمانيا ، وارنسبت ماخ في النمسا ، وعرفت بالمذهب العملى Pragmatisme ومن مفاخر الشباب الحديث أن يقول إنه من الآخذين بهذا المذهب، ولست أقول إن هذه النظرة المادية مثل أعلى، ولكننى أقول إن الحياة الأوربية هي هكذا ، والرجل الناجح عندهم هو السائر على هذا الدرب ، المفتمر بأنه (عملى) .

و خلاصة القول إن محور العقلية الغيبية وإحلال العقلية العلمية محلها ، وبهذا التكال والاعتقاد بالنظام ، والنظر الى الأمور من جهة الفائدة والنتيجة ، لا من جهة المبدأ والأصل ، إن كل هذا من الصفات التي يعتد بها الرجل الحديث الذي يريد أن يجارى روح العصر لينال قسطه من النجاح .

٣ - العدد والقياس والاحصاء والكم :

وهنا أمر يجب أن ننبه الأذهان اليه ، وقد يبدو لا أول وهلة غريبا عجيبا لأثره في النجاح ولا صلة له به ، مع أنه من أمضى الأسلحة التي يعتد بها العقل الحديث الموفق في الحياة ، ألا وهو تكييف العقل بأسلوب العدد والقياس وصنع التفكير في كل صورته وأحكامه بطابع الاحصاء والحساب . والواقع أن النظرة الرياضية الى الأشياء إنما هي نظرة تجلى غوامضها وتظهر خوافيها وتحدد أقدارها وأحجامها وأبعادها ولا تترك صفة من صفاتها الا وقد قدرتها « كما » محدودا .

ومن الملاحظ أن الحضارة القائمة قد نحت نحو « الكم » في كل شيء ، وتجاهلت الكيف الى حد ليس بالقليل ، فان هذا الأخير غامض معتمد لا يعرف الا بالأوصاف والسمات والأوضاع ، وكلها نسبية تختلف من فرد الى فرد . خذ مثلا الألوان فان الالكمة لاسبيل له الى تخيلها منها سمع من أوصافها ونوعيتها ، ولكنها اذا أحييت كما يقدر بالقدر كأن يقال إن اللون الاحمر مثلا هو الاحساس البصرى الذى ينتج من تأثير الحاسة بموجات أثرية سرعتها ٤٠٠ تريليون ذبذبة في الثانية واللون البنفسجى يقابل ٧٠٠ تريليون ذبذبة ، وهكذا في سائر الكيفيات كما يفعل العلم الحديث ، فانه يستطيع في سهولة أن يكون تصورا عن عالم الألوان أكثر وضوحا من ذلك التصور الكيفي .

والعلم الحديث جهاد طويل عنيف في إحالة الكيفيات الغامضة الى كميات واضحة محدودة . ولهذا تشغل علوم العدد المكانة الاولى بين العلوم الحديثة باعتبار انها المعول الذى يهدم الكيف ويبنى الكم . مر بنظر كمثلا على كتاب فى الكيمياء أو الطبيعة أو الاقتصاد أو غير ذلك من العلوم العقلية التي وصلت الى نتائج مقنعة ثابتة ، فماذا تجد غير القوانين والمعادلات الجبرية والاحصاءات والمقاييس التي تحدد تحديدا واضحا كل كيفية بل كل فكرة مجردة عامة .

إن الأوربي العصرى الذى رأيناه فى الفصل السابق نزاعا الى اتخاذ أسلوب العلم وتطبيقه على مشاكل الحياة ، نجده هنا نزاعا الى الفهم أو الإدراك الكمى .

وكم تحتاج أوربامن وقت ليصل أبنائها جميعا الى مثل هذا الادراك . ذلك ما لانعرفه الآن وانما نعرف تماما ان كل نواحي النشاط الاوربي الحديث تسجه الى هذه الجهة ، فالعلم والصحافة والكتب والتجارة والصناعة والزراعة تعتمد دائما على الاحصاء ، بل لقد تسربت هذه الطريقة الرياضية الى مطابخ البيوت (تحديد كيات عناصر الطعام) ومخادع الامهات (في كل أسرة فرنسية يوجد ميزان توزن به أجسام الأطفال يوميا وتسجل الزيادة والنقص) .

وهناك قطار من الأفطار الشرقية استطاع أن يهضم هذه النظرة الحسابية الى الأشياء هضمًا طيبًا، وأن يزن بها الكثير من شئون الحياة اليومية . فقد روى المسوئاليه في كتابه عن اليابان أنه ارتاع عند ما رأى الياباني الحديث حسابا ماهرا يفوق الأوربي من هذه الجهة ويفهم روح العصر أكثر منه لأنه يرتب حياته بناء على الاحصاء . زار أسرة من العمال فاستلفت نظره صحيفة معلقة على ظهر باب حجرة الطعام (التي يؤمها جميع أفراد الأسرة) فنظر فيها فاذا هي رسم بياني Graphique يبين ما صرفته الأسرة في شهرها هذا بالنسبة الى الشهور السالفة، ومقصدها من ذلك ضبط أبواب الميزانية المنزلية .

نخلص مما تقدم الى أننا، إذا تعمقنا في تحليل عقلية القرن العشرين فاننا نجدها عقلية تنمو شيئا فشيئا نحو رد الأمور كلها الى العدد والقياس والاحصاء والكم . وقد أثبت العلم والتجارة والصناعة ، وحتى مسائل المعيشة اليومية، خطر هذا التقدير الحسابي الاشياء . وحسب القارىء أن يفكر قليلا في فوائد هذا الأسلوب الرياضى إذا طبق على مرافق الحياة كلها ليقف بنفسه على خطره وقيمه بالنسبة الرجل الذى يريد أن يتزود بعدة للنجاح في هذا العصر .

٤ - الشخصية :

إذا استقم للانسان فهم على وادراك كى للأشياء فقد استقم له عقل من الطراز الحديث لا تستطيع أن تجاربه الأساليب القديمة في التفكير . ولكن هل يكفى أن يتم للفرد مثل هذا العقل، فتكتمل له عدة النجاح في مضمار الحياة؟ ما أظن أن ذلك يكفى ، فان الشخصية تلعب دوراً هاماً جداً في نجاح الفرد أو فشله ، وكل فرد منا يدرك ذلك بنفسه إذا رجع اليها ، أو إذا قارنها بشخصيات من يتصل بهم من الناس، فنحن نستطيع في سهولة أن نعرف إذا كانت شخصياتنا أقوى أو أضعف أو في مستوى شخصية معينة اتصلنا بها ، والشخصية وليدة عدة عوامل : التاريخ

والبيئة والتجارب الشخصية والحالات الباطنية ، ولكل من هذه العوامل قسط في تكوينها ، ولكننا لا نريد أن نبحت هنا عن عوامل التكوين فان هذا يبعدنا عما نحن بصدده ، وإنما نريد أن نمط اللثام عن كيفية تقويتها بحيث تستطيع أداء وظيفتين هامتين يتوقف عليهما نجاح الفرد في الحياة الاجتماعية وهما :

١ - الافئاع

٢ - سرعة التكيف أو الملاءمة

والافئاع والتكيف فنان هاما من فنون الحياة . الأول هو فن تأثير الفرد في غيره من الناس ، أفرادا وجماعات ، بحيث يقنعهم بوجهة نظره ويكتسبهم الى صفه . والثاني فن القدرة على تكيف الشخص بالوسط الذي يندمج فيه والملاءمة بينه وبين هذا الوسط في سرعة وبراعة ولياقة . وقديما جعل داروين صفة القدرة على الملاءمة والتكيف بالوسط سببا في بقاء الأصلح من الأحياء في السلم البيولوجي ، وهي لا تزال كذلك صفة لبقاء الأصلح في المجتمع الانساني .

السياسي والتاجر والصانع والموظف والمدرس والطبيب والصحفي والممثل والمحامي وكل من اتصل عمله بالجمهور لا يمكن أن ينجح اذا لم يحقق فن « الافئاع » أو قل أنه ينجح بقدر درجته في هذا الفن ، فاذا لم تكن له درجة فيه فلا قيمة لكل ما يبذل من مجهودات أخرى للنجاح .

كذلك يحتاج الفرد الى استرضاء الجماعة واستجلاب عطفها وتملقها ، إن صح هذا التعبير . ويتوقف نجاح الفرد من هذه الجهة على قدرته للتكيف بأغراض تلك الجماعة والملاءمة بينه وبين أهوائها وميولها .

ورجل القرن العشرين - كما نشاهده - لا يتم نجاحه الا إذا حقق الافئاع والتكيف ، فكيف يتوصل الى ذلك ؟

١ - من المشاهد في أوروبا وخاصة في الاجتماعات السياسية واجتماعات الأسر الرياضية في نواديها واجتماعات التسلية ، أن البدن السليم القوي وسيلة من الوسائل التي تتذرع بها الشخصية للافئاع . ومن ثم كانت تقوية الأبدان بالالعب الرياضية أول هدف للرجل العصري الذي يريد أن يحتل مكانة يصبو اليها ، بل لقد بلغ تقدير الرياضة الى حد الاستهتار بالحياة والاستخفاف بالموت اذ يركب الرياضيون متن الهواء وعبر البحار على أسباب أوهى من نسيج العنكبوت .

وكثيرا ما يكفي الجسم السليم وحده لأن تخلع الجماعة على صاحبه هيبة وجلالا ،

والواقع أن الصحة البدنية لها جمالها وفتنتها وجاذبيتها ، وأى الناس يقتنع بحديث المريض إذا تحدث فحُشِرَ وبمطلع القمى إذا راح أوجاء ؟

٢ - وإذا كانت الشخصية فى سبيل الوصول إلى الاقناع والتكيف تتوقف على صحة الجسم ، فهى تتوقف كذلك على صفات نفسية محضنة أعمق أثراً فى تقويتها . ويمكن دراسة تلك الصفات تبعاً لأقسام علم النفس الكبرى .
الحساسية . الإدراك . الإرادة .

الحساسية : من الملاحظ أن الرجل الناجح فى هذا العصر قليل الأحاسيس سطحى الشعور والعواطف . وسبب ذلك أن الفرد الذى يترك نفسه للعواطف والميول والأهواء يكون دائماً ذا شخصية سلبية قابلة للتأثر بما يجرى حولها ، ومثل هذه الشخصية عاجزة عن الاقناع تماماً . أما الشخصية الموجهة فهى التى لا تتأثر بالعواطف والانفعالات ، وتوجد فى الغالب بعد مران واكتساب ، ويطلق عليها « الدم البارد » أو « البرود » فقط ، خصوصاً إذا جرى الحديث عن مناقب الانجليز ، والدم البارد من صفات الرجل العصرى الموفق .

الإدراك : الرأى السائد عند علماء التربية هنا هو أن الرجل الحديث يجب أن لا يكون من المتخصصين فى علم من العلوم ، لئلا تنقطع صلاته بالحياة ، ولئلا يرى العالم كله من ثقب ضيق . والمشاهد فعلاً أن الرجل العصرى عام الثقافة فهو لا يعرف كثيراً من الأشياء ، ولكن لا كما يعرفها علماءها معرفة التحليل والتفصيل ؛ وهو يعرف كذلك جملة من اللغات الأوربية الحية - لا القديمة - ولعله من ناقل القول أن لفصل الكلام فى أثر المعارف العامة - ومنها اللغات - فى اكساب شخصية الانسان قوة سحرية للاقناع والتكيف ، لأن وضوح هذه الناحية كوضوح الشمس .

الإرادة : أكبر أسباب قوة الشخصية وقدرتها على الاقناع والتكيف ، وتربية الشخصية عن طريق الإرادة من أهم ما يشغل المؤسسات البسيكولوجية فى أمريكا ، تعتمد تلك المؤسسات فى تربية الإرادة على طريقتى الايحاء والأمر . والايحاء هو أن يوهى الانسان نفسه بأنه ذو ارادة حديدية وقوة عظيمة . الخ ، وينتهز هداة وجدانه قبيل النوم وعند الاستيقاظ للقيام بالايحاء ، فلا يلبث أن يصبح الوهم حقيقة ويحس بفارق عظيم بين ارادته - وبالتالى شخصيته - قبل ممارسة الايحاء وبعده ، فإذا انتهى دور الايحاء يأتى دور « الأمر » فيستطيع الفرد أن يفهم نفسه قسمين :

أحدهما أمر والآخر مطيع . والآمر أبعد أثرا من الالتهاء في تمكين الشخصية وبسط نفوذها إذ بعد أن يختبر الفرد في نفسه حقيقة الأمر وشروط طاعته وصيغة القائه ونغمته الصوتية التي تهيئه للتنفيذ ، يستطيع في سهولة كبيرة أن يعرف كيف يأمر الآخرين فيلبى هؤلاء أمره من غير تذمر ؛ وسواء أصبحت هذه الطرق الامريكية أم لم تصبح ، فإنه من الثابت أن الإرادة يمكن أن تقوى ، فتقوى الشخصية على حسابها فتستطيع أن تؤدي وظيفتي الافناع والتكيف .

٣- يأتي «المجتمع» بعد الجسم والنفس ، وقد كان المجتمع وسيكون أبدا من أسباب استقواء الشخصية أو ضعفها ؛ ذلك لأن رضاء المجتمع يساعد على تقوية الشخصية الى حد أنها تستطيع اعتمادا على هذا الرضاء ، أن تقنع وتفرض ما تراه من الآراء والمبادئ . وهناك من الشخصيات ما يعيش على حساب رضاء المجتمع فحسب ، كمشخصيات الساسة مثلا . والعطاء انما هم كذلك بفضل المجتمع وليسوا شيئا في أنفسهم .

والرجل العصري يدرك هذه الحقائق ؛ لذلك نراه يتصيد النجاح عن طريق انضمامه الى كتلة «اجتماعية» ما ، ينتظر منها - بعد اجتهد ونصب - أن ترفعه الى مصاف عظمائها . والحلقات الاجتماعية كثيرة جدا في عصرنا هذا ؛ منها الاقتصادية والسياسي والمهني والتقني والعلمي . . . الخ ، وفي داخل كل حلقة من هذه الحلقات نجد الطامحين الى النجاح كثيرين ، ولكن الواصل منهم هو الشخص الذي يكتسب رضى الجماعة فيستطيع بذلك أن يعلل ارادته عليها ، وأن يتكيف بأهوائها وآمالها وأغراضها .

من عدة النجاح في الحياة العصرية اذن التعلق بأهداف جماعة من الجماعات .

٥- الأخلاق العملية :

قلنا في صدر المقال اننا لن نتعرض الى فضائل الأخلاق ، لأننا نعالج الموضوع من جهة نفسية . ونعود الآن فنقرر أننا لا نريد أن نتعرض لها تحت هذا العنوان ، انما نريد أن نتعرض هنا لحلقتين عمليتين ، قد لا يكونا من الأخلاق الفاضلة في نظرنا نحن الشرقيين ، وإن كانا عند أهل الغرب من أمهات الأخلاق وهما : (١) الاعلان (٢) انتهاز القرض . ويمتاز بهما دائما الرجل الناجح في هذا العصر .

لم تتجمل العصور القديمة فن الاعلان ، ولكنه كان وفقا على الملوك ورجال الدين . والطبقة الارستقراطية ، فالتمائيل القائمة والدور الشاهقة والمعابد والقبور

والمسلات والاهرام كلها تبطن معنى من معاني الاعلان ؛ ونجد في العصور الوسطى بعض دول الاسلام يعنى بالدعاية والاعلان للدين والدولة وينصب لذلك وزيرا للدعاية (داعى الدعاة) ، نخص بالذكر منها دولة الفاطميين بمصر . ولكن الاعلان في أقوى صورته انما عرف في العصور الأخيرة بفضل انتشار الطباعة والصحافة والسينما والمذياع وغير ذلك من الآلات الناقلة للأفكار .

وأسباب الاعلان وبواعثه « تنازع البقاء » ، وان شئنا أن نفصل هذا المبدأ الداروينى في هذا المقام قلنا إنه المنافسة وكسب المال أو الشهرة أو الجاه أو السلطان . وقوام الاعلان عادة « الإلحاح » و « المبالغة » ، فان التكرار يحدث عادة أو ألفة بالشئ أو المبدأ المعلن عنه فتقبله النفس راضية من غير مقاومة ، وبدون هذا الإلحاح لا يمكن أن يثمر الاعلان ، أما المبالغة فهي وإن كانت مذمومة عندنا نحن الشرقيين إلا انها معمول بها في بلاد الغرب ، فكل اعلان لا يتطوى على مبالغة لم يجتذب أحدا ولم يثر اهتماما ، ولكن المهارة عندهم هنا أنهم يبالغون فعلا ، ولكنهم لا يشعرون القارئ أو السامع أو الناظر الى الاعلان بتلك المبالغة .

والغرض من الاعلان - وهو بيت القصيد هنا - هو بسط نفوذ الشخصية الفردية (أو المعنوية طيبة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية . الخ) على أكبر عدد ممكن من الناس ، لأن الاعلان في حقيقته « اقناع » يقوم على الإلحاح والمبالغة ، وقد رأينا سابقا الى أى حد يتوقف النجاح في الحياة على فن الاقناع .

والرجل الحديث الذى يمثل روح العصر يقدر الاعلان حق قدره ، وهو يضخى بأعز ما لديه في سبيل الاعلان والدعاية لشخصه أو صناعته أو فنه ، وهو واثق بعد هذه التضحية بأنها ستعود عليه بأضعافها . فالاعلان عدة لنجاح الرجل في القرن العشرين ، وهو من أخلاقه العملية التى تجرى في دمه وعروقه .

كذلك من أخلاقه العملية انتهاز الفرص ، والفرص قلما تعود ؛ لذلك فهو يترقبها ويتصيد هاتحي إذا لاحت لم تغفل من يديه . وقبلها يفشل العمل المناسب لظرفه . والآن نستطيع أن نجمل ما تقدم كله في هذه الكلمات : عدة النجاح لرجل القرن العشرين ، هي عقلية علمية عملية ، ونظرة كمية إلى الأشياء ، وشخصية تستطيع أن تقنع وتكفي في سرعة ، وخلق ييسر له الاعلان وانتهاز الفرص . ونحب أن نلاحظ أخيرا أننا لم نصف المثل الأعلى الذى تتخيله لرجل القرن العشرين ، أو الذى نحب أن نرى عليه رجل هذا القرن ، لأننا لو كنا فعلنا ذلك لانتهينا

إلى نتائج غير تلك ، وخاصة من الناحية الخلقية ، وإنما وصفنا الرجل الحقيقي الذى يمثل القرن العشرين فى عقليته وخلقه . فإن بدأ هذا الرجل مادياً نفعية بعيداً عن الأخلاق التقليدية التى أورثنا إياها الآباء من جهة، والتى قومها الدين من جهة أخرى ، فأرجو ألا يحمل الذنب على وألا يضاف الذنب إلى ذلك الرجل ، فهو مضطر أن يتكيف بروح العصر لينال قسطه من النجاح ، وأنا مضطر أن أقف بوصنى عند الواقع المحسوس ، وألا أعدوه إلى المتخيل الموهوم . لذلك لم أسلك إلا الطريق العلمى الذى مكنتنى ، كما رأيت، من التعمق فى تحليل نفسية رجل العصر، ومن الوقوف على عناصر تلك النفسية التى لا تبدو للعين العابرة المجردة .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ حسين مؤنس

مهد لرسالته بالتحدث عما كان الناس فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يحسبون أنهم أدركوا الكمال البشرى أو اقتربوا منه على أقل تقدير ، وأنهم قد اتخذوا العدة لكل شىء، وأن العلم قد انتهى بهم إلى درجة من الارتياح والاطمئنان ، ولكن الحرب العالمية زعزت فى نفوسهم الثقة ، ونزل رجل القرن العشرين عن عرشه إلى الأرض ، وذاق مرارة الفشل والهزيمة واليأس والخيبة ، وانقضت الحرب بويلاتها ونيرانها ، وجلس من نجا من طوفانها يتأمل حاله وما انتهى إليه، فلم يلبث أن دب فى نفسه الشك فيما بين يديه ، وعاد إلى نفسه شعور البحث عن الكمال ، وعن عدد جديدة للنجاح ، فلم يعد التقي والصلاح والزهد مقياس النجاح ، بل لم يصبح المال مقياساً صالحاً فهناك الآلاف يشقيهم المال ويملاهم هما وتعباً .

ثم انتقل إلى التحدث عن عدة النجاح لرجل القرن العشرين، فقال: لا بأس أن يكون الإنسان الناجح هائلاً مطمئناً هادئاً ، له عمل ينصرف إليه ويخلص له يؤتيه من الربح ما يسد حاجته من المال ويجعله فى مأمن من نكبات الدهر وأحداث الزمان . ولا بد أن يكون عضواً نافعاً فى الهيئة التى يعيش فيها ، وفيه شىء من المنفعة للناس والوطن ، وجانب يستفيد منه أخوانه فى الوطن وزملاؤه فى الإنسانية ، ويكون فى نجاحه خير للوطن ، وأن يعتبر هذا النجاح ملكاً للوطن يضحى فى سبيله إذا

تطلب الأمر ذلك .

وأن يعرف أن للرياضة البدنية حسنات على الأخلاق بعد البدن ، فقوة الجسم توحى بقوة الخلق ، والرجل الصحيح أميل إلى الخير ، والرياضة تغرس في النفوس حب النظام والميل إلى الحركة والعمل ، وهي تمرين طيب على الصراع في الحياة والزول في ميدانها ، ويفيد يقظة في الحياة وسرعة إلى انتهاز الفرصة وخفة في العمل واحكاما في الأداء ومثابرة في الطلب وثقة في النفس .

وأن يكون مؤمنا لا يتسرب أى شك في إيمانه بالله ، فان الايمان أساس من أسس النجاح ، ويكون مؤمنا بالنفس وبالوطن وبالخير ، ذا شعور بالمسؤولية والاستعداد لحملها وحسن القيام بها ، فيطالب بالنجاح لأنه يرى أنه جدير به .
وأن يكون متفائلا حسن الظن بالدنيا وأهلها يستقبل الحياة فرحا مستبشرا ويسايرها لا يتأفف ولا يشكو ، فلم تعد الدنيا تحتل سخافات الغاضبين عليها والساخطين بشرها .

وأن يلم من كل شيء بطرف ، بجانب ما تخصص فيه ، فيعرف ما يكفيه لأن يتحدث في الأدب إذا جالس الأدباء ، وما يمكنه من الفهم إذا تحدث أمامه رجال الراديو ، وأن يفهم الشعر ويتذوقه ، ويألف الفلسفة ويلم بها الماما ، وهكذا يكون اجتماعيا يدرس في الحياة أكثر مما يدرس في المدرسة والكتاب .
ويجتهد في أن يحصل كثيرا من المعلومات ، مما يتصل بالحياة ، فيعرف البارزين من رجال دولته ويلم بأعمالهم ، ويتتبع سياسة الدنيا عن كسب ليعرف كيف تسير الدنيا .

وأن يتوفر على فهم ناحية الاقتصاديات ، فيعرف أنظمة البنوك ويحيط بعملياتها ومهاتها ، كالإيداع والتحويل والخصم والقطع والأسعار ، ويتقن أنظمة التأمين وأساليب الربح .

وأن يكون رجلا عمليا لا ينفق وقته في طول التفكير والتدبير ، ولا يرسل نفسه مع الخيال يطوح به في سماوات الآمال ومذاهب الأمانى .
وأن يتبع الدقة والنظام في كل شيء ، في العمل ، في الأكل ، في التنزه ، في الضحك ، في الكلام . . .

وأن يكون ذا رأس متزن ، فان الرأس المتزن سر من أسرار النجاح ، ومعناه القدرة على فهم الأمور ومجاراتها والاستفادة منها ، والاستعداد للفهم دائما

إذا لم يتحدث في علم صمت ليتعلم ليفهم ، وإذا أشكل عليه أمر لم يأس ويرتد ، بل يزن الأمر في رأسه ويدقق فيه حتى يخلص له ، ويقابل الأمور بصراحة ولا يخدع نفسه أو يغرر بها ، ولا يهرب من الواقع ولا يتعدى العمل .

وأن يكون رجلاً « مغامراً » لا يخاف الحياة ولا يتوقع الفشل في كل خطوة يخطوها ولا يؤمن بالسير البطيء المشد وانما يفضل القفزات السريعة الطويلة ، وليس معنى هذا أن يكون متهوراً ، بل يفهم بالضبط مدى المغامرة التي سيلقى نفسه بين أحضانها ، ويدقق قبل أن يعقد الصفقة التي أمامه ، فإذا رسخ له نجاحها لم يكن هناك محل للتردد ، بل يتقدم وانما مطمئناً .

وليصرف همه إلى تعلم لغة من لغات هذا العصر ، يدرسها دراسة وافية ويحرق الحديث والكتابة والقراءة بها ، حتى يستطيع أن يطل منها على القرن العشرين ، ويفهم أبناء عصره إذا تحدثوا ، ويفهمه أبناء عصره إذا تحدثت .

ولا يذهب نفر من لا يفهمون الأمور على وجهها الصحيح إلى أن عدة النجاح لرجل القرن العشرين انما هي الخداع والكذب والحيانة وترك الفضيلة وازدراء الأخلاق والتقاليد ، فليس أبعد عن الصواب من مثل هذا الرأي : فالفضائل لازالت محبة مؤيدة إلى النجاح ، والذائل مكروهة مؤيدة إلى الفشل ، ونجاح من الأخلاق لهم قصير العمر لا يلبث أن تعصف به الايام في لحظات ، لأنه نجاح طارئ أقي بغير اقتدار ، وليست له عدد تؤيده ولا مقومات ينهض عليها ، وصاحبه إذا كان قد أصاب المال والجاه فقد أعز ما في الحياة ، فقد السمعة والضمير والاحساس ، فقد حب الناس وهو جانب من النجاح يحرص عليه رجل القرن العشرين .

ثم ختم بحثه بإيراد عدة الرجل الناجح كما رآها ابن المقفع ، وهي :
من حاول الأمور احتياج فيها الى ست : العلم والتوفيق ، والفرصة والأعوان ، والأدب والاجتهاد .

وهن أدواج :

فالرأى والأدب زوج ، لا يكمل الرأى بغير الأدب ، ولا يكمل الأدب بالارأى .
والأعوان والفرصة زوج ، لا ينفع الأعوان الا عند الفرصة ، ولا تتم الفرصة الا بحضور الأعوان .

والتوفيق والاجتهاد زوج ، فالاجتهاد سبب التوفيق ، وبالتوفيق ينجح الاجتهاد .

ملخص رسالة الأستاذ فهم حبشى

تحدث عما يتميز به القرن العشرون من التخصص والسرعة والعلوم والفنون والصناعات ، وأن الفرد لا ينجح فيه إلا إذا أعد له عدته ، وتسليح بكثير من الأسلحة التي تعينه على البقاء وتكفل له الفوز ، وأن النجاح هو الغنى لا الفقر ، والشهرة لا الضعة ، والقوة لا الضعف ، والصحة لا المرض ، والسعادة لا الشقاء ، وإدراك النجاح في تناول الجميع إذ سعوا إليه ، وتفهموا أسرارهم ، وأدركوا قواعده وأصوله ، وقد خلق الله كل فرد ليؤدي في الحياة رسالته ، وفي وسع كل شخص أن يقوم بجلال الأعمال ، وقواعد النجاح ثابتة لا تتغير ، وأسارته هي : ١ - الدراسة النفسية ، لمعرفة القوى الكامنة والمواهب الخفية التي تبعت بالثقة ، والايحاء الذاتي وقوة الإرادة ، فيخلق المرء في ذهنه صورة كاملة من غرضه الذي يسعى إليه ، ثم يعمل على تحقيق هذا الغرض مادياً بما يراه كفيلاً لذلك ، بنفس وثابة وعزيمة ثابتة .

٢ - الصحة ، فالعقل السليم في الجسم السليم .

٣ - العلوم والثقافة ، فالرجل الناجح هو ذو الثقافة المتجددة ، ويزداد نجاحه تبعاً لازدياد معارفه ، ويخطئ من يظن أن إجازات الجامعات كافية للنجاح ، فشهادة الدراسة غير شهادة الحياة ، ويبدأ التعليم الحقيقي للفرد بانتهاء تعليمه الجامعي .

٤ - الأخلاق ، فالخلق ناجح الحياة ، وعظمة النفس ، وهو فوز الإرادة على الأهواء ، ومقياسه ألا يعمل الإنسان في السر ما يستحي منه في العلانية .

٥ - الاخلاص في العمل ، فحب العمل والثبات في اتقانه يتبعهما النجاح وبرز الشخصية ، وزيادة الموارد وقوة النفوذ .

٦ - البيت والأسرة ، فللحياة البيتية الأثر الكبير في حياة الفرد ، فهي إما أن تضاعف قواه وتزيد من همته ونشاطه ، وإما أن تذهب بها جميعاً ، وسر القوة في الرجل الناجح ليست في عقله فقط ، ولا في ماله ، وإنما تتمكن في قلبه ، وقلب الرجل في منزله ، والنجاح في المدرسة وفي العمل وفي الحياة العامة ، يتوقف على

الهناء فى الحياة العائلية .

وختم ببحثه بأن مذكوره هو عدة النجاح لرجل القرن العشرين .
ثم تحدث عن الحظ فقال لم يكن الحظ ولن يكون عاملا من عوامل النجاح ؛ وإنما حظك بيدك ؛ ونجاحك نتيجة حتمية لما بذلت من جهد ، وما قاسيت من عناء .
والنجاح المفاجيء قد يظنه الجاهل حظا ؛ وما هو إلا فرصة سنحت فانتزها
الناسح وانتفع بها ، نتيجة لمجهود كبير واستعداد خاص ؛ وقد تمنح الفرصة نفسها
لغيره فلا يعنى بها ولا ينتبه اليها .
والحقى هم الذين يعيىون على الناس نجاحهم ؛ وينسبون هذا النجاح الى الحظ ؛
ليتنذروا من ذلك عذرا يعتذرون به عن فشلهم الذريع وخلعهم الناقص .
وعندى أن كل عمل تقوم به عن نية خالصة ؛ وقلب صادق ؛ وعزيمة ثابتة
لا بد أن يكلل بالنجاح .

(٧)

الموضوع السابع

تدعيم الحياة الدستورية والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى المستنير

* * *

(رأت اللجنة أنه لا يوجد بين الموضوعات التى قدمت اليها ما يستحق
أية جائزة ، فقررت عدم منح الجوائز)

(٨)

الموضوع الثامن

ترقية الفلاح اجتماعيا

اجتمعت اللجنة بكامل هيئتها ، وحضرت الموضوعات التى تقدمت
اليها وعددها ١٦٧ ، ووالت اجتماعاتها حتى أتمت دراستها ، ولاحظت
اللجنة أن ضيق الوقت لم يساعد على درس هذا الموضوع الخطير وبحشه
من جميع نواحيه بحيث يشمل استخلاص أسباب انحطاط الفلاح وطرق

علاجها على نمط شامل يصح تنفيذه .
لذلك اختارت من بينها أمثلها وأدناها الى تحقيق الغرض المطلوب،
وقررت أن تمنح الجوائز الى أربعة ، وهم :

جنيها

٥٠

١ - الأنسة ابنة الشاطيء

٢٥

«صحفى»

٢ - الأستاذ عبد الوارث كبير

٢٥

المحامى

٣ - « عزيز خانكى بك

٢٥

«صحفى»

٤ - « يوسف فهمى

رئيس اللجنة

(محمود عبد الرازق)

٢٣ ابريل سنة ١٩٣٦

(١)

رسالة الأنسة ابنة الشاطيء

نبذة تاريخية :

فكرة الاصلاح الاجتماعى ليست وليدة هذا العام ، وإنما هى رغبة قديمة ظلت
لا تعدو دائرة الاحلام حتى تحققت أخيرا على يد دولة على ماهر باشا ، وهو أحق
الناس بتحقيق الفكرة وأقدرهم على حمل الرسالة ، وما كان لهذه الرغبة أن تموت
ومصر أمة تعتمد فى ثروتها على الزراعة ، وترى فيها الحرفة الرئيسية لثلاثة ملايين
ونصف مليون نسمة من رجالها ، وما كان لهذا الأمل أن يخيب وحياة مصر تكمن
فى الأرض التى قال عنها المرحوم حافظ ابراهيم : « ونحن نمشى على أرض من
الذهب » .

أدرك المصريون هذه الحقيقة منذ آلاف من السنين ، فكانت العناية بشؤون
الرى موضع اهتمام الحكومات دائما ، وكان بناء القناطر والسدود وحفر الترع
سياسة أساسية عند كثير من الفراعنة فحول مينا مجرى النيل قرب منفيس فى القرن
الثالث والثلاثين قبل الميلاد ، وأنشأ امنمحات الثالث خزان بحيرة موريث فى القرن
التاسع عشر قبل الميلاد ، وأدخل المغفور له محمد على باشا زراعة القطن والقنب

سنة ١٨٢٠ م ، ثم شرع في بناء القناطر الخيرية في أواخر عهده . وفي سنة ١٨٥٢ م أصدر المغفور له سعيد باشا قانون الأراضي الشهير الذي أصبح به الفلاح لأول مرة ، المالك الحقيقي لما يفلحه من الأرض .

وحفر المغفور له اسماعيل باشا كثيرا من الترع والقناطر ، وأصلح من الأرض ما لا تقبل مساحته عن مليون ونصف مليون من الأقدنة . ثم أنشئ خزان اسوان سنة ١٩٠٢ م لتعقبه مشروعات الري العجيبة التي تمت في عهد جلالة مولانا الملك فؤاد الأول حفظه الله . وفيما عدا مشروعات الأراضي ومشروع دولة محمد باشا محمود سنة ١٩٢٩ ، لانكاد نجد بين المشروعات التي تمت في خمسة آلاف سنة ، مشروعا جديا يتناول حياة الفلاح بالاصلاح ، وينهض بها إلى مستوى معقول ، فكانت النتيجة الطبيعية المعقولة لهذا التغافل ، أن ظل الفلاح قرونا عدة يرزح تحت أعباء ثقال من انحطاط يصعب وصفه وتصوره .

لقد قدس أجدادنا ماء النيل ، فنسوا اليد العاملة التي تستغل الحياة الكامنة فيه ، كما ألهمانا السحر العجيب الذي ينفته النهر في صميم الصحراء الملتبته فيجعلها جنة ناضرة ، عن المخلوق المجاهد الذي أظهر عظمة النيل ، وأتاح السبيل لتحقيق معجزة وجود الجنة المصرية بين ذراعين ملتبتهين من الرمال التي تغلي الدم وتصر العظم ، وفي مثل هذا يقول العلامة الألماني فريد ريش آرابو : «لقد تعودنا أن نفرض لخصوبة الأرض المكانة الأولى في تحديد الانتاج ، أما حياة الفلاحين ، وقوتهم التي لا تنتج الأرض بدونها محصولا مهما حسنت ، فانتا ننزلها جميعا في المرتبة الثانية من التفكير . » (١)

واليوم . . . يتحرك قلم التاريخ ليسجل أن الحكومة الماهرة تعمل على اصلاح الفلاحين لتتيح لهم حياة ممكنة معقولة ، وأنه قد آن لتلك الفئة الشقية المجاهدة أن تظفر بنصيبها من الحياة .

أثر انحطاط الفلاح في الأمة :

وأثر انحطاط الفلاح في الأمة واضح ، فمن غير المعقول أن تنهض مصر الزراعية وفي جسمها هذه الاعضاء المريضة المهذمة ، وأن تسير القافلة وفيها بضعة ملايين من القرويين ، يحيمون حياة مظلمة ، أخشى أن نصبح ونمسي فاذا بها تحمل العوامل الهدامة في مجد مصر الذي قام على أسنة القموس .

(١) تطور الزراعة وارتقاؤها .

نفس هذا الاثر ، في ضعف اليد العاملة وقلة الانتاج والزواج إلى المدن ، فالفلاح يذل في عملية زراعية من الجهد ، أضعاف ما يبذله فلاح قوى صحيح الجسم ، فليس عجيبا أن تستورد مصر الزراعية في سنة واحدة - ١٩٣١ - دقيقا بمبلغ ١١٦٧٠٠٠ جنيه وأرزا بمبلغ ٢٥٨٠٠٠ جنيه ، وقحا بمبلغ ٢١٥٠٠٠ جنيه ، وجنا بمبلغ ٣٠٥٠٠٠ جنيه ، وسكرا بمبلغ ٣٨٠٠٠ جنيه ، وهي محاصيل زراعية كان في استطاعة الفلاح أن يمدانها لو أنه يحيا حياة صالحة ، وليس عجيبا أن ينزع الفلاحون إلى المدن وفيها عيش وماء نقي وهو ميسور ، ولقد سجل التعداد الأخير أن سكان الحضر يزيدون على حساب سكان الريف بنسبة تسترعى النظر ، وتستدعى ضرورة اتخاذ الوسائل لتلافي ذلك ، فقد زاد عدد سكان القاهرة وحدها ٢٧٣٦٢٨ نسمة في عشر سنوات (١٩١٧ - ١٩٢٧) منهم ٧٦٧٠٧ نسمة نشأت عن زيادة المواليد ، والباقيون وعددهم ١٩٦٩٢١ نسمة نزحوا إلى الحضر الذي لا يتحمل الزيادة حيث يحترفون أحقر المهن وأبسطها ، يدللون الأطفال ، ويخدمون في البيوت ، ويبيعون ورق النصب ، تاركين الأرض المحتاجة إلى سواعد أبناء الريف الأشداء .

نواحي الانحطاط :

وليس من العسير علينا أن نمتدى إلى نواحي الانحطاط في القرية ، بالرغم من تشعبها وكثرتها ، فالماء غير النقي الذي يغتسل به الفلاح ويشرب منه ، كما تشرب البهم والدواب ، يحمل إلى جسمه جراثيم أمراض تسلبه قواه ، والفلاح غالبا لا يعرف من الطعام الا ما يسد الرمق ، ولو لم يمد الجسم بحاجته من عناصر الغذاء ، ومن اللباس الا ما يستر العورة ، ولو لم تكن له النظافة الواجبة للإنسان ، ومن المسكن الا المكان الضيق المظلم الذي يأوى إليه هو وأولاده ودوابه جميعا ، ولو لم يتوافر فيه ما يجب للسكان من ضوء وهواء نقي واتساع ، ثم هو بعد ذلك جاهل تسأله متى ولد فيجييك : « يوم مات عمي فلان ! » ، ينحصر تفكيره في النيل وحاصلاته ، ويكاد يحيا بعيدا عن مجرى الحياة المصرية ، يعتنى في التعاويد ، ويؤم بالخرافات ، ويتخذ إلى رغباته وسائل خرافية ، ويصاب طفله بالمرض فيقول إن أصابته ناشئة من الجن أو الحسد .

برنامج الإصلاح :

الآن وقد بسطنا نواحي انحطاط الفلاح ، ننتقل إلى البحث في رفع مستوى

معيشة الزراع ، وهى مسألة تقتضى تعاون الأمة ، حكومة وشعبا ، على تمهيد حياة صالحة للفلاح الشقى المجاهد .

فتعمل الحكومة على زيادة انتاج الفلاح عن طريق النهوض بصحته ، فتقننه من المياه الملوثة ، ولو كلفها ذلك انشاء مضخة بسيطة فى كل قرية ، تمد الفلاح بماء نقى يقيه شر الحيات والأمراض ، وتردم البرك والمستنقعات التى تحمل عوامل الفتك بالفلاح المسكين ، وتندرج فى تعميم المستشفيات القروية لأن النهوض الاجتماعى للفلاح لن يقوم إلا على أساس متين من حياة صحية ، وهذه حقيقة أحرص بها دولة محمد باشا محمود فتحها من عنايته واهتمامه ما سوف يذكره له التاريخ فى عهد وزارته سنة ١٩٣٩ ، وضع دولته برنامج الاصلاح الصحى فى القرى ، ثم شاء سوء حظ الفلاح أن يحفظ البرنامج بعد استقالة الوزارة المحمدية ، ولو قد نفذ لتمهدت للفلاح حياة صحية ولخف عبء الاصلاح الآن ، والرأى عندنا أن تشجع الحكومة بناء المساكن الصحية بأن تمنح كل فلاح ، يريد بناء دار جديدة ، قطعة أرض من أملاك الدولة القريبة من قريته ، مساحتها أربعة وستون مترا ، ويشترط فى هذه المنحة ، بناء الدار طبقا لتعليمات صحية خاصة ، وتكون القائدة أعم ، لو اجتهدت الحكومة فى جعل المساكن الجديدة متقاربة ، بأن تخصص قطعة من الأرض لمشروع المنحة ، لكل عدد قليل من القرى المتقاربة ، فإن لم يكن للدولة أملاك فى منطقة ما ، يخصص مبلغ أربعة آلاف جنيه سنويا ، لشراء ستة وسبعين فدانا ثمن الفدان أربعة وخمسون جنيها فى المتوسط ، تخصص لبناء خمسة آلاف مسكن جديد ، (لكل مسكن أربعة وستون مترا مربعا) زيادة على الأرض التى تمنح للفلاحين القادرين على البناء وتكون من أملاك الدولة .

وفى الوقت الذى تصلح فيه القرى الحالية ، نوجه أنظارنا الى انشاء قرى جديدة فى المناطق البور التى يجرى اصلاحها الآن فى شمال الدلتا ، فهى المنفذ الوحيد لتخفيف الضغط عن الأراضى الزراعية المحدودة المساحة ، والتى يسكنها ٩٩ فى المائة من مجموع سكان القطر المصرى (١) ، ولتخفيف ضغط الهجر عن المدن الكبيرة التى تكاد تضيق بسكانها ، ولايجاد عمل منتج لآلاف القرويين ولثلاث الشبان المتعطلين . ويجب تسهيل الانتقال للفلاح وأسرته ومواشيهم الى المناطق الجديدة ، واعتبارا انشاء القرى الصحية جزءا من برنامج اصلاح الأراضى البور ، فإن

(١) تقويم الحكومة المصرية لسنة ١٩٣٥

هذه السياسة الانشائية ، تغرى الفرويين بالنزوح الى المناطق الجديدة ، حيث يحيون حياة غير الحياة التي يتخبطون في ظلامها الآن . ويتخلص جمال الريف فيها من شوائب القذارة والمرض فيغرى الأعيان المزارعين بالاقامة هناك ، وليس أدل على علاقة كمية الانتاج بحياة الفلاح من أن محصول القطن في تفتيش الفاروقية التابع للخاصة الملكية ، بلغ اثني عشر أردبا من القمح ، وثمانية قناطير من القطن .

وتشجيع الصناعات القومية القائمة على الزراعة . بحمايتها من المنافسة الأجنبية ، من شأنه انماء ثروة الفلاح حين يزداد الطلب على المحاصيل الزراعية ، ومتى توفر للفلاح شيء من المال ، بالاصلاح الصحي وزيادة الطلب ، استعان به على اصلاح حياته .

ويدخل في باب توفير المال للفلاح ، تخفيض نفقات الانتاج عن طريق تخفيف الضرائب وجعلها مرنة تخضع لظروف الزمان والمكان ، وتسهيل وسائل نقل الحاصلات الزراعية بتخفيض أجور النقل وإيجاد أسواق خارجية لها ، لأن ربيع الأقطان لم يعد كافياً لتكاليف الزراعة ودفع الأموال الأميرية . ونفقات الفلاح وعائلته ، وهي حالة أليمة وصفها مزارع في نكتة بارعة حين كتب إلى وزير المعارف يستعطفه في قبول ابنه مجانا فقال : « انني أعول خمسة أولاد وخمسة أفدنة . »

ومن وسائل تخفيض نفقات الانتاج ، تعميم الجمعيات التعاونية وتشجيعها ومساعدتها بالقروض الطويلة الأجل المعتدلة الفائدة ، فالتعاون هو سر غنى الدانمرك التي ضنت عليها الطبيعة بأسباب الرخاء ، فهي خالية من الفحم والمعادن وأحجار البناء والأنهار الصالحة للملاحة والقوة المائية ، وترتبتها في الجملة ليست خصيبة ، ولكنها احتالت على فقرها بالتعاون فكان لها نعم المعين . تستطيع الجمعية التعاونية أن تجمع الأموال وتشترى الآلات الزراعية وتجمع غلات أعضائها وتبيعها صفقة واحدة في أنسب الأوقات ، وتشترى البذور بسعر الجملة وتوزعها عليهم ، وفي هذا ما فيه من انماء ثروة الفلاح .

والفلاح لا يذله الاضيق ذات يده ، فلو استطعنا أن نزيد في انتاجه ، ونخفض نفقات ذلك الانتاج ، وتوفير له شيء من المال شعر بإنسانيته ، وتسامى الى حياة أنظف وأهنأ من حياته الراهنة .

وللتعليم الزراعي أثر كبير في النهوض بالفلاح ، ونحسب أنه قد آن الأوان

لكني نهم به ونشر ثقافته في مصر الزراعية. وليس من شك في أن مدارس الزراعة الحالية ، فضلا عن ثقافة عددها ، لا تخرج لنا فئة من الزراع المثقفين ، بل يتطلع طلبتها جميعا للاستخدام في الحكومة ، فهم يلتحقون بها بعد اتمام الدراسة بالمدارس الابتدائية التي قال عنها مترمان : « انها تثقف تلاميذها تثقيفا نظريا ، وتكسبهم عادات المعيشة في المدن ، وهذا مما لا ينشط على الاحتراف بالزراعة » (١)

ومن أبسط الطرق العملية لنشر الثقافة الزراعية في القرى بتوفير برامج المدارس الالزامية في القرى وجعلها مكاتب زراعية أولية ، يراعى فيها تقارب بيتي الدار والمدرسة ، فلا يكلف الصبية لباس خاص ، بل يكتفى منهم بالنظافة ، وفي هذه المكاتب يكون منهج الدراسة ذا شعبتين ، الأولى نظرية يتعلم الصبي فيها القراءة والكتابة والذين ومبادئ الحساب ، ويتقوم بتدريس هذه المواد مخرجو مدارس المعلمين الأولية ، والشعبة الثانية عملية توجه الصبي توجيها زراعا صالحا بدرس أراضي مصر وجوها ومناسبتها لنمو الحاصلات ، والآلات الزراعية وكيفية استعمالها ، وتغذية المواشي وانتخابها ، وتخزين المحصول ، والصناعات الزراعية ، ويقوم بتدريس هذه المواد الحاصلون على شهادة الزراعة المتوسطة .

وتدرس الفتاة القروية ، الطرق الصحية النظيفة لحلب اللبن وتخمره وصناعة منتجاته ، وتربية الطفل ، وتربية النحل ودود القز والماشية ، وبعض الصناعات الريفية الراححة . أما مادة علم الصحة فتدرس عمليا بحيث تتناسب درجات التلاميذ فيها ، مع نظافتهم الشخصية لا مع قدرتهم على الحفظ . وتبقى المدارس الالزامية في المدن لتتد تلاميذها للمدارس التحضيرية ومدارس المعلمين الأولية . أما في القرى فهي فضلا عن كونها نظرية محضة ، تبث في الطفل القروي روح الغرور ، وتغريه ببغض الفلاحة والتطليع إلى مدارس المعلمين ، مادام يعرف تاريخ الاسكندر الأكبر وحياة الاسكيمو !

والارشاد المنتج وسيلة محققة الفائدة لترقية الفلاح ، ولن يكون الارشاد منتجا الا إذا سهل على الفلاح فهمه وتنفيذه ، فبجانب طرق الارشاد التي تتبعها وزارة الزراعة ومصلحة الصحة ، تضع مصلحة الشؤون القروية نظاما خاصا للاذاعة في القرى ، يراعى فيه جهل القرويين وكثرة مشاغلهم ، وتلقى بوساطته محاضرات بسيطة في الارشاد الزراعي والصحي ، مع شيء من الأغاني الريفية

(١) تقرير عن بعض نواحي التعليم في مصر

والقصص السهلة المسلمية : والقرآن الكريم ، فيتطلع الفلاح إلى حياة أخرى ،
ويمتثل على تحسين طعامه بالاكثار من أكل الخضراوات النظيفة والفواكه الرخيصة
الثلث : ويتقى الأمراض والحشرات بتعريض الفراش والملابس لأشعة الشمس
الطاهرة ، ويهتم بنظافة جسمه وثيابه ومنزله ، ويمتثل على ترقية المياه بالزير
أو الغلي أو الارساب حتى يتم للحكومة توفير المياه النقية في القرى .

وتستطيع الحكومة أن تنهض بالقرية عن طريق بث روح النشاط فيها ،
فتختار بعض القرى لإنشاء معامل الألبان والتفريخ ، ومصانع تجفيف الفواكه
وعمل الصلصة والمرببات ، ويفرض على عمالها وموظفيها أن يقيموا في القرى
ليعيشوا فيها روح النشاط ، ويكون منهم ومن أسرهم عنصر جديد في القرية ،
يهذب خشونة الحياة فيها .

على أنه ليس من الهين على الحكومة أن تقوم باصلاح القرية: وكل ما فيها يحتاج
إلى الاصلاح ؛ ولكن تعميم المجالس القروية من شأنه تخفيف العبء والمساعدة
على ترقية الفلاح ، وتمتاز المجالس القروية عن الهيئات الحكومية بأنها مركزية ،
تعرف من شؤون القرية ونواحي الانحطاط فيها مالا يتيسر للحكومة معرفته ،
فهى بحكم اتصالها بالقرى ، أقرب إلى فهم الفلاحين وأقدر على إصلاحهم .
وللدولة أن تنفع بنشاط الجمعيات الزراعية في مصر ، فتغريها بالمساهمة في
ترقية الفلاح ، عن طريق الاعتراف لها بالشخصية المعنوية ، وتقدير رجالها
العاملين .

واجب كبار الملاك :

لن تستطيع الحكومة أن تقوم بالاصلاح في ضياع الملاك ، والفلاح هو اليد
الوحيدة التى تحمل أراضيهم الزراعية باذن الله ذهاباً نضاراً يتيح لهم ما ينعمون به، وكان
يجب ألا يشقى فى أمة زراعية ، لولا أن كبار الملاك يفرون من القرى ويتغافلون
عن واجبه نحو الفلاح .

قبل أن يشهر «موسولنى» الحرب على الأراضى البور فى بلاده ، وقف يقول:
« ستفقد الدولة ملايين الجنهيات، وتستخدم مئات الألوف من العمال، فهذه الجهد ويجب
أن تقابل بمجهود مثله من الأهالى، لأنه لا يلقى بهم أن يقفوا جامدين أمام جهود
الحكومة . فإذا ما ثبت أن صاحب الأرض عاجز مالياً عن القيام بعملية الاصلاح،
تمده الحكومة بالمال اللازم بفائدة معتدلة ، وعلى أقساط متباعدة »

مضى شرعت الحكومة في تنفيذ برنامج الإصلاح ، كان من حتمها ومن حق الفلاح على كبار الملاك أن يقوموا بإصلاح ضياعهم ، فالملكية العقارية أخذت تتحول شيئاً فشيئاً عن صفتها كحق شخصي للفرد ، لتصبح وظيفة اجتماعية ، وواجبا على الفرد نحو الجماعة ، وقد سبقني إلى هذا الرأي حضرة الأستاذ عبد الرحيم بك غنيم حين قال في محاضراته عن ملكية الأفراد والمصلحة العامة (١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣١) : « حائز الثروة أصبح بحكم حيازته لها قادراً على أداء خدمة لا يستطيعها سواه ، فهو وحده القادر على إعائها ، ولهذا الاعتبار لآمانع من تدخل الشارع في حرية المالك كما حصل في فرنسا بقانوني ٦ من أكتوبر سنة ١٩١٦ ، ٤ من مايو سنة ١٩١٨ . وقد اعتبر شراء الأراضي وتركها بوراً ، لغرض المضاربة ، جريمة » وهي القاعدة التي اتخذها الشارع الايطالي أساساً لأجبار الأهل على إصلاح ضياعهم وأراضيهم البور .

في استطاعة كل مالك ، أن يبت في قريته روح النظافة والرقى ، وأن يهيئ لمزارعيه حياة صالحة ، إذا تنازل عن بعض دخله من الضيعة ، لينفق في إصلاح الاجسام المهذمة التي تخدمه وتحصل له ، ويمد آلاته الآدمية بالقوة والنشاط ، فيزيد إنتاجهم وتنمو ثروته .

إن من مصلحة المالك ، وكل مقيم في هذه البلاد ، أن يكون الفلاح ، كما قال سعادة وزير المالية : « بعيداً عن أحضان اليأس ، وألا تبدو عليه علامات السخط » ، إذ أن جهوده هي وحدها مصدر الخير والبركة للجميع ، فمن حقه إذن أن ننمحه العطف ، وأن نهبه العناية الكفيلة برخائه .

والمالك مطالب أدياً بالاشراف على حياة مزارعيه ، يزور دورهم ويتصل بهم اتصالاً مباشراً ، ويرودهم بالنصائح السهلة ثم يراقب تنفيذها ؛ والمتعللون مطالبون بمثل هذا في قراهم ، لأنهم أقرب إلى قلوب الفلاحين من الموظفين والملاك ، فيقاومون الخرافات والأوهام السائدة في القرى ، ويرشدون الفلاح إلى الحياة الصالحة بالنصائح والقدوة الحسنة .

ويؤدي الاتصال بالفلاح إلى نتيجة أخرى ذات أثر كبير في النهوض به ، وهي إشعاره بعدم حقارة مهنته ، فلسنا نقالي إذا قلنا : إن الفلاحة ينظر إليها في مصر كهيئة حقيرة ، مع كونها المهنة الرئيسية في البلاد ، نشأت هذه الفكرة عند الفلاح لشعوره باحتنازنا الفلاحة ، وفرارنا من الريف ، وهو وإن بقي في القرية لا يكاد

يشعر بما يجب عليه نحو نفسه من نظافة واهتمام ، وكأنما ألهاه شعوره بحقارة مهنته عن الشعور بالإنسانية .

إن أبناءنا في الغد القريب سوف يضطرون إلى الاحتراف بالزراعة ، لأن التعليم النظري لن ينجح مادامت مئات الألوف من الطلبة فيه يطمعون في الوظائف التي لن تتسع لكل متعلم في البلاد ، فواجب أفراد الطبقة المستتيرة المتصلة بالفلاح ، أن يمنحوه شيئاً من عطفتهم وتقديرهم حتى يشعر بالإنسانية ، ويجتهد في تهذيب حياته الخشنة المطلوبة .

وبعد فيقتنى أن الفلاح إذا أتيحت له حياة معقولة بتوفير المال له ، ونشر الثقافة الزراعية في القرى ، ونقل بعض النشاط إليها ، وتعميم المجالس القروية والجمعيات التعاونية . إذا تم ذلك كله فسوف يتطلع الفلاح إلى الثور ، ويؤمن بحق لنا أن ننظر إلى المستقبل نظرة الثقة والاطمئنان ، مادامنا قد أقمنا نهضتنا الزراعية على أساس من إصلاح الفلاح ، ويؤمن بثبوت رغ من الريف أشعة القوة والمجد والثراء ، تعمز الوادي كله مؤذنة بانطلاق فجر النهضة من جديد ، ومبشرة بيوم صحو جميل ، والله ولي التوفيق .

(٢)

ملخص رسالة

الأستاذ عبد الوارث كبير

تلخص فكرته في أن « ترقية الفلاح » واجب اقتصادي ، كما أنها واجب إنساني ، وقد مهد لحديثه بذكر أخطار الهجرة الريفية إلى المدن التي تحرم الريف من خير أهله ، وتضيف إلى جيوش العاطلين جيشاً جديداً يهدد الأمن والنظام ، فترقية الفلاح واجب اقتصادي لا مفر منه لمصلحتنا نحن الذين نعيش على أكتافه وسواعده . ورأى لترقية الفلاح عدة نواحي : مادية وصحية وأخلاقية وعلمية ، لا بد من الاهتمام بها جميعاً .

فالناحية الاقتصادية تعالج بنشر التعاون وتنظيمه ، والنظر إليه كوسيلة لتضافر الجهود وإجادة الانتاج وانقاص النفقات وتبادل الثقة وتوحيد الجهود ، لا كنظام مادي محض ، ووسيلة للاستغلال الظالم .

وإصلاح القرية المصرية يجب أن يكون في مقدمة ما نعى به لترقية الفلاح ،

ويكون ذلك بهدم القرى الموجودة الآن تدريجياً، وتدبير قرى أخرى جديدة، تراعى فيها نظم التهوية، وكل ما يمكن توفيره من الوسائل الصحية، مع العناية بتطهير ماء الشرب، بإرشاد الفلاحين إلى وسائل الوقاية من الميكروبات التي يجعلها ماء الشرب، وتجهيز أحواض لترشيح الماء بخزونه فيها مدة كافية لقتل أجنة الجراثيم، ويدخل في الإصلاح الصحي ردم البرك والمستنقعات والاكتفاء من المستشفيات المنتقلة، والمجالس القروية، وتنظيم محاضرات صحية تلتقى في القرى والأرياف بواسطة الأطباء، أو معلمى المدارس الإلزامية، أو أئمة المساجد أو مندوبى المصالح وأما الناحية الخلطية والنمائية فأمرهين لا يكف الحكومة عشر ما يكلفها الإصلاح المادى والصحي، والتعاون وسيلة لهذا الإصلاح، وكذلك المحاضرات الأخلاقية المختارة، ولجان للمصالحات من أهالى كل قرية، وإنشاء نواد قروية متعددة. وأخيراً فنسهر فى القضاء على الأمية بإنشاء فصول ليلية فى المدارس الإلزامية للكبار من الأديين، أو تنظيم حلقات للتعليم عقب صلاة المغرب أو العشاء فى المساجد.

وختم بحثه بالتنبيه إلى وجوب إلغاء الامتيازات الأجنبية والتحرر منها، ليتوفر المال للمشروعات الريفية المرجوة

(٣)

ملخص رسالة

الأستاذ عزيز خانكى بك

تتجه فكرته الى أن ترقية الفلاح اجتماعياً منوطه بأمور جوهرية ثلاثة :

أولاً- تهئية الاسباب التى تسكفل الصحة له ولزوجته ولأولاده

ثانياً- » » » » له ولعائلته التربية العقلية والأدبية

ثالثاً- » » » » العيش فى شئ من الرخاء

فمن النقطة الأولى، يجب تنقية مياه الشرب « بنق طلبة أو طليبتين فى كل عربة، ودق الطلبة لا يكف أكثر من عشر جنيهات، ثم العناية بمسكن الفلاح الذى لا يدخله شمس ولا هواء، ثم العناية بملابس الفلاحين الرثة القذرة، وذلك بتزويدهم من تغيير ملابسهم ولو مرة كل أسبوع. » . وبلى ذلك وجوب العناية بأمور المأكل « فيبيض الذحاس ولا يشترى الماء كولات المكشوفة المعرضة للذباب »

مع عمل حمام للرجال وآخر للنساء في كل عزبة، وإنشاء مراحيض لكل من الجندين ، ومكافئة حفاء الأقدام ، ومحاربة الحكومة للحشرات والآفات « من طريق العناية بنظافة مساكن الفلاحين وملابسهم ، بتطهيرها من الفيران والبراغيث والقمل والناموس والذباب ، وردم البرك والآبار والسواقي المهجورة ، وتفهيم الفلاح أن الغبار والاتربة إذا دخلت أنوف الأولاد أو حلوقهم قتلت إليهم جرثيم السل الرئوي ، وإرشاد الأمهات (ولجبارهن عند اللزوم) ، على محاربة القمل من طريق دهن الرأس بالجاز وغسله بالماء الساخن والصابون ثم تمشيطة جيداً ، وإن لم تنفع النصائح والارشادات يكون تنفيذ كل هذا من طريق التشريع .

ويدخل في الإصلاح الصحي وجوب تحديد ساعات العمل ومكافحة الرمد وتوفير العناية للأمهات الحوامل ، والأطفال الصغار « بتعيين أطباء جواله يطوفون على العرب ويزودون الفلاحين بالمواظع والارشادات ، فإن درهم وقاية خير من قنطار علاج » وكذلك يحارب انشأى الأسود وتعدد الزوجات .

وعن النقطة الثانية ، يرى إنشاء كتاب في كل ناحية وجعل التعليم إلزامياً ، وتشجيع الفائزين بجوائز مالية أو أدبية ، « وليس من الغلو في شيء تخصيص جريدة يومية أو أسبوعية في كل عزبة ليكون الفلاحون متعلمين بسير الأحداث التي تجري في بلادهم ومتبعين أخبار الزراعة والتجارة وسائر الشؤون التي تهتمهم » ويعرف الفلاح حقوقه وواجباته ليدفع عنه ظلم الأضياء واستبداد الحكام ، ومنع الاعتداء على الفلاحين ، لأنه يقتل في نفوسهم كل عاطفة نحو وطنهم وأولياء أمورهم ، وتلقى نصائح دينية وأدبية على الفلاحين ولو مرة كل أسبوع ، ويقام مصلى في كل عزبة ، ويعمل على إزالة أسباب العداء بين العائلات ، ويمكن شبان الريف من زيارة المدن الكبيرة المجاورة لهم »

وعن النقطة الثالثة ، يرى إعفاء المكيمات الصغيرة - أقل من فدان - من الأموال الأميرية ، أو تخفيضها إلى الربع ، وتخفيض فوائد البنوك الفاحشة ، وترحيل الفلاحين من الجهات المكتظة بالسكان إلى الجهات الخالية ، وتوزيع الأطنان البور على الفلاحين وتمليكها لهم ، ومكافحة الحرائق واستيراد المواشي من البلاد المجاورة ثم بيعها للأهالي بالتقسيط ، وتخفيض إيجار الأطنان بحيث ينال الفلاح صافي ثلث خيرات الأرض على الأقل ، وتخفيض رسوم التقاضي الباهظة ، وتمكين المالك من استرداد ملكيته بعد نزاعها في بحر سنة مقابل رد الثمن والمصاريف ،

وتقرير إعانة للفلاح إذا عجز عن العمل : وتقرير معاش لزوجته وعياله إذا مات فقيراً . ويمكن توفير المال لذلك « بمخصم قرش من أجرة الفلاح كل أسبوع ويضاف إليه خمسة قروش كضريبة سنوية على كل فدان : وقرش صاغ عن كل قنطار قطن أو أردب قمح أو شعير أو ذرة الخ »
وختم بحثه بوجود العمل على إيجاد حزب للفلاح في البرلمان يدافع عن مصالحه الزراعية والمالية والصحية والأدبية .

(٤)

ملخص رسالة

الأستاذ يوسف حلمي

أعذر برانجاماً رأى أنه يكفي لإصلاح الفلاح في عشرين عاماً ، وهو يتركز في نقطتين :
١ - تعليم الفلاح وتثقيفه وتهذيب أساليب معيشته وعمله .
٢ - رفع مستوى معيشته إلى الحد الذي لا يتحدث معه الأزمات الاقتصادية رد فعل قد تترتب عليه نتائج ضارة

وأول البرنامج ، التكوين الصحي للفلاح بإنشاء القرية المثالية أو النموذجية ، واستئصال مصادر الأمراض والأوبئة بردم البرك والمستنقعات ، وإنشاء ملاجئ الشفاء والرحمة تفرع منها مراكز طبية متنقلة في شكل بعثات لمقاومة الأوبئة ، ونشر الدعوة الصحية ، وتوزيع الأدوية بأسعار رخيصة ، وإنشاء مطاعم للفلاحين كمطاعم الشعب

والإصلاح التعليمي يكون بنشر التعليم الزراعي والتعليم الإلزامي مع تغيير برامجه وتهذيبها ، ويجب ألا يباح للفلاحين حق التعلم واقتحام الجامعة اباحة مطلقة ، بل يقصر على النواحي والأذكياء الذين يختارهم مفتشون فيون وتولي الحكومة أمر الاتفاق عليهم

ورفع مستوى معيشة الفلاح يكون بإنشاء القرى المثالية لتعطى القدوة لأرباب الضياع وأصحاب الأراضى ، وتوزيع أراضى الحكومة على الفلاحين وتعميم الإذاعة اللاسلكية والسينما ومستحدثات العلم والفن في القرية ، وتنظيم رحلات - على مثال قطار المفاجئات - لأبناء الريف ، وتعميم الجمعيات التعاونية وواجب الطبقات المفكرة - الطلاب - أن تساهم في تثقيف الفلاح وتهذيبه

(٩)

الموضوع التاسع

استثمار نهضة المرأة للخير العام

وصل الى اللجنة موضوعات عددها ٧٣ وقد اطلع عليها الاعضاء وعقدت اللجنة عدة جلسات، انتهت فيها الى الاتفاق على ما يأتى :

١ - تعتبر المباراة مسابقة تمنح فيها الجوائز لأحسن الموضوعات التى قدمت .

٢ - الموضوعات التى اختارتها اللجنة هى أحسن ما قدم اليها ، مع ملاحظة ضيق الوقت الذى ترك للمتسابقين .

٣ - ليس معنى اختيار اللجنة لهذه الموضوعات أنها تعبر عن آراء أعضائها .

٤ - تمنح الجائزة الاولى للآنسة سيزا نبراوى .
والجائزة الثانية للآنسة نور الهدى الحكيم .
والجائزة الثالثة لكل من السيدة احسان القوصى ، والآنسة ايها

حبيب المصرى

رئيس اللجنة

الاعضاء

(على الشمسى)

(مصطفى عبد الرازق) (طه حسين)

(درية فهمى) (محمد حسين هيكل)

القاهرة فى ٥ مايو سنة ١٩٣٦

(١)

رسالة (الآنسة) سيزا نبراوى

قامت المرأة بنهضة مباركة فى الهيئة الاجتماعية الحديثة ، نهضة هى لاشك من أهم عوامل الرقى والعدالة والانسانية ، فى هذا العالم الآخذ فى التجدد .

وسواء أكانت هذه النهضة بطيئة أم عاجلة ، فإنها شملت البلاد جميعها ، وهى تمثل قوة جديدة فى يقطعة الشعوب وتطلعها إلى الحرية والسعادة ، وتعتبر عن أعز أمانيا . ومثل هذه النهضة مثل منجم لم يستثمر بعد ، ولكنه غنى بكنوز دفينه ، كفيلى بغنم البشر ، وإن كانت ظلت مجهولة ، مدة طويلة ، من جراء استعباد المرأة فى أثناء العصور الماضية .

وقد بقيت المرأة فى منزلة القاصر عصوراً طويلة ، مقيدة بالقوانين والعادات والتقاليد ، ولم تتحرر من هذه المنزلة إلا بانتصار روح الديمقراطية فى العالم . وكانت نتيجة اعلان حقوق الإنسان ، أثناء الثورة الفرنسية ، اذ طرحت مسألة المساواة بين الجنسين ، وحلت مشكلتها بالاعتراف بأحقية مبدئها ، فتلاشت ميزات الطبقات ، كما قضى على أفضلية الرجل على المرأة وأصبح الجنسان متساويان أمام القانون ، متعاونان فى العمل على خير المجتمع ، وحق (سان سيمون) St. Simon أن يعبر عنهما «الفرد الاجتماعى» .

وإذا كانت المرأة مساوية للرجل ، فهى غير ماثلة له ، تختلف عنه بنية وميولاً ، وتبين منه صفات ومؤهلات خاصة ، يكتمل بها الرجل ، إذا أضيفت إليه ، وتكفل بالاتفاق معه تعاوناً مجدياً من أوجه شتى ، فتتحقق بذلك نواويس التوازن والتناسق التى تنادى بتعاون شطرى البشرية .

ولاشك أن العالم القديم أخذ فى الانقراض ، لأن أساس مدنيته كان قائماً على أنظمة تنشعب بالانانية ، والقوة الغاشمة ، وأنا نعلل النفس بظهور عالم جديد تأخذ المرأة فيه المكانة التى هى أهل لها ، فيرتكز على دعائم قوية من العدالة الاجتماعية ، والسلم والوفاق .

فالمرأة لا تحتمل الفوارق التى تسبب الشقاء ، وتثور ضدها ، وهى حساسة قادرة على فهم الآلام ، ومكامن الشعور ، تدفعها عواطفها إلى مناصرة الضعفاء والمكسودين ، ومن وسهم الفقر أو الشقاء بطابعه الجبار . ويحد هؤلاء جميعاً ينبوعاً للتمزية والخللاص فى حنان الأم ، وشفقتها التى تفيض على جميع البؤساء . وهذه العواطف التى يضمها قلب المرأة - وقد لا يظفر بها قلب الرجل ، والتى تنشرب بالحمية والاحسان ونكران الذات - تبين لنا أهمية رسالتها فى الحياة العالمية ، إلا أن هذه الرسالة تظل ناقصة إذا كانت المرأة الجديدة لا تضيف ثمرات ثقافة قوية إلى الثروة الغالية التى تنطوى عليها نفسياتها .

ولهذا كانت نتيجة انتشار التعليم في الديار الغربية أن اتسع فيها نطاق الحركة النسائية ، ونضج ثمارها . وبما أن هذه الحركة قد أصبحت في أيامنا من أقوى العوامل لتهديب المجتمع وتحسينه ، فلا بدع إذا كانت جميع الشعوب الناهضة تتشبه على نمط التطور الحديث ، وتعترف للمرأة بالمكانة التي تستحقها في حركة النشاط العالمي .

ولإن المباراة الحالية التي نظمها الحكومة المصرية ، لمعرفة آراء نخبة القوم عندنا في المسائل الحيوية التي تهتم مصر ، هي أفصح أقرار منها بالأهمية التي تعلقها الملمات الرسمية على نهضة المرأة .

ولهذا فاني سأناول ، من الوجهة المصرية خاصة ، بحث النواحي المختلفة التي تستطيع المرأة المصرية أن تترك فيها أثراً طيباً في مستقبل الوطن ، أو تؤدي فيها خدمة جليلة للخير العام .

أولاً - المرأة في الأسرة :

ففي الأسرة تكون وظيفة المرأة أقرب الى الطبيعة ، وأشد وقعاً ، وأقوى أثراً ، ولست أغالي إذا قلت : إن المرأة لما كانت مسئولة عن مستقبل ذويها وهنائهم ، يجب أن تكون تربيتهما وتعليمهما أوسع من تربية الرجل وتعليمه ، وأدق تنظيمًا ، وإذا كانت أعباء الحياة المادية ملقاة أكثرها على عاتق الرجل ، فإن المرأة تتحمل وحدها أعباء أخرى ، أكثر دقة ، وهي المسؤولية الأدبية .

فالزوجة المثقفة المتعلمة هي التي تستطيع وحدها أن تكون بحق رفيقة زوجها ، إذ ليس الزواج عقد شركة لحسب بين شخصين أو منفعتين ، ولكنه أفضل من هذا صلة نفسانية وثيقة تجعل لحياتها غرضاً أسمى ومعنى أشرف .

فلا تكفني المرأة المتعلمة بالاهتمام بشؤون زوجها ، ولإسداء النصح له ، ومساعدته في أعماله ، إذا اقتضت الضرورة ذلك ، بل أنها تكون له في ظروف حياته الصعبة ملجأً أدبياً أميناً ، يلقي فيه السلوى والاطمئنان ، ويتزود منه بما يحتاج اليه من الشجاعة ، لمواصلة الجهاد .

ولإذا كان أثر الزوجة في حياة زوجها لا يظهر أحياناً ، فإن أثر الأم أشد نفوذاً ، وأوضح مظهرًا في حياة ابنها ، فاليها يرجع الفضل في تكوين خلقه ونشأته الأولى ، وهو مدين لها في تكوين بذية ، بما شملته من عنايتها منذ نعومة أظفاره .

ولا يتهيأ للمرأة التضلع بهذه المهمة السامية ، إلا إذا أحيطت بالاحترام ، وحيل

بينها وبين أهواء الرجل وتعسفه : فلا يطلقها من غير سبب . أو يأتيها بشريكة أخرى شرعية ، ويسلبها جميع حقوقها ، ويذل كرامتها ، باعتبارها زوجة وربة منزل .
فإن المرأة إذ كانت معتزة بجميع حقوقها ، وبوافر كرامتها ، تستطيع أن تفرض نفوذها هذا المثل الذي تضربه : مثل الفضيلة والاخلاص والتضحية .
فيجب على المشرع الذي يريد أن يستثمر نهضة المرأة : أن يضع قبل كل شيء نظام الحياة العائلية على أساس وطيء . ونعتقد أن الوسيلة إلى ذلك تكون :
أولاً — بتحديد حق تعدد الزوجات في بعض الأحوال التي لم يتحقق بها إحدى أغراض الزواج الأساسية ، (كحالات العقم والمرض) .

ثانياً — تخويل القاضى دون سواه حق الطلاق بين الزوجين .
ثالثاً — إطالة مدة وصاية الأم المتعلمة ، فانها تكون دائماً أقدر من الرجل على تربية أولادها ، وهدايتهم إلى طريق الخير .
أما النساء الأميات الجاهلات فيجب على الدولة العناية بأمرهن : والعمل على رفع مستواهن العقلى والأدبى والمادى ، حتى يكون أثر تعليمهن فعالاً فى النشء الجديد ، فتختفى أو تقل بينهم مظاهر الخرافات والجهل والشقاء .
ونترجح للوصول إلى هذه الغاية ، إنشاء مدارس متقلة فى الأرياف : تعرض على العامة أشرطة سينائية تهنيدية وتعليمية ، يستعان بها على تلقين الفلاحات مبادئ أولية فى العناية بالصحة ، وفى الآداب ، وعلى إعطائهن دروساً عملية فى التعليم الزراعى والتدبير المنزلى ، يستطعن تطبيقها فى حياتهن وأعمالهن .
ثانياً - المرأة فى المدرسة :

كان من الجائز أن يحال بين المنزل والمدرسة ، وأن تنشأ الخصومة بين هاتين الناحيتين من الحياة الاجتماعية ، فى وقت كانت المرأة فيه محاطة بسياس من الجهل ، أما اليوم فلا محل لمثل هذه الخصومة ، ويجب أن تتعاون الأمهات مع المعلمات والمدرسين ، وأن تصلهم جميعاً صلة وثيقة العرى .
ولنا نعتقد انه يجب ألا تقتصر وظيفة المرأة فى المدرسة على إخراج أكبر عدد من حاملى الشهادات ، اذ ليست هذه هى الغاية المرجوة ، بل يجب أن تعنى باضاعة ضمائر النشء وتعزيز ارادتهم .

وهذه الغاية لا ندرك بالتشدد فى تقييد حرية الأطفال ، وحملهم على الاحتذاء بشخصية واحدة ، بل انها تتحقق بتنمية مواهبهم ، وأفضل مؤهلاتهم ، فإن المرء

يفوق في الحياة . بضميره المستقيم وخطه القوى النبيل ، أكثر منه بتعليمه .
تقوم وظيفة المرأة المربية ، على إعداد الأطفال لتقدير قيمة المعاني الروحية
التي تضع لحياته غاية ، وتدخل عليها الانشراح .

ولهذا نجد بالمرأة أن تطالب باصلاح جميع مناهج التعليم في مصر ، التي
وضعت على أساس نظري محض ، وبطريقة ميكانيكية ، فيما يختص بالنمو العقلي .
وعليها أن تنادى بتوجيه العناية الأولى في التعليم إلى تهذيب الأخلاق والارادة ،
وإن انرى أن تعليم الدين ودراسة اللغة من أقوى ما يساعد على تحقيق هذا الغرض .
ولهذا نقترح أن تكون العوامل الأدبية ، كالسلوك والخلق والشجاعة ، مفضلة
في الامتحانات ، إذا دعت الحاجة ، على العوامل العقلية ، كما هي الحال في ألمانيا
بعد النظام الهتلري .

ولا ينكر أحد ماللرياضة البدنية من تأثير محمود في تكوين الخلق ، فلمذا أيضا
نطالب بتشجيع الرياضة البدنية ، وتعميمها في المدارس ، وخاصة في مدارس
البنات ، ونقترح إنشاء معهد للتربية البدنية لاعداد أساتذة اخصائيين مدربين .
ويتراءى لنا أيضا أنه ينبغي أن ينشأ ناد رياضي نسائي ، للتخريب في الألعاب
الرياضية ونشرها ، وليكون منه حلقة اتصال وتضامن بين تلميذات المدارس
المختلفة .

ولما كانت السينما في أيامنا هذه ، وسيلة من أسهل وسائل النشر وأحبها إلى
الشعب ، فإننا نقترح على الحكومة أن تعفي من الرسوم الجمركية الاشرطة التي تحتوى
على فائدة علمية ، أو التي تمجد أشرف العواطف الانسانية ، وبهذا يستطيع مديرو
دور السينما تخصيص حفلات أسبوعية للشباب تعرض فيها الاشرطة التي من النوع
الذي ذكرناه .

وأخيرا نرى أن خير وسيلة لتحقيق أفضل خطة دراسية توافق حاجياتنا الحاضرة
هي عقد اجتماعات تهيئية (يداوجية) يحضرها المدرسون نساء ورجالا ،
ويشتركون في بسط ما استزادوه من العلم ، وما اقتبسوه من الخبرة . وقد
تصبح هذه الاجتماعات مع مرور الزمن جمعيات منظمة أو مؤتمرات .

ثالثا - المرأة في الهيئة الاجتماعية :

إذا نحن استثنينا طبقة محصورة من الأسر المصرية ، فقد نستطيع أن نؤكد
أن الهيئة الاجتماعية ظلت حتى أيامنا هذه منعقدة في مصر ، وظل الرجال منفصلين

عن النساء ، كل منهما منزويا في ناحيته ، وظلت أبواب الحفلات الرسمية مغلقة في وجوه السيدات ، وكانت هذه الحال سببا لاستهجان الأجانب لهن ، وموضع دهشهم .

ويرادى لى أن حرمان المرأة من هذه المظاهر عادة يؤسف لها ، ولا تتفق مع نبضة البلاد الحديثة ، أما والحالة هذه فعلى المرأة المصرية نفسها أن تكون الهيئة الاجتماعية في مصر ، بما يفرضه مظهرها من نبل ، وبما توجه أفعالها من اعتدال والهام ، هذا إلى أن وجود المرأة في الهيئة الاجتماعية ، يدخل روحا جديدة في ناحيتين من نواحي الحياة الاجتماعية : ناحية الجمال ، وناحية الخير والاحسان ؛ ويضعهما في مكانتهما الواجبة من هذه الحياة ؛ وبعبارة أوضح الفنون الأدبية والفنون الجميلة من جهة ، وأعمال البر والانسانية من جهة أخرى .

ولا يمكن أن يكون أثر المرأة في النهوض بهاتين الناحيتين أضعف من أثر الرجل ، لأن تفكيرها متشبع عادة بالنزق الفنى ، وبروح الجمال ، أكثر من تفكير الرجل ؛ ثم ان المرأة تميل بغريزتها إلى الشفقة . وكل هذا يدفعنا إلى توجيه نظر الحكومة إلى المسكنة الممتازة التي يجب أن تحتلها المرأة في كل ما يتعلق بنهضة الآداب والفنون (كالنصوير والحفر والموسيقى) ، وإلى العناية بأشراكها في تأليف الجمعيات الخيرية ، وتنظيم كل الدعابات التي تعمل لتخفيف الآلام النفسانية ، والشقاء المادى ، وتعزيز المشكوبين .

وإذا اتفقنا على هذه النقط الرئيسية ، فانا نعتقد أن من السهل وضع تفاصيلها . ومع هذا فانه يجدر بنا أن نبين مدى المهام التي يرجى للمرأة القيام بها في نواحي الآداب والفنون ، كالصحافة باعتبارها عاملا للنهوض بالمستوى الاجتماعى ، والمسرح والسينما والراديو بصفتها عناصر للتربية ، والفنون الجميلة ، والموسيقى بنوع خاص ، وهى التي نرجو أن تشملها عناية الحكومة ، وننشئ لها معهداً يسمح للعنصر النسائى بالالتحاق فيه والتخرج منه .

أما في الأعمال الخيرية فنكتفى بذكر بيان موجز من النواحي التي يمكن توجيه المرأة إليها . فهى تستطيع أن تصرف مجهوداً كبيراً في الأوقاف الخيرية ، وفي الجمعيات الخاصة بالهلال الأحمر ، وفي ملاجئ الأطفال والعجزة وإصلاحات الأحداث ، ومحال رعاية الطفولة . وكلها مؤسسات تتطلب التفانى في الاخلاص والشفقة من القائمين بأمرها ، ولهذا تقتدر إلى العنصر النسائى .

ولكى نعمل حركة تطور الفكرة الاجتماعية عند المرأة المصرية ، نقتراح من أولى الأمر أن ينتخبوا أفضل طالبات معهد التربية ، وأكثرهن شفقة ، وأشدهن تعلقا بحب الخير وإرسالهن في بعثة إلى بلاد أوروبا لدراسة المؤسسات الاجتماعية وللعمل على تطبيقها ، عند عودتهن ، على حاجات البلاد ، ويعهد اليهن بتنظيم مدرسة تكون مهمتها اعداد عاملات اجتماعيات مختصات بالعناية بجميع نواحي الخير ، وبكل ما من شأنه مكافحة الرذيلة والشقاء .

٤ - المرأة في حياة البلاد الاقتصادية :

كانت المرأة المصرية دائماً عاملاً كبيراً للإنتاج والاستهلاك في حياة البلاد . وتزداد أهميتها كل يوم في هذه الناحية ، تبعاً لنهضة البلاد الصناعية ، ومع هذا فانا نعتقد أن انتاج العنصر النسائي في الحياة العملية ، يربو بكثير عما هو عليه الآن لو أنه عني برفع مستوى معيشة المرأة المادية ، وروعي تنظيم قوانين العمل وتحديد الأجور ، ووضع الوسائل الصحية على أساس أكثر ملائمة لها .

وإذا ذكرنا الفلاحات والعاملات ، فلا يجب أن ننسى نساء الطبقة المتوسطة ، اللاتي يضطرن إلى العمل لاكتساب المعيشة ، وتحصيل الرزق . ولا ننسى أن المرأة تمتاز بطبيعة الاعتدال وقدرة الاحتمال ، وتتشبع بروح النظام والدقة والصدق في العمل ، وكل هذه الصفات تؤهلها لمزاولة حرف عديدة ، وتمكنها من بث روح النشاط في الحياة الاقتصادية . ولهذا فانه يجب أن تفتح لهذه الطبقة من النساء أبواب العمل الاقتصادي ، ونذكر منها على سبيل المثال ، وظائف البائعات والمحصلات في المحال التجارية ، والعاملات في مصلحة التلفون والكاتبات والحسابات .

ويمكننا أن نعتبر المرأة المصرية ، بصفتها مستهلكة ، وسيلة أكبر أثراً من وسائل الحماية الجبرية ، لانماض الصناعات المصرية وحمايتها . ولهذا فانا نستطيع أن نكون عاملاً من أكبر عوامل استقلال البلاد الاقتصادي . وانا نعتقد أن هذا الاستقلال مرتبط بتوازن توزيع الثروة ، ولهذا يجدر بنا أن نعمل على بث روح الاقتصاد والادخار بين طبقتي الأغنياء والمتوسطين من النساء ، ونستعين على ذلك بوسائل نذكر منها صناديق التوفير بالمصارف والبريد ، وشركات التأمين وغيرها ، وهذا مما يساعد كثيراً على تحرير مصر الاقتصادي ، وتنمية ثروتها .

٥ - المرأة في حياة البلاد السياسية :

لبيت المرأة المصرية نداء العاطفة الوطنية ، واشتركت اشتراكاً فعالاً في الحركة الوطنية ، وساهمت فيها بنصيب وافر ، قابلته الاحزاب جميعاً بالثناء والترحيب . وكان من الطبيعي أن نحتفظ من هذا الاشتراك بنزعة سياسية ، اذ أن المرأة تكون نصف الأمة ، ويعنيها أن تهتم اهتماماً وثيقاً بكل ما يتعلق برقي البلاد ومستقبلها . على أننا لا نريد أن نخذل في هذه الناحية حذو النساء في بعض البلاد الغربية ، ولا يظن تأثير المرأة في الحركة السياسية الا عن طريق خفي غير مباشر . وبقاء هذه الحالة ينذر بالخطورة ، اذ أن المرأة سوف لا تقدر واجباتها الوطنية حق قدرها ، إلا إذا أُلقيت المسؤولية عليها أيضاً، ومن رأينا أنه يجب أن تشترك المرأة مع الرجل في حق الانتخاب، ولو اشترط ، في أول الامر، أن يقتصر منح هذا الحق على بعض الفئات ، كالحائزات على الشهادات الدراسية ، ومديرات الجمعيات الخيرية والاجتماعية ، أو مؤسساتها ، وصاحبات الاملاك .

ومن الظلم الفاحش ألا تشترك المرأة المتعيلة ، أو الغنية ، في سن القوانين التي تخص لها ، وألا يكون لها حق المراقبة على أموال الدولة ، التي تساهم في دفعها ، بينما الجبهة والفقراء من الرجال ، تتمتع بهذه الحقوق .

ولا ينبغي أن يكون تدخل المرأة في السياسة ، وسيلة تجعلها هدفاً لمشادة الاحزاب ومطامعها ، اذ يجب أن تكون على العكس بعيدة عن هذه المعارك ، وتجعل من تدخلها في السياسة عاملاً على بث الوفاق ، ووسيلة لتحقيق مشروعات القوانين المتعلقة برفع الثقافة ونهوض الحركة الفكرية ، وتحسين مستوى المعيشة ، وتفريج هموم الانسانية .

وسوف لا تألو المرأة جهداً بمجرد فوزها بحقوقها السياسية ، في سبيل العمل على اصلاح الهيئة الاجتماعية ، وزيادة نشاطها في هذه الناحية ، كما أوضحناه في الباب الثالث من هذه السلسلة ، وهكذا تستطيع المرأة أن تنادي بسن مجموعة من القوانين ، لحماية الأسرة ، والمجتمع ، والدولة ، وتدافع عنها دفاعاً فعلياً . وستكون العناية بتدريس التربية الوطنية ، في مدارس البنات ، أكبر الأثر في اعدادهن بالتدرج للقيام بمهمتهن السياسية على الوجه الأكمل .

٦ - المرأة في تقرب الدول :

تزداد حاجة الدول يوماً فيوماً إلى التضامن . حتى أصبح التقرب الدولي

ضرورة حيوية لكيان الشعوب ، أديباً ومادياً . وعلى المرأة أن تتحمل نصيبها من المسؤولية في هذه المسائل العالمية الكبرى . وإذا كنا لانخفى أنها لم تعد كالرجل لمواجهة هذه المسائل ، إلا أننا نقرر أنها تفوق عليه ، بعدم تسببها في نشوب الحروب يوماً فاسته رغم ذلك من ويلاتها .

ثم إن الرجل يدافع بطبيعته عن قيمته الشخصية وعن قيمة الممتلكات المادية . أما المرأة فتحملها غريزتها على التعاطف بالسلم ، فهي تدافع عن الحياة لأنها تقدر قيمتها ، والمرأة تشعر أمام المخاطر التي تهدد سلامة العالم كله وكيانه الذاتي أن واجبها أصبح ملحاً ، وأن عليها أن تخرج من موقفها السلبي ، وتجعل من نفسها عنصراً للإصلاح والبناء .

وأن وظيفة المرأة في الحياة الاجتماعية ، كوالدة ومربية ، تمهد لها السبيل خاصة لابقاط الشعور الدولي ، وتوسيع نطاقه ، وتوطيد أركانه ، وللعمل على تحويل النظريات إلى حقائق حية ، بعد أن ظلت طويلاً حبراً على ورق . والمرأة ، ربة البيت وحارسة الأسرة ، كفيلة وحدها أن تقرب العالم كله ، وتجعل منه أسرة كبيرة متحدة .

يتناول البرنامج المسهب الذي وضعه الاتحاد النسائي المصري معظم المسائل الاجتماعية التي ذكرناها فيما سبق ، وهو يبسط أمام النشاط النسائي ، مجالاً فسيحاً ومتنوعاً بحيث يتسع لكل امرأة أن تظهر ما أحرزته من مواهب ومقدرة . وهذا الاتحاد يضم بين أعضائه نخبة المصريين المفكرين ، رجالاً ونساء ، فجدير بالشيشية النسائية أن تعاونه معاونة صادقة ، فهي مدينة له بقسط كبير من حسنات تحريرها . ولا يسعني أن أختم هذه النبذة الا بتقديم وافر الشاء الى وزارة صاحب الدولة على ماهر باشا ، التي خصصت المسائل الاجتماعية بأولى عنايتها والتي حققت رغباتنا فأنشأت مجلساً أعلى للإصلاح الاجتماعي .

ولست أدع هذه الفرصة تمر دون أن أبدى الرغبة في أن يشترك في أعمال هذا المجلس نخبة من سيداتنا ، اللواق أظهرن فائق مقدرتهن ، في كثير من المسائل الاجتماعية والدولية ، حتى تستثمر الدولة مواهبهن للخير العام .

(٢)

ملخص رسالة

الآنسة نور الهدى الحكيم

بدأت الآنسة بحثها بكلمة عن تاريخ نشأة الأسرة ومكانتها في المجتمع ، وعرضت

لانتقسام الرأى فى التعليم النسوى ، واختلاف وجهات النظر فى بقاء المرأة فى البيت أو نزولها الى ميدان العمل ! ثم تحدثت عن تجاربها فى مدارس البنات ، ودراستها لنفس الفتاة المصرية ، ونظر الرجل الى المرأة العصرية الانيقية ، وأبانت ما ساقها اليه التطور .

ورأت أن الطريقة المثلى لاعداد وتربية الفتاة التى ننشدها لسعادة البيت ، مع الملاءة لروح التطور العصرى ، هى تثقيفها ثقافة نسوية راقية ، لالنعدها لمزاحمة الرجال ، ونصرفها عن تأدية وظيفتها الحقيقية ، وإنما لنساعددها على تنمية غرائزها والانتفاع بمواهبها وتهذيب أخلاقها وتهيئة نفسها للاضطلاع بالمسؤولية ، وإعدادها لأن تكون شريكة حياة للرجل ، وزوجا مخلصه ، وأما راقية صالحة ، ومرية قادرة ، ولا تتحقق هذه الأمانى إلا إذا روعى إعطاء كل فئة من الفئات العلوم التى تناسب عقليتها ، والثقافة التى تلائم بيئتها ، حتى لا يكون تعليمها وبالاعليها ومدة لغروها وتمردا .

وتجب العناية بذوات العاهات والشاذات الخلق والطباع ، كما يعنى بالمشاغل التى تعلم الفتيات طريقة تفصيل الملابس وخياطتها ، وتنشأ مدارس لتخريج مربيات متقنات مهن ، ومدارس أخرى لتعليم التدبير المنزلى بكل فروع . وأهم ما فى المسألة ، تعليم الفتاة العصرية طريقة السياسة الزوجية وهى « المشكلة الكبرى » .

ورأت أن هذا كله لن يفيد مادامت الفتاة تمنح تلك الحرية العمياء التى تتيح لها الانقياد لنزعاتها الشيطانية وميوها الطائشة ، بل يجب أن يسيطر الآباء والأمهات والمربون على الفتيات ، ويتمهدهن باللين والعنف ، ليحافظن على الآداب ، وأن يكون التعليم الدينى والخلقى هو الأساس الذى تشاد عليه ثقافة الفتاة وتعليمها وتهذيبها . وألا تبقى الملعبات والناظرات والمفتشات فى العمل متى تزوجن إلا فى ظروف استثنائية خاصة ، ويجب ألا تخلو أية هيئة من الهيئات التى لها مساس أو اتصال بشؤون المرأة . من واحدة أو أكثر من السيدات الممتازات لتعرض وجهة نظر المرأة .

وختمت حديثها بسرد بعض النواحي التى يمكن أن تستغل فيها النهضة الحالية للمرأة المصرية ، مثل تكوين جمعيات نسائية مختلفة لخدمة المجتمع . وإلقاء محاضرات علمية وأدبية واجتماعية ، واشتغال العالمات والأديبات بالصحافة والانتاج الأدبى .

ملخص رسالة

السيدة إحسان القوصى

ترى أن استثمار نهضة المرأة يقوم على تعاون ثلاث قوات :
جمهور المتعلقات ، والحكومة ، والشعب .

فواجب المتعلقات عقد مؤتمر نسائي تشترك فيه كافة الجمعيات النسائية ، ويدعى إليه أكبر عدد ممكن من فضليات السيدات والآنسات المتعلقات ، ليسكون واسطة للتعارف وتوحيد الجهود ، ووضع الأسس لخطوة عملية منتجة ، و تقرير الوسائل الكفيلة لعلاج نواحي النقص والضعف بعد أن تدرسها لجان خاصة تؤلف لدراسة كل ناحية من نواحي المسألة النسوية ، فتكون هناك لجنة لتحسين الصحة العامة ، وأخرى لمحاربة الخرافات ، وثالثة لتنظيم الاحسان ، ورابعة للشؤون القومية ، وخامسة لنشر الثقافة بين النساء ، وهكذا .

وضربت مثلا للنقط التي تبحثها لجنة تخفيف وطأة البؤس ، وهى :

- ١ - تنظيم الاحسان .
 - ٢ - توفير وسائل العلاج للرضى من الفقراء .
 - ٣ - تعليم الفقيرات صناعات تزيد في رزقهن .
 - ٤ - تحديد نسل الفقراء .
 - ٥ - الاكتثار من الملاجىء للأطفال المتشردين .
 - ٦ - العناية بدوى العاهات .
 - ٧ - التأمين للصالح .
 - ٨ - الاكتفاء بغذاء رخيص يوما في الشهر .
 - ٩ - إيجاد أما كن صحية للناقهين والضعفاء بأجور زهيدة .
- أما الحكومة فعليها أن تنفذ البرامج الإصلاحية التي تضعها اللجان ويقرها المؤتمر ، وتعين بعض الموظفين إلى جانب المتطوعات لينتظم العمل ، ومساعدة فتيات الخدمة الاجتماعية بعونها ونفوذها .
- وعليها أيضا أن تعدل مناهج تعليم البنات بما يتفق وطبيعتهن ، وإيفاد بعثات لمدارس الخدمة العامة بأميركا لتساعد على تربية روح الخدمة العامة في الناشئات .

وأما واجب الجمهور فهو مساعدة العاملات ماديا وأديبا، والعطف عليهن وتشجيعهن بكل الوسائل، لأن المرأة في حاجة ماسة إلى تعضيد الرجل لها في نهضتها، وتعاونها معها لخير المجتمع

(٤)

ملخص رسالة

الآنسة إيفا حبيب المصرى

مهدت لحديثها بالقول بأن صرخة قاسم أمين كانت صرخة طبيعية اقتضتها الزمن ، وأثمرت في الحركة الوطنية التي اشتركت المرأة فيها بدافع عميق من وجدانها، وتحطيا لأغلال الظلم التي طوقتها منذ عدة قرون .

وبعد أن أرخت الحركة النسائية في مصر طالبت :

١ - بإعداد الفتاة لكي تكون أما وربة دار ، وهذا هو الغرض الذي يجب أن يضعه القائمون بأمر تعليم الفتاة نصب عيونهم ، في مختلف مراحل التعليم، ويبتدى ببرامج النكليات الانجليزية والامريكية في ذلك ، حيث تدرس الفتاة مشاكل الزواج، والتحليل النفسى للحياة الزوجية ، ونفسية الرجل ، ونفسية الطفل ، وفن تنسيق المنزل ، وعلوم التدبير المنزلى، والصحة، وتحسين النسل، والحياة والاجتماع .

٢ - باستثمار نهضة المرأة في مرافق الحياة العامة ، كإيدان الخدمة الاجتماعية ، بعد أن تنشأ « معاهد العمل الاجتماعى » التي تعدها لذلك، والاستعانة بالنساء في التعليم والتمريض والزراعة، بعد إباحة التعليم الزراعى للفتاة المصرية .

وختمت بحثها بملاحظة « أن اليوم الذى لا يكون فيه التعليم العالى مجرد أداة للتوظيف ، سواء بالنسبة للشبان أو للفتيات، قد آنأوانه، وأصبح التعليم العالى وسيلة للجهاد والمجادة في كل ميادين النشاط ، فالفتاة التي تتعلم أصول الزراعة تصبح عنصر رقى مدهش، وربة بيت لا نظير لها في الحياة الريفية في مصر، وتعود إلى تذكرنا بأن المصريين القدماء جعلوا للزراعة إلهة لالاه ، وهى الالهة هاتور التي اتخذتها الجامعة أخيراً رمزا لكلية الزراعة » .

الموضوع العاشر وضع نشيد وطنى قومى

بعد اطلاع اللجنة على ما جاءها تحت اسم «النشيد القومى الوطنى» من التجربات التى بلغت مائتين وستا وأربعين .
وبعد توفر كل من أعضائها على تدقيق النظر فى كل منها .
وبعد اجتماعها خمس مرار ، لمواضعة رأى فيها بدا لكل من أعضائها ،
بما يتصل بالجملة أو التفصيل فى كل نشيد .

رأت أن الأغراض السامية التى يطلب اجتماعها فى «النشيد القومى الوطنى» لم يدركها تبهما أحد المتبارين ، على أن تلك الأغراض وجدت متفرقة ومبعثرة فى مختلف التجربات التى قدمت ، وقد تحصل فى ذهن اللجنة أن الأسباب التى تأت منها هذه الحال ربما لا تخرج عما يلي بيانه ، وهو : أولاً قصر المدة التى جعلت للمباراة ، وثانياً : أن الناظمين لم ييجشوا فيما تقدم وضعه من الأناشيد القومية الوطنية فى الأمم التى أردنا مجاراتها فى هذا المضمار ، ومن ثم لم تدب لهم قواعدها وضوابطها ، وثالثاً : أن الأكثرين من المتبارين قد تغلب فى فكرهم معنى التغنى بالمتداركات التى تنشط معها الهمم ، وتستفز النوازع ، وتحرك الأقدام حركة سريعة متوازنة ، وهى مما يسمونه بالمارش ، على معنى تغنى الجماعات فى كل مقام ، رسمى أو شعبى ، سلمى أو حربى ، سياسى أو اجتماعى ، بنغم سام وقور مهيب فياض بالحب الصادق الحى للوطن ، وفى آن معا صادر عن مكان فى النفس يسمو به نظرها إلى عزة الأمة وعظمة الوحدة القومية ، تتجليان له متألفتين تألقا ساطعا بالمفاخرة القديمة والحديثة ، لا يشوب صفاءها أدنى أثر مما قد

يعتورهما من نقص أو وهن، إذ أن الأناشيد القومية لم تكن قط محلا للارشاد أو لتصفية حساب الخلافات المذهبية أو الخصومات الداخلية أيا كان نوعها، يضاف إلى ماتقدم من العلل أن فريقا من المتبارين لم يبال حاجة التلحين الموسيقى بوجه من الوجوه في ثلامه بما لا يستطيع تقدير نعم له يتمشى مع المقصود من كلمة «النشيد القومى الوطنى».

ولقد كان فيما طالعهنا نظم رصين يستحق الجوائز، في غير معرض «النشيد القومى الوطنى»، ومن الشعراء الذين دخلوا في المباراة أعلام لم تحمل اللجنة مكائهم من الفوق في الشعر، ولكنهم فيما حاولوه بهذه المنافسة لم يبلغوا ما بلغوه هم أنفسهم من الاحسان في الأنواع الاخرى التى أجروا فيها قرائهم على السليقة فأجادوا ما أرادوا.

وقد لا حظت اللجنة أن أجود الأناشيد التى عرضت عليها لم تخل من أبيات أو فقرات ضعيفة، بجانب أبيات أو فقرات جيدة، ولذلك أخذت كل نشيد بمجموعه لا ببعض أجزائه.

على أن اللجنة لم تر حرمان المتبارين من الجوائز بالترتيب الذى وضعتة الحكومة، لأن المباراة تستلزم بطبيعتها اعطاء الجوائز المقررة للمتفوقين من المتبارين، سواء أدركوا الغرض كله أم لم يدركوا الا بعضا منه.

وعلى ماتقدم قررت اللجنة :

الجائزة الأولى الأستاذ محمود محمد صادق

» الثانية » مصطفى صادق الرافعى

» الثالثة » محمد الهراوى

» الرابعة » محمد فضل اسماعيل

كتب فى دار المطبوعات يوم الخميس ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦ رئيس اللجنة

(أحمد زاهر)

بعد أن أصدرت اللجنة قرارها هذا ، رأيت أن تتصل بالذين نالوا
الجوائز ، وتبين لهم ملاحظاتهم على أناشيدهم ، توخيا لتقويمها ، عسى أن تتحقق
بذلك الغاية المرغوب فيها .

(محمّد ماهر)

(١)

نشيد مصر القومي

للأستاذ محمود محمد صادق

بلادي بلادي فداك دمي وهبتُ حياتي فدى فلسامي
غرامك أول ما في الفؤاد ونجواك آخر ما في في
سأهتفُ باسمك ما قد حيمتُ { « يتكرر »
تعيشُ بلادي ويحيا الوطن !!

غرامك يا مصر لو تعلمين قُصاري شعوري دنيا ودين
فمنك حياتي اوفيك مماتي وحُبك آخري واليقين

حياتك يا مصر فوق الحياه وصوتك يا مصر وحي الاله
تعاليت يا مصر من موطن على النهر يبق وتفتنى عداه

لك المجد معجزة الأولين وما زال تأجك فوق الجبين

فَتِيهِي بِمَجْدِكَ فَوْقَ الْوُجُودِ وَمَدَى اللّٰوَاءِ عَلَى الْعَالَمِينَ

مَا أَثْرُ مَجْدِكَ تَحْتَ الثَّرَى تَشِيدُ بِذِكْرِكَ بَيْنَ الْوَرَى
وَهَذِي فَتَوْحِكَ فِي الْمَشْرِقِينَ تَعَالَتْ بِمَجْدِكَ فَوْقَ الذَّرَى

أَيَا مِصْرُ هَذَا لُؤَاءُ الْهَرَمِ عَلَى النَّيْلِ يَخْفِقُ مِنْذَ الْقَلَمِ
تَمَرُّ عَلَيْهِ جُيُوشُ الزَّمَانِ تَحْيِي اللّٰوَاءَ أَتَحْيِي الْعِلْمَ

لَكَ الشَّرْقُ أَلْقَى زَمَانُ الْقِيَادِ فَنَعَمْ الزَّعَامَةُ بَيْنَ الْبِلَادِ
فِيَوْمًا حَمَلْتَ لُؤَاءَ الْفَنُونِ وَيَوْمًا حَمَلْتَ لُؤَاءَ الْجِهَادِ

يُظْلِمُكَ عَرْشُ الْمَلِيكِ الْكَرِيمِ وَتَرَعَاكَ عَيْنُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
أَلَسْتَ الْكِنَانَةَ فِي أَرْضِهِ وَمَوْعِدَ جَنَّتِهِ وَالنَّعِيمِ

بِلَادِي بِلَادِي إِذَا الْيَوْمُ جَاءَ وَدَوَى النَّدَاءُ وَحَقَّ الْفِدَاءُ
خَفِي فَتَاكِ ! شَهِيدَ هَوَاكِ وَقَوْلِي سَلَامًا عَلَى الْآوَفِيَاءِ

* * *

النشيد الوطني

للرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

« نشيد الأمة الوطنية عزة في السلم ، »

« وقوة في الحرب »

هَامُوا ، هَامُوا لِمَجْدِ الزَّمَنِ	هُمَاءَ الْحَمَى ، يَا هُمَاءَ الْحَمَى
مُتٌ ، مَاتٌ ، وَيَمُحِي الْوَطَنُ	فَقَدْ صَرَخَتْ فِي الْعُرُوقِ الدِّمَا
هَامُوا	هَامُوا
لَتَرْمِ الصَّوَاعِقُ نِيرَانَهَا	لَتَسِدَّ السَّمَاوَاتُ فِي رَعْدِهَا
رَجَالَ الْبِلَادِ وَفَتَيَانَهَا	إِلَى عِزِّ مِصْرٍ ، إِلَى مَجْدِهَا
وَلَا عَاشَ فِي مِصْرَ مَنْ خَانَهَا	فَلَا عَاشَ مَنْ لَيْسَ مِنْ جُنْدِهَا
حَيَاةَ الْكِرَامِ وَمَوْتَ الْكِرَامِ	نَمُوتُ وَنَحْيَا عَلَى عَهْدِهَا
.....	هُمَاءَ الْحَمَى : يَا هُمَاءَ الْحَمَى

وَلَا عَاشَ مَنْ لَمْ يَعِشْ سَيِّدًا	بِلَادِي أَحْكِمِي وَأَمْلِكِي وَأَسْعِدِي
أَنَا لِبِلَادِي وَعَرْشِي فِدَا	بِحُرِّ دَمِي ، وَبِمَا فِي يَدِي
بِعِزَّةِ شَعْبِكَ طُولَ الْمَدَى	لَكَ الْمَجْدُ يَا مِصْرُ ، فَاسْتَمْجِدِي
وَتُوبَ أَسْوَدُكَ يَوْمَ الصَّدَامِ	وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْوَغَى ، فَاشْهَدِي
.....	هُمَاءَ الْحَمَى ، يَا هُمَاءَ الْحَمَى

وَرَثْنَا سَوَاعِدَ بَنِي الْهَرَمِ صُخُورًا ، صُخُورًا كَهَذَا الْبِنَا
سَوَاعِدُ يَعْتَزُّ فِيهَا الْعَلَمُ تُبَاهِي بِهِ ، وَيُبَاهِي بِنَا
وَفِيهَا كِفَاءُ الْعُلَى وَالْهَمَمِ وَفِيهَا ضَمَانُ لِنَيْلِ الْمَنَى
وَفِيهَا لِأَعْدَاءِ مِصْرَ النِّقَمِ وَفِيهَا لِمَنْ سَالَمُونَا السَّلَامُ
نُحْمَاءُ الْحَمِي ، يَا نُحْمَاءَ الْحَمِي هَامُّوْا ، هَامُّوْا ، لِمَجْدِ الزَّمَنِ
لَقَدْ صرَخْتُ فِي الْعُرُوقِ الدَّمَا : نَمُوتُ ، نَمُوتُ ، وَيَحْيَا الْوَطَنِ
هَامُّوْا هَامُّوْا

(٣)

النسيم الوطني المصري

للأستاذ محمد الهراوي

— مصر للمصريين —

دَعَتْ مِصْرُ ، فَلْيَبِينَا كِرَامَا وَمِصْرُ لَنَا ، فَلَا نَدْخِ الزَّمَامَا
قِيَامَا تَحْتَ رَايَتِهَا ، قِيَامَا أُمَامَكُمُ الْعُلَا ، قَامُضُوا أُمَامَا
— الدَّعْوَةُ إِلَى الْمَجْدِ —

هُنَاكَ الْمَجْدُ يَدْعُوكُمْ ، فَهَيُّوْا وَلَيْسَ يَرُوعُكُمْ فِي الْمَجْدِ خُطْبُ
لَعَمْرُ الْمَجْدِ مَا فِي الْمَجْدِ صَعْبُ تَرْدَى الذَّلَّ مَنْ يَخْشَى الْحَمَامَا
— آثار مصر —

فَنَحْنُ أَوَّلُو الْمَآثِرِ فِي الْعُصُورِ وَبَيْنَ يَدَيِ أُنْبَى الْهَوْلِ الْهَاصُورِ
وَفِي الْأَهْرَامِ ، أَوْفَوْكَ الصُّخُورِ تَرَى آثَارَ أَيْدِينَا جِسَامَا

- راية مصر -

لنا مجدٌ على الدنيا تعالى بناه الله يومَ بنى الجبالاً
وسمائه برايتنا هلالاً ونشرها على الدنيا سلاماً

- مزايا المصريين -

لنا التاريخُ ، فياض المعاني لنا الأسرارُ معجزة البيان
لنا علمُ الأوائِلِ في الزمانِ لنا الأخلاقُ ، نرعاهما دما

- الذكري والأمل -

لنا ذكرٌ . مع الماضي ، مجيدٌ لنا أملٌ يجدُ بنا ، بعيدٌ
كذلك مماتنا سُدنا نسودُ ونرفعُ فوقَ هامِ النجمِ هاماً

- النيل ووفاءه -

فيا وادى الكنانة لن تزولاً وفيك النيلُ يجري سلسبيلاً
يطوفُ بمائه عرضاً وطولاً وينسطُ فيضهُ عاماً فعاماً

- جمال الوادى -

بساطُكَ سندسٌ ، وثارُكَ تبرٌ وجوكَ مشرقٌ ، وشذاك عطرٌ ،
وتبرُكَ كوثرٌ ، وبنوكَ غرٌ أبوا في الله والوطنِ انقساماً

- المصريون وبلادهم -

فان لم نستعزْ بمصرَ حَفَلاً ونبسَطْ ظلمها صَوَلاً وطولاً
وإن لم نحملها فالموتُ أولاً نَعَمْ : فالموتُ ، أو نحيا كراماً

- شعار المصريين -

نُعزُّ ضيوفنا ، ونقرُّ عينا فلا نعدو ؛ ولا يسعدى علينا

فإِذَا مَسَّنَا ضَيْمٌ . أَيُّدُنَا وَتَذَكِّيْهَا عَلَى الْعَادَى ضِرَاماً
- خِرَ الْمُسْتَقْبَلِ -

فِيَابَنَ النَّيْلِ : هُزَّ لَوَاءَ مِصْرَآ وَهَيَّءْ فِي النُّجُومِ لَهُ مَقْرَأَ
وَأَطْلِعْ بِالْهَلَالِ عَلَيْهِ فَجْرَآ وَعِشْ فِي ظِلِّهِ الْعَالَى إِمَامَا

(٤)

النشيد الوطني القومي

للأستاذ محمد فضل اسماعيل

مهَّسِدُوا لِلْمَلِكِ أَبْرَاجَ السَّمَاءِ	وَارْفَعُوا فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ الْاَوَاءِ
وَاسْمَعُوا مِنْ جَانِبِ النَّيْلِ النَّدَاءِ	مِصْرُ الْمِصْرَى قَلْبٌ وَجَنَانُ
نَحْنُ أُنْبَاءُ الْاَلَى	طَافِلُوا مُلْكَ الشَّهْبِ
قَدْ خَطَوْنَا لِلْعُلَا	فَوْقَ أَعْنَاقِ الْحَقْبِ
مَجْدَهَا بَاقٍ عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ	خَلَدَتْهُ فِي حَنَائِيهَا الْعُصُورُ
فِي جَلَالِ نَاطِقٍ بَيْنَ الصُّخُورِ	حَيْرَ الدُّنْيَا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
نَحْنُ أُنْبَاءُ الْاَلَى النخ
لَا نَهَابُ الْمَوْتِ فَانْظُرْ يَا قَدْرُ	كَيْفَ لَا تَهْتَرُ يَوْمًا لِلْغَيْرِ
نَحْنُ شَعْبٌ مِلُّهُ وَادِيهِ الْخَطَرُ	خَاضَ لِلْعُلْيَاءِ لُجَّ الْمَعْمَعَانِ
نَحْنُ أُنْبَاءُ الْاَلَى النخ
قَدْ تَأَلَّفْنَا عَلَى حُبِّ الْبِلَادِ	فَانْطَلَقْنَا فِي مِيَادِنِ الْجِهَادِ

نُشْهِدُ الْأَرْضَيْنِ وَالسَّبْعَ الشَّدَادُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
دِينَنَا فِي مِصْرَ مَوْفُورُ الْجَلَالُ
إِنَّمَا مَعْنَاهُ مُتْ يَوْمَ النَّضَالُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
صَوْتُ مَنْفِيسٍ يُدَوِّي كَالرُّعُودُ
فَاقْبَلِينَا مِثْلَ بَنِيَانِ الْجُلُودُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
فَاجْرِ يَا نِيلُ بَوَادِيكَ الْأَمِينُ
تَاجُهُ فِي الدَّهْرِ وَضَاحُ الْجَبِينُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
وَاسْقِنَا يَا نِيلُ مِنْ نَبْعِ الْحَيَاةِ
يَسْتَمِيتُ الشَّعْبُ حَبِيبًا فِي عِلَاةِ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
حَوْلَكَ الْغُرُّ الْمِيَامِينُ السَّمَاحُ
فَاجْرِ يَا نِيلُ وَفِضْ بَيْنَ الْبَطَاحُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى
قَدْ وَقَفْنَا فِي ثَبَاتٍ كَلْجِبَالُ
صَوْتُنَا يَمْلَأُ آذَانَ اللَّيَالُ

أَنَّ لِلْأَهْرَامِ عِزًّا لَا يُهَانُ
... الخ
لَيْسَ مَعْنَاهُ صَلِيبٌ أَوْ هَلَالُ
بُدْسَ مَنْ يَحْيَا كَمَا يَحْيَا الْجَبَانُ
... الخ
هَيِّئُوا لِلنَّيْلِ مَجْدًا فِي الْخُلُودُ
كَعِبَّةً لِلنَّيْلِ فِي أَعْلَى مَكْنُ
... الخ
إِنَّهُ وَحْيٌ مِنَ السَّحَرِ الْمُبِينُ
يَنْجَحِي فِي جَانِبَيْهِ النَّيِّرَانُ
... الخ
أَنْتَ لِلْأَوْطَانِ جَاهُ أَيْ جَاهُ
مِنْ شَبَابٍ أَوْ كَهُولٍ أَوْ حَسَانُ
... الخ
يُدْفَعُونَ الضَّيْمَ مِنْ كُلِّ النَّوَاحُ
أَنْتَ وَالْكَوْثَرُ فِيمَا تَوْءَمَانُ
... الخ
فِي صَفُوفٍ صَدَعُهَا صَعْبُ الْمَنَالُ
مِصْرُ لِمِصْرِي عَاشَتْ فِي أَمَانُ

(الموضوع الحادى عشر)

سلامة الدولة فى حفظ الأمن والنظام واحترام القانون .
والبوليس - وهو من حراس القانون - صديق للشعب ،
ووجوب مساعدة الشعب له فى أداء واجباته

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية
أنشرف بأن أقدم لىولتكم التقرير الذى وضعناه بشأن المباررة
الصحفية فى الموضوع الحادى عشر .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام .

فى يوم السبت ٢٦ من المحرم سنة ١٣٥٥ رئيس اللجنة
١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦ (محمدر بيىب عطية)

قرار اللجنة

لما أذاع حضرة صاحب الدولة رئيس الحكومة فى الناس أمر المباررة
الصحفية ، صدر رسالته بكلمات استظهرت ، فى ايجاز وقور ، الغاية التى قصد
الىها من هذا العمل الجليل ، فقال :

« إن الحكومة رأت أن تخصص من ناحيتها جوائز للمجيدىن ،
والمحسنىن ، تنشيطاً للأقلام ، وإثارة للأفهام ، وإثارة ، للحماس العلمى ،
وإنهاضاً للبحث الأدبى ، وإطلاقاً للعنان العقلى ، وزيادة فى الانتاج الثقافى ،
وتوخياً للأصلاح الاجتماعى »

بهذه الكلمات الجامعة رسم دولته ، فى تواضع كريم ، دستوراً دقيقاً ،
تستهدى به لجان الاحتكام فى مهمة التقدير التى وليتها .

وقد كان علينا ، وقد وضحت الغاية وتكشفت المرمى ، أن نخطو

الخطوة التالية . فتذاكرنا فيما عساه يكون عليه هيكل المقال النموذجي في الموضوع الذى خصص للجنة : وكان أتب استوى لنا الرأى بأن الكاتب الذى يجيد حقاً في موضوعنا هو من يستعرض في جلاء ومنطق سليم : ارتباط سلامة الدولة وبقاء كيانتها، زارتفاع شأنها وتقدم أحوالها بانتشار الأمن والنظام فيها ، وباحترام القانون من شعبها ، يستعرض ذلك على وجه من البيان، ينبه الغافل، ويملك اليقين، ويستحث الوجدان، ويشير الوطنية الصادقة، ويخضع الغرور ويهذب الزهو، ويرد الجموح، وينير البصيرة . وعندما يلتفت الكاتب إلى الشق الثانى من الموضوع، ويتحدث عن البوليس ، صديق الشعب، وما تجب له من معاونة برسم مهمة رجل السلطة العامة بمعناها المطلق، من غير أن يتأثر بمصادفة حلولها في شبح لم يلبس لبوسها ولم يؤد أمانتها . ثم يستظهر نبيل هذه المهمة ومالها من معنى كريم، ويورليها لذاتها كل مالها من صفات فيضع نصب العيون غرضها وما تلاقيه دونه ، وفخارها وما تعانیه في سبيله . ويعطف في هذا المقام إلى المثل الأعلى لرجل البوليس، فيخطه ناصعاً ، ويرسم الوسائل الصالحة لا تتاجه وبعث روحه في بلادنا . وعند ما يتحدث عن الشعب وواجبه نحو رمز النظام ورسول القانون، يكشف ماخفى عن الكثيرين من أن رجل السلطة العامة إنما ينفذ القانون ولا يشرعه، وأن عيب القانون لا ينصلح بعضيان من ينفذه ، بل لذلك سبل أخرى، ويأتى في هذا المقام بما يقترحه من الوسائل التى ترفع بالشعب إلى ادراك هذه الحقائق، وما يربط بها، غير ساه عن واجب الكتاب، مربي الشعب وناصحيه

رسمنا في وجداننا هذا الهيكل للمقال ، ثم عكفنا على مطالعة ما تقدم لنا من رسائل المتبارين ، ففجعنا، في كثير منها أخطأ المعنى وانحرف عن

الغاية ، وجاء بعضها بليغا في أسلوبه ، ولكنه رخوا في معانيه ، مشتت في مناحيه .

ولزم آخرون من السكاكين بحوثا نظرية جامدة ليس فيها هداية ، ولا فيها ثمر ، ولم يرتح نظرنا الا إلى مقالين ، ولكن على قدر ، فأجمعنا رأينا على أن نجزي صاحبهما بعض الجزاء . وليكن أيضا على قدر ، بأن يمنحنا الجائزتين الثالثة والرابعة ، وهذان الفائزان هما حضرة الأستاذ محمود كامل الحامى ورئيس تحرير مجلتى الجامعة والقضاء المصرى (الثالثة) وحضرة على حلمى افندى مأمور مركز بيا (الرابعة)

أما قيمة الجائزتين الأولى والثانية فقلعه من النصفة أن ترصد كلها لمن يضع مؤلفا في الموضوع ، يعنى فيه بتحرى المراجع التى تناولت الشأن المبحوث ، مستخلصا ما هو منتج وهاد ، ثم يطرح مقترحاته مقرونة بحججها ودراجمها ، موشاة بالمنطق السليم ، والنظر الدقيق ، والعلم الاجتماعى الشامل .

بهذا ينفصح الجزاء لذوى الفضل النابهين ، وتجنى البلاد ثمة تفكير جدى ، وبحث علمى ، وجهد ثقافى باق على الزمان .

وليكن أجل ابراز المؤلف شهورا ستة مثلا ، يعان فيما بعد متى تجرى ، وترسم سنن المباراة فيه وما إليها من تفاصيل

الرئيس

الأعضاء

(محمد لمبب عطية)

(عبد السلام الشاذلى) (سيد مصطفى)

(أمين سامى حسونه) (محمد عبد الله العربى)

يوم السبت ٢٦ من المحرم سنة ١٣٥٥

و ١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦

رسالة الأستاذ محمود كامل

لم يشك واحد من شراح القانون العام في أن «النظام» ركن رئيسي من الأركان التي تتكون منها الدولة. بل إن هذا الركن ظاهر من التعاريف التقليدية التي تواتر شراح القانون الدستوري والقانون الإداري على تصدير كتبهم بها، ولعل التعريف الدارج هو تعريف بلانتشلي Bluntschli الذي يقول: (الدولة جماعة مستقلة من الأفراد المجتمعين الذين يعيشون بصفة مستمرة على أرض معينة بينهم طبقة حاكمة وطبقة محكومة) فمفهوم «الحكم» في هذا التعريف يحمل بين طياته معنى خضوع الطبقة المحكومة للطبقة الحاكمة. كما أن تعريف الرئيس ولسن الذي صدر به كتابه (الدولة) The State أكثر صراحة وجلاء في التعبير عن وجوب نهوض النظام والخضوع للقانون. إذ يقول إن الدولة (شعب خاضع للقانون يقطن أرضاً معينة)، أما هو لا بد، وهو أحد كبار شراح القانون الإداري أيضاً، فيغلو في الإشادة بوجوب ذلك النظام. إذ يقول إن الدولة (جماعة كبيرة من الناس تحتل عادة بقعة معينة من الأرض تسود فيها آراء الغالبية، أو إرادة طبقة خاصة بقوة تلك الغالبية أو الطبقة. سيادة تسيطر على كل من يخالفها).

والواقع أننا مهما استعرضنا الآراء المختلفة التي تكلمت عن أغراض الدولة، وعن الألف الذي لا يتسنى للدول أن تتعداه، فإننا لانجد خلافاً في أن من واجبات الدولة الدفاع عن حرية الفرد ودرء الاعتداء عليه، وهو المعنى الموجز المقصود من التعبير البوليسي (حفظ الأمن والنظام). فلو أننا تغاضينا عن النظرية الفوضوية التي دعا إليها برودون، والتي تنكر قيام الحكومات، والتي لم تجد إلى الآن إلا الاستنكار، سواء من الوجهة النظرية أو العملية، والتي يكفي لإثارة السخرية منها أنها تعتبر الملكية سرقة! مع أن الملكية هي أولى الأشياء التي وضعت القوانين للمحافظة عليها — إذا استعبدنا هذه النظرية لوجدنا أن هناك ثلاث نظريات تتحدث عن أغراض الدولة أو لها النظرية (الفردية) التي تنادي بقصر عمل الحكومة في الدولة على النذر اليسير من الاختصاصات لا يعدو النود عن حريات الأفراد ومنع الاعتداء عليهم كما قلنا، وثانيها النظرية (الاشتراكية) التي تنادي بوجوب زيادة تدخل الحكومة في جميع الأعمال التي يزاولها الأفراد وشل يدهم عنها، ثم أخيراً النظرية (المتوسطة) التي تقف حيرى بين الاثنين.

ولند كان هيربرت سبنسر من أكثر دعاة النظرية الأولى تحمسًا، ونظرة بسيطة إلى المبادئ التي دعا إليها في كتابه Social Statics and man versus the state. تكفي للامتحان بأن واجب الحكومات الأول هو إقرار الأمن والنظام؛ لأنه علل قيام الحكومات ونسبه إلى (أثر الفرد وميله إلى الجريمة: فمن الخطأ الادعاء بضرورة وجود الحكومات أبدًا؛ لأن الحكومات شيء عارض يجب أن يندثر بزوال السبب الذي دعا إلى وجودها)، ولست في حاجة إلى التذليل على ما في هذا القول من التناقض، فالجريمة لم تختف من أفق الإنسانية بعد ولا ينتظر أن تختفي؛ وحتى مع التسليم جدلاً بنظرية سبنسر، فإننا نجد أنفسنا أمام ضرورة تتهم قيام الحكومات لدرء أخطار أثر الفرد وأنايته وإيقاف ميله إلى الجريمة: وهذا الأمران اللذان اعترف بهما سبنسر أكبر داعية من دعاة النظرية الفردية الأولى.

أما النظرية الاشتراكية، فهي صريحة الصراحة كلها في أن نضع الحكومة أنها في كل شيء؛ وألا يقتصر ذلك على حفظ الأمن والنظام بل يتعداه إلى غيرها مما يزاوله عادة الأفراد.

بل إن شراح القانون العام استطاعوا أن يكونوا أكثر إيجازًا من ذلك كله عندما ذكروا «أن النظام هو قيام شرطة يخضع لها المجموع، فهو وجدت الأركان الأخرى واندم هذا الركن فلا دولة»؛ ولقد لخص الأستاذ مصطفى بك الصادق هذه الآراء في كتابه «مبادئ القانون الدستوري المصري والمقارن ص ٣٤»

والدولة إذ تبشر سلطاتها تستمد تلك السلطات من سيادتها، فهي تأمر الأفراد باسم الوطن، وتقضي فينفذ أعضاؤها؛ ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة؛ ولقد اعتاد الناس في فترات الانتقال بين الحكم المطلق والحكم الديمقراطي أن يذكثروا من الشرثرة عن حقوق الأفراد، وهي الحقوق التي أعلنتها الثورة الفرنسية والتي عرفت باسم (إعلان حقوق الإنسان) والتي تصدر بها عادة الدساتير في كل أمة. ويسهب شراح القوانين الدستورية في التعليقات عليها واعطائها مسحة توهم رجل الشارع أن عمله في الحياة أصبح متمصراً على أن يطالب بحق دون أن يحس بواجب؛ ويبدى أن كل حق في الوجود يجب أن يقابله واجب على ذي الحق؛ كما يتحدث القانون الدستوري في أمة ما عن حق الفرد يتحدث الإداري فيها عن حق الحكومة وواجب الفرد نحوها.

ولقد أشار العلامة برجز Burges إلى ذلك الحق فذكر أنه «السلطة المطلقة التي لأحد لها على كل فرد وجماعة. وقد تو صف السلطة بأنها اسمية أو فعلية؛ فالسلطة

الاسمية هي تلك السلطة الوهمية التي يتمتع بها أصحاب التيجان ، فتصدر الأحكام باسمهم بغير أن يسمح لهم بالتدخل تداخلا فعليا في تسيير الأمور ، إذ الذين يتمتعون بالسلطة الفعلية أشخاص آخرون .

ومن ذلك يتضح أنه سواء كانت تلك السلطة يباشرها ملك مستبد أو ملك ديمقراطي يباشر سلطانه بواسطة حكومة فإن هناك حقا لدوى السلطة في أن يفرضوا إرادتهم على الطبقة المحكومة ، وإن على هذه الطبقة احترام تلك الإرادة . ولا شك أن أكثر ما أفسد عقلية الجمهور في مصر هي الثروة المستمرة والظنونة حول حقوق الأفراد وقوة الرأي العام ووجوب خضوع الحكومة لهذه القوة دون تفسير هذه النظريات تفسيرا علميا هادئا ، ودون اقترانها على الدوام عند عرضها بما يقابلها من وجوب خضوع هذا الجمهور للحكومة عند مباشرتها لسلطاتها الشرعية ، بل يخيّل الى أن الكثيرين ممن تصدوا لتزعم الحملات الصحفية على الحكومات المتعاقبة منذ اعلان الدستور في مصر عام ١٩٢٣ كانوا منقادين — دون أن يحسوا — إلى الأخذ بنظرية بالية من النظريات التي عفا عليها الفقه الإداري الحديث ، وهي نظرية جان جاك روسو المعروفة باسم العقد الاجتماعي Le Contrat Social فهذه النظرية التي أصبحت لا تعدو أن تكون حفرة قديمة من حفريات ذلك الفقه كانت تتوهم بأن سيادة الدولة وسلطانها للإرادة العامة Volonte Generale أى لمجموع الشعب والجمهور الناضجين ، ولكن هذه النظرية انهارت على أثر الحملات المثالية التي كان قوامها بأن السيادة يجب أن تكون لشخص معين أو لجماعة معينة تدين لها غالبية الشعب بالطاعة ولا تدين هي لشخص أو لجماعة أعلى منها ، كما ذكر العلامة أوستن Austin

ولقد تعرض أستاذنا الدكتور محمد عبد الله العرنى في كتابه (تعريف القانون الإداري ص ٨) إلى تلك التفرقة بين القانونين الدستوري والإداري وذكر (أن كلاهما يحدد علاقات الدولة بأفراد الرعية) ، غير أن هذا التحديد مختلف للغاية في كل منهما ، فالدستور يعنى على الأخص ببيان حقوق الأفراد والإداري يوجه أكثر اهتمامه الى بيان الاختصاصات الحكومية وأثرها في تقييد حرية الأفراد ، ولذا قالوا إن القانون الدستوري يقرر حقوقا وإداري يفرض واجبات .

والمظاهر الهامة لمباشرة الدولة لسلطاتها هو الفصل بين تلك السلطات . ولا شك أن أكثر السلطات اتصالا بالشعب هي السلطة التنفيذية ، التي يثقلها أثناء تنفيذها

للمختلف القوانين واللوائح رجل البوليس ، فهذا الرجل مكلف بطبيعة عمله بأن يمنع الجريمة قبل وقوعها ، إذ يباشر اختصاص (البوليس المانع) ، وهو في مصر يباشر وظيفة أخرى وهي وظيفة (البوليس القضائي) إذ يحقق مع الخارجين على القانون .

وما يدعو الى الالتم الشديد أن الظروف كلها اجتمعت على وضع سد منيع بين رجل البوليس ورجل الشارع في مصر ، سد من الكراهية والشهامة والتحدى ، فانهار المثل الاعلى الذي كان واجبا أن يسود العلاقة بينهما ، وهو قيام نوع من الصداقة توحى الى رجل البوليس بأنه إذ يؤدي وظيفته في منع الجريمة لا يرضى شهوة خاصة في التشكيل بمتهم معين ، وانما يدفع خطرا عاما عن المجموع الذي يعيش ذلك المتهم الشارع في جريمته بينه : ولذا يقبض عليه بعد اتمام جريمته ويجرى حكم القانون فيه انما ينفذ ذلك القانون دون أن تكون للشهامة أثر أثناء أدائه لذلك العمل .

ولذا نحن نرجعنا الى العلة الحقيقية في قيام ذلك السد المقيت بين رجل البوليس ورجل الشارع لوجدنا أنها علة نفسية (سيكلوجية) ، فرجل البوليس الحالي في مصر إذا كان جنديا عاديا يختار من طبقة تعتبر من أحط الطبقات المصرية ولقد ذكر اللورد كرومر في صفحة ٥٠ من تقريره عن عام ١٩٠٤ (ان أفقر أفراد الشعب هم الذين لا يستطيعون دفع البدل وهو عشرون جنيه) وعلى ذلك فوظائف البوليس في الأرياف يشغلها أفراد من أحط أفراد الشعب وهؤلاء يطلب منهم تنفيذ القانون وأن يعيشوا هم وأفراد أسرهم براتب شهرى قدره جنيه واحد) ، ولا شك أن هذه حقيقة مؤلمة ، فمظهر السلطة التنفيذية هو ذلك الرجل ذو الأزرار الالامعة الذي يقف أثناء النهار والليل يمثل هبة القانون وينفذ أوامر رؤسائه وهو رجل مغبون ساخط على حياته متبرم به يريد أن يفرج كرتبه بالسخط على الناس والتشكيل بهم ليحقق حالة من حالات (التعويض) Compensation التي تحدث عنها فرويد أثناء شرح نظريته عن علم النفس الحديث ، وإذا كان ضابطا فهو الآخر يحيا أثناء عمله في القسم حياة عسكرية تخضبه لنوع من الرئاسة الصارمة التي تتحكم في طريقة مشيته وفي أسلوب حديثه ، وأحيانا في حياته الخاصة ، ولذا لا يكاد يتبين من نفسه السيطرة على أفراد الشعب حتى يحقق تلك الحالة نفسها من الحالات النفسية الحادة ، وهي حالة « التعويض » ، تعويض الغبن والذلة تجاه رؤسائه باذلال من يقع تحت يده من لا يملك حول ولا طولا .

ولقد كانت هذه الحالة أكثر وضوحا قبل ادخال التعديل الأخير على نظام قبول

الطلبة بمدرسة البوليس، واشتراط الحصول على شهادة البكالوريا، لأن الطلبة ما كانوا يقبلوا الاندماج في تلك المدرسة إلا بعد يأسهم من متابعة دراساتهم العليا، وكانوا يتخرجون بعد بضعة أشهر يقضونها في تلك المدرسة فيقبلون على حياتهم البوليسية وفي عتولهم الباطلة Inconcient mind نوع من التمرد على الظروف التي أتاحت لغيرهم من زملائهم تربع مراكز النيابة، والقضاء، والاشتغال بالطب أو المحاماة أو الهندسة، ووضعهم هم في ذلك العمل المرهق المتشابه ذى المرتب الضئيل، والذي تتحكم فيه رئاسة عسكرية عاتية، وسرعان ما يظهر أثر ما يوحى به ذلك العقل الباطن أثناء مباشرتهم لعلاقاتهم اليومية مع أفراد الشعب، ولا يكون هذا الأثر عادة إلا ستر الشعور بالنقص Inferiority complex بالتظاهر بالقوة والبطش أمام الأفراد الذين يتصلون بهم يوميا اتصال متهم بمحقق، والدليل على صحة ما أذهب إليه أنه بينما نجد الشكوى عامة من معاملة رجال البوليس للأفراد لا نجد لهذه الشكوى أثرا بالنسبة لمعاملة أعضاء النيابة لأولئك الأفراد، فأعضاء النيابة لا يعانون ذلك الشعور بالنقص، وهم بعد ليسوا في حاجة الى تحقيق تلك الحالة من حالات « التعويض » لأن الرئاسة في النيابة رئاسة أقدمية، وطول مران في العمل التحقيقي، وعضو النيابة مهما صغر شأنه لا تمتحن كرامته ولا يعامل من أكبر رؤسائه إلا معاملة الند للند، ولقد جرى العمل على أن يلقب عضو النيابة بمجرد بدئه العمل بلقب البكوية، وهم مطمئنون تمام الاطمئنان الى مستقبلهم والى الضمانات التي تحيطهم أثناء أدائهم لعملهم أداء حرا .

فاذا عدنا الى الاحساس الذي يختلج في صدر الفرد في مصر عندما تحتم عليه الظروف أن يدخل الى قسم من أقسام البوليس، لوجدنا أن ذلك الاحساس لا يعدو أن يكون خوفاً مما سوف يحدث له داخل القسم، وهذا الاحساس يشتد أحيانا الى حد الرهبة، وقد يصل الأمر ببعض الجنى عليهم الى تفضيل التنازل عن شكواهم خشية أن يلحقهم أذى اذا تقدموا الى البوليس بشكوى ! والفكر السائد أن لرجل البوليس الحق المطلق في حبس المتهمين حبسا احتياطيا على ذمة التحقيق في قضاياهم الى حين ارسالهم للنيابة، ولقد ساعد على رواج هذه الفكرة أن الكثيرين من رجال البوليس يقدمون عليها دون أن يجدوا رادعا يردعهم، مع أن اجماع شراح قانون تحقيق الجنايات على أن ما مورى الضبطية القانونية لا يملك سلطة الحبس الاحتياطي، ولقد ذكر أستاذنا احمد نشأت بك في صفحة ٩٦ من شرح قانون

تحقيق الجنائيات فقرة ٥٩ (ان مأمور الضبطية القضائية في جميع الأحوال في القضايا المركزية وفي حالة الانتداب من النيابة وفي حالة التلبس لا يملك الحبس الاحتياطي .

وانما حققة قاصر على القبض لا أكثر فاذا رأى أن قضية ما لظروفها الخاصة تستحق أن يصدر فيها أمر بحبس المتهم احتياطيا يجب عليه أن يرفع الأمر إلى النيابة) .

ولكن رجال البوليس بالتحايل على هذه الضمانة التي وضعها القانون لحماية حريات الأفراد، لجأوا إلى طريقة أصبحت تقليدية ، وهي طريقة وضع المتهمين في فناء المركز أو قسم البوليس الذي يعرف في الاصطلاح البوليس باسم (الحجز) ولما أصبح هذا (الحجز) شجحا مخيفا يرهبه الأفراد لأنه غير خاضع للسلطة التي يمنحها القانون لأعضاء النيابة في التفتيش على المسجون المركزية فليس له دفتر خاص بتقيد فيه أسماء المسجونين حتى يمكن لعضو النيابة المفتش أن يشرف على استقامة الاجراءات التي اتخذت في الزج بأولئك الأفراد إلى السجن وأن يتبين تاريخ وضعهم فيه والتاريخ الذي يجب أن ينتهي عنده أمد اقامتهم به، وما يدعو إلى الأسف الشديد ان شكوى كثيرة قدمت بشأن وضع افراد داخل الحجز وتركهم أياماً طويلة وحقت بواسطة بعض أعضاء النيابة فلم يفته التحقيق فيها إلى نتيجة حرصا على الرغبة في عدم اثاره حادث incident بين وزارتي الداخلية والحقانية . السر اذن في ذلك السد الذي يقوم بين رجل البوليس في مصر وبين الافراد هو الشعور بأن رجل البوليس لا يعتمد على القانون وحده في معاملتهم وانما يفتات على ذلك القانون ويتعدى حدوده، والعلاج الوحيد هو إيجاد نوع من رجال البوليس يفهمون حقيقة رسالتهم فيها منطقيا سليما ، وإيجاد هذا النوع كما يقول اللورد كرومر في صفحة ٧٠ من تقريره عن عام ١٩٠٦ شيء (من أصعب الأمور وأشدّها تعقيداً لمن ينشد الإصلاح في مصر . . ففيا يتعلق بالأخلاق والطباع لا يمكن أن نتوقع من رجل البوليس المصري أن يكون في مستواه أرقى من مستوى البيئة التي نشأ فيها) .

ولبل خير تعبير عن عمل البوليس وحدود هذا العمل هو ما ذكره هوريو Hauriou في صفحة ٤٤٥ من كتابه (موجز القانون الإداري)

Precis du droit administratif

(ان اضطر ابات الأمن العام عرض يتود البوليس الى العمل كما تقوم الحمى بقيادة الطبيب . والبوليس كالتب يستخدم كل الطرق التي تؤدي فقط إلى اختفاء تلك الأعراض) ، وقد عقب هوريو على ذلك بأن البوليس ليس من شأنه أن يتغلغل فيما هو أكثر من ذلك اذ يجب أن يقف عمله عند حد ازالة الأعراض التي تشكو منها بلدة ما ويكون مظهر هذه الشكوى اختلال في حالة الأمن العام .

ولقد اقترحت اللجنة التي سبق أن تألفت في وزارة الداخلية باسم لجنة اصلاح الأمن العام تقسيم البوليس المصرى إلى ثلاثة أقسام : وهى : (١) البوليس القضائى الذى يتولى التحقيق فى جرائم القانون العام التي يرتكبها الافراد ، وقد أوصت اللجنة بوجوب اختيار افراده من حملة ليسانس الحقوق لكي يكون هذا النوع مطمئنا إلى كفاءته الشخصية أثناء مباشرته لعمله ، وفى تحقيق هذا الاقتراح انتفاء للعلة النفسية التي سبق أن أشرت اليها وهى علة شعور رجل البوليس الحال بالانقص ... نقص مرتبته الاجتماعية ونقص درجته الثقافية (٢) البوليس النظامى ، وقد أوصت اللجنة باختياره من خريجي المدرسة الحربية وهو البوليس الذى يقوم (بالدوريات) والذى يؤدي الجانب العسكرى من عمل مركز البوليس أو (القسم) واختياره من هذه الطيقة لن يشير رهية الافراد لأن اتصاله بهم سوف يقتصر على المحافظة عليهم من الأذى والاعتداء وسوف يغذى طمأنينتهم إلى أن مصيرهم عند ارتكابهم ما يخالف القانون الى رجال توفروا على دراسة القانون الذى كان ولا يزال وسوف يكون أبداً فكرة « مدنية » انسانية سامية لا أثر للعسكرية فيها (٣) البوليس (البلدى) ، وهو البوليس الذى يقوم أفراداه بتنفيذ اللوائح الخاصة بالمجالس البلدية والمحلية والقروية وليس لهذا النوع الثالث أهمية خاصة فى هذا البحث لأن الجرائم التي يرتكبها الافراد عادة والتي ينتظر أن تقع فى اختصاص هذا البوليس تعتبر من المخالفات البسيطة التي لا يجوز فيها القبض ولا الحبس الاحتياطى .

أما فيما يختص بضممان مستقبل رجال البوليس القضائى الذى يهمننا فى هذا البحث غاية الأهمية - وهو أمر له خطورته فى حالة أداء ذلك البوليس لعمله - فقد تعرض لهم تقرير تلك اللجنة أيضا إذ أفسح الطريق أمام رجال البوليس القضائى الاكفاء لكي يختار منهم النائب العام من يشغل وظائف أعضاء النيابة . هذا فيما يختص بايجاد نوع جديد من رجال البوليس تتوفر فيه الثقافة القانونية الكافية والضمانة الخلقية التي تؤيدها بيئة الأسرة التي تمكنت موارد المالية من الانفاق على ابنها

حتى أتم كل مراحل دراسته والاطمئنان الشخصى إلى مساواته الفكرية والاجتماعية بغيره من أرقى الطبقات المصرية .

أما فيما يختص بشعور الأفراد نحو رجل البوليس فإنه سوف يتغير ولاشك بحلول الطبقة المتمدنة من رجال البوليس محل الطبقة الحالية وتغير الأوضاع التعسفية التي اعتادت الطبقة القديمة السير عليها في معاملة الأفراد، ولكنني يجب أن أضيف إلى أن التربية الحالية في مصر لا تمهد لايجاد الفرد الذي يحترم القانون لأنه واجب الاحترام، وهذا راجع ولاشك إلى نقص جوهرى في برامج الدراسة بمدارسنا ، فهذه البرامج تكاد تكون خالية من (التربية الوطنية) وهي مادة جوهرية يقوم عليها النظام البيداجوجى في أرقى الأمم المتمدنة وقد عرفت في إنجلترا Citizenship وفى فرنسا باسم :

Instruction Civique وكانت قد أدخلت إلى نظام التعليم المصرى منذ بضعة أعوام ثم ألغيت ثم ترددت بين الابقاء والالغاء، ولكن الواقع المؤلم أن الكتب التي وضعت فيها باللغة العربية لم تف بتحقيق الغرض السامى المنشود منها . فالواجب التوافر على وضع عدد من الكتب فى التربية الوطنية يظهر للطلبة فى مختلف السنوات الدراسية بطريقة سهلة Vulgarise حق السلطة التنفيذية ممثلة فى رجل البوليس فى تطبيق القانون على الكبير والصغير ومدى هذا الحق وحق الفرد فى الشكوى من الاجراءات التي تتخذ ضده أمام الجهات المختصة بنظر تلك الشكوى، كما يجب تنظيم محاضرات عامة يقوم بها نفر من القانونيين الشبان بشرحون ، للعمال والفلاحين والذين لا تمسكهم ظروفهم من استيعاب المواد القانونية الجافة ، حقوق البوليس فى اتخاذ اجراءاته عند مخالفة الأفراد لواجباتهم أو ارتكابهم الجرائم المختلفة التي يعاقب عليها القانون العام، فهذا النوع من الشرح الدارج لمواد القانون توديه فى فرنسا كتب خاصة هى الكتب المعروفة باسم القانون الدارج Droit usuel ولكن انتشار الامية فى مصر يجعل طبع مثل هذه الكتب عديم الفائدة .

ولا يمكننى أن أختتم هذا البحث قبل أن أذكر عاملا جوهريا من العوامل التي يجب العمل على ايجادها، لتوطيد أو اصر الصداقة بين رجال البوليس والأفراد فى مصر، لأن الصداقة لا تكون إلا بين طرفين متعادلين فى الحقوق، فكما يجوز لرجل البوليس أن يقبض على الفرد إذا ضبط متلبسا بجريمة وأن يستصدر من النيابة

أمرا بحبسه احتياطيا وأن ينذره متشردا أو هشوها، يجب أن يجاز للفرد أن يعترض على ذلك أمام هيئة تسمع اعتراضه وتنصف له إذا كان هناك محل للاتصاف، وهذه الهيئة ولا شك هي القضاء، والقضاة في النظام الحالي وطبقا للمادة ١٣٤ من الدستور (مستعملون لاسلطان عليهم في تضائهم لغير القانون وليس لاية سلطة في الحكومة المتناخل في القضايا) وهم يحكمون ولا شك بوحى ضمائرهم، ولكنهم معرضون عند هبوب العواصف السياسية التي تدع لرجال البوليس مجالا للتعسف في إجراءات القبض والحبس الاحتياطي وعند إصدار أحكام لا توافق هوى السلطة التنفيذية التي يعمل رجال البوليس عادة بوحى منها — معرضون لقرارات النقل إلى جهات بغیضة أو الاحالة إلى المعاش ، وقد ظلت المادة ١٣٧ من الدستور التي تنص على (عدم جواز عزل القضاة أو تقلمهم بتعين حدوده وكيفية بالقانون) مشمولة ومعرضة التوازن الواجب بين رجل البوليس ورجل الشارع للاضطراب إلى أن صدر القانون الأخير الخاص بضمين ذلك الاستقلال إلى حد ما ، وفي يتبين أن هذا القانون خطوة موفقة نحو خلق جو من التفاهم الصالح بين رجال البوليس المصرى والأفراد، لأن الطرفين سيعلمان، عندما تقضى الظروف بالتقائهما، أن هناك حكما لن يكون لغير كلفة القانون ، وللقانون وحده سلطة عليه ، ولن يخشى إذا قال هذه الكلمة أن يحل به مكروه ولقد أشار أستاذنا الدكتور العربى فى صفحة ١٤ من رسالته عن (الضمانات الدستورية) إلى كلمة العلامة جاكلان Gacquelín أستاذ القانون العام بجامعة باريس الرائعة (أن عدم جواز عزل القضاء شرط لاستقلال القضاء واستقلال القضاء علامة وجود سلطة منفصلة مستقلة إلى جانب السلطين التشريعية والتنفيذية) .



ملخص رسالة الأستاذ على حلمي

مهد لبحثه بأن الأمم تختلف رقياً ، وحضارة ، وأدناها إلى المدنية ، وأقربها من السكّال ، ما توافرت فيها أسباب الأمن والعدل والطمأنينة ، ولا يتيسر هذا على الوجه الأكمل إلا إذا تعاونت الأمة « حكومة وشعباً » على سلوك السبيل الموصل إلى هذه الغاية السامية ، فأدى كل منهما وظيفة ، فوظيفة الحكومة اتخاذ الوسائل العملية لاعطاء كل ذي حق حقه ، ودفع كل عدوان يقع على الأفراد أو الجماعات ، وتوجيه الشعب إلى سبيل الحضارة والتهديب والرفاهية . ويتعاون على تحقيق هذه الغايات سلطات ثلاث : التشريع ، القضاء ، التنفيذ . غير أن السلطة التي تقوم بالقسط الأوفر هي الشرطة « البوليس » التي تتولى السهر على رعاية القانون والمحافظة على الأرواح والأعراض والأموال ودرء الحوادث الجنائية وكشف ما يقع منها ، فلها تنسابق الأمم في الاهتمام بالبوليس ، وتعمل دائماً على توفير التعليم الفنى والكفاية والمقدرة فيه ، وتزويد رجاله بالأخلاق الفاضلة ، وتحصينه بالضمانات التي تكفل له الطمأنينة في التمسك بالحق ، والاضطلاع بالتبغات دون خشية أو تردد، وبوازع من وحى الضمير والواجب . ولكى يتسنى لرجل البوليس أن ينهض بأعباء أعماله الخطيرة ، ويكون أهلاً للقيام بواجبه من حراسة القانون وصيانة الأمن وسلامة الدولة ، يجب أن يكون حائزاً للصفات الآتية :

الأخلاق فوق الكفاءة ، فخلق المرء دعامة مجده وأُس نجاحه ، وأن أقل انحراف من رجل البوليس عن جادة الاستقامة يجعله موضع سخط الناس ، ويكون سبباً في تشديد العقوبة عليه من ولادة الأمور .
الشجاعة والأقدام ، فإذا جن عن القيام بواجبه بالجسارة والاقدام ، لحقه العار الدائم ، وتعرض للمحاكمة ، ونال العقاب الصارم ، بل قد يكون جنبه سبب هلاكه .

بذل المساعدة للجمهور ، فإني دعوته ، ويسعف المصاب ، وينقذ الغريق ، ويطفىء الحريق ، ويرشد الضال ، ويساعد الضعيف والصغير والهرم .

حسن التصرف ، فيتخذ في كل حالة ما يناسبها ، حازما في غير عنف ، ليئا في غير ضعف .

التأدب في الاجابة ، فيحسن الحديث مع الناس ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، دون أن يتوانى في أداء واجبه .

العدل وانصاف المظلوم ، فرجل البوليس قوى بالقانون ، يستطيع رد الحق المسلوب الى صاحبه ، قادر على ايقاف تيار الظلم ، فيجب أن يكون دائما في جانب المظلومين ، فلا يؤثر فيه جاه أو ثروة أو نفوذ أو وساطة ، لأنه حارس القانون ، والسكل أمام القانون سواء .

العمل على اكتساب ثقة الجمهور وتقديره ، فيجب أن يجعل نفسه موضع ثقة الجمهور ، خادما له لاسيما عليه ، مع الاحتفاظ بكرامة منصبه ، ووقار وظيفته ، والاقتصار - فيما خول له من السلطة - على أداء الواجب دون ضجيج أو تحرش بأحد .

عدم الاكثار من مخالطة الجمهور ، فان ذلك خير لكرامته ، وأبقى لهيبته ، وأفضل لأداء وظيفته

النزاهة وعلو النفس ، فرجل البوليس - بماله من السلطان المباشر على الجمهور - أكثر الموظفين تعرضا لتطالع الناس إلى رشوته ، فيجب أن يكبح جماح نفسه ، ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا

الصراحة ، فان بما يفقد ثقة الناس بالمرء أن يلجأ الى التعمية في حديثه ، فيمكن بمحدثه ، وليس أدعى الى الثقة به أن يتجلى بالصراحة في قوله ، فهي تبعث الاطمئنان في نفس السامع ، وانه ليس الرئيس أن يصارحه مرءوسه بما يقع منه من خطأ ، وقد تدعو الصراحة الى العفو أو تخفيف العقوبة .

الصدق وتنزيه النفس عن النفاق ، فالصدق منج ، والكذب مرد أداء الشهادة بصدق ، فعلى رجل البوليس أن يبتعد عن المبالغة في شهادته بذكر وقائع لم تحصل ، مؤملا أن ينال بذلك فخرا أو يعظم شأنه ، فان ذلك مضیعة لثقة القضاء في شهادته

التمسك بالدين ، فان شخصا يفرط في دينه لا يؤتمن ولا يوثق به الاخلاص لجلالة الملك ومحبة الوطن ، لجلالة الملك المعظم هو رمز الوطن ، وعنوان عظمته ، وولى نعمته ، والوطن هو الذى أظلتنا سماءه ، وروانا ماؤه ، وأنبت

لنا نباتا حسنا ، وثمرا طيبا

احترام الرؤساء والاحتفاظ بالكرامة ، فيجب أن يكون الاحترام مبعثه حب القيام بالواجب ، لا يصحبه ملق أو يشوبه رياء ، وألا يكون الباعث عليه مجرد نفوذ الرئيس وسلطانه ورغبة المرموس في الخطوة لديه .

الاعتماد على النفس ، فالرجل الكفء في عمله ، الكامل في خلقه ، يكون شقيقه دائما الاعتماد على ما يؤديه من عمل حسن ، ويربأ بنفسه عن الزلفى للرؤساء أو التوسط لديهم بالرجاء .

احترام القانون ، فرجل البوليس مكلف بحراسة القانون وتنفيذه على الجمهور ، وهو بذلك أولى الناس باتباعه واحترامه ، حتى يكون قدوة حسنة لغيره .

اتقان العمل والاخلاص فيه ، فيجب أن يعمل بوازع من وحي الضمير ، لارغبة من رئيس ، ولاخوف عقوبة ، فانه لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فاذا ماتوافرت في رجل البوليس هذه الصفات ، علت مكانته في النفوس ، وسملت مهمته ، ومهمة الحكومة من ورائه ، في الحكم الصالح المستقيم ، وحاز ثقة الشعب ومحبة واحترامه ، وكان بذلك صديقا له ، فتتوثق الروابط بين الحكومة والشعب على أساس متين من العطف والحزم من جانب ، والثقة والاحترام من الجانب الآخر .

على أن هذا لا يتيسر للبوليس وحده من غير معاونة الجمهور له وقيامه بنصيبه من احترام القانون ، والانقياد له بسهولة ، عن طوعية ورغبة ، لاعتن خشية ورهبة ، ولا يتسنى ذلك إلا بتعليم الشعب وتمنيده ، وغرس احترام القانون في نفسه وطاعة منفيذه ، ومعرفة ان القانون لم يوضع الا لخيرته ورخائه ، وان في طاعته للبوليس واعانتة له تحقيقا لمصلحته .

ثم تحدث عن الجهل السائد بين صف الضباط وعساكر البوليس ، ورأى أن هذا الجهل كثيرا ما يؤدي إلى سوء المعاملة والتحرش بالجمهور في تنفيذ أعمالهم ، واقترح اختيار عساكر البوليس من الشبان المتعلمين العاطلين ، لأنهم أليق الناس لهذا العمل الهام ، وهم على استعداد لخدمة بلادهم بالبوليس ، والذي هو من أشرف أعمال الدولة وأسمائها ، وان رجال البوليس الأميين - إذا عادوا إلى بلادهم عقب الخدمة الاجبارية - كانوا أنفع الناس للزراعة والفلاحة بالحقول المصرية ، التي نشأوا فيها منذ نعومة أظفارهم .

وانتقل إلى الكلام عن وسائل اعداد الجمهور للقيام بمعاونة البوليس ، فرأى أن
يعنى بما يأتى :

التعليم الإلزامى ، فهو نواة النهضة العلمية ، وكلما انتشر التعليم ، بث روح
الفضيلة فى النفوس ، وباعد بين الجمهور وبين الرذيلة .
التربية الخلقية بجميع المدارس ، فيعود التلميذ منذ نشأته على التمسك بالأخلاق
الكرامة والشهامة والنخوة ، والاعتماد على النفس ، والاحتفاظ بمظاهر الرجولة ،
ومما يساعد على ذلك ، الاكثار من فرق الكشف والجولة ، والمران البدنى .

تنمية الوجدان الدينى ، فليس مثل تأثير الوازع الدينى فى نفس الشعب ، ويكون
ذلك بالاكثار من الوعاظ والمرشدين ، وتسهيل سبل انتفاعهم ، وتزويد خطباء
المساجد بالخطب العصرية الملائمة لتطورات الزمن ، وبلغة سهلة مفهومة لعامة
الشعب تغرس فى نفوسهم صفات الرحمة بالضعيف ، وإغاثة الملهوف ، ونصرة
المظلوم ، والتسامح ، والعفو عند المقدرة ، ومحو غريزة الانتقام ، والترغيب فى
أداء الشهادة بالصدق ، والتحذير من الكذب وشهادة الزور

تنظيم الدعاية القومية ، فيعلم عامة الشعب فضيلة معاونة رجل البوليس واحترام
القانون ، وذلك بالاكثار من المحاضرات فى المجتمعات والمنتديات والمذياع ،
وعن طريق الصحافة ، وبواسطة التمثيل والسينما ، بلغة سهلة وبطرق مشوقة
ومرغبة .

تعميم الرياضة البدنية ، فهى - فوق تميئتها الجسم وتقويته - تكسب النفس
شجاعة وإقداما ، وتعود الشخص حب النجدة والتفانى فى المحافظة على النظام
والطاعة واحترام المجموع ، والعمل لحيزه وخدمة الوطن ومجده ، وتشغل النفوس
- وقت فراغها - عن المفاسد والتفكير فى الاجرام ، فيجب الاكثار من الجمعيات
والنوادي الرياضية ، ورعايتها وتحجيبها إلى عامة الشعب وطوائف العمال ، ومكانة
المبرزين فيها ، وتشجيع الفروسية والتخطيط (المبارزة بالعصا) ولعب الكرة بأنواعها
فى بلاد الريف .

نم تكلم عن الجرائم التى تحدث تحت سمع الجمهور وبصره ، واحجام الشهود عن تأدية
الشهادة ، رهبة من الجانى ، وخشية من سطوته ، وعطل هذا بطول اجراءات المحاكم
الجنائية ، ومضى زمن طويل بين ارتكاب الجريمة والحكم فيها ، واقترح :
تبسيط اجراءات المحاكمة الجنائية ، فيشجع الجزاء السريع عامة الشعب على

عدم خشية الأثقياء ، ومعاونة البوليس في الارشاد عنهم والشهادة ضدهم ، ولا تتاح الفرصة للجاني وشيعته في اضعاف أدلة الاتهام ، والتلفيق لافلاته من يد العدالة ، ولا يدفع طول الزمن ذوى الشأن في الجناية إلى الانتقام بأنفسهم علنية القصاص ، ليكون في ذلك زجر للمجرمين ، وعبرة لأمثالهم من الآثمين . واختتم بحثه باقتراح مكافأة الغيورين والممتازين في خدمة المجموع ، وتشجيع كل من يمتاز في مساعدة البوليس تشجيعاً أديباً ومادياً ، فالأدبي يكون بالاشادة بذكر من يتطوعون لمساعدة رجال البوليس في خدمة الأمن العام ، ومنحهم أنواع الجدارة ، ونشر أخبارهم في الصحف السيارة والمجلات الأسبوعية ، والتحدث عنهم في المذياع ، وارسال كتب الشكر مكافأة لهم وتشجيعاً لغيرهم على الاقتداء بهم ، والتشجيع المادى يكون بمنح الجوائز والمكافآت المالية بسطاء ومن غير ابطاء ، حتى يكون لها الأثر المطلوب

والأمل كبير في الوصول إلى هذه الغاية السامية ، وهى : سلامة الدولة وأمنها ؛ في المستقبل القريب ان شاء الله تعالى ، بما وضعه ولاية الأمور في حكومتنا السنية - خصوصاً حضرة صاحب الدولة النابغة على ماهر باشا رئيس الوزراء - من أسس قوية ومشاريع نافعة ، لرقى الشعب واسعاده ، واصلاح أداة الحكم وانتظامها ، وتهذيب التشريع وتوحيد القضاء ، وترقية الشؤون الصحية ، والأحوال الاجتماعية ، والمرافق القروية ، والنهوض بالصحافة ، ونشر الثقافة

على ماهر باشا والجامعة

- « نشرت جريدة الدستور الغراء بعددها الصادر »
- « في صباح السبت ٢١ من شعبان سنة ١٣٥٧ - »
- « ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، مقالا بهذا »
- « العنوان لحضرة الكاتب الأديب والنائب المحترم »
- « الأستاذ سعد اللبان ، فرأيت أن أجعله مسك »
- « الختام لهذا الكتاب ، لتناوله بعض معارضته »
- « في بحثي الخاص بتاريخ حضرة صاحب المقام »
- « الرفيع على ماهر باشا ، وما هو ذا نص المقال : »

لئن كان المغفور له المرحوم الملك فؤاد صاحب الرعاية البارة والوصاية الكريمة على الجامعة المصرية ، في عهدهما الألهي والحكومي ، فقد كان له من سعة وقته ونظام حياته عندما كان أميرا ما يسمح له بالاشراف العملي على الجامعة وإدارة شؤونها في عهدها الأول ، ولكنه بعد أن رقى عرش البلاد ، وأصبح في عهد جديد لا يباشر فيه شؤون البلاد، أهلية أو حكومية ، بنفسه، بل بواسطة وزرائه، ومن يثق بهم من كبار أئمة ، فإن العناية الالهية قد اختارت لتنفيذ رغائبه الكريمة، وتحقيق أمانيه الطيبة نحو الرقي بالجامعة المصرية، رجلا من خاصة أئمة ، وعظيما من عظماء شعبه ووزيرا من أحكم وأبرع وزراء دولته، هو حضرة صاحب « المعالي » على ماهر باشا وزير المعارف « سنة ١٩٣٥ » وهكذا وجدت مشيئة الملك الصالح السبيل لتحقيقها على يد وزير المعارف، تحقيقا مستثيرا لا يقف عند انشاء الكليات وحشد الطلاب والأساتذة فيها، ولكنه يتعدى كل ذلك إلى تنظيم الدراسات تنظيما عاليا، يستحق الوصف الجديد للتعليم الجامعي في مصر، بعد عهد الاستقلال واضطلاع المصريين بشؤونهم الداخلية، ويوصل إلى حد إيجاد جامعة عصريّة تضم خير الأساتذة العالميين وأحسن الطلاب في جو جامعي يسود فيه روح التعاون العلمي والحرية الفكرية، متخطيا لتحقيق ذلك جميع الحواجز المالية والتعليمية، التي مهدها بصادق عزمه وقوة شكيمته حتى تمكن من انشاء الجامعة، مهيذا لذلك خير تمهيد وأنفذه، بأعداد التلاميذ المصريين في المدارس إعدادا

كافيا للدراسات العالية . فقد كان يرى أن انشاء الجامعة عمل ذو شقين : الاول منها : اصلاح مراحل التعليم المصرى ، التى تسبق التعليم الجامعى ، وتعديل مناهجه وخططه وأساليبه ، بحيث يصبح كفيلا باعداد الشاب المصرى للعمل فى الحياة ، وللتعليم الجامعى إذا ما أراد الاستزادة من العلم .

والشئ الثانى : إيجاد جامعة مصرية تصل بالطلاب المصرى إلى أعلى مراتب التعليم فى فروعها المختلفة ، لتعده للحياة العالية ، وزاولة الشؤون الكبرى فى البيئة المصرية العلمية ، وأدبية ، وصناعية ، واقتصادية ، وزراعية . . .

ولم يكن فى التراث العلمى الضئيل ، الذى خلفه لنا المحتلون فى ميدان التعليم ، ما يصلح أساساً لشيء من هذا كله ، فعمد إلى الناحيتين يعمل فيهما ليل نهار ، حتى استطاع ، بعد هذه الفترة الوجيزة التى قضاها فى وزارة المعارف ، أن يوجد لمصر مدارس مصرية ، تعد شبابها خير إعداد للتعليم الجامعى ، وجامعة مصرية ، تعد شبابها خير إعداد للمهام الأمور .

وإن المؤرخ المدقق ليجد هذه الظاهرة فى تاريخ التعليم فى مصر واضحة فى عمل المصلح الكبير على ماهر باشا فى صفحة سنة ١٩٢٥ من تاريخه المجيد ، فقد تولى « معاليه » وزارة المعارف ، وعقد التنازل عن الجامعة المصرية الأهلية المبرم بين مجلس إدارتها وبين الحكومة المصرية ، مطمور فى ملفات وزارة المعارف ، فأخرجته يد الفاحصة ، وتناولته بالتنفيذ ، فالتحقق ، خلال فترة الصيف التى يقضيها شيره فى متعة وراحة واستجمام .

وما كاد يطالع العام الدراسى سنة ١٩٢٦ ، حتى كانت الجامعة بكلياتها المختلفة صروح علم عالية ، وإذا بهذه الوثيقة المهمة تصبح وثيقة مجد وشرف للبلاد أولاً ، ومجد وفخار للوزير الكبير ، الذى جعل من هذا الاتفاق المتواضع أساساً لحياة علمية باهرة لمصر وللشرق

كان « معاليه » قد أتم تنظيم برامج التعليم الابتدائى والثانوى على نمط جديد ، وضحه فى القرار الوزارى الذى أصدره بتشكيل اللجان التى اضطلعت بهذه المهمة تحت إشرافه ورياسته الفعلية ، فحدد الغرض من التعليم بأنه « تكوين المواطن المستنير والشاب الكفء للعمل فى الحياة باستقامة ونجاح » وأشاع فى برامج التعليم المختلفة الوسائل العلمية والعملية والرياضية والخلقية والاجتماعية التى تهيئ لأدراك هذا الغرض ، مما لاعد لوزارة المعارف به من قبل ، كما عمد الى تعليم

اللغات باعتبارها وسيلة للنجاح في الحياة العلمية والعملية، فنظم دراستها تنظيمًا جديدًا، وجعل من المحتم على الطالب المصري دراسة لغتين أساسيتين هما الإنجليزية والفرنسية، ولغة ثالثة اختيارية هي الإيطالية أو الألمانية، وسوى البنات والولد في التعليم فأنشأ المدارس الثانوية للبنات، كما أنشأ لمن كلية خاصة لاعدادهن لوظيفة الامومة على خير مثال، ولما انتهى من ذلك كله أراد أن يهيئ لشبابه الجديد ميدان التعليم الجامعي - وكان قد استصدر المرسوم الملكي بإنشاء الجامعة في ١١ مارس ١٩٢٥ - فعكف على تنظيم الجامعة الجديدة، جاعلا من مدرستي الحقوق والطب ومن بقايا كلية الآداب في الجامعة القديمة نواة لها، ثم أنشأ كلية العلوم، وعمد إلى تنظيم ذلك كله من جديد، فرتب الدراسات، ونوع فروعها، ووضع نظمها، وعمد إلى كل كلية من الكليات القديمة فأعاد تنظيمها ورتب من جديد دروسها ومناهجها، ثم اتجه بنظره إلى الأفق العلى العالمى، فاستعان بنخبة من كبار الاختصاصين في فنونهم المختلفة، وبذل الجهد في استقدامهم، وعهد الى بعضهم في تنظيم الكليات، وإلى البعض الآخر في تولى الدراسة بها، ولم يحل دون تحقيق غرضه، في سبيل استعانة مصر بخبرة هؤلاء الاساتذة وعلمهم، ما كانوا يتمتعون به في بلادهم من مراكز عليية سامية، وما ينالونه من مرتبات كبيرة، فقد استطاع أن يحقق، بكل الوسائل الدبلوماسية والأدبية، الوصول إلى ذلك، رغم حرص جامعاتهم وحكوماتهم على الاحتفاظ بهم .

ومما يذكر في هذا الشأن انه لم يخضع عند الاختيار لغير الشهرة العالمية والمكانة العلمية، ولم يراع في سبيل العلم أى مجاملة سياسية، مما أغضب المسيطرين على مصر في هذا الحين، لأن نصيب الاساتذة الانجليز من هذا الاختيار كان قليلا جداً .

ومما يروى في هذه المناسبة للتاريخ، ويكشف عن الروح القومية الخالصة التي كان يعمل بها ماهر باشا عند انشاء الجامعة « ويعمل بها دائما »، أن يمثل الدولة الانجليزية في ذلك الحين « لورد لويد » ذهب إلى المرحوم الملك فؤاد محتجا على هذا، فطبيب المرحوم الملك فؤاد خاطره قائلا له :

« إن هذه الأساليب لا تجدى نفعا مع وزير معارفى، وانه لا يمكن لانسان أن يشينه عن عمل يعتقد أنه في صالح بلاده » .

وهكذا برزت الجامعة المصرية إلى الوجود، يضئ جوها أساتذة من جميع الجنسيات لايميزة لهم الا التفوق في فنونهم، ولم يسبق لجامعة أخرى ان ضمت اليها مثلهم كفاية وعلماء، يعاونهم فريق من شباب البلاد المثقف ثقيفا عاليا في مصر وفي الخارج،

فكان ذلك المظهر أول مظاهر استقلال التعليم ، وتحريره من النفوذ والعقلية
الانجليزية في مصر .

ومما لا يعرفه إلا القليلون أن الحكومة الفرنسية « وقد كان عدد الأساتذة
الفرنسيين في الجامعة كبيرا » عدت ذلك بجاملة وميلا للتعليم الفرنسي ، فأرادت على
عادتها أن تقدم الوشاح الأكبر من نيشان اللجيون دونير لوزير المعارف ماهر
باشا ، باعتباره صديقا للثقافة الفرنسية ، فاعتذر بشدة عن هذا الاكرام قائلا :
« لأنني إنما أخدم مصر ، ولا أخدم فرنسا » ورفض ما عرض عليه ، فكتفت الحكومة
الفرنسية بتقديم هدية أدبية له .

والى هنا ظفرت الجامعة بأمثال دينجى وجريجوار وديتوم وتكهولم وجراى
وغيرهم .

وفي مستهل العام الدراسى ١٩٢٥ - ١٩٢٦ افتتحت الجامعة المصرية أبوابها ،
وقد كانت مشكلة الأماكن الدراسية من أصعب ما عرض لوزير المعارف ، ولكنه
استطاع أن يبقى كلية الطب فى مكانها ، وكلية الحقوق فى مكانها ، وأن يجعل مقر كاتى
العلوم والآداب قصر الزعفران ، وأن يحمل الحكومة على تخصيص المال اللازم
لإنشاء كليات الجامعة المختلفة فى أرض الجيزة ، وأن تمنحها القضاء اللازم
لذلك ، والذى يتسع بجانب السكيات ، للإدارة العامة وقاعة الاحتفالات ، وملاعب
الطلبة والمدينة الجامعية .

ومما يذكر فى هذا المقام أنه احتاج قليل لإتمام مشروعاته الإصلاحية هذه ، التى
لم يكف من أجلها الخزانة العامة شيئا يذكر ، إلى ثمانين ألفاً من الجنيهات تقريبا .
وعلم أن مجلس الوزراء يميل إلى عدم الموافقة عليه ، فدخل المجلس وفى جيبه كتاب
استقالته ، وخير زملاءه بين قبول هذه الاستقالة أو الموافقة على الاعتماد المطلوب ،
قائلا لهم : « لئى لأفهم من عمل الوزير إلا أن يعمل ما يراه واجبا عليه لصالح بلده ،
ولما أن يستقيل ، وإذا لم يمكن من العمل ، فأنتم بين أمرين ، إما الموافقة على الاعتماد
كاملا ، وإما قبول هذه الاستقالة » فوافق المجلس على ما طلبه .

ومن العجيب أنه عندما احتفل بوضع حجر الأساس لآبنية الجامعة بعد استقالة
ماهر باشا لم يدع لحضور حفلة الجامعة منشؤها الكبير ! !

ومما يتصل بالتعليم الجامعى وبجهود ماهر باشا فى إيجاده ، أنه أنشأ مدرسة طب
الأسنان ، لتكون متممة لكلية الطب ، وأعاد تنظيم مدرسة الهندسة تنظيمًا جديداً بإدخال

أقسام جديدة عليها غير ما ألف المصريون من هندسة الري والبناء، وغادر وزارة المعارف، وهو أشد ما يكون أسفا على عدم تمكنه من إنشاء قسم الكيمياء الصناعية، التي هي أساس لكثير من الصناعات الكبرى في هذا العصر .

وإني إذ أذكر سنة ١٩٢٥ في تاريخ التعليم، تبرز في ذهني حقيقة لا أستطيع اغفالها، وهي أن كل اصلاح أراداه المصلحون بعد تلك السنة في دوائر التعليم المختلفة، وانتهوا اليه إنما استمدوا أسسه وقواعده من بين دفتي تلك الملفات الثمينة التي تضمنت أبحاث ونتائج عمل ماهر باشا في وزارة المعارف، وقصر به الزمن عن تحقيقها

إن هذا الرجل الموهوب في تفكيره، وأساليبه، وخططه، ولغلب عليه صفتان: ميله الشديد الى البنية القانونية التي نشأ فيها، وعلة ذلك مفهومة بحكم التربية والثقافة، وميله الشديد الى العناية بشؤون التعليم ومتابعة ما يبذل في سبيله من جهود، ولعل مرجع ذلك اعتقاده بأن كل مجد وطني مصدره المدرسة، وكل نهضة قومية تقوم على التربية الصحيحة والتعليم السليم .

وهذا يفسر اشتراكه الدائم في عضوية مجلس ادارة الجامعة، لم يتخل عن ذلك قط، بل لأنه ليجد من وقته الضيق ما يسمح له بعضوية بعض اللجان الفرعية التي تؤلف لبحث شأن من الشؤون الجامعية، كتتظيم بعض الكليات، أو وضع بعض اللوائح الجامعية الادارية أو المالية .

وإذا كانت آراء شباب الجامعة قد التقت في النهاية مع آراء عقلاء الأداة، وانفقت كلمتهم على تقدير أساليب الحكم النافع للبلاد، فقد كان المأهول دائما أن العلم يهدى أبناءه الى الحقيقة ويرشددهم الى الصواب .

وإن جامعة تملئ رؤوس أبنائها بحب العلم، وتعمر قلوبهم بالاخلاص للوطن والعرش، لجديرية بهذا الاعزاز الذي تحوطها به البلاد، وهذا التكريم والتقدير الذي يتمتع بهما شبابها في جميع البيئات، وفي ذلك خير ترضية لتلك الجهود العزيرة التي بذلت في سبيل انشاء الجامعة، والآمال العظيمة التي عقدت على شبابها .

فهرس

٣	الاهداء	١٧	على ماهر باشا وزير المالية
٥	كلمة المؤلف	١٧	على ماهر باشا وزير الحفانية
٧	نارنج عظيم	١٧	الانعام عليه برتبة الاله تياز
٨	على ماهر باشا	١٧	اصلاحاته بوزارة الحفانية
٩	محمد ماهر باشا	١٨	استقالته من الوزارة
٩	بعض صفات على ماهر باشا	١٨	اعتذاره عن منصب وزير مصر
١٠	على ماهر التليذ		المفوض بلندن
١١	على ماهر المحامى	١٨	رياسته للديوان العالى الملكى
١١	على ماهر القاضى		ووطنية
١٣	رياسته لادارة المجالس الحسبية وتنظيمها	١٨	رياسته للوزارة
١٣	زعامة للوظفين وتنظيم حركة إضرابهم وموقفه من المستشار القضائى	١٨ هـ	نص الامر الملكى
١٤	استقالته وقرع له للسياسة واعتقاله	١٩	جهوده الموافقة فى تأليف الهيئة المصرية للفاوضات
١٤	على ماهر عضو الوفد المصرى	١٩ هـ	مرسوم تعيين الهيئة الرسمية
١٥	جهوده النبيلة فى التوفيق بين أعضاء الوفد	١٩	اصلاحاته الداخلية
١٦	اعجاب المغفور له جلالة الملك فؤاد بنضجه واتزانه	٢٠ هـ	كتابه الى المغفور له جلالة الملك فؤاد عن تعيين الهيئة الرسمية
١٦	عرض الوزارة عليه عام ١٩٢٢	٢١ هـ	كتابه الى المندوب السامى عن ضرورة حرية المفاوضات
١٦	عضو به بلجنة الدستور ومواقفه فى جلساتها	٢٣ هـ	كتاب رد المندوب السامى
١٧	على ماهر بك ناظر مدرسة الحقوق ومؤلفه عن القانون الدولى العام	٢٤	على ماهر باشا والصحافة والادب والثقافة
١٧	على ماهر بك وكيل وزارة المعارف وتعديله نظم التعليم	٢٤	عنايته بالادارة والبوليس واجتماعه بالمديرين والمحافظين
		٢٥ هـ	خطابه فى المديرين والمحافظين
		٢٦	توسيع سلطة المديرين والمحافظين ووقايتهم من العزل الاستبدادى

٣٩	استقالة الوزارة	٣١	انشاء قلادة فؤاد الاول
٣٩ هـ	كتاب الاستقالة	٣١	نصيب الازهر من جموده
٤٠ هـ	قبول الاستقالة	٣١	انشاء مجلس أعلى للإصلاح
٤٠ هـ	على ماهر باشا رئيس الديوان الملكي		الاجتماعي
٤٠ هـ	الانعام على مقامه الرفيع بقلادة فؤاد الاول	٣٢ هـ	الرئيس والأعضاء الذين يشكل منهم المجلس
٤٠ هـ	خاتمة	٣٢	انشاء وزارة الصحة
٤١ هـ	دعاء وإتهال	٣٣	العمل على استقلال القضاء
٤٢ هـ	مصادر التاريخ	٣٣ هـ	العناية بالتعليم ونشر الثقافة
٤٣ هـ	الصناعات في مأز يوم	٣٣ هـ	انشاء معهد فاروق
٤٤ هـ	تمديد	٣٤ هـ	انشاء مجلس أعلى للتعليم
٤٥ هـ	تصريح على ماهر باشا عن نيته نحو الصحافة	٣٤ هـ	الرئيس والأعضاء الذين يتكون منهم المجلس
٤٦ هـ	قانون المطبوعات	٣٥ هـ	بقيعة البلاد ب وفاة المغفور له جلالة الملك فؤاد وموقف على ماهر باشا الوطني المشرف المجيد
٥٣ هـ	مذكرته التفسيرية	٣٦ هـ	إعلان وفاة المغفور له جلالة الملك فؤاد والمناذاة بحضرة صاحب الجلالة الملك المحبوب «فاروق» الاول ملكا على مصر
٥٧ هـ	قانون نظام المحكوم عليهم في جرائم الصحافة	٣٦ هـ	اعلان رشده حضرة صاحب الجلالة الملك المفدى «فاروق» الاول فيما يخص بجميع التصرفات المدنية
٥٩ هـ	مذكرته التفسيرية	٣٦ هـ	وفاء على ماهر باشا
٦١ هـ	عناية على ماهر باشا بتتقيف المشتغلين بالصحافة	٣٧ هـ	قانون شروط توظيف الاجانب
٦١ هـ	خطابه في افتتاح موسم المحاضرات الصحفية	٣٨ هـ	تسوية المسائل الى كانت معلقة بين مصر والحجاز
٦٥ هـ	كلمات الصحفيين	٣٨ هـ	العمل على إلغاء الامتياز المالى
٦٥ هـ	كلمة سعادة الدكتور فارس نمر باشا «الاستاذ عبد القادر حمزة باشا»	٣٩ هـ	على ماهر باشا عضو مجلس الشيوخ
٦٦ هـ	«الاستاذ احمد حافظ عوض بك»		
٦٨ هـ	كلمة الاستاذ حسين فتوح بك		
٦٨ هـ	قصيدة شاعر القطرين الأستاذ خليل مطران بك		
٧٠ هـ	شكر وفد الصحافة		

٧١ - المحاضرات الصحفية	١١٥ - ٤ - اتجاهات الصحافة الحديثة،
٧٢ - تدريس الصحافة في الجامعة	للأستاذ أميل زيدان بك
٧٣ - برنامج أولى لمشروع مدرسة الصحافة والمحاضرات الصحفية	١٢٤ - ٥ - صانعو الجريدة، للأستاذ أنطون الجليل بك
٧٥ - نظام جمعية الصحافة	١٣٣ - ٦ - الصور الهزلية والصحافة، للأستاذ سليمان فوزى
٧٦ - مرسوم نظام جمعية الصحافة	١٤٣ - ٧ - المخترعات الحديثة في الصحافة، للأستاذ فؤاد صروف
٨١ - اعانة صندوق تعاون جمعية الصحافة	١٥٣ - ٨ - الأخطاء اللغوية الاصطلاحية والمطبعة، للأستاذ محمد مسعود بك
٨١ - الامتيازات الصحفية	١٦٤ - ٩ - تطور الصحف الأسبوعية، للأستاذ حسين شفيق المصرى
٨١ - السلفيات الصناعية	١٧٤ - خاتمة - موقف على ماهر باشا من الصحافة عام ١٩٢٢
٨٢ - تليفونات الصحف	١٧٤ - الصحافة بمحضر الجلسة ١٩ للجنة العامة لوضع الدستور
٨٣ - السفر بالسكك الحديدية	١٧٧ - الصحافة بمحضر الجلسة ٢٤
٨٣ - الاعلانات الحكومية	١٨٢ - الصحافة بمحضر الجلسة ٣٤
٨٥ - تذاكر اشتراقات الترام والسيارات	١٨٣ - الصحافة بمحضر الجلسة ٣٩
٨٥ - تعويض أصحاب الصحف	١٨٤ - الصحافة بمحضر الجلسة ٤٠
٨٦ - اقامة حفلات شاي للصحفيين	١٨٥ - الأدب في مائذ يوم
٨٦ - تبادل الزيارات بين مصر والبلدان الشرقية	١٨٦ - تمهيد وكلمة عن المباراة الصحفية
٨٧ - ايجاد عنصر صحافى مثقف بالمطبوعات	١٨٧ - ٥ - اقتراح سعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا عن اقامة مباريات سنوية
٨٧ - الاخبار الصحفية الهامة	١٩٠ - المباراة الصحفية الادبية
٨٨ - تبادل الفشرات	١٩٠ - بيان ادارة المطبوعات عن عشرة موضوعات المباراة
٨٨ - المحاضرات الصحفية	١٩١ - بيان ادارة المطبوعات عن المباراة وحضرات رؤساء لجان التحكيم
٨٨ - ١ - الصحافة المصرية - نظرة تاريخية ونظرة تحليلية، للأستاذ عبد القادر حمزة باشا	
٩٨ - ٢ - مقام الصحافة المصرية في بلاد العرب، للأستاذ أمين سعيد	
١٠٦ - ٣ - رسالة الصحافة، للأستاذ محمود عزمى	

التاسع « استثمار نهضة المرأة
للخير العام »

٤٣٣ رسالة السيدة سيزا نبراوى

٤٣١ ملخص رسالة الآنسة نورالهدى
الحكيم

٤٣٣ ملخص رسالة السيدة احسان
القوصى

٤٣٤ ملخص رسالة الآنسة ايها حبيب
المصرى

٤٣٥ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع
العاشر « وضع نشيد وطنى قومى »

٤٣٧ النشيد الاول للاستاذ محمود
محمد صادق

٤٢٩ النشيد الثانى للبرحوم الاستاذ
مصطفى صادق الرافعى

٤٤٠ النشيد الثالث للاستاذ محمد اهرأوى

٤٤٢ « الرابع » محمد فضل اسماعيل

٤٤٤ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

الحادى عشر « سلامة الدولة فى

حفظ الامن والنظام واحترام

القانون : . الخ »

٤٤٧ رسالة الاستاذ محمود كامل

٤٥٦ ملخص رسالة الاستاذ على حلى

٤٦١ على ماهر باشا والجامعة

٣٩٣ ملخص رسالة الآنسة ايريس
حبيب المصرى

٣٩٤ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

السادس « عدة النجاح لرجل

القرن العشرين »

٣٩٥ رسالة الاستاذ محمد ثابت الفندى

٤٠٦ ملخص رسالة الاستاذ حسين

مونس

٤٠٩ ملخص رسالة الاستاذ فهم

حشى

٤١٠ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

السابع « تدعيم الحياة الدستورية

والوحدة الوطنية وتكوين الوطنى

المستدير »

٤١٠ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

الثامن « ترقية الفلاح اجتماعيا »

٤١١ رسالة الآنسة ابنة الشاطىء

٤١٩ ملخص رسالة الاستاذ عبد الوارث

كبير

٤٢٠ ملخص رسالة الاستاذ عزيز

خانىكى بك

٤٢٢ ملخص رسالة الاستاذ يوسف

حلى

٤٢٣ قرار لجنة التحكيم فى الموضوع

